البدورُ النيراتْ

في تراجم علماء أهل ابَّاثْ

البدورُ النيراتْ

في تراجم علماء أهل ابَّاتْ

تأليف الشيخ

محمد عبدالله بن أحمد بن أبَّاتْ

القلقمي الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به عز وجل من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإننا نقدم إلى القارئ الكريم الطبعة الأولى من كتاب: **البدور النيرات، في تراجم علماء أهل ابات.**

ونحن إذ نقدمه نأمل أن يساهم في بناء ذلك الصرح الكبير الذي يجب أن يشاد لعلماء هذه الأمة وفقهائها وقرائها وشعرائها وأدبائها الذين هم مصدر عزها وفخرها، فإنه جدير بأمة فيها ذلك الحشد الهائل من العظماء أن ينظر إليها بعين الإكبار والإجلال.

إنها أمة عظيمة أنجبت علماء أضاءوا بعلمهم الطريق للبشرية، فلا جرم أن يكون هؤلاء العلماء مفخرة للعرب والمسلمين في مختلف العصور والدهور.

وإنه لمن العقوق والعار أن تترك آثارهم تنطمس وتختفي، بل يجب على الكُتَّاب والمؤلفين أن يهتموا بهذا الجانب اهتماما بالغا، وخصوصا في بلادنا شنقيط (موريتانيا) فإن البلاد التي لا يعرف تاريخها ولا تراجم علمائها ورجالها، ستكون مجهولة بين الأمم، ونحن نعلم أن أسلافنا رحمهم الله قاموا

بجهود جبارة بل خارقة للعادة، فعلى الخلف - على الأقل - أن يبرز ما استطاع من تلك الجهود، وذلك أضعف الإيمان.

فنسأل الله عز وجل أن يجازيهم عن دينهم وأمتهم أحسن الجزاء، وأن يوفقنا لاتباع سنة النبي ﷺ، والاقتداء به أكمل الاقتداء.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

بتاريخ: ١ / ١١/ ١٤٣٨هـ

الموافق: ٢٤/ ٧/ ٢٠١٧م

التعريف بالمؤلف

بقلم تلميذه الدكتورعبد المولى الوهباني:

هو العلامة شيخنا الفاضل: محمد عبدالله بن أحمد بن محمد محمود بن أحمد بن أبات القلقمي، ينحدر من أسرة معروفة بالشرف والعلم والفضل في موريتانيا، ولد الشيخ حفظه الله في حدود سنة: ١٣٩٠ هجرية، الموافق ١٩٦٩ ميلادية، في موضع يسمى إِكَِجْرَانْ - بكاف معقودة - في شمال ولاية تكَانت بالوسط الموريتاني.

حفظ القرآن على يد والده العلامة أحمد بن محمد محمود، وأخذ عليه مبادئ علوم العربية والأدب والفقه والعقيدة، وأخذ الإجازة في قراءة الإمام نافع على المقرئ الكبير صاحب السند العالي: محمد المصطفى بن السالك بن بلول الجكني، ثم قرأ معظم الشاطبية على يد العلامة الكبير عبدالله بن الإمام الجكني، وقد أخذ عن كل منهما في مدينة كَروُ بولاية لعصابه.

وأخذ الإجازة في القراآت السبع على العلامة الكبير محمد شيخنا بن اباه اللمتوني، ثم عاد إلى محظرة أسرته المعروفة ب «محظرة أهل ابات» في ام النوار بمدينة الغائرة، فأخذ فيها النحو والصرف على النحوي الكبير: محمد يسلم بن الدادَ، وأخذ فيها الفقه والأصول ومصطلح الحديث وغيرذلك من المتون التي تدرس في المحاظر الموريتانية على يد العلامة القاضي الجليل: محمدابات بن محمد، وبعد أن أكمل دراسته، ظل يُدِرِّسُ في تلك المحظرة فترة من الزمن.

وفي سنة ١٤١٨ هجرية الموافق: ١٩٩٧ ميلادية، خرج من بلاده موريتانيا ليستقر به المقام في دولة قطر ومنذو أن استقر فيها وهو يمارس التدريس في مختلف العلوم الشرعية، وقد كان لكاتب هذا التعريف شرف صحبته زمنا طويلا وأخذت على فضيلته متونا في الأصول والقواعد الفقهية، وقد أخذ عليه في الدوحة كثير من طلاب العلم مثلي في الفقه واللغة والأصول وغيرذلك.

والشيخ حفظه الله إلى جانب عمله في الامامة والخطابة الآن يعمل مدرسا في المراكزالعلمية التابعة لمعهد الدعوة بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية القطرية.

وللشيخ عدة مؤلفات منها:

١. فقه العبادات في المذهب المالكي، طبع سنة: ٢٠٠٩م.

٢. وجوب زكاة الأوراق النقدية، طبع أيضا سنة: ٢٠٠٩م.

٣. بلوغ الغاية، شرح نظم النقاية، في علم البلاغة طبع سنة: ٢٠١٧م.

٤. البدور النيرات، في تراجم علماء أهل ابات، وهو الكتاب الذي بين أيدينا الآن.

٥. بيان الدليل لمختصر خليل، لم يكتمل.

٦. وله تحقيق عدة كتب بعضها في الفقه وبعضها في العقيدة.

٧. وله بحوث علمية في مواضيع مختلفة لم تطبع.

حفظ الله شيخنا ورعاه، وحمد مسعانا ومسعاه.

كتبه تلميذه
الدكتور عبد المولى الوهباني
عضو الاتحاد العام لعلماء المسلمين
بتاريخ: ٢٤ / رمضان / ١٤٣٨هـ
الموافق ١٩ / ٦ / ٢٠١٧م

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، المدبر أمر الخلائق أجمعين، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وفضل العلم وأهله درجات، وبوأهم بفضله أعلى المقامات، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وقائد الغر الأتقياء، القائل: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) متفق عليه[١]. وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن الله سبحانه وتعالى امتنَّ على المؤمنين ببعثة الرسول ﷺ إليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[آل عمران:١٦٤].

وقد بعثه الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمه، وأظهر الله الدين على يديه وأتمه.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقد نزلت عليه هذه الآية بعرفات في حجة الوداع.

فاستشعر عليه الصلاة والسلام قرب أجله، من خلال خطابه بأن الدين قد اكتمل، ثم بدأ كأنه يودع الناس في ذلك الموسم، إذ رفع صوته ﷺ في تلك الجموع الحاشدة قائلا:

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٦١٥).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا). وفي رواية: (لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا) رواه الترمذي والنسائي[١].

وكان يكرر قوله: (أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ) متفق عليه[٢].

ثم لم يلبث عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من الحج إلا فترة وجيزة لا تبلغ ثلاثة أشهر حتى دعي فأجاب، ولحق بالرفيق الأعلى، وعمت المصيبة الفادحة أرجاء الكون كله.

ومن ذلك الحين وضعت أعباء الدعوة وحفظ العلم على كواهل علماء الأمة، إذ العلماء هم ورثة الأنبياء. فقد ثبت عنه ﷺ من حديث أبي الدرداء أنه قال:

(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) رواه أبوداوود والترمذي[٣].

وقد قام علماء الأمة رحمهم الله بتلك الأعباء على درجات متفاوتة عبر تاريخ الأمة المديد، فمنهم من اهتم بنشر العلم في صدور الرجال، ومنهم من اهتم بنشره في بطون الكتب، ومنهم من جمع بين الأمرين فعلَّم وألف. وقد كان لقطرنا الشنقيطي (موريتانيا) حظ وافر من هؤلاء العظماء عدة قرون.

---

(١) سنن الترمذي (الحديث: ٨٨٦) وسنن النسائي (الحديث: ٣٠٦٢)

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٠٩٤)

(٣) سنن أبي داود (الحديث: ٣٦٤١) سنن الترمذي (الحديث: ٢٦٨٢)
وصححه الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الحديث: ٢١١٧)

ولا شك أن البيئة البدوية القاسية التي كانوا يعيشون فيها تقف حجر عثرة في طريق العلم والتعليم، إلا أنهم بإخلاصهم ومثابرتهم ذللوا تلك الصعاب، فتعلموا وعلَّموا وألفوا، حتى صارت جامعاتهم الأهلية: (المحاظر) تعانق بل تفوق الكثير من الجامعات الإسلامية في الدول المتحضرة.

غير أن الكثير من هؤلاء العلماء والعظماء ظلت جهودهم مطمورة أو لا يعرف عنها الكثير، وذلك لعدم اهتمامهم بكتابة التاريخ، بل ونكران الذات وإيثار البعد عن الأضواء، وربما كان أحدهم يتمنى أن لا ينسب إليه شيء من جهوده العلمية وبذله ونشاطه الدعوي، كما روي عن الإمام الشافعي.

قال الربيع: سَمِعت الشافعى يَقُول:

«وددت أنّ النّاس تعلموا هذه الكتب ولا يُنْسَب إليّ منها شيءٌ»(١).

وهذا خُلُق للسلف أصيل، ودأب معروف جليل، وذلك لأن عملهم وبذلهم وجهادهم هو لله سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية، فهم مطمئنون لذلك.

فعن أَبِي عُثْمَان النهدي، قَالَ: ذهبت بالبشارة إِلَى عُمَر بفتح نهاوند وكان على الجيش النعمان بن مقرِّن، فقال عمر ما فعل النعمان؟ قلت: قتل، قَالَ: «إِنَّا للهَّ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ثُمَّ بكى فقلت: قتل والله فى آخرين لا أعلمهم، فقَالَ: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلمته المشهورة: «ولكن اللهَّ يعلمهم»(٢).

وصدق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٣٣٢)

(٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص: ٢٩٧)

ولا يخفى أن علماء بلدنا شنقيط (موريتانيا) بشكل عام لم ينالوا ما يستحقونه من إبراز تاريخهم وجهودهم الجبارة في نشر العلم، وإن كان شرق البلاد وغربها ربما يكونان أحسن حالا من وسطها، إذ قد تمت في كل منهما عدة محاولات وكتابات تاريخية مثل كتابي: «الوسيط» و «المنارة والرباط» فهذان الكتابان أكثر ما تكلما عليه علماء غرب البلاد، وأما بالنسبة لشرق البلاد فقد قام البرتلي في «فتح الشكور» بالكلام على بعض من أعيان علمائه، وإن كان الرجل متقدما نسبيا، ولكن وسط البلاد - كتكَانت ولبراكنه وءافطوط والركيبة - ظل بعيدا عن الأضواء يلف الغموض تاريخ كثير من علمائه.

وقد توجد تراجم لبعضهم في هذه الكتب أو في غيرها من البحوث من هنا أو هناك، لكنها في أغلبها تكون بمعلومات شحيحة للغاية، وفي بعض الأحيان غير دقيقة، فربما نسبت فيها مؤلفات بعضهم للآخر، وأحيانا تجد شيوخ أحدهم مذكورين مع طلابه، وأشياء من هذا النمط تشمئز منها النفوس.

والسبب في ذلك هو بُعد الباحث أو المترجم عن تلك المناطق وعدم وجود مراجع مكتوبة يرجع إليها.

والأَوْلى والأجدر بالمترجِم أن يكون من نفس المحيط، أو أن يقوم برحلة استقصائية تشمل المناطق التي يريد أن يكتب عن أصحابها، ليسمع من المشايخ إن كانوا أحياء، أو من طلابهم وأحفادهم إن كانوا أمواتا، ليأخذ المعلومة من مصدرها الموثوق به، وليكون على بينة من أمره.

ولهذا فقد ارتأيت أن أقوم بالكتابة عن علماء الأسرة المعروفة بـ(أهل أبَّات) - بتشديد الباء وتفخيمه - تلك الأسرة النزارية القلقمية، المشهورة بالعلم والفضل في تكَانت، بل إنها تعتبر أشياخا لمحاظر الوسط الموريتاني كولايتي تكَانت ولعصابة وما جاورهما، فقد تخرج من محاظرها الكثير من العلماء الذين امتد إشعاعهم العلمي إلى أصقاع كثيرة من العالم، كما سنلقي الضوء على

ذلك عند الكلام على المحاظر والعلماء الذين تخرجوا من هذه الدوحة العلمية الباسقة إن شاء الله تعالى[1].

الأسباب الداعية لهذا التأليف:

وقد دعاني لذلك عدة أسباب أهمها ما يلي:

١. كون هذه الأسرة العلمية العريقة لم تحظ بكتابة مستقلة ذات مصداقية توضح دورها ودور علمائها - وعلى رأسهم جدهم مؤسس المحظرة العلامة الكبير: أَبَّات بن الطالب أحمد جدُّ رحمه الله تعالى - في نشر العلم في بلاد شنقيط وخارجها، إذ محظرتهم تعتبر أما لمعظم المحاظر في الوسط الموريتاني كما أسلفنا.

٢. تكرُّرُ السؤال من طرف كثير من الفضلاء وطلاب العلم، عن تراجمهم، فمنهم من يريد أن يقدم دراسة عن شخصية علمية من هؤلاء العلماء، ومنهم من يريد الاطلاع على حياتهم، لكثرة ما يسمع عنهم من مآثر حميدة، والكل يتعطش إلى رؤية شيء مكتوب يعتمد عليه.

٣. كوني من أحفادهم وعلى دراية شبه تامة بحياتهم ومن تخرج من العلماء من محاظرهم، الأمر الذي يجعل المعلومة تتسم بالمصداقية ويُطمأن إليها أكثر، إذ كلما اقترب الكاتب ممن يترجم عنه في المكان أو الزمان اقتربت كتابته من الدقة والتحرير، والعكس صحيح.

٤. كون التأليف في تراجم العلماء وذكر أثارهم وهديهم يعتبر في غاية الأهمية للقراء، فهذا أبو حنيفة رحمه الله يقول: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم»[2].

---

(١) انظر المبحث العشرين والحادي والعشرين من ترجمة العلامة أبات رحمه الله تعالى.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: (١ / ٥٠٩)

ويقول محمد بن يونس: «ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين»(1).

قلت: ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠] الآية.

وإن من أعظم المقاصد لكتابة التراجم: بيان الجوانب المشرقة وما أكثرها في سير علمائنا، والتنويه بما لهم من أعمال جليلة وأياد بيضاء، وإيقاظ الهمم وحفزها، والارتقاء بالأخلاق وتقويم عوجها، وتزويد القارئ بشيء من خلاصات التجارب والأعمال الجبارة.

ثم إننا نرى الأمم الأخرى تحتفل بعظمائها بل تبالغ في ذلك أشد المبالغة، ونحن أولى بهذه المزية، إذ منبع عظمائنا ما يحملونه من دين وعلم شرعي وسلوك إيماني، فالكتابة عنهم والتنويه بهم يعتبر من أسمى وأرقى وأنبل خدمة تقدم للدين.

٥. أهمية علم التاريخ عموما، ومما يدل على أهميته أن الله سبحانه وتعالى احتج به في القرآن الكريم على أهل الكتاب، لَمَّا اختلفوا في إبراهيم هل هو يهودي أو نصراني، فكل طائفة تدعيه لنفسها، فبين لهم أن إبراهيم عليه السلام كان موجودا قبل أن توجد اليهودية والنصرانية أصلا، فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة، وما قرأته إلا لأستعين به على الفقه»(2).

---

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي: (١ / ١٨)

(2) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين السلاوي (١ / ٥٩)

قالوا: وذلك لأن جُلَّ الأحكام الشرعية مبني على العرف وما كان مبنيا على العرف لا بد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه، ولهذا ترى فتاوى الفقهاء تختلف باختلاف الأعصار والأقطار، بل والأشخاص والأحوال.

وهذا السبب بعينه هو السر في اختلاف شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بآخر ومحمد بسوى ذلك صلى الله تعالى عليهم وسلم.

ثم فائدة التاريخ ليست محصورة فيما ذكر، بل له فوائد أخر جليلة لو قيل بعدم حصرها ما بَعُد ذلك[1].

فمن هذه الفوائد عند المحدثين معرفة ضبط الراوي وحفظه، أوعدم ضبطه وكذبه، حتى يتسنى تصحيح حديثه أو تضعيفه، وقد اعتمد العلماء على ذلك كثيرا.

فقد روي عن اسماعيل بن عياش[2] أنه قال: كنت بالعراق، فأتاني أهل

---

(١) المصدر السابق: (١ / ٦٠)

(٢) هو سماعيل بن عياش ابن سليم الحمصي الحَافظ، الإِمام، محدث الشام، كان من بحور العلم وصاحب سنة وَاتِّبَاعٍ، وَجَلاَلَةٍ وَوقَارٍ.
وقد ذكر الذهبي عن عثْمان بنِ صالح قال: كان أهل مصر ينتقصون عثمان، حَتى نشأَ فِيْهِم اللَّيْث بن سعد فحدثهم بِفضائل عثمان فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون عليا، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش، فحدثهم بفضائل علي، فكفوا عن ذَلِكَ.
وكان رحمه الله من أحفظ أهل زمانه، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قَالَ أَبِي لِداود بنِ عَمْرٍو، وَأَنَا أسمع :ياأباسليمان: كَانَ إِسماعيل بن عياشٍ يحدثكم هذه الأحاديث حفظا؟ قال: نعم، ما رأيت معه كتابا قط، قال: لقد كان حافظا، كم كان يحفظ؟ قال شيئا كثيرا، قال له: كان يحفظ عشرة آلاف؟ قال: عشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، قال أبي: هذا كان مثل وكيع. توفي رحمه الله سنة: ١٨٠هـ. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧ / ٣١٨ - ٣٢٩).

الحديث، فقالوا: هاهنا رجل يحدث عن خالد بن معدان[1] فأتيته فقلت: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة- يعني ومائة- فقلت: أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين لأن خالدا مات سنة ست ومائة[2].

ومثل هذا كثير عن أئمة الحديث عبر العصور.

ومن هذه الفوائد ما جاء في تاريخ بغداد وذيوله أن بعض اليهود أظهروا كتابا وادعوا أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة جماعة من الصحابة، وذكروا أن فيه خط علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء[3] فعرضه على الخطيب البغدادي، فتأمله فقال: هذا

---

(١) هو الإِمَامُ، شَيْخُ أَهْلِ الشَّامِ خالد بن معدان أَبُو عبدالله الكَلاَعِيُّ، الحِمْصِيُّ.
أحد ائمة التابعين كان يقول: أَدْرَكْتُ سَبْعِيْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وكان رحمه الله صاحب هدي وورع وإعراض عن الدنيا.
رَوَى: بَقية عن عمر بن جعثم قال:
كان خالد بن معدان إذا قعد لم يقدر أحد منهم يذكر الدنيا عنده هيبة له. وكانت له مواعظ وحكم مؤثرة، فكان يقول:
ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذ أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه التي في قلبه فأبصر بهما ما وعد بالغيب فأمن الغيب بالغيب.
قال يزيد بن هرون:مات خالد بن معدان وهو صائم.
قالوا:وكان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرؤ من القرآن، فلما مات ووضع على سريره ليغسل جعل بأصبعه هكذا يحركها يعني بالتسبيح.
مَاتَ رحمه الله سَنَةَ ثَلاَثٍ، أو خمس أوست وَمائَةٍ هـ: سير أعلام النبلاء مصدر سابق: (٤ / ٥٣٦- ٥٣٩) بغية الطلب فى تاريخ حلب (١ / ٢١)

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب (١ / ٢١)

(٣) هوعلي بن الحسن بن أَحْمَد، أَبُو القاسم المعروف بابن المسلمة أخذ عن إِسْمَاعِيل بْن الحسن الصرصري، وأبي أَحْمَد الفرضي، ومن بعدهما، قال الخطيب البغدادي: كتبت عنه، وكان ثقة، وقد اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع فِي أحد قبله، مع سداد مذهب، وحسن اعتقاد، ووفور عقل،

مزور، قيل له: ومن أين قلت ذلك؟ فقال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم عام الفتح سنة ثمان، وخيبر فتحت سنة سبع ولم يكن مسلما في ذلك الوقت ولا حضر ما جرى، وفيه شهادة سعد بن معاذ الأنصاري ومات يوم بني قريظة بسهم أصابه في أكحله يوم الخندق، وذلك قبل فتح خيبر بسنتين، فمعاوية وسعد بن معاذ لم يجتمعا في الإسلام، فاستحسن ذلك منه ولم يجزهم على ما في الكتاب(١).

وتكررت هذه الحادثة في المغرب في حدود ألف ومائة وعشر وذلك أن نفرا من يهود فاس الجديد، امتنعوا من أداء الجزية وأخرجوا كتابا قديما يتضمن، أن النبي ﷺ عقد لموسى بن حيي بن أخطب، أخي صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولأهل بيت صفية الأمان، لا يطأ أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم، فعلى من أحب الله ورسوله أن يؤمنهم، وكتب علي بن أبي طالب، وشهد عتيق بن أبي قحافة، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وتاريخ شهادتهم في ذي القعدة سنة تسع من الهجرة.

فلما عرض على العلماء أكتشفوا بأن ذلك زورا وافتراء، لأن التاريخ بالهجرة إنما حدث في خلافة عمر سنة سبع عشرة، ولأن أهل التاريخ لم يذكروا لصفية أخا اسمه موسى وإنما المروي في الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام قتل أبا صفية وزوجها، ولما رفع ذلك إلى السلطان المولى إسماعيل رحمه الله عاقب اليهود عقابا شديدا على ذلك(٢).

وأصالة رأي. استكتبه الخليفة القائم بأمر اللهّ، واستوزره، ولقبه: رئيس الرؤساء، ومكث في الوزارة اثنتي عشرة سنة، وتوفي سنة ٤٥٠ هـ قتله الخبيث البساسيري التركي انظر: تاريخ بغداد (١٣ / ٣٢٦) والبداية والنهاية (١٢ / ٨٠ – ٩٩)

(١) تاريخ بغداد للخطيب وذيوله ط العلمية (٢١ / ٤٢)

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١ / ٦٢)

وبالجملة ففضيلة علم التاريخ شهيرة، وفائدته جليلة، ومادحه محمود غير ملوم، والحديث بفضله حديث بمعلوم، ولله در ابن الخطيب إذ يقول:

وبعد فالتاريخ والأخبارُ   فيه لنفس العاقل اعتبارُ
وفيه للمستبصر استبصار   كيف أتى القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضر حكم الغائبِ   فيثبت الحق بسهم صائبِ
وينظر الدنيا بعين النبلِ   ويترك الجهل لأهل الجهلِ

وقال آخر:

ليس بإنسان ولا عاقل   من لا يعي التاريخ في صدره
ومن روى أخبار من قد مضى   أضاف أعمارا إلى عمره[1]

إلى غير ذلك من الفوائد الجمة، التي تؤكد فضائل هذه الأمة.

وفيما يلي نعرض للمنهجية المتبعة في هذا الكتاب:

منهجية الكتاب:

سآتي بعد هذه المقدمة إن شاء الله تعالى بتمهيد أذكر فيه لمحة عن المحظرة الشنقيطية ونبذة عن تاريخها، وعن الظروف السياسية التي كانت تحيط بها، واهتمام الشناقطة بالتعليم فيها، والمناهج التي تقرؤ فيها، وكيف كانت قراءتهم لهذه المناهج وتشبثهم بالإتقان، الأمر الذي جعل المحظرة تخرج ذلك الكم الهائل من العلماء المتخصصين، الذين استمر عطاؤهم عدة قرون، بل ما زال ذلك العطاء ممتدا إلى وقتنا هذا.

ثم بعد ذلك أبدؤ بذكر نسب هذه الأسرة، ثم بترجمة العلامة أبات مؤسس (محظرة أهل ابات) ثم نتبعه بترجمة أخيه ونائبه العلامة: الطالب عبد الدائم،

(١) المصدر السابق.

ثم بعد ذلك نترجم لعلماء اشتهروا بالعلم والتدريس من أبنائهما وأحفادهما.

وسأضعهم في خمس طبقات على التوالي، ثم أفرد قسما للقراء، ثم بعد ذلك أذكر الأشعار التي قيلت في الثناء عليهم، ونبذا مما قاله شعراؤهم، مع تعريف موجزبأولئك الشعراء.

علما بأن كل طبقة من هذه الطبقات فيها عدد كبير من أهل العلم والفضل، إلا أننا في هذا الكتاب اقتصرنا على تراجم علماء اشتهروا أكثر من غيرهم، ولعلنا في المستقبل إن سنحت لنا الفرصة سنضيف تراجم الباقين بعون الله تعالى.

وأخيرا سآتي بسند المحظرة العلمي إلى الإمام مالك ثم إلى النبي ﷺ، ثم بشجرة المحظرة، وكيف انتشرت فروعها داخل البلد وخارجه عبر الطبقات كلها.

وسترى عموما في هذا الكتاب مباحث مهمة في موضوعات مختلفة، يمكن الاطلاع عليها من خلال الخطة المتبعة فيه الآتية قريبا، أو الفهرس الموجود في آخر الكتاب.

وقد استغرقت كتابته ما يقارب سنة ونصفا لأني بدأت في جمع مادته في ذي القعدة سنة ١٤٣٥، وانتهيت منه في الخامس من ربيع الثاني سنة: ١٤٣٦ هجرية، وفي هذه الفترة ربما انقطعت عنه لبعض الوقت ثم أعود إليه، وكل ذلك كان بتوفيق الله سبحانه وتعالى وعونه، لا رب سواه.

وسميته:

البدور النَّيِّرَاتْ، في تراجم علماء أهل ابَّاتْ

وأنبه إلى أني إذا ذكرت فيه أهل ابات فالمراد أبناء أبات وأبناء أخيه الطالب عبد الدايم معا، فقد غلب اسم أهل ابات على الجميع، ولا ضير في أن ينسب الرجل لعمه، فإن النبي ﷺ قال: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم (الحديث:٩٨٣)

والصنو: المثل، ومنه قوله تعالى ﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ الآية. ويشمل كذلك الأسر التي تندرج فيهم، وتدور في فلكهم وهم أخوالها، وقد قال النبي ﷺ: «ابن أخت القوم منهم» متفق عليه[1] فالجميع يعتبر كيانا واحدا لا فرق بينه لا في المعنى ولا في المبنى.

وقد كنت ذكرت شيئا من التفصيل عن بعض الأسروالأفراد، ثم بدالي أن أترك ذلك، وأن ألتزم بما يناسب عنوان الكتاب، بحيث لا يذكر فيه إلا العلماء أو القراء أو الشعراء، أو ما جرت العادة بذكرهم كآباء المترجم وأبنائه وأمهاتهم، وربما إذا ذكرت البنات وخصوصا في الطبقات المتقدمة،أذكر الأسر التي هن أمهات لها، وذلك لخفاء الأنساب المتعلقة بالبنات غالبا.

ولعل هذا الكتاب إذا تم نشره بعون الله تعالى سيلبي بعض الطموحات لدى القراء المهتمين بهذا الموضوع، وينال إعجاب مطالعيه عموما، لأني حاولت أن أكتبه بلغة واضحة سلسة، ووضعت فيه كثيرا من الفوائد العلمية والأدبية والتاريخية الممتعة، مع تأصيل لجميع النقول الواردة فيه.

وربما كررت فيه بعض الحكايات أو الأبيات الشعرية، لمناسبة تقتضي ذلك، والتكرار إذا كان لفائدة أو مناسبة لا يعاب.

فهذا الإمام البخاري في صحيحه يكررالحديث في مواضع متعددة، لمناسبة تقتضي ذلك، وهو عمل أشاد به العلماء واعتبروه من خصوصيات كتابه وفوائده الجمة الدالة على فقهه ومهارته، والقَصَصُ القرآني المكرَّرُ هو القدوة في ذلك.

ولعله أيضا يكون سببا لبرور السلف، والدعوات الصالحة من الخلف.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٦٣٣)

وإني لأعلم أنه لابد أن توجد فيه بعض الأخطاء قلَّتْ أو كثرت، قال البويطي: سمعت الإمام الشافعي يقول: قد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها (أي لم أقصِّرْ) ولا بد أن يوجد فيها الخطأ إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: من يبرئ نفسه من الخطإ فهو مجنون، وقال الإمام مالك: ومن ذا الذي لا يخطئ؟

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدا أقل خطئا من يحي بن سعيد القطان، وقد أخطأ في أحاديث، ثم قال: ومن يعرى من الخطإ والتصحيف[١].

فبعد هؤلاء لاطمع لأحد في النجاة من الخطإ إلا من عصمه الله تعالى، والمعصوم على الإطلاق هو رسول الله ﷺ وحده.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنا، وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ونسأله أن يجعل هذا الكتاب عملا مصيبا متقبلا، وأن ينفع به قارئه، ومؤلفه، ومن سعى في شيء منه، بفضله ومنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي ما يلي نعرض للخطة المتبعة فيه بعون الله تعالى:

الخطة المتبعة في هذا الكتاب:

وقد قسمت العمل في هذا الكتاب بعد المقدمة والتمهيد إلى أربعة أقسام وثلاثة ملاحق:

فالمقدمة كما رأينا تتحدث عن الأسباب الداعية لتأليفه، ومنهجيته، والخطة المتبعة فيه.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح: (٢ / ١٤٥)

والتمهيد: في ذكرنبذة من تاريخ المحظرة الشنقيطية (الموريتانية) وكيف انتشرت وازدهرت والظروف السياسة التي كانت تحيط بها.

وفيه خمس نقاط.

والقسم الأول: يذكر فيه نسب أسرة أو(قبيلة) أهل ابات و ترجمة جدهم العلامة أبات وأخيه العلامة الطالب عبد الدايم، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ذكر نسب هذه الأسرة وفيه عدة مباحث.

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة أبات وفيه عدة مباحث.

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة الطالب عبد الدايم وفيه عدة مباحث.

والقسم الثاني: يشتمل على تراجم علماء اشتهروا في طبقات أبنائهما وأحفادهما ويضم ترجمة ستة عشر عالما[1] موزعة على خمس طبقات في خمسة أبواب:

الباب الأول: في ترجمة الطبقة الأولى وفيه عدة فصول

الباب الثاني: في ترجمة الطبقة الثانية وفيه عدة فصول

الباب الثالث: في ترجمة الطبقة الثالثة وفيه عدة فصول

الباب الرابع: في ترجمة الطبقة الرابعة وفيه عدة فصول

الباب الخامس: في ترجمة الطبقة الخامسة وفيه عدة فصول

---

(١) أي فجميع العلماء المترجم لهم في هذا الكتاب هم: ثمانية عشر عالما، وخمسة مقرئين، فالجميع ثلاث وعشرون ترجمة، هذا بالإضافة إلى تعريف موجز بستة شعراء، والباقي منهم تمت ترجمتهم في تراجم العلماء.

والقسم الثالث: في القراء وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول: في ترجمة المقرئ الشيخ المختار بن أحمد.

وفيه عدة مباحث.

الباب الثاني: في ترجمة المقرئ: سيدي بن عبد الدايم وفيه عدة مباحث.

الباب الثالث: في ترجمة المقرئ: محمداحمدُ بن الغوث وفيه عدة مباحث.

المبحث الرابع: في ترجمة المقرئ: محمد الامين بن محمداحيد وفيه عدة مباحث.

المبحث الخامس: في ترجمة المقرئ: دحمود بن دحمود وفيه عدة مباحث.

والقسم الرابع في الأشعار وفيه بابان:

الباب الأول: في الأشعار التي قيلت في مدح القبيلة، وفيه عدة فصول.

الباب الثاني: فيما قالوه من الأشعار وفيه عدة فصول.

والملاحق الثلاثة تتضمن ما يلي:

الملحق الأول: في ذكر إسناد محظرة العلامة أبات إلى الإمام مالك ثم إلى النبي ﷺ.

الملحق الثاني: في رسم شجرة لمحظرة العلامة أبات الأولى(١):

الملحق الثالث: في رسم شجرة لمحظرة العلامة أبات الثانية(٢):

ثم التقاريظ.

---

(١) محظرته الأولى هي التي أنشأها قبل سفره إلى المشرق. انظر المبحث العشرين من ترجمة العلامة أبات، في ذكر طلابه الذين تخرجوا من محظرته الأولى.

(٢) محظرته الثانية هي التي كانت بعد قدومه من المشرق. انظر المبحث الحادي والعشرين من ترجمة العلامة أبات، في ذكر طلابه الذين تخرجوا من محظرته الثانية.

ثم أذكر أهم المراجع التي اعتمدت في هذا الكتاب.

ثم فهرس للموضوعات.

ونسئل الله سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

فهو الهادي إلى سواء الطريق.

محمد عبدالله بن أحمد بن محمد محمود بن أحمد

بن أبات القلقمي الشنقيطي

الدوحة ٥/ ربيع الثاني/ ١٤٣٦هـ

الموافق ٢٥/ ١/ ٢٠١٥ م

تمـــهيـــد

في تاريخ المحظرة الشنقيطية (الموريتانية) وكيف انتشرت وازدهرت والظروف السياسة التي كانت تحيط بها.

وفيه خمس نقاط:

النقطة الأولى: في التعريف بالمحظرة الموريتانية وتاريخها.

النقطة الثانية: في الظروف السياسية التي كانت تحيط بها، ونبذة عن إمارة إدوعيش.

النقطة الثالثة: في اهتمام الشناقطة بالتعليم والحث عليه وماقاله الأدباء في ذلك.

النقطة الرابعة: في المناهج التي تقرؤ في المحاظر غالبا، وما هي منهجية محظرة أهل ابات.

النقطة الخامسة: كيف كانت قراءتهم لهذه المناهج، وذكرالمجالس العلمية والأدبية التي كانت تقام في المحظرة ليالي العطل.

النقطة الأولى: في التعريف بالمحظرة الموريتانية وتاريخها:

والمحظرة: إما بالظاء أو بالضاد فالتي بالظاء قد تكون مشتقة من الحظيرة وهي سياج من أغصان الشجر الشائكة، كانوا يضعونه على الأغنام، حماية لها، وقد يضعونه على المساجد والمحاظر في الريف كذلك، والتي بالضاد من الحضور عند المشايخ وسماع محاضراتهم، والأرجح أنها بالضاد، ولكن أهل البلد كانوا يبدلون الضاد ظاء في كثير من كلامهم، مثل الكلمات الآتية:

فيقولون في الضب:الظب – وفي حضر حظر – وفي أخضر أخظر – وفي أبيض – أبيظ ونحوها، فيبدلون الضاد ظاء في هذا ونحوه فلعل ذلك حصل مع المحضرة[١].

ونحن في هذا الكتاب نذكرها بالظاء غالبا.

وإذا أردنا تعريفها فهي: جامعة أهلية فردية التعليم، طواعية الممارسة، لا تغلق أبوابها لكثرة الطلاب ولا لقلتهم، فهي مفتوحة الأبواب دائما، وركنها الأساسي: هو ذلك الشيخ المتخصص الذي يجلس لتدريس الطلاب معظم وقته، وقد تكون في حي بدوي يرحل ويقيم كما قال العلامة المختار بن بون الجكني رحمه الله[٢]:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا

ويقول المؤرخون إن أول ظهور المحظرة في بلاد موريتانيا هو رباط عبدالله بن ياسين في القرن الخامس الهجري الذي أنشأه في جزيرة على بعد نحو ٦٠ كيلو متر شمال غربي العاصمة نواكشوط، وذلك في حدود سنة: ٤٣١ هـ تقريبا.

وسبب قدوم عبدالله بن ياسين، هو أن الأمير اللمتوني يحي بن إبراهيم الكدالي، حج وفي طريقه مرَّ بالقيروان فلقي الفقيه أبا عمران الفاسي المتوفى سنة ٤٣٠، وشكى إليه حال قومه في كلمة مشهورة هي قوله: «إننا في الصحراء منقطعون لا يصل إلينا إلا بعض التجار حرفتهم الانشغال بالبيع والشراء، وفينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن ويرغبون في الفقه والدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلا».

---

(١) المنارة والرباط للخليل النحوي: ٦١.

(٢) سيأتي التعريف به في المبحث الخامس من ترجمة العلامة أبات عند ذكر شيوخه.

فكتب له أبو عمران إلى أحد تلاميذته وهو: وكاك بن زلو اللمطي، وكان عالما فانتدب له عبدالله بن ياسين الجزولي، وهو فقيه صنهاجي فرافقه إلى قومه، فلما أراد أن يُقَوِّم سلوكهم رفضوه وضايقوه، ثم بعد ذلك أنشأ رباطه المذكور وجعل يعلم الناس فيه ويهذب أخلاقهم، فلما اكتمل عنده ألف من المرابطين المتعلمين الناضجين، بدأ يجاهد بهم الكفرة، ثم إنه استشهد في الجهاد سنة: ٤٥١ هـ[١].

ثم بعد ذلك بدأت المحاظر في المدن التي فتحها المرابطون ومن أوائل هذه المدن مدينة **أوداغست**، المندثرة، التي فتحها المرابطون سنة: ٤٤٦ هـ وهي تقع على بعد ٤٠ كيلو متر شمال شرقي تامشكط في الحوض الغربي.

ثم بعد ذلك **ولاتة** وقد زارها بن بطوطة سنة: ٧٥٣ وقال عنها في رحلته أنها تبدوا عليها مظاهر الشيخوخة والقدم ووصف رجالها بأنهم محافظون على الصلوات وعلى الفقه والقرآن، وانتقد عليهم ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء[٢].

ثم **تيشيت** التي تأسست سنة: ٥٣٦ على يد مؤسسها: الشريف عبد المؤمن بن صالح الإدريسي، أحد طلاب القاضي عياض ت ٥٤٤ وهي تقع إلى الشرق من مدينة تججك على بعد ٢٥٠ كيلو متر، وقيل إنها هي أكثر المدن القديمة مخطوطات، ويقال إن مؤسسها لما رأى واحة البلدة والجبال المطلة عليها قال: «تِي شئتُ» أي هذه أردت، فكان ذلك هو اسمها. هذا مع العلم أن الخرائط القديمة تتحدث عن تيسيت بسين مهملة.

ثم **وادان** التي تأسست أيضا سنة: ٥٣٦ على يد الحاج عثمان الأنصاري تلميذ القاضي عياض - زميل الشريف عبد المؤمن - والحاج يعقوب القرشي، وقيل إن معنى اسمها هو: واديان أحدهما ملئ علما والثاني ملئ نخلا وتمرا،وكان الطلاب من تيشيت وشنقيط يذهبون إلى وادان لطلب العلم،

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٦ / ٢٤٣) والمنارة والرباط ٦٤- ٦٥

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية (٤/ ٢٤٥)

ومنها تخرج كل من سيدي عبدالله بن محم (بن رازكه)، والطالب محمد بن الأعمش الشنقيطيان، وسيداحمد بو لوتاد التيشيتي.

ثم **شنقيط** التي تأسست سنة: ٦٦٠ هـ ومعنى شنقيط بلغة البربر: عيون الخيل التي تشرب منها، وقيل فيها غير ذلك، وكان حُجَّاجُ البلد يجتمعون فيها فينطلقون منها، فلذلك اشتهر اسمها في المشرق، وازدهرت اقتصاديا وعلميا حتى أصبحت هي عاصمة الثقافة في البلد، وبها عرف في كثير من بلاد العالم.

ثم **تنيكي** وهي مدينة لقبيلة تجكانت وقد تأسست في القرن السادس الهجري وهي تقع بين وادان وشنقيط، وقيل إنها هي أول حاضرة علمية في البلد، حتى قيل إنها كانت فيها ٣٠٠ فتاة تحفظ الموطأ، ثم نشبت فيها حرب أهلية، أدت إلى خرابها ونزوح أهلها عنها[١]، وذلك في القرن العاشر الهجري.

ثم إن هذه المدن التي بقيت إلى الآن ظلت تحتضن محاظرها إلى حد مَّا، لكن الكثير من السكان نزح عنها.

وظلت المحاظر تتسلل من هذه المدن القديمة وتتناسل وتتمدد في أرجاء الصحراء والجبال والأودية وعلى ضفاف البحر والنهر، وكانت عملية النزوح هذه بدأت في القرن العاشر الهجري واستمرت إلى القرن الحادي عشر، وبعد ذلك بدأ الاستقرار شيئا فشيئا إلى أن استقرت على ماهي عليه الآن[٢].

---

(١) وسبب تلك الحرب أن فتى من أعزائهم سفيها اعترض يوما في طريق القرية التي بين دورها، ومد رجليه وقال: لا يمر اليوم أحد إلا من تحتها فمرت جارية فأمرها بذلك فلما فعلته، وضع ساقيه بشدة على عنقها، فوقع فوها على الأرض وهي صلبة فسقطت ثناياها، فحملتها إلى خالها، فجاء مشتملا على سيفه فضرب ساقي الفتى فقطعهما، فاندلعت الحرب التي دمرت المدينة بأكملها ونزح عنها أهلها جميعا. انظر: كتاب إمارتا إدوعيش ومشظوف للشيخ باب بن الشيخ سيدي ص: ٢١٧ – ٢١٨.

(٢) حياة موريتانيا الثقافية: ١٩٧ – ٣٧٤ المنارة والرباط: ٦٦– ٧٢ الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٧، مهذب رحلة ابن بطوطة ٢ / ٢٨٨.

ومعظم هذه المحاظر يرجع إلى مدينتي وادان وشنقيط حسب بن حامدٌ [1] وإليك نماذج من ذلك:

- فمن محضرة وادان انحدرت المحاظر التالية:

١. محاضر إدوالحاج في «القبلة».
٢. محاضر إدوالحاج في «الركيبة».
٣. بعض محاظر «تينبكتو» وغيرها.

- ومن محظرة شنقيط محاظر المجموعات التالية:

١. إدو على في: تججك «وفي «القبلة».
٢. السماسيد في «أطار» و «أوجفت».
٣. مسومة.
٤. تجكانت.
٥. القلاقمة.
٦. الأقلال.
٧. تندغة.
٨. أولاد أبييري.
٩. تاكنانت.
١٠. تاكاط.
١١. تركز

(١) هو العلامة والأديب الكبير المختار بن حامد، الديماني وصف بأنه بن خلدون الثاني، درس على العلامة يحظيه بن عبد الودود، وله عدة مؤلفات من أهمها موسوعته في تاريخ موريتانيا، هاجر في آخر عمره إلى الحجاز، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٤١٤ هـ .

١٢. إديبسات

١٣. تنواجيو

١٤. إداب لحسن

١٥. مدلش

١٦. إديقب

١٧. تشمشة

١٨. كنتة

١٩. إجمان

٢٠. إدكجمله

٢١. فوتا الموريتانية، إلى غير ذلك مما يطول عده.

وقد تفرعت من هذه المحاظر عشرات المحاظر تنضاف إلى مجموعات أخرى لاسبيل إلى حصرها.

وكانت عملية النزوح هذه بدأت في القرن العاشر الهجري، واستمرت إلى آخر القرن الحادي عشر الهجري تقريبا كما تقدم.

ويستنتج من خلال هذه القوائم هيمنة شنقيط كأصل، والبادية كفرع على الحياة الثقافية في البلاد[1].

النقطة الثانية: في الظروف السياسية التي كانت تحيط بالمحظرة، ونبذة عن إمارة إدوعيش:

من المعروف أن هذه البلاد (موريتانيا) فتحها المرابطون ونشروا فيها الإسلام وأسسوا فيها المدن التاريخية التي أشرنا إليها قريبا، ثم لما توفي الأمير

(١) حياة موريتانيا الثقافية: ١٩٧ – ٣٧٤ والمنارة والرباط: ٦٦.

أبو بكر بن عمر في شعبان (سنة ٤٨٠هـ)[١] بدأ شأن المرابطين يضعف شيئا فشيئا، وبدأت قبائل حسان تصل إلى البلاد في القرن الثامن الهجري في موجات متتالية بعد أن ضايقهم ملوك بني مرين في المغرب[٢] وبدأت تملؤ الفراغ السياسي الذي خلفه ضعف المرابطين، فوصلت منهم قبائل في مواضع متفرقة، مثل أولاد داوود في ولاتة، وأولاد يونس في الحوض،وأبناء رزق في الكبلة، وأولاد شبل في آدرار، ثم جاء دور المغافرة من بني حسان، وكانوا أقوى وأشرس من سابقيهم، وما إن حلت بداية القرن التاسع الهجري حتى أحكموا قبضتهم على البلاد، وانتشرت لغتهم فيها، وبدأت إماراتهم تتوزع على البلاد، فتأسست إمارتا الترارزه ولبراكنة سنة: ١٠٤٢هـ وتأسست إمارة آدرار سنة: ١٠٧٩هـ وإمارة أولاد انبارك سنة: ١٠٩١ هـ [٣].

وقد استمرت الإمارة منذو قرون لطائفتين: إحداهما المغافرة وهم يشكلون الإمارات الأربع السابقة، والثانية إدوعيش وهي الإمارة الوحيدة اللمتونية، وأما إمارة مشظوف في الحوض، وإن كانت صنهاجية إلا أنها إنما جاءت في القرن الثالث عشر الهجري على يد مؤسسها أحمد محمود بن لمحيميد وذلك

(١) وسبب وفاته أنه أصيب بسهم مسموم، ويقال إنه مدفون في منطقة أم لعويتگات، في شرق تگانت، وما بعدها يعرف بأدافر. انظر الوسيط مصدر سابق ص ٤٣١
ويقال أيضا إن حصانه مات في منطقة اتويميرت الزامل، أو وادي الزامل، والزامل: هو الحصان. انظر الوسيط: ٤٣٠، وإمارتا إدوعيش ومشظوف مصدر سابق: ص ١١٠

(٢) دولة بني مرين هي التي جاءت بعد دولة الموحدين، وأول ملوكهما اسمه:
يعقوب بن عبد الحق بن حمامة المريني، ومرين: إحدى قبائل العرب بالمغرب، وكان مقامهم بالريف القبلي من إقليم تازة، وأول أمرهم أنهم خرجوا عن طاعة الموحدين، لما اختل أمرهم، وتابعوا الغارات عليهم حتى ملكوا مدينة فاس، واقتلعوها من الموحدين، في سنة سبع وثلاثين وستمائة.
انظر المختصر في أخبار البشر لعماد الدين بن شاه انشاه (٤ / ٨)

(٣) المنارة والرباط ص: ٢٢ ومن الباحثين من يذكر تواريخ أخرى تخالف ما ذكرنا، إلا أن الجميع متقارب.

بعد أن ظهروا على إمارة أولاد انبارك[1] .

ولهذا يقول الكَفْيَة صاحب أولاد انبارك في شعره الحساني:

أسْكِ عنْ تصريف القيومْ   واسْكِ يَذاكْ التصرُّوفْ
مشْظُوفْ اكبلْ ملكِ واليومْ   عدت آن مالكنِي مشظوفْ

وتعتبر إمارة إدوعيش من أهم الإمارات في البلد وأقواها، وسنلقي عليها الضوء هنا بشيء من التفصيل، لأهميتها، ولما لها من علاقات وطيدة بالعلامة أبات وأحفاده الذين سنترجم لهم في هذا الكتاب.

نبذة عن إمارة إدوعيش:

قال صاحب الوسيط: كانت إدوعيش أهل ظفر في حروبها فلذلك كان يقال لهم: «مفنين الدول» أي مبيدوهم لأنهم ظهروا على أولاد انبارك والترارزه، وأبناء يحي بن عثمان[3].

(١) إمارتا إدوعيش ومشظوف ص: ٩٥ وصفحة: ١٦٠

(٢) الوسيط مصدر سابق ص: ٤٦٥

ولهذا الرجل أشعار حسانية رائعة منها قوله:

محد الدنيَ مايلَ   شَورك واعليهَ مايلْ
اعلم بعد انه زايلَ   وانت واياه زايلْ
مَذَ منْ حد اشتاكهَ   واجمعه بعد افراكهَ
ملك اذهبه وانياكهَ   تِمركاتَنْ واشوايلْ
وامش عنه ما ظاكهَ   وآن هذا ال كايلْ
فاتُ ملكوه الاولينْ   الِّ ملكوه ملك زينْ
أُعكبت فيدين التالين   هذوك ارحايل وانزايلْ
غير الَّ يمشُ كاملين   عنها مشيت الاوايلْ.

(٣) المصدر السابق ص: ٤٦٤.

وقد نهضت[1] إمارة إدوعيش على يد بكار بن أعمر (ت ١١٧٥ هـ) وابنه محمد شين (ت ١٢٠٢) وفي أيام هذا الأخير تألبت عليهم قبائل المغافرة وحاصروهم الحصار المشهور عند احنيكات بغداد قرب تججك حتى أكلت الإبل شملها من شدة الجدب، ثم أفرج عنهم الحصار على أربعين فرسا تدفعها لهم إدوعيش، ثم افترقت المغافرة بعد ذلك فصارت إدوعيش تغزوا كل قبيلة على حدة فتنتصر عليها، فامتدت إمارتهم على كثير من البلاد، واستمر ذلك في إمارة امحمد شين (ت ١٢٠٢هـ) [2] وابنه محمد (١٢٠٨ - ١٢٣٦هـ) فلما توفي نشب الخلاف بين ابنه اسويد احمد (١٢٣٦ - ١٢٤٥هـ وأعمامه[3] وهم: ستة منهم: المختار وهو أميرهم وأحمد ديه وسيد احمد واعلي...، فانقسمت الإمارة

(١) فقد نهضت بعد ضعفها عند ما غلب المغافرة على دولة لمتونة.
وأمراء دولة إدوعيش هم كالتالي: ١- أوديكه ٢ - النبط ٣- خونا ٤- محمد ٥- اسويد (جد أهل اسويد) ٦- بكار بن أعمر ٧- امحمد شين ٨- محمد بن امحمد شين ٩- المختار بن امحمد شين (أمير اشراتيت) ١٠- اسويد احمد بن محمد ١١- سليمان بن محمد ١٢- محمد بن اسويداحمد ١٣- بكار بن اسويداحمد ١٤ عثمان بن بكار ١٥-الحسين بن بكار ١٦- عبد الرحمن بن بكار ١٧ - عثمان بن عبد الرحمن ١٨ - محمد بن عبد الرحمن الموجود الآن،
هذا بالنسبة لإدوعيش في تكَانت، وأما بالنسبة لإدوعيش في الركيبه وهم (اشراتيت) فلهم هم الآخرون أمراؤهم وقادتهم في طبقات ما بعد الانفصال. انظر الملحق رقم ١ من كتاب إمارتا إدوعيش ومشظوف مصدر سابق ص ٢٣٦ وانظر ص ١٥٥ من الكتاب نفسه.

(٢) ولما توفي محمد شين انقسمت إدوعيش إلى طائفتين إحداهما (بخواكَه) سميت بذلك لكثرتها وتفريقها للأعداء، وهي شيعة بكار بن محمد شين (١٢٠٢- ١٢٠٨) و(مكزوزه) سميت بذلك لتنظيمها وانسجامها، وهي شيعة عمه سيداحمد بن بكار، ووقع بين الجيشين يوم (كَبُّ) سنة ١٢٠٧ ومات فيه سيد احمد بن بكار فخلفه أخوه محمد بن بكار واستمر القتال بينهم، وفي يوم (تنبزكري) سنة:(١٢٠٨) توفي بكار بن محمد شين، فجاء دور أخيه محمد بن امحمد شين، فهزم مكزوزه سنة ١٢٠٨ وانتهى إليه الأمر في تكَانت والركَيبة وآفطوط وله أيام كثيرة مع المنشقين عنه ومع المغافرة. انظر الجزء السياسي من تاريخ بن حامد ص: ١٧٦ وما بعدها. وجزء إدوعيش بتحقيق الدكتور سيداحمد بن أحمد سالم ص ٣٢ -٣٤

(٣) وحتى صار يضرب بهم المثل فيقال «بينهم من العداوة مثل الذي بين اسويد احمد وأعمامه «

إلى قسمين: قسم مع اسويد احمد ويسمى أبكاك، وقسم مع المختار وإخوته ويسمى اشراتيت، تنابزا بالألقاب، يُعَيِّر أبكاك اشراتيت بالظلم والفوضى، فيشبهونهم بالدببة والسباع، ويعير اشراتيت أبكاك بأن الحرب أجاعتهم حتى أكلوا رديئ الصمغ المسمى أبكاك[1].

ثم بعد مدة من الحرب توفي المختار فآلت الإمارة إلى اسويد احمد وكان رجلا قويا ثم قتل غدرا[2] فاندلعت بعده حروب على السلطة في أبكاك فجاء بعده أخوه سليمان (١٢٤٥ – ١٢٤٧ هـ) ثم جاء عبدالله بن محمد شين، ثم محمد بن اسويد احمد، ثم آلت الإمارة إلى بكار بن اسويد احمد سنة (١٢٥٦ – ١٣٢٣) الأمير القوي الباسل الذي خاض حروبا كثيرة مع اشراتيت، ومع لبراكنه، والترارزه، ومشظوف، ومن حروبه العظيمة حربه مع إمارة آدرار، وطال عمره وفنيت أقرانه، وفي أيامه طلع الفرنسيون فأعلن الجهاد ضدهم، واستشهد في مقاومتهم يوم «بوكادوم» سنة: ١٣٢٣هـ ١٩٠٥ م ثم خلفه ابنه: عثمان ثم الحسين ثم جاء الأمير عبد الرحمن بن بكار أمير تكَانت وسيدها المهاب (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢ م) ثم ابنه عثمان بن عبد الرحمن، ثم ابنه الثاني: محمد بن عبد الرحمن، وهو أميرهم في هذه الأيام[3].

وسنشير إلى علاقات هؤلاء الأمراء بعلماء أهل ابات في تراجمهم كل في موضعه، كعلاقة الأمير محمد بن امحمد شين بالعلامة أبات، والتي هي أساس هذه العلاقات، وكعلاقة الأمير بكار بن اسويد احمد بالعلامة أحمد بن ابات، ثم الأمير بكار وابنه الحسين بالعلامة محمد بن أحمد، وكعلاقة كل من العلامة محمد محمود بن أحمد والعلامة حميد بن الغوث والعلامة سيدين بن الإمام، بالأمير

---

(١) تاريخ قبائل البيضان للشيخ موسى كمرا ص ١١٢ – ١١٣

(٢) قتله عبد لآل المختار بن محمد شين اسمه دنب، فدفن بموضع آصبيبير من أفام لوديات من أرض تكَانت. إمارتا إدوعيش ومشظوف ص: ١٥٠

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٤٥– ١٥٦.

عبد الرحمن بن بكار، وكعلاقة شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد بالأمير عبد الرحمن وابنائه، وهي علاقات ضاربة الجذور كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد عاشت المحظرة الشنقيطية من الناحية السياسية عصرا قاتما ومضطربا لعدم قيادة موحدة للبلاد، بل إنها كانت تعيش تحت إمارات متصارعة، وزعامات عشائرية وحروب قبلية تهيج أحيانا وتهدؤ أخرى، ويتخلل ذلك انعدام للأمن مخيف، وفوضى شديدة يصبح الرجل فيها غنيا ويمسي فقيرا، جرَّاء النهب المستشري في البلاد، وذلك على أيدي عصابات تأتي من هنا وهناك، بعضها يغير على الحيوانات فيسوقها، وبعضها يأخذ طرق القوافل فيأخذ المال ويقتل الأنفس، وبعض هؤلاء يسكن الجبال أشبه ما يكون بالحيوانات المفترسة، هذا هو الجو العام وإن كان ربما وجد في ثناياه بعض الاحترام للعلماء وأصحاب المراكز العلمية، (المحاظر).

وقد ظلت المحظرة – مع ما يحيط بها من أوضاع سياسة مضطربة – تعيش ازدهارا كبيرا، لاهتمام الشناقطة بالتعليم، وإقبالهم عليه بشكل قل نظيره، كما سنرى في النقطة الآتية.

النقطة الثالثة: في اهتمام الشناقطة بالتعليم والحث عليه وماقال الأدباء في ذلك:

كان من أهم أسباب انتشار التعليم المحظري محبة الشناقطة للعلم وتحريضهم عليه، سواء كان ذلك في فتاوى علمائهم أوأشعار أدبائهم، فهذا العلامة محمذ فال بن متالي يفتي بتفضيل تعلم اللغة على التخلي للعبادة حيث قال:

تعلم اللغة شرعا فضلي ... على التخلي لعبادة العلي
يؤخذ ذا من قوله وعلما ... آدم الاسماء الزم التعلما[1]

---

(١) المنارة والرباط: ٨٣.

ويفتون بوجوبه حتى ولو مع خوف الرياء فيه، يقول العلامة أحمد بن أبات الأباتي القلقمي:

والعلم لا تترك له إقراءَ وإن تكن لم تأمن الرياءَ
كذا صيام وصلاة صدقاتْ وارج من الله زوال ذي الآفاتْ[1]

ويقول العلامة محمد انبارك اللمتوني:

وطلب العلم وجوبه شمل نوع الذكور والإناث كالعمل
وتارك التعليم عاص أبدا إن كان تركه بلا عذر بدا
وعذره طلب عيش لازم أو اشتداد مرض ملازم[2]

وكانوا يجدون فيه المتعة واللذة، ويتيهون على غيرهم به، فيقول العلامة عبدالله بن محم (بن رازكَة):

إذا جلت فكرا في العلوم عويصها وجئت بها يشفي غليل مريدي
تصاغرت الدنيا لدي وأهلها ومادت بي الأفراح كل مميد
ونلت لذيذ العلم بالذوق وحده وكل لذيذ غيره كهبيد[3]

وفي هذا المعنى يقول العلامة التفتازاني واسمه: مسعود بن عمر:

إذا خاض في بحر التفكر خاطري على درة من معضلات المطالب
حقرت ملوك الأرض في نيل ما حووا ونلت المُنى بالكتب لا بالكتائب[4]

---

(١) شرح العلامة محمد بن احمد بن أبات لنظم العقيدة والأمر بالمعروف لوالده العلامة: أحمد بن أبات ص ٦٨.

(٢) نظم آداب التعليم للمتوني مخطوط.

(٣) الهبيد: الحنظل يخرج حبه وينقع لتذهب حرارته فيؤكل عند الضرورة.

(٤) صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص: ٣٥٨.

ويقول أبو مروان الطبني القرطبي، وكان من علماء الحديث:

إني إذا احتوشتني[1] ألف محبرة ... يكتبن حدثني طورا وأخبرني
نادت بحضرتي الأقلام معلنة ... هذي المفاخر لا قعبان من لبن [2]

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري:

سَهْري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي ... مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ
وَصَريرُ أَقلامي عَلى صَفَحاتِها ... أَحلى مِنَ الدَوكاه[3] وَالعُشّاقِ
وَأَلَذُّ مِن نَقرِ الفَتاةِ لِدُفِّها ... نَقري لِأُلقي الرَملَ عَن أَوراقي
وَتَمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ ... في الدَرسِ أَشهى مِن مُدامَةِ ساقِ
يا من يحاول بالأماني رتبتي ... كم بين مستفل وآخر راقي
أَأَبيتُ سَهرانَ الدُجى وَتَبيتُهُ ... نوماً وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي؟[4]

فالعالم لا يرى متعة ألذ عنده من النظر في العلم والجلوس بين الكتب.

فقد ذكر العلامة: علي بن موسى بن سعيد الأندلسي في ترجمة والده العلامة المؤرخ: موسى بن سعيد صاحب كتاب: «المُغرب، في حلي أهل المغرب

---

(١) أي جعلني أصحاب المحابر وسطهم، يقال: احتوش القوم الرجل أي جعلوه وسطهم، انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٤).

(٢) عجز البيت الثاني مأخوذ من شعر أبي الصلت الثقفي في مدح سيف بن ذي يزن الذي يقول فيه:

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم فى الأرض فلّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثمّ اطّل المسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم من برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا.

الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ / ٤٥٣)

وانظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: ٣٤٤).

(٣) الدوكاه: نوع من أنواع النغم المطرب في أيامهم.

(٤) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (٢ / ٣٤٩)

«– وقد مات قبل أن يكمله فأكمله ابنه هذا – قال: من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما إلا وهو يطالع الكتب حتى في أيام الأعياد، ثم يقول: ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب، فقلت له: أفي هذا اليوم لا تستريح؟ فنظر إلي كالمغضب وقال: «أظنك لا تفلح أبدا، أترى الراحة في غير هذا؟ والله لا أحسب راحة تبلغها، ولوددت أن الله ضاعف عمري حتى أتم كتاب المُغرب على غرضي».

قال فأثار ذلك في خاطري حتى صرت مثله لا ألتذ بنعيم مثل ما ألتذ به من هذا الشأن، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف «أي المُغرب» إلى ما تراه[1].

ويتسلى أحد شعراء الشناقطة بهيمنة التلاميذ وهم يكررون دروسهم عن المحاورة مع الحبيبة وعن التمتع بأهازيج المغنين والمطربين فيقول:

فما دعدٌ تحاور بالكلام ... ولا صوت الخلاخل بالخدام[2]
ولا عبد الودود بدينِ دانَتْ ... يشابه حسن هيمنة التلامي (ذ)[3]

وفي هذا السبيل يطرد أحدهم طيف محبوبته وقد ألم به في محضرة شيخه أو حضرته فيقول:

أهلا وسهلا بطيف الخود فاطمة ... لكن ربقة آل الشيخ في عنقي
طافت بنا بعد تهجيع فقلت لها ... بنت الكرام ألا لا وصل فانطلقي
لو كنت أصبوا إلى خود لكنتِ ولـ ... كن ليس وصل الغواني اليوم من خلقي
ما حضرة الشيخ ملهى عاشق كلف ... ولا الكلى والعجى يجمعن في شدق[4]

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غده ص ١٢١

(٢) الخدام: مواضع الخلاخل من الساقين وهو فوق الكعبين.

(٣) المنارة والرباط: ٩٠

(٤) نفس المصدر السابق.

وهذا العلامة أحمد بن الطلبه الأباتي القلقمي في استسقائه يشبه أصوات الضفادع بهيمنة طلاب خليل فيقول:

وكـــل واد مـــزبـــد تـــيـــارَه يـلـقـي عـلـى أرجـائـه أشـجـارَه
ضـفـدعـه تسبيحه بـكـل ليلْ تخاله مـــدارس الشيخ خليلْ[1]

وكانوا يشتاقون إلى أيام الدراسة والتعليم في المحظرة لما يجدونه فيها من متعة التعليم مع شيوخهم وزملائهم، فهذا حرمه بن عبد الجليل العلوي لما مر على مناطق كانت تضمه مع زملائه من الطلاب عند شيخه المختار بن بون أنشأ يقول:

دمن دعتك إلى القريض فإن تجب فلمثلها يهدى القريض وينسب
وإذا مسكت عن الجواب لعبرة فاضت فذاك من الإجابة أصوب
أما النسيب فلا يسوغك ذكره عصر المشـــــايخ والتعلم يعذب
كنا مع البوني في عرصاتها هالات بدر لم يشـــــــبها غيهب
فيها تجمع سيبويه ويوسف والكاتبي والأشعري وأشهب

ويقول الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله، في ذكر الربوع التي كانت تضمه مع زملائه إبان دراسته لعلوم الآلة عند ابن عمه سيبويه زمانه العلامة أحمد بن الداد:

لدى عـدوتي وادي المريفق ما بقي بعينيك من دمع تصون ولا تقي

(١) ستأتي بقية هذه الأبيات في ترجمته في المبحث الرابع من الفصل الثالث في تراجم الطبقة الثانية.

(٢) في هذا البيت ذكر خمسة رجال كلهم يمثل فنا هو إمامه، أو على الأقل من أئمته البارزين، فسيبويه هو إمام أهل النحو بالبصرة، ويوسف السكاكي هو إمام البلاغيين، والكاتبي إمام أهل المنطق، والأشعري إمام في العقيدة وعلم الكلام، وأشهب إمام في الفقه المالكي.

(٣) الوسيط مصدر سابق: ٢٨

وفي ملتقى الأسيـال ربـع عهدته سُبيخةُ ذي الأراك جنب المريفق
ودار لدى الغضاة أعجب بذكرها نحوت بها نحوي بياني ومنطقي

وكانوا يعقدون مقارنة بين العلم والمال فيقول العلامة: محمذن فال بن متالي:

زمـيـلي أفـن الـعـمـر غـير المـمـدد في نشب إن منه واسيـت يـزدد
ولا تفنين العمر في جمـع مـا إذا بخلت به تذمم وإن جدت ينفد[1]

ويقول محمدٌّ السالم بن الشين:

عليك قـواعـد الإسـلام فـالـزم وجـانـب للمضيع لهـا المـريـب
وحـصـل عـلـم ذلـك إن عـارا جـهـالـتـه عـلى الـبَرَ المـنـيـب
ولا تـك مثل مـن يـرضى بجهل والاسـتـغـنـاء بالحسب الحسيب
فـما الآبـاء تـنـهـض ذاخمـول وراض بـالـبـطـالـة والـذنـوب
ولا يـك ربَّـك المـالُ المنمى وكـن ربًّـا لمـالـك في الخطـوب

إلى أن يقول:

ولـوحَـك إن لـوحـك خـير إلف يـزيـنـك في المـجـامـع والألـوب
ولا تـتـركـه خلف البيت تسفي عليه الـسـافـيـات مـن الجـنـوب
ولا يـدركـك شـيـبٌ خـدن جهل لأن الجهل يقبُحُ في المشيب[2]

ويقول العلامة محمد العاقب بن ما يابى الجكني:

إن كـان لـلـمال طـلاب تحـاولـه فللعلوم مـن الـرجـال طـلاب
لا يستقيم الفتى حتى يكون له ميز يميز بـه قـولا وإعـرابُ[3]

(١) حياة موريتانيا الجزء الثقافي ص: ١٣٥
(٢) الشعر والشعراء لمحمد المختار بن اباه ص: ٤٢٢-٤٢٣
(٣) قوله: «وإعراب» عطف على قوله: «ميز» أي حتى يكون له ميز وإعراب يميز به قولا.

وتــسـتـقــر لـــه في الله مـعـرفـة ويستبين لديه الـسُّـفْـرُ والـبـابُ

والمراد بالسُّفْر: نصف مختصر خليل الأول، وبالباب: نصفه الأخير.

ويقول أحد العلماء في الموازنة بين الغنى والجهل، وبين العلم والفقر:

شُغِلْنا بكسب العلم عن مكسب الغنى كما شُغلوا عن مكسب العلم بالوَفْرِ
فصار لهم حظٌ من الجهل والغنى وصار لنا حظ من العلم والفقر[1]

وقد عقد الشيخ: محمدٌ بن حنبل الحسني مقارنة بين العلم والمال، مشيدا بالعلم في قصيدة مشهورة أجاد فيها حيث يقول:

إن خـير الـــزاد يـاصـاح التقى فيه المجد التمس لا في النسبْ
في الـتـقـى عـز وكـثـر وغـنـى دون سـلـطـان وجـنـد ونـشـبْ
هـو دون الـعـلـم عنقا مغرب فـاطَّـلـبـه فـلـنـعـم المطـلـب
جـــرع الـنـفـس عـلى تحصيله مـضـض المـريـن ذل وسـغـب
ودع المـــال إلى تـطـلابـه تـكـتـسـبـه فـلـنـعـم المكـتـسـب
هـــو حـلي المـــرء في أقـرانـه وهـو عند المـوت زحـزاح الكرب
وهـــو نـــور المـــرء في اللحد وإذ ينسل الأقـــوام مـــن كـل حـدب
يـا غريبا يطلب العلم اصطبر إن مـبـدأ العلم مـن قبل غرب
مـا سعى في الـربـح سـاع سعيكم بـل سـواكـم سعيه جـد نصب
إن تـقـولـوا مـنـعـتـنـا درسـه أزُمُ الـدهـر والأعـــوام الشهب
قلت هـل يحتـال في دفـع العصا من قد أظلته الحسامات القضب

(١) صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبوغده ص ١٦١

إلى أن يقول:

صاح لا تلف بجهل راضيا   فذو الجهل كأمثال الخشب
واصحب الدائب في استنباطه   لا جهولا خدن لهو ولعب
إنما القنية علم نافع   لا العتاق الجرد والخور الصهب[1]
لا يزهدك أخي في العلم أن   غمر الجهال أرباب الأدب
زبد البحر تراه رابيا   واللئالي الغر في القعر رسب
إن ترى العالم نضوا مرملا   صفر كف لم يساعده سبب
وترى الجاهل قد حاز الغنى   محرز المأمول من كل أرب
قد تجوع الأسد في آجامها   والذئاب الغبس[2] تعتام القتب
رأت الدنيا خبيثا مثلها   وكذاك الشكل للشكل محب
ورأت ذا العلم فواح الشذا   آبي الذام فآلت تصطحب
فقلته وقلاها ياله   قمر عنه قد انجاب السحب
فغنى ذي الجهل فاعلم فتنة   وافتقار الحبر تأسيس الرتب

إلى آخرها[3].

ونختم هذه الإطلالة بنبذة من تائية أبي إسحاق الألبيري الرائعة التي يقول فيها:

أَبَا بكر دعوتك لَو أجبتا   إِلَى مَا فِيهِ حظك إِن عقلتا
إِلَى علم تكون بِهِ إِمَامًا   مُطَاعًا إِن نهيت وَإِن أمرتا

---

(١) الخور: النوق الغزيرة اللبن.

(٢) الذئاب الغبس: التي لونها كالرَّماد، وَهُوَ بَيَاضٌ فِيهِ كُدْرة، وَقِيلَ: الأَغْبَس مِنَ الذِّئَابِ الخَفِيف الحَرِيص. قاله في اللسان.

(٣) الوسيط مصدر سابق: ٣١٥- ٣١٦ والمنارة والرباط ص ٨٧.

ويجلوا مَا بِعَيْنِك من غشاها ... ويهديك السَّبِيل إِذا ضللتا

وَتحمل مِنْهُ فِي ناديك تاجا ... ويكسوك الْجمال إِذا عريتا

ينالك نَفعه مَا دمت حَيًّا ... وَيبقى ذخره لَك إِن ذهبتا

هُوَ الْعضب المهند لَيْسَ ينبوا ... تصيب بِهِ مقَاتل من ضربتا

وكنزٌ لَا تخَاف عَلَيْهِ لصا ... خَفِيف الْحمل يُوجد حَيْثُ كنتا

يزِيد بِكَثْرَة الْإِنْفَاق مِنْهُ ... وَينْقص إن بِهِ كفا شددتا

فَلَو قد ذقت من حلواه طعما ... لآثرت التَّعَلُّم واجتهدتا

وَلم يشغلك عَنهُ هوى مُطَاع ... وَلَا دنيا بزخرفها فُتِنتا

وَلَا ألهاك عَنهُ أنيق روض ... وَلَا خدر بربربه كلفتا

فقوت الرّوح أَرْوَاح الْمعَانِي ... وليس بأن طعمت ولا شربتا

إلى أن يقول:

ستجنى من ثمار الْعَجز جهلا ... وتصغر فِي الْعُيُون إِذا كبرتا

وتفقد إِن جهلت وَأَنت بَاقٍ ... وتوجد إِن علمت وَلَو فقدتا

وتذكر قولتي لَك بعد حِين ... وتغبطها إِذا عَنْهَا شغلتا

لسوف تعض من نَدم عَلَيْهَا ... وَمَا تغني الندامة إِن ندمتا

إِذا أَبْصرت صحبك فِي سَمَاء ... قد ارتفعوا عَلَيْك وَقد سفلتا

فَرَاجعهَا ودع عَنْك الهوينا ... فَمَا بالبطء تدْرك مَا طلبتا

وَلَا تحفل بِمَالك والهُ عَنهُ ... فَلَيْسَ المَال إِلَّا مَا علمتا

وَلَيْسَ لجَاهِل فِي النَّاس معنى ... وَلَو مُلْك الْعرَاق لَهُ تأتى

سينطق عَنْك علمك فِي ندي ... وَيُكْتب عَنْك يَوْمًا إِن كتبتَا

وَمَا يُغْنِيك تشييد المباني ... إِذا بِالْجَهْلِ نَفسك قد هدمتا

جعلت المَال فوق الْعلم جهلا ... لعمرك فِي الْقَضِيَّة مَا عدلتا

وَبَــيــنــهــَا بِــنَــصّ الْــوَحْــي بون ستعلمه إذا «طــه» قــرأتــا[1]

لَــئِــن رفــع الْــغــنــي لِـــوَاء مَــال لأَنْــت لِـــوَاء علمك قــد رفَعْتَا

وَإِن جلس الْغنى عـلى الحشايا لأَنْـت على الْـكَـوَاكِـب قد جلستا

وَإِن ركـب الْجِــيَــاد مسومات لأَنْـــت مناهج الـتَّــقْــوَى ركبتا

وَمـهـما افـتـض أبـكـار الـغـواني فكم بكر مـن الحـكـم افتضضتا

وَلَــيْــسَ يَــضرك الإقــتــار شَيْئا إِذا مَــا أَنْـــت رَبــك قــد عرفتا

..... إلى آخرها

النقطة الرابعة: في المناهج التي تقرأ في المحاظر غالبا وما هي منهجية محظرة أهل ابات:

تُقَدم المحظرة الشنقيطية للطلاب علوما كثيرة ومعارف موسوعية في مختلف العلوم الإسلامية وهي:

- القرآن حفظه ورسمه وتجويده وتفسيره.
- الحديث متنه ومصطلحه ورجاله.
- العقيدة وعلم الكلام.
- الفقه أصوله وقواعده وفروعه.
- السيرة والتاريخ والأنساب.
- الأخلاق وآداب السلوك.
- اللغة والأدب ودواوين الشعر.
- النحو.

---

(١) يعني بذلك قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾

(٢) ديوان أبي إسحاق الإلبيري (ص: ٢٦).

- الصرف.
- العروض والقوافي.
- البلاغة – المعاني والبيان والبديع.
- المنطق.
- الفلك.
- الطب.
- الحساب.

وقد ذكر العلامة لمرابط اباه بن محمد الامين اللمتوني[1] هذه الفنون وغيرها في قصيدة يذكر فيها قيمة الكتب وأهميتها، بادئا بالإشادة بوسادة الكتب أو كرسيها الذي توضع عليه، فيقول:

بــشراك بالمجد يــاوســادة الكتب ... فُـقْـتِ المنابر من دُرٍّ ومـن ذهب
قد كنت غصن بشام في الفلاة به ... قضْمُ البهائم طـرا سائر الحقب
واليوم أصبحت كرسي العلوم فما ... تنفك تعلوك جُـلَّاس من الكتب
والكتب خير جليس في الأنـام به ... عقل وحلم وإرشــاد إلى القرب

---

(١) هو العلامة الجليل لمرابط إبراهيم الملقب اباه بن محمد الامين اللمتوني أخذ العلم عن الشيخ محمد بن محمد سيد الجكني (أهل الطالب محم) وعن العلامة عبد السلام بن عبد الجليل العلوي وغيرهما من علماء عصره، وكانت محظرته في آفطوط من أكبر المحاظر وتخرجت منها أعداد كبيرة من العلماء، له مؤلفات منها نظم «الفردوس» في الفقه وهو يقع في اثني عشر ألف بيت (جمع فيه نظم أوضح المسالك لمحمد عبدالله بن يحظيه الكناني، ونظم نوازل عبدالله بن أحمد بن الحاج الغلاوي، ونظم الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني لنوازل سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي، ونظم التلخيص للجعفري، ونظم بن أحمدُّ فال التندغي) ومن مؤلفاته: شرح نظم المغيلي في المنطق وله غير ذلك. توفي رحمه الله سنة ١٣٨٠ هجرية. المجموعة الكبرى ص ٢٢.

إلى أن يقول:

وكيف لا وهي تحوي كل سالفة ... وكل آتية من كل محتجب
منها الإمام وتجويد وما قرأت ... أئمة العشر عن تواتر الصحب
والرسم فيها وتفسيروماجمعت ... صحب الأحاديث من تيارها اللجب
علم الكلام وفقه والتصوف والـ ... ـبيان والمنطق الصافي من الريب
أصول فقه وغوص في قواعده ... والنحو واللغة الوقادة الشهب
ثم الحسابان والأشعار قد بلغت ... من البدائع في أبرادها القشب
وسيرة المصطفى معْها مدائحه ... ثم التواريخ والمروي في النسب
ثم العروض وعلم الطب قد مزجت ... بها الرقى وفنون النيل للأرب
كتب العجائب للمخلوق قد جمعت ... من حيه والجماد أعجب العجب

وتقرؤ في هذه العلوم متون كثيرة منها المختصر والمتوسط للمبتدئين ومنها المطول للمتفوقين من الطلبة الذين يراد لهم التخصص والتعمق في تلك العلوم.

ومن المحاظر ما تكون متخصصة في نوع من هذه العلوم، كمحاظر القرآن التي تهتم بحفظه ورسمه وتجويده ومتشابه لفظه، ونحو ذلك.

ومنها بعض يتخصص في فن وتوابعه كالنحو والصرف مثلا أو في الفقه وقواعده، ونحو هذا.

ومنها ما تكون جامعة لمعظم هذه العلوم، فهي ذات صبغة موسوعية، لا يخطر ببال الطالب فن إلا وجده بجنبه، فباستطاعته أن يتخصص في كل هذه العلوم دون أن يخرج منها.

منهجية محظرة أهل ابات:

وما دمنا سنتحدث عن العلماء الذين تخرجوا من محظرة أهل ابات فلا بد من الإشارة ولو قليلا إلى منهجيتها في التعليم، ومنهجية مشايخها وهديهم القويم،

وما تتميز به عن المحاظر الأخرى، ليتضح لنا سر ذلك النجاح الذي حققته عبر مسيرتها الممتدة، فقد كانت هذه المحظرة جامعة لمعظم الفنون المحظرية، وكانت تتميز بالإتقان والتحرير، ويمكننا أن نقول إن منهجيتها كانت ترتكز على ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: تربية الطلاب على المنهج السوي بالعقيدة الصحيحة والهدي السلفي وإنكار البدع والخرافات، وهذا أمر معروف عنهم وذائع في الناس، ولهذا كان الرجل الفاضل الشيخ محمد عبدالله بن ابَّ الجكني (أهل الشيخ سيد الامين) – الذي عاش فترة من عمره في الحجاز أيام العلامة محمد الامين الشنقيطي (آبه) – يقول: «أهل ابات ليسوا وهابيين لكن الواقف عند الوهابية يراهم»[(١)] .

وهذا إشارة إلى رفضهم للتصوف المنحرف، الذي يرتكز على تعظيم الشيخ وجعله إلها يعبد من دون الله أو شبه ذلك، فكانوا يربون طلابهم على أن المعبود هو الله وحده، بهدي النبي ﷺ، وأن الشيخ مجرد معلم لذلك الهدي النبوي لا أكثر ولا أقل، وقد سمعت الشيخ حمادي ابن الدمين الجكني – وهو شيخ وأديب بارع عاش في وسط صوفي – يقول: «كنا نسمع أن أهل ابات يكون شيخهم في آخر وضوئه،يغسل رجله اليسرى، فإذا حان الوقت أقاموا الصلاة ولا ينتظرونه ثانية واحدة» ثم يقول بالحسانية: (ناس امْبَلْكَه) يعني لايبالون بأحد.

فإذا تربى الطالب في هذه الأجواء سوف لن يأخذ العلم والهدي عن كل أحد، وسيكون محصنا أمام البدع والخرافات، قوي العقيدة واثقا من نفسه، لا يخضع إلا لله عز وجل.

---

(١) قال هذه الكلمة بحضرة شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد لما التقيا في مدينة كيفه، في العقد الأول من هذا القرن وهو الخامس عشر الهجري، وكان معهما العلامة أحمد بن أحمد المختار(بن علوم) الجكني (صاحب مواهب الجليل من أدلة خليل) رحمهم الله جميعا، فلما جلسوا قال: ابن ابَّ: «هذا لقاء مناسب، هذا أحمد الوهابي، وهؤلاء أهل ابات، وهم ليسوا وهابيين لكن الواقف عند الوهابية يراهم».

وفي هذا السياق أذكر حكاية أخبرني بها الشيخ الجليل والمقرئ الكبير دحمود بن دحمود بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات [1] قال: كنت في أيام شبابي مع أخوالي (أولاد طالب) الجكنيين، في جنوب البلاد، وفي إحدى الفترات سافرت مع زملاء لي من تلك المنطقة، فمررنا على شيخ صوفي، فلما اقتربنا منه لنسلم عليه، اقترب زملائي من الأرض، فبعضهم راكع وبعضهم شبه ساجد، حتى سلموا عليه وهم على تلك الحال، واستمريت واقفا حتى سلمت عليه، فجعل طلابه يوجهون إلي نظرات الاستغراب، ثم قالوا: لم لا تتأدب مع الشيخ فتنحني كما نفعل جميعا، قال فقلت لهم: إني تعلمت على آبائي أن لا أركع ولا أسجد إلا لله عز وجل، فسكتوا.

فهذه الحصانة العقدية والسلوكية كما ترى لها والله وزن كبير، بل هي كل شيء، ومن خلالها يتربى الطالب على عزة العلماء، وشموخهم واعتزازهم بما لديهم من العلم والدين، وقد أحسن القاضي عبد العزيز الجرجاني إذ يقول في شعره المشهور:

يقولون لي فيك أنـقـبـاضٌ وإنـما ... رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما
وَمـازِلْـتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبًا ... عَـن الـذَّمِّ أَعْـتَـدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومـن أكرمته عـزّة النفس أُكرما
ولم أقض حقّ العلم إن كان كلّما ... بـــدا مـطـمـعٌ صـيرتـه ليَ سُـلَّـما
ومـا كـلُّ بـرقٍ لاح لي يستفزّني ... ولا كلُّ من في الأرض أرضاه منعما
إذا قيل هـذا منهلٌ قلت قد أرى ... ولـكـنَّ نفس الحـر تحتمل الظما
أَنَهْنِهُهَا عَنْ بَعْضِ مَا قَدْ يَشِينُهَا ... مَخَـافَـةَ أَقْـــوَالِ الـعِـدا فِيمَ أَوْ لِمَا
فَأُصِبحُ عن عَيبِ اللئيم مُسَلَّمًا ... وَقَدْ رَحْتُ في نَفْس الكريم مُعَظَّمَا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخـدُم من لاقيت لكنْ لأخدَما
أأشـقـى بـه غـرسـاً وأجـنـيـه ذلّـةً ... إذاً فاتباع الجهل قد كـان أحزما

(١) ستأتي ترجمته في الباب الخامس من القسم الثالث وهو القسم المخصص للقراء.

وَكَـمْ طَالبِ رِقّـي بنُعْمَاهُ لم يَصِلْ | إليه وإنْ كَـانَ الـرَّئِـيسَ المُعَظَّمَا
وَكَـمْ نِعْمَةٍ كانَتْ على الحُـر نِقْمَةً | وَكَـمْ مَغْنَمٍ يَعْتَدُهُ الحُـرّ مغْرَمَا
وَلكن إِذَا مَا اضْطَرَني الضُّرُّ لم أبِتْ | أَقَـلّـبُ فِـكْـرِي مُنْجدًا ثُـمْ مُتْهِمَا
إلى أَنْ أَرَى مَـالا أَغُـصُّ بِـذِكِـرِهِ | إِذَا قُلْتُ قد أَسْـدَى إليَّ وَأَنْـعَـمَا
فَـإِنْ قُلْتَ زَنْـدَ العِلْمِ كَـابٍ فَإِنَّما | كَبَا حَيْثُ لَمْ تحْمَى حِمَـاهُ وَأَظْلَـمَا
ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم | ولـو عظّموه في النفوس لَعُظِّمَا
ولـكـن أهـانــوه فـهـان ودنّـسـوا | محـيّـاه بـالأطـماع حتـى تجـهّـما[1]

يقول الإمام السبكي معلقا على هذه الأبيات:

لله هَذَا الشّعْر مَا أبلغه وأصنعه، وَمَا أَعلَى على هام الجوزاء مَوْضِعه[2].

وصدق الإمام السبكي رحمه الله، فإن هذا الشعر دال على العظمة والأنفة وعزة العلماء، وناطق كذلك بأروع أساليب الأدباء.

وسنرى في سير علماء محظرة أهل ابات هذه الشيءَ الكثيرَ من هذه المعاني السامقة، فقد كانت لهذه المحظرة بصمتها الخاصة في هذا الاتجاه، ولهذا كان طلابهم يعرفون في قبائلهم بسنية الهدي وحسن السمت، وبالابتعاد عن التصوف المنحرف، حتى ولو كانوا في محيط صوفي وضغط اجتماعي، وقد شاهدنا من ذلك الكثير.

ثم إن هؤلاء القوم وإن كانوا يبتعدون عن مظاهر التصوف والخضوع للمشائخ، إلا أن المعاني التي يتشبث بها الصوفية من العبادة والزهد في الدنيا، والإقبال على الله تعالى، والصدق والإخلاص موجودة في حياتهم بل هي حياتهم كلها، وهذا هو هدي النبي ﷺ.

(١) ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (٢/ ١٥٤)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٤٦١)

العنصر الثاني: الاهتمام بعلوم الآلة، وهي تشمل علوم اللغة العربية، وهي في الأساس سبعة علوم:

١. علم اللغة، وهو معرفة معاني المفردات الذي يعرف من أشعار العرب، ومن المعاجم.
٢. وعلم النحو.
٣. وعلم التصريف.

- وعلوم البلاغة الثلاثة وهي:

٤. المعاني.
٥. والبيان.
٦. والبديع.
٧. وعلم الاشتقاق ومن مكملات علم العربية علوم الادب ومن توابعه علم العروض والقوافي.

- ومن علوم الآلة علم أصول الفقه.
- وعلم المنطق.
- وعلم المصطلح.

فقد كانوا يركزون على علوم الآلة هذه تركيزا بالغا فيبدؤ الطالب بها عندهم، بعد حفظه للقرآن للكريم ودراسة المتون الصغيرة في العقيدة والفقه، ولا يسمحون للطالب أن يبدأ في طلب العلم إلا بعد حفظه للقرآن، وهذه منهجية موفقة، فإن القرآن إذا لم يحفظ في الصغر صعب حفظه في الكبر، وللأسف قد توجد بعض المحاظر في البلاد، تبدؤ للطالب بحفظ الأشعار وعلوم الآلة ثم يدخل في علم الفقه فيصير متقنا لعلوم الآلة والفقه، ويحفظ آلافا من الأبيات، ولكنه لا يحفظ شيئا من القرآن الكريم، بل لا يكاد يقيم آية، وهذا أمر في غاية الغرابة.

إذ كيف يكون الرجل ينسب إلى العلم وهو لا يحفظ القرآن، وكيف سيعبدالله عز وجل في شيخوخته، إذ المنهجية المعروفة عند العلماء أن الشخص قبل الأربعين يشتغل بالتعلم وبعدها بالعبادة، وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

المــــرء قــبــل الأربـــعــــين أولى ‏ ‏ ‏ لـــه الــتــعــلــم لــوجــه المـــولى

وبــعــده يــطــوي فـــراش الــنــوم ‏ ‏ ‏ فـــإن ذلـــك صــنــيــع الــقــوم

أي فالطالب عندهم بعد حفظه للقرآن ومبادئ الفقه والعقيدة، يبدؤ في دراسة علوم الآلة.

وقد تكلم العلماء كثيرا على أهمية علوم الآلة، حتى قالوا: على قدر رسوخ المرء في علوم الآلة يكون رسوخه في الفقه وغيره من العلوم، وهذه قاعدة مطردة، عمل عليها كثير من العلماء.

وفي هذا الإطار يحكى أن أحد المشايخ وهو: العلامة واللغوي الكبير: أحمد الامين (أبوالدين) بن عبد الرحمن الجكني، جاءه شاب فقال له: ياشيخ إن لي أمًّا لا أستطيع أن أفارقها، وقد أذنت لي أن أطلب العلم مدة أربعة أشهر فقط، فعلمني في هذه المدة ما ينفعني.

قال: فنظرت في أمره فعلِمْتُ أني إن أقرأته شيئا من الفقه سيتركه ثم ينساه فتنعدم الفائدة، فأمرته بدراسة مبادئ اللغة العربية، فما انتهت المدة حتى حفظ بعض الأشعار، وحفظ متن الأجرومية وبداية الألفية، وصارت له دراية جيدة بالإعراب، قال فقلت له: اذهب إلى أُمِّكَ، فلن تأخذ كتابا أيا كان، بعد اليوم إلا واستفدت منه[1].

وقال أحد المشايخ لطالب له وقد درَّسه علوم الآلة فبرع فيها: «اذهب حيث شئت فمعك حذاؤك وسقاؤك».

---

(١) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد بن محمد محمود وهو سمعها من الشيخ أبي الدين نفسه.

ويقول الشاعر الأديب يحي بن دحمود، مشيدا بمحظرة قبيلته أهل ابات - بعد ذكره لديارهم - مشيرا إلى اهتمامهم بالنحو:

كـأن لم يكن فيها للعلوم مدرسا ... ولا ذاكـرا صاحي الدجاء فأسمعا
بـلى فـبـنـوا أبـــات أكـــرم معشر ... تعاطوا بها حكما صحيحا مرجَّعا
متى تأتنا تسمع حديثا وآيـة ... وتـبـصر شيبا سـاجـديـن وركَّـعـا
ترى بهن شبابا معربين تراجعوا[1] ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا[2]
فحزنا معالي المجد مذ هو أمرد ... وليدا وكهلا حين شاب ويافعا [3]
تـــورث مــن آبـــاء صـــدق أجلة ... على حين مجد الأكرمين تصدعا[4]

(١) يعني ترى الشباب الذين يقرؤون ويراجعون هذا البيت الذي هو من شواهد الألفية في فصل «أما ولولا ولوما» عند قول بن مالك:

وقـد يليها اسـم بفعل مضمر ... عـلـق أو بـظـاهـر مـؤخـر

وهذا الشاهد يؤتى به في آخر الكلام في هذا الفصل، وفيه إشارة إلى أن هؤلاء الشباب دخلوا في عمق الألفية لأنهم أصبحوا في ربعها الثالث كما هو معروف.

(٢) هذا عجز بيت لجرير وهو قوله:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وهو من قصيدة له يهجو بها الفرزدق

العقر: ضرب قوائم الناقة بالسيف، النيب: الناقة المسنة.

بني ضوطرى: ذم وسب والضوطري: الرجل الضخم اللئيم الذي لا غناء فيه.

الكمي: الشجاع المتكمى في سلاحه أو الجريء الشجاع المقدام.

المقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر.

والمعنى: لولا عددتم أو عقرتم الكمي، يعرض بالفرزدق الذي افتخر بعقر جده للنوق، وإنهابها للناس.

(٣) هذا البيت مأخوذ من قول الأعشى المشهور:

فما زلـت أبغي الخـير مذ أنـا يافع ... وليدًا وكهلًا حين شبت، وأمـردا

(٤) سترى هذه القصيدة وغيرها من قصائد هذ الرجل في الفصل الخامس من القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ويقول رحمه الله في رثائه لشيخه سيبويه زمانه العلامة: أحمد بن الداد، وهو أحد شيوخ هذه المحظرة وستأتي ترجمته في الطبقة الثالثة:

يا ويلة الناس إن الأرض قد سترت قـول الخليل وعـمـرو ثـم فـراء
ووزن أشـيـاء لاتـعـبأ بـه أبـدا قـد انقضى زمنا كـوزن أشـيـاء[1]

ويقول تلميذهم العلامة أحمد بن بادي في ذكرياته لأيام دراسته في محاظرهم:

يبكي زمـانـا بـه قـد كـان يألفكم والحال صاف وليل الوصل مزدهر
والفقه والنحو بل والعلم أجمعُه في حيكم دائـم التدريس منتشر

وهذا تلميذهم العلامة محمدو بن مود الجكني يقول في رثائه لشيخه العلامة محمد محمود بن أحمد وهو أحد شيوخ هذه المحظرة وستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة:

ستبكيه وراد الـعـلـوم كأنها يتامى فـلا أم لـديهـم ولا أصل
وتبكي أصـول الفقه شجوا لفقده ويبكي عليه القيس والفرع والأصل
ويبكي عليه النحو نحو بكائها فيبكي عليه الحرف والاسم والفعل
ولا بـدع أن يبكي البديع لموته ويبكي البيان الغض والمنطق الجزل
ونبكي لقبض العلم نزعا بقبضه ويبكي عليه الخصم أن فاته العدل.

إلى غير ذلك من الأشعار الدالة على اهتمامهم بالنحو وغيره من العلوم الشرعية.

العنصر الثالث: الاهتمام بعلم الفقه لأنه علم الشريعة وخلاصة الكتاب والسنة، وكانت لهم فيه منهجية خاصة تتلخص في أمرين:

---

(١) وزن كلمة: «أشياء» من المباحث الصرفية الصعبة التي اختلفت فيها أقوال الأئمة، وسيأتي إيضاحها في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد، في لغزه الذي أرسل به للعلامة أحمد بن أحمد الهادي.

الأمر الأول: كانوا يركزون على أخذه من المصادر الأصلية كمختصر خليل وشروحه الكبار، ويتعمقون في فهم النصوص واستنباط الأحكام منها، ويدربون الطلاب على ذلك، حتى تتكون لديهم الملكة الفقهية، ولا يهتمون كثيرا بحفظ الأنظام والشواهد، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن بعض الأنظام غير معتمد، بل توجد أنظام كثيرة فيها أخطاء فقهية فادحة، ولا تجدهم يحفظون إلا الأنظام المعتمدة، مثل تحفة بن عاصم مثلا أو لامية الزقاق ونحوهما، لأن هذه متون معتمدة، وقد سمعت شيخنا العلامة الجليل عبدالله ابن الإمام الجكني رحمه الله، وقد سأله أحد الطلاب عن نظم في موضوع معين فقال: «لا أحفظه، أنا بضاعتي في الأنظام مزجاة».

وهذا الشيخ الجليل أخذ عن بعض مشايخ هذه المحظرة وكان متأثرا بهم جدا.

السبب الثاني: هو أن من حفظ الأنظام واعتمد عليها وجاءته مسألة لا يعرف فيها نظما فسيقف عاجزا عن الجواب فيها، وهذا ليس من شأن الفقيه الراسخ، فإن الفقيه الذي يطلق عليه هذا الاسم - كما قال الغزالي رحمه الله - هو من صار الفقه سجية له وملكة، وهو الذي يستطيع أن يتكلم في المسائل المستجدة بنفس القوة التي يتكلم بها في المسائل التي ينقلها عن غيره من العلماء(١).

فيسمونه فقيه النفس، لأن لديه صلاحية لأخذ المسائل من النصوص والقواعد والضوابط التي لديه، وهذا هو المشار له بقول صاحب المراقي:

.... **والعلم بالصلاح فيما قد ذهب**(٢)

---

(١) المستصفى للغزالي (ص: ١٤٤).

(٢) نشر البنود ١/ ١٥.

وقد قال الإمام مالك رحمه الله: إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّهُ نُورٌ يَجْعَلُهُ الله فِي الْقُلُوبِ[1].

ولهذا تجد الرجل يحفظ المتن ولا يستطيع أن يستنبط منه لفقده الملكة الفقهية، وهذا أمر معروف عند العلماء، وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم حكاية تؤكد هذا المعنى فقال:

وقفت امرأة على مجلس فيه يحي بن معين وأبو خيثمة في جماعة يتذاكرون الحديث، فسمعتهم يقولون: قال رسول الله ﷺ، ورواه فلان وحدث به فلان، فسألتهم عن الحائض هل يجوز أن تغسل الموتى؟ - وكانت هذه المرأة تغسل الأموات - فلم يجبها أحد منهم، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض، فأقبل أبو ثور وكان فقيها فقالوا لها: عليك بهذا المقبل، فسألته فقال: نعم، تغسل الموتى، لحديث القاسم عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «**أَمَا إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ**». وَلِقَوْلِهَا: كُنْتُ أَفْرِقُ رَأْسَ رَسُولِ الله صَلى الله عَلَيه وآله وَسَلَّمَ بالماء وَأَنَا حَائِضٌ.

قَالَ أبو ثور: فإذا فرقت رأس الحي فالميت أولى به.

فقالوا: نعم رواه فلان، وحَدَّثَنَا به فلان، ونعرفه من طريق كذا، وخاضوا فِي الطرق والروايات. فقالت المرأة: فأين كنتم إِلَى الآن[2].

وهذه الحكاية تبين أن حفظ المتون شيئ وفهمها والاسنباط منها شيء آخر فإذا اجتمعا كانت تلك هي الغاية والشأو الذي لا يدرك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢ / ٦٠).

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١ / ٢٧٢).

وقد قلنا إن مشايخ هذه المحظرة كانوا يعتمدون في تحصيل العلم على أمرين: أحدهما التركيز على المتون الأصلية والإعراض عن الأنظام والشواهد التي قد لا يوثق بكثير منها، وهذا ما كنا نشير إليه.

الأمر الثاني: هو تركيزهم على باب المعاملات تركيزا خاصا لصعوبته وتشعب مسائله إذ هو الذي يغطي مساحة النزاعات بين أصحاب المعاملات في شتى المجالات، ومن مظاهر هذا التركيز أنهم عند ما ينتهي الطالب من علوم الآلة، ويبدأ في دراسة الفقه، يبدؤون له من باب المعاملات،فيبدؤ من باب البيوع من خليل إلى آخر الكتاب وهذا النصف يسمونه بالباب، فيأخذه وهو لا يزال في بداية نشاطه وحماسه، فإذا انتهى منه بدأ في دراسة النصف الأول الذي يشتمل على العبادات والأنكحة، وهو الذي يسمونه بالسفر، ويظل تلك الفترة الطويلة يراجع باب المعاملات، حتى تكون نصوصه كلها بين يديه لا يخفى عليه منها شيء، فيأخذ منها ما شاء لما شاء.

ومن أراد أن يتضح له ذلك الإتقان فلينظر في تراجم كل من العلامة: محمد بن أحمد وأخيه العلامة: محمد محمود بن أحمد، وشيخنا العلامة: محمد ابات بن محمد، من هذا الكتاب فسيرى عن قرب ما كنا نشير إليه، وحتى شاع عند العامة في تكَانت أن أحكام قضاة أهل ابات لا تنقض، وهم ينقضون أحكام غيرهم.

وهذا أمر معروف عند عامة بني حسان، وقد أدركنا بعضهم يقول: «حكم القاضي محمد محمود ول أحمد ول أبات مَا يْكَدْ يَنفتَكْ» يعني: لايمكن أن ينقض.

والسر في ذلك بعد التوفيق من الله سبحانه وتعالى هو ما أشرنا إليه من التركيز على باب المعاملات، والاجتهاد على تكوين الملكة الفقهية عند الطالب، وعدم إشغاله بالأنظام، أو بالنظر في الفتاوى المتقدمة، وذلك لعدم

الثقة بكثير من الأنظام، ولأن الفتاوى السابقة قد لا تتلاءم مع الوضعية التي يعيش فيها ذلك الفقيه المتأخر، لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان كما هومعروف عند الفقهاء.

وقد أشار الأستاذ الشاعر محمد يحي بن الطالب محمد[1] إلى الفنون التي كانوا يدرسونها في محاظرهم ضمن أرجوزته التي قرظ بها هذا الكتاب بقوله:

إذ أسسوا محاظرا عظيمه ... ظلت تبث العلم مستقيمه
يتلى بها كتاب ربنا علا ... مجودا محبرا مرتلا
يكتبه الصغار في الألواح ... كالسنن الحسان والصحاح
مع العقيدة الصحيحة التي ... حررها هداة أهل السنة
والفقه والأصول والمعاني ... والنحو والتفسير والبيان
مصطلح الحديث والأخبار ... وسيرة المعظم المختار
والشعر والأدب والمغازي ... ونكت الأعلام والألغاز
والمنطق الصعب الذي يجلوا العما ... عن القلوب عندهم مثل السما
فعلموا مخارج الحروف ... والرسم والصفة للحروف
والبدء والإدغام والوقوفا ... والمد والترقيق والتضعيفا
وعلمو الصحيح والضعيفا ... والحسن المرسل والموقوفا
ومنعوا تعرضا للشبه ... كقول أحمد الهمام النبه:
«وشبهة مع ردها الآن حرم ... إقراؤها وكتب لذا تؤم»
وحرروا معنى المعية كما ... نظم ذا نجل الامام العَلَمَا:
«معية الإله للأكوان جل ... تعلق العلم بها فلا تمِل»
«مع اتصافه به قلت ولا ... يفيد ذا لدى الذي تأملا»

---

(١) سيأتي التعريف به في الفصل الثامن/ الباب الثاني من القسم الرابع من هذا الكتاب.

«معية الذات التي استحالتي ولا انفكاك الذات عن ذي الصفة»
«وكنه الاتصاف والتعلق العقل عنه عاجز فحقق»
مقتفيا في ذا لشيخه الجليل محمد بن احمد أحسن قيل
اعني بذا جوابه في شعره «الذات والوصف» إلى آخره
ودرسوا الأخضري وابن عاشر متنهما وكل شرح نائر
ودرسوا رسالة لابن أبي زيد مع الشروح دون كذب
ودرسوا خليل والشروحا ولوحوا في درسه تلويحا
فحفَّظوا ودققوا ونصحوا وجمعوا ورتبوا وصححوا
وطبقوا الكل على الجوارح فليس منهم مائل عن صالح
وفي الأصول علموا المراقي فطار صيتهم إلى الآفاق
والمرتقى والمنهج المكملا وما بها من العلوم اتصلا
وفي البيان درسوا للأخضري جوهره وسيد نَوْره اذكرِ[1]
وللسيوطي في عقوده الجمان بذا أناروا في الورى كل جنان
في النحو ما ألفه ابن مالك من كتب تنير سبل السالك
وطرة ابن بون الاحمرار وغير ذا من كتب صغار
وقرة الأبصار كابن هشامْ في سيرة النبي صاحب المقامْ
صلى عليه الله مادامت علوم الشرع ترفع جناب كل قوم
وكانت الفتوى إليهم ترفع من كل فج وإليهم يرجع
ما رد فتواهم مدى العصور ولم تكن أحكامهم بجور
أحكامهم على الصغير والكبير نافذة لو أنه كان الأمير

إلى آخرها وسنذكرها كاملة في تقاريظ الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

(١) يشير إلى نور الأقاح في علم البلاغه للعلامة سيدي عبدالله بن الحاج إبرهيم العلوي.

النقطة الخامسة: كيف كانت قراءتهم لهذه المناهج، وذكرالمجالس العلمية والأدبية التي كانت تقام في المحظرة ليالي العطل:

قد أشرنا فيما سبق إلى المناهج التي تدرس في المحظرة عموما لكن لكل محظرة منهجيتها في دراسة هذه الفنون فمن المحاظر من تبدأ بفن وتؤخر غيره، بينما تعكس ذلك أخرى، ومن الشائع الغالب في المحاظر أن يبدأ الطالب بحفظ القرآن ثم بمبادئ العقيدة والفقه والنحو، ومن المحاظر من تركز على المتون الفقهية أساسا، ومنها من تركز على علوم الآلة كالنحو واللغة والبلاغة والمنطق ونحوها، ومن المحاظر من تهتم بالجميع.

ونحن نذكر هنا منهجية دأب عليها الكثير من المحاظر الموسوعية في البلاد، وهي كالتالي:

١. يبدؤ الطالب بحفظ القرآن ورسمه وتجويده حتى يتقن قراءة نافع.
٢. قراء المتون الصغيرة في العقيدة والفقه والنحو والسيرة مثل عقيدة ابن ابي زيد القيرواني، وكتاب ابن عاشر والأخضري والأجرومية وقرة ألأبصار.
٣. قراءة المعلقات السبعة، ولامية العرب، وديوان الشعراء الستة للأعلم الشنتمري، وديوان غيلان، ومقامات الحريري، ومختارات لبعض الشعراء وقراءة موسعة في كتب اللغة والأدب.
٤. قراءة الألفية مع جامع ابن بونا.
٥. ولامية الأفعال بشرح بحرق اليمني مع احمرار بن زين وطرته.
٦. قراءة نور الأقاح في علم البلاغة للعلامة سيد عبدالله العلوي، أو ألفية السيوطي عقود الجمان.
٧. قراءة الخزرجية في علم العروض، وأحيانا بعض الأنظام التي تنوب عنها، ثم منظومات في علم القوافي.

٨. قراءة سلم الأخضري بشروحه وحواشيها وكتاب إيساغوجي وشروحه وكتب السنوسي.

٩. قراءة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

١٠. قراءة مختصر خليل وقد يبدؤ الطالب من باب البيوع إلى آخر الكتاب ثم يبدأ بأوله حتى يختمه، وهذه منهجية عرفت بها محظرة أهل ابات وبعض المحاظر التي انحدرت منها، كما قدمنا قبل قليل.

ثم يهتم بعده بحفظ المنظومات الفقهية كتحفة ابن عاصم ولامية الزقاق وعمليات فاس ومنظومات لعلماء البلاد كنظم فتاوى العلامة سيد عبدالله، وكنظم التزامات الحطاب، كلاهما للعلامة محمد العاقب بن ما يابى الجكني وغير ذلك مما يطول عده.

١١. ثم قراءة القواعد الفقهية كمنهج الزقاق وتكميل ميارة عليه.

١٢. ثم يبدؤ في قراءة أصول الفقه كمراقي السعود، أو الكوكب الساطع أوجمع الجوامع. مع شروحه.

١٣. وفي السيرة قرة الأبصار وألفية العراقي.

١٤. ثم نظم الغزوات، وعمود النسب كلاهما للعلامة أحمد البدوي

١٥. ثم يبدؤ في مصطلح الحديث فيقرؤ طلعة الأنوار للعلامة سيد عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي.

١٦. ثم ألفية العراقي وشروحها.

١٧. قراءة في كتب المتون كصحيحي البخاري ومسلم والشفا للقاضي عياض. مع نقص ملحوظ - للأسف - في علم الحديث بشكل عام.

١٨. قراءة علم التفسير ويبدءون بتفسير الجلالين

١٩. ثم الشاطبية في القراءات السبعة

وربما قُدِّم بعض هذه الكتب أو أخر ولكن الغالب ما أشرنا إليه.

ثم يجلس الطالب برهة من الزمن يراجع هذه العلوم ويدرسها للطلاب حتى يتقنها، والباقي من العلوم يأخذه مطالعة كعلم التاريخ والفلك والطب والحساب والرقائق والآداب وعلم السلوك ثم يتوسع في مطالعة كتب التفسير والحديث والآثار، ويتم التركيز كثيرا على علوم الفقه والأصول والنحو والأدب والأشعار المتنوعة.

مجالس علمية وأدبية تقام في المحظرة ليالي العطل:

وتقام في ليالي العطل ندوات عفوية ممتعة في المحظرة يتذاكر الطلاب فيها جميع العلوم، فتبث فيها علوم الفقه والتزكية والنحو والأدب والتاريخ والأشعار من كافة العصور، - أحيانا يكون ذلك بحضرة شيخ المحظرة[1] وأحيانا بدونه - فنجد العلامة الأديب سيدي محمد بن الشيخ سيدي يحن إلى هذه الليالي وسهراتها الممتعة ويشيد بزملائه فيها فيقول:

وكم سامرت سمـــارا فُتُوًّا ... إلى المجد انتموا من محتدين
حووا أدبا على حسب فداسوا ... أديم الفرقديـــن بأخمصين
أذاكـر جمعهم ويذاكروني ... بكل تخـــالف في مذهبين
كخلف الليث والنعمان[2] طورا ... وخلف الأشعري مع الجويني[3]

(١) وذلك مثل المجالس الأدبية التي كان العلامة محمد محمود بن أحمد يقيمها مع طلابه، ويأمرهم بإنشاد الأشعار فيها، كما سيأتي ذلك في ترجمته.

(٢) النعمان: هو الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله صاحب المذهب توفي سنة ١٥٠ هـ.

(٣) هو الإمام الجليل أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني شيخ الشافعية صاحب المؤلفات الكثيرة واللتي من بينها البرهان في أصول الفقه، وهو من أصعب كتب الأصول حتى كانوا يسمونه لغز الأمة، ومنها نهاية المطلب، وهو من أمهات كتب المذهب الشافعي، وله مؤلفات كثيرة توفي سنة: ٤٧٨ هـ. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤ / ٢٠).

وأوراد الجنيد[1] وفرقتيـــــه	إذا وردوا شراب المشربـين
وأقــوال الخليل وسيبـــــويه	وأهــلي كوفـــة والأخـفـشين[2]
نـوضـح حـيـث تلتبس المعـاني	دقـيـق الـفــرق بـين المعنيين
وأطـــوارا نميل لـذكـر داري[3]	وكـسرى الـفـارسي وذي رعـين[4]
ونحو الستة الـشـعـراء[5] ننحوا	ونــحــو مهلهل ومـرقـشـين[6]

(١) هو الجنيد بن محمد شيخ الصوفية، ولد بعد عشرين ومائتين، وكان إماما في العلم، أفتى في حلقة أبي ثور وهو ابن عشرين سنة، وكان كثير العبادة، قيل كان ورده في اليوم أربعمائة ركعة، وكان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به، وكان له كلام ووعظ مؤثر رحمه الله تعالى.

انظر: سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١ / ٤٤).

(٢) المراد بالأخفشين: الأخفش الأوسط وهو سعيد بن مسعدة، درس على الخليل وسيبويه وهو الذي أخذ الناس عنه كتاب سيبويه، لأن سيبويه توفي قبل أن يسمعه الناس منه، توفي الأخفش هذا سنة ٢١٥ هـ والثاني: الأخفش الصغير وهو: علي بن سليمان البغدادي أخذ عن المبرد، وتوفي سنة: ٣١٥ وهذان هما المعنيان هنا، وأما الأخفش الكبير وهو من مشايخ سيبويه فليس مذكورا كذكر هذين في كتب النحو، انظر سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١ / ٢٩٥).

(٣) داري: ملك من ملوك الفرس.

(٤) ذي رعين: ملك من ملوك حمير.

(٥) الشعراء الستة هم: امرؤ القيس، ونابغة ذبيان، وزهير، وعلقمة الفحل، وطرفة بن العبد، وعنترة ابن شداد.

(٦) المرقشان:هما المرقش الأكبر واسمه عمرو بن سعد بن مالك وكان المرقشان على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر وتغلب والأكبر هو القائل:

الـنـشر مـسـك والـوجـوه دنـا	نـير وأطـــراف الأكـــف عنم
فـالـدار وحـش والـرسـوم كما	رقـش في ظـهـر الأديـم قلم

والمرقش الأصغر اسمه: عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك، والمرقش الأكبر عم المرقش الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد، والمرقش الأصغر أشعرهما وأطولهما عمراً وهو القائل:

فمن يلق خـيراً يحمد الناس أمره	ومـن يغو لا يعدم على الغي لائما

معجم الشعراء (ص: ٢٠١).

وشعـر الأعـمــــيين[1] إذا أردنـا   وإن شئنا فشعر الأعـشـيـين[2]
ونـذهـب تــــارة لأبي نـواس   ونـذهـب تـارة لابـن الحسـين[3]

ونراه يجول في كتب الأدب والدواوين الشعرية جولة واسعة فيقول:

فـهـل لي في الـنـوادر والأغـاني   وأشـعـار الحـماسـة مـن نصير
وتأليـــف المـبرد ثم عنــه   نـميـل إلى مـقـامـات الحـريـري
وآونـة نمـــيل إلى جميل   وآونــــة نـمـيـل إلى جـريـر
وأطـــوارا إلى غيـــلان مي   وتــــارات لـشـعـر أبي كـبـير[4]
ونرجع عن لقيط ثم نحـــكي   ألـيـلـتـنـا بـذي حـسـم أنـيـري
ونـشرب من نصيب[5] بعد أعشى   بـنـي همـــدان عـاتـقـة الخـمـور
وأشعار المرقـــش من تروى   بـكـأس الحـب قـاتـلـة المـريـر
وميمون قيـــس ثـــم عنه   نـمـيـل إلى مـرقـش الـصـغـير

(١) الأعميان هما: حسان بن ثابت، والأسود بن يعفر النهشلي..

(٢) المراد بالأعشيين: أعشى قيس، وأعشى باهلة.

(٣) ابن الحسين هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المعروف بالمتنبي.

(٤) هو أبو كبير الهذلي واسْمه عَامر بن حليس أحد بني سعد بن هُذَيْل وَهُوَ صَحَابِيّ اشْتهر بكنيته، وهو من الشعراء المشهورين ومن شعره قوله في ولد زوجته تأبط شرا:

وَلَـقَـد سريـت عـلى الـظـلام بمغشم   جـلـد مـن الـفـتـيـان غـير مثقل
مِمَّـــن حمـلـن بِــهِ وَهــن عـواقـد   حبك الـنـطـاق فشب غـير مهبل

شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١ / ١٩)

(٥) هو نصيب بن رباح كان عبدا فاشتراه عبد العزيز بن مروان فأعتقه وهو شاعر فحل من طبقة الفرزدق وجرير، ومن شعره قوله:

بزينب ألـم قبل أن يرحل الركب   وقُـلْ إن تملينا فـما ملك القلب

وكان جرير يقول: وددت أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتاً من شعري، أقبل نصيب على العبادة في آخر عمره وتوفي سنة: ١٠٨ الكامل في اللغة والأدب (١ / ١٤٧) وموسوعة الشعر العربي.

وقوله: ثم نحكي: أليلتنا بذي حسم أنيري

إشارة إلى قصيدة المهلهل بن ربيعة، الرائعة التي يذكر فيها انتقامه من قاتلي كليب حيث يقول:

أليلتنا بذي حُسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد يُبكى من الليل القصير
فأنقذني بياض الصبح منها لقد أُنقذت من شر كبير

وفيها يقول:

فلو نبش المقابر عن كليب لأخبر بالذّنائب أيّ زير
كأنا غدوة وبني أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
وإني قد تركت بواردات بُجيرا في دم مثل العبير(١)
هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل أشفى للصّدور

---

(١) يشير إلى قتله لبجير بن الحارث بن عباد الذي أثارقتله حرب البسوس من جديد بين بكر وتغلب، والتي دامت أربعين سنة، وذلك أن الحارث بن عباد وهو من سادات بكر ومن أحلم أهل زمانه، كان قد اعتزل تلك الحرب، فلما طالت وقتل كثير من أبناء عمه قتلهم المهلهل التغلبي، لأنهم قتلوا أخاه كليبا، أراد الحارث أن يوقف هذه الحرب فأرسل ابنه بجيرا إلى المهلهل وقال له: يقول لك الحارث أنه اعتزل الحرب وترككم لتأخذوا ثأركم، والآن يناشدك الله أن توقف هذه الحرب عن أبناء عمك، فقال له من أنت قال: أنا بجير بن الحارث بن عباد، فقتله، فقال الحارث نعم القتيل بجير إن كان قتله سيوقف الحرب، فقيل له إن المهلهل قال عند قتله: بؤ بشسع نعل كليب، فغضب الحارث لذلك، وأثار الحرب بشراسة وكسر تغلب وشردهم، وأنشد قصيدته:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني إن قتل الكريم بالشسع غال
لم أكن من جناتها علم الله وإنني لحرها اليوم صال

.. إلى آخرها

انظر مجمع الأمثال (١/ ٣٧٦)

عـلى أن لـيـس عــدلا مــن كليب إذا بـــــرزت مخـبّــأة الخـــدور
عَــلَـى أن ليس عــدلاً مــن كليب إذا طــرد اليتيم عَــنِ الجــزور
عَــلَى أن ليس عــدلاً مــن كليب إذا رجـف العضاه مـن الـدّبـور
عَــلَى أن ليس عــدلًا مــن كليب إذا مـاضـيـم جـــيران المجـير
عَــلَى أن ليس عــدلاً مــن كليب إذا خيف المخـوف مـن الثغور
عَــلَى أن ليس عــدلاً مــن كليب غـــداة بـلابـل الأمـــر الـكـبـير
عَــلَى أن ليس عــدلاً مــن كليب إذا عـلـنـت نـجـيّـات الأمــور

إلى آخرها... وهي قصيدة رائعة جدا[1].

ثم إن الطالب المحظري في هذا الجو سيتسع أفقه وتتعدد معارفه، ويحفظ الكثير من العلوم من مجرد سماعه في هذه الندوات، ويتشوق إلى العلوم التي يسمعها من شيوخه وزملائه الكبار فينكب على العلوم بنهم مستعذبا لها فتصبح هواية له فيتقنها بشكل بالغ، حتى يكون الطلاب الصغار أئمة فيها، بالنسبة لغيرهم، ولهذا يقول العلامة الأديب محمد مر بن الحابوس يخاطب أشياخه أهل ابات:

صغيركم سنا على الشيب كلهم كبير بـما يمليه وسـط المحافل

وكان الإتقان سمة بارزة في المحاظر الموريتانية، فيحفظون معارفهم كلها في صدورهم، وهذا هو دأب السلف فهذا الإمام الشافعي يقول:

عِلْمِي مَعِي حَيْث مَا يَمَّمْتُ يَتبعُنِي صدري وِعَاءٌ لَهُ لَا جوف صُنْدُوقِي
إنْ كُنْت فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْت فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ[2]

(١) أمالي القالي (٢ / ١٣٢) وأمالي اليزيدي (ص: ١١٧).
(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢ / ٢٠٥).

ويقول ابن حزم لما أحرقت كتبه في الأندلس:

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي … تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي … ويمكث إن أمكُثْ ويدفن في قبري[1]

ولا يكون الحفظ طبعا إلا بالتكرار والاهتمام بالعلم والتعلق به، ولهذا لما سئل أحفظ المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري فقيل له:

هل من دواء يشربه الرجل فينتفع به في الحفظ؟ قال:

لا أعلم، ثم أقبل على السائل فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة الحفظ[2].

قلت: وكثيرا ما يسألنا الناس من سكان الخليج عن سبب حفظ الشناقطة؟ والجواب: هو ما قاله البخاري رحمه الله، فقد كان طلاب المحاظر يجلس أحدهم ويقرأ درسه في جلسة واحدة مائة مرة أو أكثر، ثم يظل أسبوعا كاملا يقرؤه عشر مرات صباحا ومساء، ثم بعد ذلك يمكث عدة شهور يقرؤه كل ليلة، ثم بعد ذلك في الأسبوع مرتين ثم في الأسبوع مرة، ويظل يتعاهده بعد ذلك ويدرسه للطلاب عشرات السنين، فمثل هذا سيظل محفوظا ولن ينسى أبدا، وخصوصا إذا كان ذلك في فترة الصغر.

ولهذا قيل «العلم في الصغر كالنقش في الحجر، وفي الكبر كالخط في المدر» أي التراب[3].

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ / ٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠ / ٨٦).

(٣) المحاسن والأضداد للجاحظ ص: ٣٠ والجملة الأولى هي من كلام الحسن البصري انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢ / ١٨١).

ويقول أحد الشعراء في هذا المعنى:

وما الحلم إلا بالتحلم في الكبرْ　　وما العلم إلا بالتعلم في الصغرْ
ولو ثقب القلب المعلم في الصبا　　لألفيت فيه العلم كالنقش في الحجر(١)

ودأب كثير من السلف على أخذ العلم في الصغر كما جاء في الحكاية المشهورة عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى.

فقد قال الذهبي في السير: قال أحمد بن النضر الهلالي سمعت أبي يقول كنت في مجلس سفيان بن عيينة فدخل صبي فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [النساء:٩٤] ثم قال سفيان: يانضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا أتيت قالوا أوسعوا للشيخ الصغير، قال وتبسم سفيان وضحك. رحمه الله تعالى(٢).

ويقول بعض الأدباء:

علم بنيك صغارا قبل كبرتهم　　فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت　　ولن تلين إذا قومتها الخشب(٣)

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ١٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٤١٧).

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ١٦١).

وقد كانوا مع هذا التعليم والإتقان يؤدبونهم ويُقوِّمون سلوكهم بعملهم وهديهم، حتى إن الطالب ليصل إلى درجات عالية من الأدب والورع وحسن السمت، وهو يتعلم اللغة والنحو، وما ذاك إلا لما رأى من هدي شيخه وهدي كبار طلابه.

ومما يدل على ذلك ما أخبرني به الشيخ الكبير المعمر: محمد المختار بن السالم الحاجي الجكني رحمه الله، في حدود سنة: ١٤٠٦ هـ وكان من حكماء الرجال، وهو ممن درس النحو على العلامة: أحمد بن الداد بن أبات رحمه الله، فقال لي:

كان أهلك (أهل ابات) يربون طلابهم بأي فن كان، حتى بالنحو، لقد جئتهم أنا ولمرابط الحاج بن فحف[1] وآخرون، وكنا في عنفوان الشباب والطيش، ثم بدأنا نقرأ عليهم الألفية، ثم يقول: - والألفية لا طعم فيها - فما لبثنا إلا قليلا حتى كان أحدنا لا يستطيع أن يتوضأ من إناء زميله حتى يستأذنه.

وهذه درجة عالية من الورع، تدل على نجاح باهر في التربية وتقويم السلوك، وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

ولم أر للخلائق من مربٍّ ... كعلم الشرع يؤخذ عن ثقات

وسنرى في هذا الكتاب شيئا من هدي هؤلاء القوم ونبدأ بالقسم الأول منه والذي يشتمل على الكلام على نسبهم وترجمة والدهم العلامة أبات وأخيه العلامة الطالب عبد الدايم، فلننتقل إليه، مستعينين بقدرة الله تعالى وحسن توفيقه.

---

(١) هو العلامة الكبير الورع لمرابط الحاج بن السالك بن فحف المسومي صاحب المحظرة الكبيرة، أخذ العلم عن العلامة محمد بن أحمد بن أبات، ومحظرته من أشهر المحاظر في موريتانيا، وتعلم فيها الكثير من طلاب العلم من داخل البلد ومن خارجه، وله عدة مؤلفات منها: شرح ألفية بن مالك، وشرح نظم عبيد ربه، وشرح قصيدة بانت سعاد وغير ذلك، وهو الآن شيخ متقدم في السن قد تجاوز المائة حفظه الله تعالى.

القسم الأول

في نسب أسرة أهل ابَّات وترجمة جدهم

العلامة ابات وأخيه العلامة الطالب عبد الدايم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في نسب أسرة أهل ابات وفيه عدة مباحث:

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة ابات وفيه عدة مباحث

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة الطالب عبد الدايم وفيه عدة مباحث

الفصل الأول

في نسب أسرة أهل ابات
وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: في الكلام على نسب الأدارسة وكيف دخلوا إلى بلاد المغرب ثم إلى شنقيط.
- المبحث الثاني : في أقوال العلماء والمؤرخين في شرف أسرة أهل ابات نظما ونثرا.
- المبحث الثالث: في ذكر عمود نسبهم إلى النبي ﷺ نظما ونثرا.

المبحث الأول
في الكلام على نسب الأدارسة
وكيف دخلوا إلى بلاد المغرب ثم إلى شنقيط

بما أن هذه الأسرة التي سنتكلم عنها تنحدر من الشجرة الإدريسية، فنود أن نشير إلى نبذة قليلة من تاريخ هذه الدوحة الباسقة فنقول:

من المعروف، أن الأدارسة هم أبناء إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، بن فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ، وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد نزح جدهم إدريس الأكبر من الحجاز إلى المغرب، خوفا من الخليفة المهدي العباسي، لأنه كان يريد قتله فاختفى عنه، وذلك إثر الثورة التي قام بها الحسين بن عليّ بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط، على العباسيين بمكة أيام المهدي، واجتمع عليه قرابته وفيهم عمّاه إدريس ويحيى، فقاتلهم العباسيون فهزموهم، وقتل الحسين في جماعة من أهل بيته وانهزموا وأسر كثير منهم، ونجا إدريس فيمن نجى ففرّ واختفى في موضع ما.

ثم إن واضح مولى صالح بن المنصور وهو يومئذ على بريد مصر – وكان يحب آل البيت – علم بشأن إدريس فأتاه إلى الموضع الّذي كان به مستخفيا فحمله على البريد إلى مصر، ثم إلى المغرب الأقصى هو ومولاه راشد، ونزل بـ(وليلي)وهي مدينة قرب طنجة سنة اثنين وسبعين ومائة وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير تلك المنطقة، فاستقبله وأجاره وجمع البرابر على القيام بدعوته، وكشف القناع في ذلك، واجتمعت عليه قبائل البرابر بالمغرب فبايعوه، في سنة اثنين وسبعين ومائة، واستحكم ملكه في المغرب وفتح مناطق

كثيرة كانت تسيطر عليها النصرانية واليهودية بها في ذلك مدينة تلمسان التي فتحها وبنى جامعها الكبير وكتب اسمه في المحراب، وهذه الكتابة ظلت موجودة إلى عهد بن خلدون المتوفى سنة: ٨٠٨ هجرية[١].

ثم إن هرون الرشيد دس له رجلا من مخابراته ماكرا اسمه الشماخ يظهر ولاءه لأهل البيت ويمدحهم، فلما اطمأن له الملك إدريس وحاشيته نفَّذ عمليته، فناول إدريس طعاما أو عطرا مسموما فقتله وهرب إلى بغداد، وتوفي إدريس في ذلك اليوم فبايعوا بعده ابنه إدريس الأصغر الذي مات عنه وهو حمل، ولما شب وبايعوه قام بأعباء ملك أبيه وكان رجلا قويا فتح المغرب كله، وبنى مدينة فاس وجعلها عاصمة له واستتب له الأمر تماما، ثم مات وترك اثني عشر ابنا فورثوا ملكه.

واستمر فيهم الملك أكثر من مائتي سنة، فغلبهم على ملكهم بعد تلك المدة المنصور بن أبي عامر من القحطانية، واستولى على ما بيدهم من الملك مع ما بيده من الأندلس[٢].

قَال شهاب الدين السلاوي في الاستقصا: وكَانَت مُدَّة ملك الأدارسة بالمغرب – من يَوْم بُويعَ إِدْرِيس الأكبر بن عبدالله الكامل وَذَلِكَ يَوْم الْخَمِيس السَّابِع من ربيع الأول سنة اثْنَتَيْنِ وَسبعين وَمِائَة إِلَى أَن قتل الْحسن بن كنون آخر ملوك الأدارسة، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الأولى سنة خمس وَسبعين وثلاثمائة – مِائَتي سنة وَثَلَاث سِنِين سوى شَهْرَيْن تَقْرِيبًا وَكَانَ عَمَلهم بالمغرب من السوس الْأَقْصَى إِلَى مَدِينَة وهران وَقَاعِدَة ملكهم مَدِينَة فاس التي بناها جدهم إدريس الأصغر[٣].

(١) تاريخ ابن خلدون (٤ / ١٧).

(٢) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص: ١٦٧).

(٣) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١ / ٢٦١).

قال بن خلدون: وليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم، من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن[1].

قلت: وأما الأسرة العلوية التي تملك المغرب الآن فليست من الأدارسة بل إن نسبها يرجع إلى محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل، قدم جدهم الحسن بن قاسم سنة: ٦٦٤ من ينبع بالحجاز، وسكن تافلالت فكانوا يعرفون بشرفاء تافلالت، وأول ملوكهم هو: مولاي علي الشريف وبدأ ملكه سنة: [2]٨٤٣.

فمن بداية ملكهم إلى هذه السنة وهي سنة: ١٤٣٦ يكون قد مضى على ملكهم:٥٩٣ سنة، والآن ملكهم هو: محمد السادس بن الحسن الثاني.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن عبدالله بن معن الأندلسي: ما ولي بعد الأدارسة من الملوك أصح نسبا من شرفاء تافلالت[3].

ثم إن الأدارسة انتشروا في المغرب انتشارا واسعا بعد سقوط دولتهم ومضايقتهم فخرج من مدينة فاس منهم عدد كبير إلى جهات شتى.

قال السيوطي المكناسي: خرج من فاس سبعمائة رحيل من الشرفاء فارين إلى جبال غمارة، واثنا عشر رحيلا إلى جبال تادلة، وسبعة إلى فجيج، وأربعة إلى تامسنا، وسبعة إلى أوطاط الحاج، وسبعة إلى وادي عزة، وثمانية إلى الساقية الحمراء، وعشرة إلى الأندلس[4].

ونظرا لهذه الظروف الأمنية التي مرت على الأدارسة كانت جماعات منهم وأفراد تجوب الأرض بحثا عن بيئة تصلح للاستقرار، تأمن فيها على دمائها

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١ / ٣٥).

(٢) الجواهر الباهرة في النسب الشريف ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق: ١٣٤ – ١٣٥.

وأموالها، ومن بين هؤلاء جد القلاقمة العلامة الكبير مفتي قليميم (بكاف معقودة) المغربية، وهو الشريف مولاي إبراهيم القليميمي بن مولاي مسعود، وكان يتنقل بين جنوب المغرب وآدرار ومنطقة الكبله[1].

وقد نال العلامة الشريف مولاي إبراهيم هذا جد القلاقمة من الشهرة والعلم والفضل وصحة النسب مالم ينله غيره من الشرفاء أو غيرهم حتى صار الانتساب إليه يضرب به المثل في صحة الشرف حتى شاعت وذاعت عبارة بين العوام والخواص تؤكد ذلك، وهي: (من صح أنه قلقمي صح أنه شريف) وقد نظم ذلك بعض العلماء فقال:

من صح أنه من آل قلقم   شرفه كالنار فوق علم

ثم إن الشريف مولاي إبراهيم توفي وترك عقبه في منطقة شنقيط وظل المجتمع الشنقيطي يحترمهم ويجلهم، وهكذا ومع مرور الوقت أطلق على عقبه «القلاقمة» نسبة إليه أو إلى بلده، و «قلقمي» ماهي إلا «قليميمي» بتحريف بسيط، وقد شاع تحريف العوام لكثير من الأسماء كقولهم: «تيجكجه» تحريفا «لتيججكه»[2] و «السماسيد» تحريفا «للشماسيد»[3] و «مدلش» تحريفا «لمجلس» ونحو هذا كثير.

وظل القلاقمة في شنقيط إلى أواخر القرن السابع الهجري فهاجروا إلى الحوض ولعل سبب هجرتهم هو أن تلك المنطقة كانت تعاني في ذلك الوقت أنواعا من الفوضى وانعداما للأمن، وذلك بالتزامن مع دخول قبائل بني حسان المعقلية إلى البلاد[4].

---

(١) المنارة والرباط ص ٩٨.

(٢) تاريخ البيظان / بابه بن الشيخ سيدي ص ٢٠ (مخطوط).

(٣) مجلة الوسيط / المعهد الموريتاني للبحث العلمي: العدد: ٤ ص ٦٨.

(٤) المنارة والرباط: ص ٩٩.

وقد حدد صاحب «رسالة الروض» أن قدومهم على الحوض كان في أواخر القرن السابع وأول القرن الثامن الهجري.

وأن جدهم يحي الكبير وفد على تينبكتو في أواخر المائة السابعة وأوائل المائة الثامنة أول دولة «التوارق» فتلقاه سلطانها: «كي محمد نضَّ»[1] وبنى له مسجدا وجعله إماما فيه، إلى أن توفي سنة: ست وستين وثمانمائة للهجرة، ودفن بتنبكتو، وقبره مشهور هناك[2].

وتفرقت ذريته في الحوض الشرقي ومنطقة «باغنه» التي توجد الآن في حدود دولة مالي مع موريتانيا، وقد كانت منطقة حيوية تذهب منها وإليها القوافل، فكانوا يقولون إن المحطات التجارية الرئيسية بالنسبة لتكَانت هي: شنقيط، شمالا، وفي الجنوب الغربي: الوالو، وفي الشرق: تنبكتوا، وفي الجنوب: باغنه[3].

ومن هذه المنطقة «باغنه» قدم جد هذه الأسرة النزارية القلقمية الإدريسية،والد العلامة أبات، وهو العلامة: الطالب أحمد جدو بن الطالب مختار[4].

وسنتكلم على تاريخ قدومه، وأين استقر، وفي أي مكان دفن، في المبحث الأول من ترجمة العلامة أبات رحمه الله.

وسنذكر عمود نسبهم في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله تعالى، ثم نشير في المبحث الآتي إلى أقوال العلماء والمؤرخين في صحة انتسابهم لهذا البيت الطاهر فنقول:

(١) ومعنى محمد نضَّ: محمدنا لله، انظر فتح الشكور ص: ٢٢٩ – ٢٣٠.

(٢) الروض في أنساب أهل الحوض ص: ٢ (مخطوط).

(٣) سطور في تاريخ كصر البركة ص: ٢٠.

(٤) مشكاة المهاد على مناقب الأجداد للوالد العلامة أحمد بن محمد محمود. ص ٦ (مخطوط).

المبحث الثاني
في أقوال العلماء والمؤرخين
في شرفهم نظما ونثرا

لا يختلف المؤرخون والعلماء والمثقفون في صحة انتساب هذه الأسرة إلى البيت النبوي الطاهر، وأنهم من سلالة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهم أنفسهم يؤكدون ذلك في كتابات علمائهم الأجلاء عبر طبقاتهم المتتالية، كالعلامة الكبير أحمد بن أبات رحمه الله المتوفى سنة: ١٣١٨هـ إذ يقول في بعض كتاباته:.... «وسأبين لكم شرفنا بالعدول الذين يعلمون ما في الدعاء الشرف كالشيخ عبد الرحمن، وأبات، مع نسخة عتيقة وجدناها تحت يد والدنا العلامة أبات بن الطالب أحمد جدو بن الطالب مختار بن الطالب عبدالله النزاري القلقمي»[١].

وسيأتي معنا في ترجمته في قضية فسخه لنكاح بنت لأحد إخوته، حيث زوجت من غير كفئ لها، أنه قال في ذلك: «وهي شريفة حسب ونسب، زوجت ممن تأنف عنه مساكين الطلبة، أحرى ذريته ﷺ... »[٢].

وكذا ابنه العلامة الجليل محمد محمود بن أحمد المتوفى سنة: ١٣٨١ إذ يقول في موضوع نزاع كان بين بنت أخيه وزوجها، فيقول: «وهي شريفة حسب ونسب أي من ذريته ﷺ»[٣].

---

(١) المصدر السابق ص: ٨٧.
وهذه النسخة أو السلسلة سنأتي بها في المبحث الآتي.

(٢) المصدر سابق.

(٣) نقلته من كتابته رحمه الله تعالى من مخطوط بحوزتي.

ويقول رحمه الله أيضا في رسالته المشهورة إلى الشيخ سيدي محمد بن المصطفى العلوي في محاورة جرت بينهما، يقول فيها: وبيان ذلك أني شريف النسب.. ثم يقول: وهذا في سبِّ الحر العادي أحرى ذريته ﷺ فإن من آذاهم يؤدب، والأدب قد يأتي على النفس كما قال خليل: «وإن زاد على الحد أو أتى على النَّفْسِ»..[1].

إلى أن يقول: وإذا طعنت في شرفي فسأبينه لك بالعدول الذين يعلمون ما في الدعاء الشرف، كأبناء عمنا أهل الشيخ محمد فاضل، ومحمد يحي الولاتي.. [2]

ويقول الوالد أحمد بن محمد محمود في مناسبة سيأتي ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى:

إن لنا سلفا من بعده خلف ... أجلة علما نسبتهم شرف
تصدر الناس كلا من محاظرهم ... إذهم على سنة الرسول قد عكفوا
ألاك أبناء أبات قلاقمة ... حيث بنيت من المجد لهم غرف

... إلخ [3]

ولما ذكر المؤرخ الكبير المختار بن حامد محاظر القلاقمة ذكر العلامة أبات وعددا من أبنائه ضمنهم في الجزء الثقافي من تاريخه [4]

وكذا العلامة الشيخ التراد بن العباس في كتابه كشف الأستار عن نسب آل اجيه المختار[5].

---

(١) مختصر خليل باب حد شارب الخمر (ص: ٢٤٦).

(٢) الرسالة بكاملها في مخطوط بحوزتي.

(٣) ستأتي هذه الأبيات بكاملها في ترجمته في الفصل الرابع من ترجمة الطبقة الخامسة.

(٤) حياة موريتانيا الجزء الثقافي ٦٣– ٦٤.

(٥) كشف الأستار ص: ٩ وص ١٥ (مخطوط).

ويقول الشيخ الكبير: سيد محمد بن بادي رحمه الله[1]، في كتابه: «واضح البرهان، في الفرق بين العلماء العاملين أولياء الرحمن، والعلماء المغترين أولياء الشيطان» لما بدأ في ذكر شيء من مناقب العلامة أبات وأبنائه فقال: هو الطالب أبات بن الطالب أحمد جدو بن الطالب مختار بن الطالب عبدالله النزاري **الشريف القلقمي**..[2].

وهذا الأستاذ الجليل نقيب الشرفاء: محمد أحمد بن عبد الودود (آل مولاي الرشيد) لما تكلم على عمود نسبهم قال:

هذا عمود نسب فرع شجرة من شجرات الدوحة الشريفة القلقمية الإدريسية الحسنية العلوية، فرع النزاريين آل عبدالله النزاري... ثم قال ونعني بذلك عمود نسب العالم ابن العلماء أبي العلماء، أشياخ أشياخ محاظر الوسط الموريتاني بلا منازع، الذين جمعوا بين شرف النسب وشرف العلم والدين والصلاح: الشيخ أبات بن الشيخ الطالب احمد جدُّ بن الشيخ الطالب مختار، كما أكد صحة سنده ابن عمه الشيخ التراد بن العباس بن الشيخ محمد فاضل، بن مامين، وأكده أيضا أحد أشياخه الذين تخرج على يديهم وهو الشيخ سيد عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي في تأليفيهما في نسب القلاقمة، وهو العلامة الطالب أبات نزيل خيران بن الطالب أحمد جدُّ بن الطالب مختار بن الطالب عبدالله.. إلى آخره.

ولما أنهى السلسلة قال:

نسب كأن عليه من شمس الضحى ومـــن فـلـق الـصـبـاح عـمـودا

---

(١) هو القطب الكبير الشيخ سيد محمد بن بادي " اهل الشيخ ابن امني " أخذ العلم في محاظر أهل ابات مثل محظرة احمد بن الداد وغيره واخذ الطريقة القادرية على الشيخ احمد ابي المعالي كان رحمه الله شيخا ربانيا ومع ذلك شاعرا وأديبا ومناقبه كثيرة . توفي رحمه الله في حدود ١٣٩٧ هجرية .

(٢) واضح البرهان في الفرق بين العلماء العاملين أولياء الرحمن، والعلماء المغترين أولياء الشيطان ص٢٣ (مخطوط).

(٣) من مخطوط السيد الأستاذ الجليل: محمد احمد بن عبد الودود.

ما فيه إلا سيــــــــــــد بَنُ سيد حــاز المفاخر والثنا والجــودا[٢]

وكذا العلامة شيخنا الجليل صاحب القدم الراسخة في العلوم الشرعية والتاريخ: عبدالله بن الإمام الجكني رحمه الله [١] لما سأله المرحوم محمد الأمين بن أحمدُو: هل يجوز أن أعطي الزكاة لأحد من أهل أبات؟ قال: لا، لا يجوز ذلك، **شرف أهل أبات ثابت**، والنصوص تأبى ذلـك[٢].

والقائمة تطول بمثل هذا من كلام العلماء والمؤرخين الأثبات.

كما يوجد ذلك طافحا في الأشعار التي يمدحهم بها العلماء والشعراء قديما وحديثا، سواء من الشعر الفصيح أو الحساني.

فهذا حفيدهم الشاعر الأديب الورع أحمد بن جد امُّ رحمه الله يقول في قصيدة يمدحهم بها:

إلى آل أبــات الـكـرام ذوي النهى ومــن لهـم في الفخر أرفــعُ سُلَّمِ

وهي قصيدة طويلة ورائعة، ثم يختمها بقوله:

وأزكى صلاة الله كالسحب تنهمي عـلى جـدهـم في كـل بـدء ومختم

---

(١) هو شيخنا العلامة الجليل إمام عصره في المعقول والمنقول: عبدالله بن الإمام بن عبد الجليل الجكني الزلماطي، أخذ عن بعض من علماء عصره منهم العلامة لمرابط اباه بن محمد الامين اللمتوني، والعلامة سيد محمد بن اجميلي الجكني، والعلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات الأباتي القلقمي وأخذ الإجازة في القراءات السبع على العلامة: بداه بن البوصيري التندغي.
أخذ عنه العلم جم غفير من طلاب العلم، وله مؤلفات مهمة تقارب الثلاثين، منها: حلية المسامع على الدرر اللوامع، ومنها: نظم «مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول» للشريف التلمساني، وغير ذلك، توفي رحمه الله سنة: ١٤١٣ هـ ودفن بمقبرة الرياض بانواكشوط.

(٢) سمعت هذا من محمد الامين المذكور رحمه الله في أواخر العقد الأول من هذا القرن وهو القرن الخامس عشر الهجري.

وهذا الشيخ أحمد بن بادي رحمه الله تعالى من قبيلة (أهل الشيخ بن امني) يقول في قصيدة يمدحهم بها أيضا:

عاق القضاء وعاق الضعف والكبر ... عن وصلكم والحجا تعتاده العبرُ

إلى أن يقول:

إني بحق الذي أولاكم شرفا ... أرجو نوالا به يقضى لنا الوطرُ

وهذا الشاعر الأديب عبد الرحمن بن الحاج يقول في قصيدة يمدحم بها أيضا:...

وحي ويك وقف وحي ثانية ... المنتمين لآل القطب أبات

فيا بني الحسن السبط بن فاطمة ... بنقل ذا من روايات صحيحات

كم المسرات نِيلَتْ عند رؤْيتكم ... وكم برؤيتكم رفع المضرات

إلى آخرها.. (1)

ويقول الشيخ محمدو بن محمد الإمام (أهل الشيخ بن امني) في الثناء عليهم:

بشرى لأرض لها الأشراف قد رحلوا ... يا مرحبا بهمُ لَمَّا لها نزلوا

ومرحبا بهمُ من قبل منزلهم ... طوبى لما سكنوا من قبل ما ارتحلوا

وهذا الشاعر الأديب محمد سالم بن عبدي يثني على الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله بأبيات يقول فيها:

سلام كضوء الشمس حاوي المكارم ... إلى شمس هذا العصر أنف الأكارم

ومنبع كل المجد راع لجمعه ... إذا نام عنه الناس ليس بنائم

أخي أحمد ابنه ولا غرو إن رعى ... لنا المجد ندب من سلالة فاطم

---

(1) علم من علماء شنقيط ص: ٢١.

وهذا الشاعر أحمدُ بن حرمه حفظه الله يقول في قصيدة يمدح بها الوالد أيضا رحمه الله تعالى:

منـي إلـيـك محـاطـا بالمحبات ... أشهى السلام وأطيب التحيات
يا من حظيت اسم راية العلوم أيا ... سـمـي جـدك أحمـد بـن أبـات
يا حائز الـشرف المحفوظ نسبته ... جـدا لجـد إلى خـير الـبريـات

إلى آخرها...

وهذا الأستاذ والشاعر الكبير: محمد محمود السالم بن شمس الدين الكلالي الجكني في رثائه الرائع لشيخنا العلامة محمد ابات بن محمد يقول:

يكفيه فـخـرا أن أحمـد جـدُّه ... وبإرثه قد فـاز دون مـزاحـم[1]

وهذا نقيب الشعراء الموريتانيين محمد الحافظ بن أحمدو التندغي في رثائه للمرحوم محمد محمود بن الطلبه يقول:

حـي الـغـطـارفـة الـغـر الميامينا ... والذائدين عن الفضل المحامينا
وغـرة الـشرفـا الـعـالي منائرهم ... دامـوا الـذرى في الهدى والعز آمينا
قد طاولوا النسر والجوزا بمجدهم ... فـما يـسـامـيـهـم فـيـه المـسـامـونـا
أهل التقى القادة الأشراف من سمكوا ... سـما المـعـالي ومـن كـانـوا المجلينا

إلى آخرها...[2].

وللعلامة: عبد القادر بن أحمد اللمتوني ثم التاكاطي[3] رجز يثني فيه على

---

(١) انظر القصيدة كاملة في نهاية ترجمة شيخنا العلامة: محمد ابات بن محمد في الفصل الثاني من تراجم الطبقة الخامسة من هذا الكتاب.

(٢) سنذكرها كاملة في القسم الرابع المخصص للأشعار إن شاء الله تعالى.

(٣) هو العلامة: عبد القادر بن أحمد اللمتوني ثم التاكاطي (حفظه الله)، أخذ العلم عن العلامة اباه بن محمد الأمين وعن أحمدباب بن بوسيف وغيرهما، له عدة مؤلفات مطبوعة، منها شرح على الدرر اللوامع لابن بري، وله غير ذلك.

تلميذه الفاضل محمد احمد بن عبد التار بن عبدالله بن أبات يقول فيه:

ثـم عـلى جماعـة القبيلهْ | تحـيـة فـائـقـة جميـلـهْ
جماعـة الأمـاجـد الأشراف | مـن عـرفـوا بالعدل والإنـصـاف
واشـتـهـروا بـين الأنـام بالعلوم | لازال نـشر العلم فيهم يـدوم
أبـوهـم أبـاتُ نـعم الـنسبُ | ونـعم الابـنـاءُ ونـعم الحسبُ

إلى أخرها..

وقد كان زميلنا الأستاذ والشاعر الأديب محمدو بن الأمين التاكاطي أرسل لي قطعة شعرية يقرظ فيها كتابي: «بلوغ الغاية، على شرح نظم النقاية» في علم البلاغة يقول فيها:

ببَحْرِ العلمِ تزدحـمُ الدلاءُ | فـدلـوُ الشيخ أسْعـفَـهُ الـرِّشـاءُ
فـغـاص الـبـحـرَ في طـلـبِ الـلآلي | فـأُخـرجـتِ الـلآلي كـما يـشـاءُ
بشرح للنُّقـايةِ مُستفـيضٍ | رصـينِ الـلَّـفـظِ مـيَّـزهُ الـعـطـاءُ

إلى أن يقول:

ولا غرو المؤلفُ من بيـوتٍ | لهـا الـشرفُ المحقَّقُ والإبـاءُ
عـيـونٌ بالمعـارف جـاريـاتٌ | بحـورٌ لا تكـدرها الـدلاءُ

إلى آخرها...[1].

وهذا الشاعر الحساني المفوه: أحمد بن آبكه [2] يمدحهم بقصيدة رائعة جدا من الشعر الحساني يقول فيها:

---

(١) انظر بلوغ الغاية شرح نظم النقاية ص: ١٤٨ الطبعة الاولى / مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث.

(٢) أهل آبكه أسرة من قبيلة إديشلي المعروفة.

حد اسمعْ باهْل ابَّاتْ أكالْ | وَخْيَرْت ألّ جبْرتْ مقصودْ
باهل ابَّات اتْنَجَّ منْ حَالْ | وخْيَرْت أرَاتْ امْنيْن اتْعوُدْ

إلى أن يقول:

شَفن فِيهُمْ صِيفَتْ الَاشْرَافْ | الّ ايجِيبُ لَكْتُوب اوتَعْراف
لكتُوب ابْلشْرَاف أوتشْرافْ | الآنْفاس أُذَ فيهم موْجُودْ
أَشْراف أُلاَ فيهُم الاطْرَافْ | أجْوادْ ألاَ فيهُم محْسُودْ
للنَّاسْ ألا فِيهم خِلافْ | الْسُنتْ سِيدْ الوُجودْ
حد اسمعْ باهْل ابَّاتْ أكالْ | وَخْيَرْت ألّ جبْرتْ مقصودْ
باهل ابَّات اتْنَجَّ منْ حَالْ | وخْيَرْت أرَاتْ امْنيْن اتْعوُدْ
أهل ابَّات اشْراف وْزَيْنِينْ | وسَّاهَ ذَا الْحي المَتِينْ
وَدِيبِينْ مْعَ صلاَّيِنْ | للْمعبُودْ الْعُبَاد ارْكُودْ
بَلّ افْتيحْ الشَّكْلَ فمْنَيْنْ | تعسر واتعودْ الشكْلَ كُودْ
هذا بَعْد أرَاهُ شِ زَيْنْ | حَدّ إفَاصلْ شِ زَيْن اعودْ.
حد اسمعْ باهْل ابَّاتْ أكالْ | وَخْيَرْت ألّ جبْرتْ مقصودْ... إلى آخرها

وهذا الأديب الكبير الشيخ: حمادي بن الدمِّين الرمضاني الجكني رحمه الله يمدحهم بقصيدة رائعة أيضا من الشعر الحساني ونذكر منها ما يلي:

فلحقيق يَلِّ تختيرْ | يصلح لك جمْع الزيارَاتْ
بلعَجْلَ غافس سيرْ | لهل ابات ازور اهل اباتْ

إلى أن يقول:

ازْوَاي بسْتَزْوِ عجيبْ | واشْرافْ بشَرَف ماهُ اكذيبْ
شرفهم ما فيه اتعَاكيب | مصحَّحْ فاكتوب الرُّواتْ

وِدَوْرُوه الاَّ للمجيب	مُول الملك الواحد فالذاتْ
ما كَبْظُوه ابْذاك اتنيريب	لامْر الطَّلْبَ والهدياتْ
شرفْهُم ما جرلهُم عيبْ	مخَلاهُم شرفَ سادات
فلحقيق يل تختير	يصلح لك جمع الزيارات...

وقوله:

ما كبظوه ابذاك اتنيريب	لامر الطَّلْبَ والهديات[1]

.. إلخ:

يشير بهذا إلى خلق مؤسف يتبناه الكثير من المنتسبين إلى الشرف في بلادنا، وهو كثرة سؤال الناس إلحافا باسم الهدية، وحتى أصبحت عَلَمًا على الشرفاء وكأن الشريف الذي لا يفعل هذه الفعلة ليس بشريف والله المستعان.

وسنلقي الضوء على هذه النقطة الحساسة ونشير إلى الأخلاق التي ينبغي للشريف أن يتصف بها، وذلك في مبحث وصايا العلامة أبات وهو المبحث السابع عشر من ترجمته إن شاء الله تعالى.

ثم نذكر عمود نسب هذه الأسرة في المبحث التالي:

(١) وستأتي هذه القصيدة كاملة مع قصائد المديح والثناء في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث
في ذكر عمود نسبهم
إلى النبي ﷺ نظما ونثرا

روى البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فإنه لا بعد للرحم إذا قربت وإن كانت بعيدة ولا قرب لها إذا بعدت وإن كانت قريبة وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلته إن كان وصلها وعليه بقطيعته إن كان قطعها**»(١).

وكنا ذكرنا عن العلامة أحمد بن أبات أنه قال: «مع نسخة عتيقة – أي بسلسلة النسب – وجدناها تحت يد والدنا العلامة أبات بن الطالب احمد جدو بن الطالب مختار بن الطالب عبدالله النزاري القلقمي».

قلت: وهذه النسخة أو السلسلة قد كنت نظمتها، وسنوردها الآن نثرا ثم نذكر النظم بعد ذلك، ونبدؤها من العلامة أبات رحمه الله فنقول:

هوالعلامة الطالب أبات ١ بن الطالب احمد جدو٢ بن الطالب مختار٣ بن الطالب عبدالله٤ بن عبد الجليل الملقب أبجان٥ بن علي٦ بن نزار ٧ بن يحي الكبير القلقمي٨ بن سيدي محمد٩ بن سيدي عثمان١٠ بن مولاي ببكر١١ بن يحي١٢ بن مولاي عبد الرحمن١٣ بن محمد الزكي الملقب أران١٤ بن عبدالله المحض الملقب اتلان١٥ بن أحمد جمال الدين الملقب أجملان١٤ بن إبراهيم١٦ بن مولاي مسعود١٧ بن مولاي عيسى١٨ بن مولاي عثمان١٩ بن مولاي إسماعيل٢٠ بن مولاي عبد الوهاب٢١

(١) صحيح الأدب المفرد بتحقيق الألباني (١ / ٣٩) شعب الإيمان (١٠ / ٣٢٧).

بن مولاي يوسف٢٢ بن مولاي عمر٢٣ بن يحي٢٤ بن عبدالله الأصغر٢٥ بن أحمد٢٦ بن عبدالله الأكبر٢٧ بن إدريس الأصغر٢٨ بن إدريس الأكبر٢٩ بن عبدالله الكامل٣٠ بن الحسن المثنى٣١ بن الحسن السبط٣٢ سبط رسول الله ﷺ ابن بنته فاطمة الزهراء وابن علي كرم الله وجهه(١).

وفيما يلي نذكر النظم فنقول:

نظم عمود نسب آل أبات:

يــقــول عــبـــدالله نــجــل أحمــدِ ... سليل أبــات الـشريـف المحتدِ(٢)

حمـــدا لمـــن أنـــشـــأ كـــل الـبـشرِ ... مــن آدم وآدمـــــاً مـــن مـــــدرِ(٣)

جعلهم قـبـائـلا(٤) ثـم شعوبْ ... لـتـتـعـارف ولـلـبـاري تـئـوبْ

جعلهم معادناً مثلَ الـذهـبْ(٥) ... فيها تـفـاوتٌ كـبـيرٌ في الـرُّتَـبْ

---

(١) انظر الجواهر الباهرة في النسب الشريف لعبد السلام العمراني المغربي، ص ١٩٣.

(٢) المحتد: الأصل.

(٣) أي: وأنشأ آدم من مدر أي من تراب.

(٤) قبائل ممنوعة من الصرف لأنها على وزن منتهى الجموع، لكنها صرفت هنا لضرورة النظم على حد قول بن مالك في الخلاصة:

ولاضــطـــرار أو تناسب صرف ... ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

ومثلها في ذلك: معادن التي في البيت بعده وكذلك كلمة آدم التي تقدمت في البيت الثاني فهي أيضا ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة.

(٥) إشارة إلى قوله ﷺ:

(الناس معادنُ كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) رواه مسلم: (الحديث: ١٦٠)

وهو عند الشيخين بلفظ: (تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا). اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٦٤٢)

قال العلماء في شرحه: والمعادن: جمع معدن وهو ما يستخرج من الجواهر ووجه التشبيه أن المعادن تشتمل على جواهر مختلفة من نفيس وخسيس وكذلك الناس مختلفون في الشرف وكرم النفوس والسلوك.

أكرمُهم من كانَ للتقوى انتَسبْ ... لا سيما إنْ حازَ للتقوى الحَسَبْ
ثم الصلاة والسلام سَرْمَدا ... على رسول الله خيرِ مَنْ هدَى
هذا وقد أردتُ نظْمَ السِّلسلَهْ ... سلسلةِ الأجْدادِ عندَ النَّقَلهْ
وهيَ عمودُ نَسَبٍ عنِ الثِّقاتْ ... لِلأسرةِ الأشْرافِ آل أبَّاتْ
سلسلةُ انتسَابِهِمْ للهادِي ... صلى عليه الله بالتمادي
سلسلةٌ محفوظةٌ عن السلفْ ... عن سلفٍ يحفظُها كلُّ خلفْ
أبدؤها من عندِ جَدِّناَ الجليلْ ... أبَّات مَن كان لذَا القِطْر دَليلْ[1]
من زان علمَه وهديَه الشرفْ ... أسكنهُ اللهُ الجنانَ والغرفْ
واعْلم بأنّ القربَ للنبيِّ ... مُرتبط بهديهِ السَّنِيِّ
فمَن مِن آله اقتفى عملَهُ ... فذا يؤكِّدُ انتسابَه لَهُ
ومن يكن مُفَرِّطا في الاتباعْ ... فالشَّكُّ في نسبِهِ ليس ابتداعْ
فإنَّهُ في البعضِ من أقوالِهِ ... ربطَ بينَ هَدْيهِ وآلهِ
ربَط بيْنَ الآلِ والقرآنِ ... صلى عليه مُنْزِل الفرقانِ

(١) كلمة: «دليل» خبر لكان، لكن وقف عليها بالسكون على لغة ربيعة، ومثلها في ذلك كلمة «ابتداع» في آخر البيت ١٨ وقد أشار ابن مالك في الكافية إلى هذه اللغة بقوله:

كذا لدى ربيعة المنون ... في نصبٍ أو في غيره يسكن

شرح الكافية الشافية (٤ / ١٩٧٩).

وهْـي أحـاديـثُ تُـرى في مُسلمِ[١] والترمـــــذيِّ[٢] عند كل مسلمِ
وهــأَنَــا أبــدؤ بـالمـقْـصُـودِ بــعــونِ ربِّــنـا الـعـظـيـمِ الجــودِ

بداية سلسلة النسب:

خـير شـقـيـقـين همـا والــوالــد الطالب احمـد جـدو نعم الوالد
فـالـطـالـبُ المـخـتـارُ وهْــو نجلُ للشيخِ عـبـدالله نـعـمَ الـنَّـجْـلُ
أبجان أو أبـجَ وهُـوْ عبد الجليل لقب باللفظين عند كـل جيل
وعــنــده الــنــزاريــون اجتمعوا فــذكــره عــنــد الجـمـيـع يسمع
وبــعــده الــنــدب الـشـهـير بعلي وهــــذا نـجـل لــلامــام المـعـتـلي
أعــنــي نـــزارا الـشـهـير العلما وهــــو اب لـلـفـضـلا والـعـلـما
لــه الــنــوازيــر جمـيـعـا تنتمي وابُـــــه يحـي الـكـبـير ألقلقمي
وبــــعــــده محــمــدٌ يــلــيــهِ عــثــمانُ ذو الـــشرف مــن أبـيـهِ
بُــبَــكَّــرٍ يــلــيـه سـيـد يحْـيـى مَــن مـيِّـتُ الحـاجِ بـه قـد يَحْيى
وبــعــد هــؤلاء عــبــدُ الـرحمـنْ ثــم محــمــدُ المــلــقَّــبُ أُرانْ

(١) وهو قوله ﷺ: «أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» صحيح مسلم (الحديث: ٢٤٠٨)

(٢) وهو قوله ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ. وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا». جامع الترمذي (الحديث: ٣٧٨٨) وصححه الألباني.

يـلـيـه عـــبـــدالله وهْـــوَ اتـــلانُ ... ثـــم جمـــالُ الـــديـــنِ أجْمـــلانُ
يليه إبـراهـيـمُ[1] نـجْـلُ مسْعودْ ... عيسى وعـثـمان وكلهم أُسُـــودْ
مـــولاي إسماعـيـلُ عبد الـوهَّـابْ ... يـوسـفُ ثـم عـمـرٌ في الانـتـسّابْ
لأبـــــهِ يحـــي بـــــنِ عـــبـــدالله ... الاصـغـر نـجـلِ أحمـدٍ ذِي الجـاهِ
نــجـلٍ لـعـبـدالله وهْـــو الأكـــبرُ ... وبعد ذا إدريـسُ وهْـوَ الاصْـغَـرُ
إدريــــسُ الاكـــــبرُ بـــــنُ عـــبـدالله ... الـكـامـلِ بـنِ الحـسـنِ الأوّاهِ
أعني المثنَّى وهـو نجلُ الحسَنِ ... الـسِّـبـطِ وهْـوَ جـدُّ كـلِّ حَسني
وهـــوابـــن فـاطـمـةٍ الـزهـراءِ ... وجــــدُّه خـــاتـــمُ الانـــبـيَـــاءِ
والــــدُهُ حـــيــــــــــــدرةٌ عـــلِيُّ ... بـــــشَّرهُ بـــالجـنــــــَّـةِ الـنَّـبـيُّ
وَوَجْـــهُـــهُ كـرَّمــــــــــهُ الـعـلِيُّ ... يكفيك هـــذا الـنـسـبُ الـسَّـنـيُّ
يـــا ربـنـا بـيُـمْـنِ هــذا الانـتِـسَـابْ ... نُسْعَدُ في الدُّنيا وفي الأخْـرى نُثَابْ
بجنةِ الـفـردوسِ أعْـلى الـدَّرجـاتْ ... أنـتَ الكريمُ والمجيبُ الدَّعواتْ
صُحبةَ الاهْــلِ كلِّهمْ والاصْـدقَـا ... والأصْــلِ والفصْلِ جميعا مُطلقَا
ومــن تَـعـلَّـقَ بهــذِي السِّلسلَهْ ... قَــرُبَ أو بَـعُـدَ ذا فِي المَـنـزلَـهْ
صـــلَّى وســلَّـــــم عـــلى محـمـدِ ... والآل والـصَّـحـبِ وكــلِّ مُقْتدِ
مـــيـــم وزاي عـــدهـــا وتمــــتِ ... بصفر «هـــلَّ شِـتــا»[2] بالدوحة
أرجـــو بهـا بـــرورَ ذلــك السلفْ ... ودعـــــوةً صـالحـــةً مــن الخـلـفْ

(١) وهو مولاي إبراهيم بن مسعود، جد القلاقمة الذي قدم على شنقيط من منطقة قليميم بالغرب كما تقدم.

(٢) هذه الحروف أشير بها إلى تاريخ كتابة هذه المنظومة، وهي: ١٤٣٥ فالهاء خمس، واللام ثلاثون، والشين ألف، والتاء أربعمائة، والألف غير مشار بها لشيء بل هي ألف حرف التاء.

ونشير هنا إلى ان المشايخ عندنا كانوا يذكرون عن أسلافهم ان أقرب القلاقمة لهم نسبا في منطقة تكَانت وما جاورها، هم أهل الشيخ محمد فاضل، ونفس الشيء عند هؤلاء أيضا.

يقول الشيخ محمد عبد الرحمن بن امود بن عبدالله بن أبات رحمه الله – وقد أدركته شيخا كبيرا –: كنا مسافرين في أيام اشتعال حرب المقاومة الموريتانية للفرنسيين، فنزلنا بالصدفة ضيوفا على الشريف الفاضلي المجاهد المعروف بـ(وَجاهَ) شمال تكَانت، فقال من أنتم؟ قلنا نحن أبناء أبات، فقال: مرحبا تفضلوا، أخبرني والدي أنكم أقرب القلاقمة لنا في هذه المنطقة، ثم نحر لهم جزورا، وفي ذلك اليوم بدأت المعركة بينه وبين الفرنسيين... إلى آخر القصة[1].

وكان الشيخ الكبير اعلي الشيخ ابن امَّمَّ رحمه الله يأتي إلى التجار الموجودين في «أطار» من أهل ابات، ولا يخاطبهم إلا بكلمة (أولاْدْنَا) ويعزمهم عنده باستمرار، ومن الغريب أنه جاءهم ذات يوم بسيارته يريدهم للغداء – وكان هذا في بداية أمره قبل أن يحتجب عن الناس – فلما بدءوا في ركوب السيارة التفت إلى شاب معهم وهو ليس من صميم الأسرة ولكنهم أخواله ويسكن معهم، فقال: أهذا منكم؟ قالوا نعم، وتعجبوا من أمره. قلت: ولا غرابة في ذلك فإن الرجل كان ملهما رحمه الله تعالى.

ومثل هذه الحكايات كثير بين المشايخ والعلماء من الأسرتين، وشاهدنا كثيرا من ذلك بأنفسنا.

وأما الأسر النزارية فإنها تتوزع الان في عدة مناطق من البلاد فتوجد منها قرى مستقلة، مثل قرية دخلت السدر التابعة لمقاطعة الطينطان بولاية الحوض

(١) لم أسمع هذه الحكاية من محمد عبد الرحمن نفسه وإنما سمعتها من الثقات عنه..

الغربي وفيها عدة أسر مثل:

أهل بوب، وأهل الطلبه، وأهل العادل، وأسر أخرى.. ، ومثل: حاضرة أكلال بكاف معقودة مكسورة التابعة لمقاطعة بتيلميت بولاية الترارزه ، وفيها أسرة أهل الامين فال وأسر أخرى .

ومثل ذلك: قرى جماعتنا أهل ابات التي توجد في ولايات تكانت ولعصابه ونواكشوط.

وتوجد أسر أخرى تسكن مع بعض القبائل تربطها بها رابطة الخئولة والسكن مثل الأسر التالية :

١. أهل الطالب سيداحمد

٢. أهل النزاري وهما في منطقة النعمه

٣. أهل الربيع

٤. أهل محمود الله وهما في منطقة تنبدغه

٥. أهل سيداتي

٦. أهل الصابر وهما في منطقة كيفه

وتوجد أسر أخرى غير هؤلاء بعضها مندرج فيمن ذكر وبعضها مستقل لكن لم تحضرني الآن ، علما بأني لم أقصد في هذا الكتاب استقصاء الأسر النزارية، وإنما أردت ذكر نبذة عن علماء أسرة أهل ابات خاصة على وجه السرعة وبطريقة موجزة وسنبدأ في ترجمة والدهم العلامة أبات في الفصل الآتي بعون الله تعالى :

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة ابات وفيه أربعة وعشرون مبحثا

المبحث الأول: في اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: في ولادته ونشأته.

المبحث الثالث في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: في محظرته الأولى وكانت في منطقة آفطوط وما جاورها.

المبحث الخامس: في شيوخه والعلماء الذين التقى بهم.

المبحث السادس: في علاقته بأمراء منطقته.

المبحث السابع: في رحلته العلمية إلى المشرق.

المبحث الثامن: في عودته بمكتبته الكبيرة.

المبحث التاسع: في انتقاله إلى مدينة (كصر البركة) بطلب من زعيمها وفيه نبذة عنها وعن سكانها وتاريخ أسرة أهل ابات مع أسرة أهل امحمد بن أحمد.

المبحث العاشر: في محظرته الثانية في (كصر البركة)وشمال تكَانت ونشره للعلم في تلك الربوع.

المبحث الحادي عشر: في تحوله إلى واحة الرشيد وشمال تكَانت
وما قاله أحفاده في تلك المناطق من الأشعار.

المبحث الثاني عشر: في إنتاجه العلمي.

المبحث الثالث عشر: في اهتمامه بطلابه وجيرانه وعامة المسلمين.

المبحث الرابع عشر: في رسالة إصلاحية وعظية أرسلها لبعض جيرانه.

المبحث الخامس عشر: في التعليق على هذه الرسالة وذلك في عشرة محاور

المبحث السادس عشر: في أخلاقه وزهده.

المبحث السابع عشر: في وصاياه لأبنائه.

المبحث الثامن عشر: هل يجوز إعطاء الزكاة للشرفاء.

المبحث التاسع عشر: في أهم الدروس التي تستفاد من حياته رحمه الله.

المبحث العشرون: في طلابه الذين تخرجوا من محظرته الأولى والمحاظر التي انتشرت منها.

المبحث الحادي والعشرون: في طلابه الذين تخرجوا من محظرته الثانية والمحاظر التي انتشرت منها.

المبحث الثاني والعشرون: في بيان أن محظرته بشقيها تعتبر من أمهات المحاظر في موريتانيا وكتابات بعض العلماء الأجلاء في ذلك.

المبحث الثالث والعشرون: في أبنائه وكيف واصلوا مشواره من بعده.

المبحث الرابع والعشرون: في وفاته ومكان قبره ومراثيه.

المبحث الأول
في اسمه ونسبه

هو العلامة الجليل الطالب أبات بن الطالب أحمد جدّوُ النزاري القلقمي، وكلمة (الطالب) في عرف الشناقطة قديما يراد بها العالم أو الشيخ، فهي ليست جزءا من الاسم بل هي لقب فقط وإنما الاسم الأصلي (أبات) أو (محمد ابات) فقد كان يكتب لنفسه كلامنهما، فقد اقتصر على الأول في رسالته الإصلاحية التي ستأتي في المبحث الرابع عشر من هذه الترجمة، إن شاء الله تعالى، إذ كتب في نهايتها: والسلام كما بدأ يعود. أبات بن الطالب احمد جدُّ.

واقتصر عليه كذلك في نهاية مخطوط في قراءة حمزة والكسائي وقد كتب في آخره: كتبه لنفسه: أبات بن الطالب أحمد جدُّ.

ونجده في نهاية «شرح ابن عقيل على الألفية» كتب لنفسه: محمد أبات بن الطالب أحمد جدو بن الطالب مختار بن الطالب عبدالله النزاري نسبا التاكاطي وطنا.

وكذلك في نهاية كتاب «إنشاد الشريد من ضوال القصيد»، شرح الشاطبية، لابن غازي المكناسي، كتب في آخره:

انتهى بعد عصر يوم السبت الأخير من رمضان سنة إحدى عشر ومائتين بعد الألف على يد غير واحد، وآخر من خط فيه مستكتبهم: محمد ابات بن الطالب أحمد جد...».

وهذه الخطوط كلها موجودة بحوزتنا وهي بحالة جيدة لله الحمد.

وقوله النزاري: أي نسبة إلى فخذ النزاريين (النوازير) وهو فخذ من القلاقمة معروف، منسوب إلى نزار بن يحي القلقمي الموجود في سلسلة النسب المتقدمة، وقد كان والد العلامة أبات، وهو العلامة الطالب أحمد جدو[1] قدم في الثلث الأول - تقريبا- من القرن الحادي عشر الهجري، من منطقة قبيلته آنذاك في الموضع المسمى (باغنه) جنوب الحوض الشرقي، وسكن في قبيلة تاكاط[2] (في شمال آفطوط) وتزوج امرأة اسمها: خديجه بنت الطالب محم، من قبيلة تنواجيو وأمها من قبيلة تاكاط من فخذ إدواش، ولهذا كان العلامة أبات يكتب: (التاكاطي وطنا)[3].

---

(١) الطالب أحمد جدو هذا أبوه الطالب مختار كما تقدم، وأمه من أولاد بالسبع من فخذ الدميسات، الذين توجد لهم حاضرة قديمة في جنوب تنبدغة على بعد ٥٤ كيلو وفي هذه الحاضرة محظرة أهل احمد معلوم المشهورة.

(٢) تاكاط قبيلة من الزوايا مشهورة بالعلم والفضل، وتنتمي إلى أبي دجانة الأنصاري وهي تتشكل من عدة بطون هي:

١ - أولاد بوخيار

٢ - أهل اعويسه

٣ - أهل الطالب محم

٤ - أهل الطالب ابراهيم

وهذه البطون الأربعة يضمها فخذ أولاد يوسف

٥ - أهل الصديق

٦ - إدواش

٧ - إدينب

وتجتمع في جدها الأعلى محم التقاض انظر ابن حامدٌ ١٠ / ٢٧ وإمارتا إدوعيش ومشظوف بتحقيق إزيد بيه ص: ١٨٢ وحياة العلامة أواه بن الطالب إبراهيم للأستاذ محمدو بن الأمين ص ٢١.

(٣) مشكاة المهاد في مناقب الأجداد للوالد أحمد بن محمد محمود، ص ١٤- ١٥ مخطوط.

ثم نلاحظ أنه بعد انتقاله إلى كصر البركة وتوطنه في تكَانت[1] ترك كتابتها، لأنه فعلا خرج عن أرض تاكاط، وإن كانت العلاقة بينه وبينهم ظلت قوية، ولا تزال كذلك في طبقات الأحفاد.

ثم نعود إلى موضوعنا فنتكلم عن مولده ونشأته في المبحث الآتي:

---

(١) تكَانت بكاف معقودة كلمة بربرية معناها الغابة، وهي أرض مرتفعة في وسط بلاد موريتانيا، وهي تقع بين الخط والركيبة،جنوبا وشمالا، وبين أكان وأدافر مشرقا ومغربا، انظر الوسيط ص: ٤٢٨ فما بعدها.

المبحث الثاني
في ولادته ونشأته

ولد العلامة أبات رحمه الله تعالى في حدود سنة: ١١٥٩هـ في منطقة تسمى التجال شمال آفطوط وهي أرض تسكنها قبيلة تاكاط، القبيلة المعروفة بالفضل والعلم وحسن الجوار، وهي القبيلة التي توطنها أبوه الطالب أحمد جدو بعد قدومه من جنوب الحوض الشرقي كما أسلفنا.

وتربى في حضن والده العلامة الطالب أحمد جدو صاحب الكرامات المأثورة[١]، الذي كانت تلتف حوله محظرة كبيرة ورثها عن أجداده، حتى كانت أسرته تسمى باسم (الطلبه) وهذا الاسم أو اللقب في عرف أهل البلد لا يكون إلا لأسرة الشيخ الكبير المورود، وقد بقي هذا اللقب لابنه الأصغر الطالب عبد الدايم بن الطالب أحمد جدو، ثم انتقل اللقب لأصغر أبناء هذا الأخير، وهو: محمد احمد بن الطالب عبد الدايم وهو (محمد احمد بن الطلبه الكبير) ثم استمر ذلك الاسم في أسرته من بعده وهي أسرة الطلبه المعروفة عندنا الآن.

(١) من كراماته الثابتة أنه كان ذات ليلة سارٍ في بعض أسفاره ومعه رجل يرافقه إذ سمعا صوت صارخ يستغيث، فأتياه فإذاهم قوم تجار أخذهم لصوص وأوثقوهم ليقتلوهم، وكانت بيد العلامة الطالب احمد جدُّ عصا، فأخذ بيد كبير اللصوص وقال له انظر: ثم نفخ في العصا فاشتعلت فيها النار، فقال له: والله إن لم تخلِّ سبيلهم لتأكلنك النار كما أكلت هذه العصا، فذعروا وخلوا سبيل القوم. انظر واضح البرهان، مخطوط ص: ٢٦.

وتربى العلامة أبات رحمه الله في ذلك الوسط العلمي والديني فحفظ القرآن في صغره ولما بلغ مبلغ الرجال وبدأ في طلب العلم توفي والده رحمه الله تعالى ودفن بموضع يسمى: (بجنكل) - وهو يقع في الوادي الأبيض جنوب مقطع لحجار بولاية لبراكنه - وقبره معروف هناك، وقد تركه بين أخويه: الطالب عبد الدايم وعبد الرحمن الملقب (عبدي)، وأختيه: الناصرة واجْواده، فأما أخوه عبد الرحمن الملقب (عبدي) فتوفي في شبابه وليس له عقب[١]، وأما الطالب عبد الدائم فستأتي ترجمته في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى، وأما الناصره فهي أم أسرة «العيل» «أهل الشيخ بن امني» وأما اجواده فهي أم أسرة أهل محمد ابات[٢] ثم بدأ العلامة أبات في هذه الفترة في طلب العلم خارج المنطقة كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

(١) مشكاة المهاد في مناقب الأجداد مصدر سابق ص: ١٤- ١٥.

(٢) نقلت ذلك من الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الدايم.

المبحث الثالث
في دراسته وطلبه للعلم

وفي هذه الفترة بدأ في طلب العلم خارج المنطقة فتوجه إلى العلامة الكبير: الطالب احمد بن محمد رار التنواجيوي [١] في منطقة (أفلَّ) شرقي ولاية لعصابة، وكانت له محظرة هناك تدرس فيها كل المتون المحظرية بإتقان، فهو نحوي ومنطقي بارع، له شرح على الألفية، وكان متخصصا في الفقه، عرف عنه تشبثه بمختصر خليل، وله عليه طرة تعرف باسم (الرارية) نسبة إلى المؤلف، وقد كان الطلاب يحفظونها مع متن المختصر، وهي مع هذا غير معتمدة، لأن التلاميذ نقلوها بالمعنى، فلم يصحح على المؤلف منها إلا القليل، ولهذا قال النابغة الغلاوي في نظمه للكتب المعتمدة (بوطليحية):

قلت ورب جاهل التقاضي	يفتي الورى بطرة ابن القاضي
وطرة ابن رار والخطاط	فكان في غاية الانحطاط

عن رتبة التصحيح والتمريض..إلخ [٢].

---

(١) هو العلامة الجليل الطالب محمد بن محمدرار التنواجيوي شيخ محاظر أفله، كان من بحور العلم، وكان معظم وقته في تدريس الطلاب، وله عدة مؤلفات، منها شرحه لألفية بن مالك، وطرته على مختصر خليل المعروفة بالرارية، وله غير ذلك، وتخرج على يديه كثير من العلماء، توفي سنة: ١٢١٠هـ فتح الشكور ص ١١٧ – ١٢٠.

(٢) نظم بوطليحية مع تعليق د يحي بن البراء ص: ١٠١.

يعني أن هذه الطرر لا يعتمد عليها في الأفتاء ولا القضاء، وأن من اعتمد عليها يكون منحطا عن رتبة التصحيح والتضعيف، لأنها لم تصحح على أصحابها كما ينبغي.

وهكذا بدأ العلامة أبات رحمه الله دراسته على ذلك الشيخ الكبير، ضاربا في كل فن بسهمه، تصحبه في ذلك، دراية قوية، وهمة عالية، فأخذ عليه الإجازة في القراآت السبع ، ثم تابع عليه قراءة المتون المحظرية كمتون النحو والفقه والأصول وغير ذلك، وكانت همته العالية تدفعه إلى التخصص في كل العلوم، ويتضح لنا ذلك من خلال بيتين قالهما رحمه الله تعالى في هذه الفترة، يُثَبِّتُ فيهما نفسه ويشجعها على الصبر والاستمرار في مشوار التعليم الطويل الشاق وهما:

يا نفس صبرا على ما كان من نُوبِ   فقل من يدرك المنى بلا تعب
إن المخدر من كل العلوم هنا   من نحوه وفنون الفقه والأدب

ثم واصل دراسته في هذه المحظرة واستمر فيها طيلة أربعة عشر عاما، وفي أخريات هذه الفترة، أمره شيخه بإقراء الطلاب إيذانا بتخرجه[1]. وكان ذلك منهجا متبعا عند المشايخ في البلد، فإذا أمر الشيخ أحد طلابه الكبار بتدريس الطلاب، فكأنه يشعره هو ومن حوله بأنه أصبح شيخا جاهزا للتدريس وإقامة محظرة مستقلة، ولما قرر الانتقال من تلك المحظرة تبعه كثير من طلابها – وهذا يدل بوضوح على أنه صار شيخا بارعا في تلك العلوم، – ثم بدأ في إنشاء محظرته الأولى والتي سنلقي عليها الضوء في المبحث الآتي:

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق ٣٠ – ٣١.

المبحث الرابع
في محظرته الأولى
وكانت في منطقة آفطوط وما جاورها

ولما انتقل من محظرة العلامة الطالب احمد بن محمد رارالتنواجيوي، تبعه بعض طلابها، واستقر بهم فترة في منطقة «كامور» في حي من الجكنيين بعد إلحاح منهم ومناشدته أن يقيم معهم، وفي هذه الفترة تزوج بزوجته الأولى وهي خديجة بنت الطالب بن مينحن الجكني[1] – وكانت قد تزوجت قبله ولها ابنان هما: الشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي، وأخوه محمد، – ثم ولد له منها ابنان هما: الشيخ عبد الرحمن، وعبد القادر الملقب (الدادَ)، وقد ولد الشيخ عبد الرحمن في منطقة (باركيول) مما يدل على أنهم في هذه الفترة ربما نزلوا بأرض آفطوط.

واستمرعلى ذلك عدة سنوات وتخرج عليه جيل من العلماء، والتف حوله كثير من الناس من قبائل شتى، وكان يطلق عليهم: (كَوْرَارَتْ أبات) وهي مشتقة من التكور والتدوير فهم محيطون به، وحوله لأغراض شتى، فمنهم من يخدمه، ومنهم من يطلب عليه العلم، ومنهم من يحتمي به من الظلمة، فقد كان للعلماء آنذاك – مع ما تعيشه المنطقة من قلة أمن وفوضى مخيفة – احترام وتقدير كبير في أوساط العامة والخاصة، فلله الفضل والمنة.

(١) أولاد طالب فصيل محترم، من فخذ أولاد ابراهيم الجكني وهم يسكنون في منطقتي كامور وباركيول.

وقد كانت حياة الشناقطة في هذه الفترة تتسم بكثرة الترحال والتنقل من مكان إلى مكان، يستوي في ذلك العلماء وغيرهم، وكان العلامة أبات رحمه الله يعيش ذلك الجو العام، فنجد ابنه الأكبر الشيخ عبد الرحمن يولد في منطقة (باركيول) ونجد أمه مدفونة في منطقة (جوك) في الموضع المسمى (نناكه) بكاف معقودة، مما يدل على أنه كان يأخذ قسطا من الترحال كغيره.

وفي أخريات هذه الفترة عاد إلى منطقة أبيه وسكن مع أخواله تاكاط في موضع يسمى لتفتار وضواحيه، وكانت له فيها مزارع تحصد منها الحبوب بكثرة في كل موسم، وكان ذلك بإشراف أحد طلابه وهو: عبدالله الكوري، الذي أشرف قبل ذلك على إحياء تلك المزارع بأمر من شيخه، بعد أن كانت أرضا مواتا مكسوة بغابات مغلقة، وهذه الأراضي في منطقة «لتفتار» ومنطقة «اجونكي» موجودة إلى يومنا هذا، وهي معروفة لدى سكان المنطقة ومحترمة، فبعضها عرايا على أناس ينتفعون بها، وبعضها كان بيد أجراء يستغلونها عن طريق المزارعة، ووثائقها محفوظة بأيدي الأحفاد[١].

(١) هذه الوثائق بعضها يبين حدود هذه الأرض، ومعها بعض الكتابات التي فيها إثبات العرية لأناس ينتفعون بها وبحوزتنا بعض هذه الوثائق.

المبحث الخامس
في شيوخه والعلماء الذين التقى بهم

لقد درس العلامة أبات القرآن ومبادئ العلم الشرعي على والده العلامة الطالب أحمد جدُّ، ثم كان معظم دراسته على شيخه الطالب أحمد بن محمد رار التنواجيوي كما تقدم، وبعد ذلك التقى ببعض كبار علماء البلد فمن هؤلاء:

- العلامة المختار ابن بون الجكني.
- والعلامة سيدي عبدالله ابن الحاج إبراهيم العلوي.
- والعلامة الشيخ سيد المختار الكنتي.

لقاؤه بالعلامة المختار بن بون(1):

أما لقاؤه مع المختار بن بون فقد تم بطريقة غير عادية، لقد أرسل العلامة أبات هدية من ثياب وبقرات إلى العلامة ابن بون وبعد فترة تقارب السنة، قرر

---

(1) هو العلامة الجليل: المختار ابن محمد سعيد الجكني المشهور بالمختار بن بون صاحب المؤلفات النافعة قال عنه صاحب الوسيط: ولا يوجد بعده عالم إلا وله عليه الفضل الجزيل بما استفاد من مصنفاته، ومن مصنفاته احمراره وطرته على الألفية المسمى ب (الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة) وقد نظم فيه ابن بون ما بقي من كتاب التسهيل عن الألفية، ويتضح ذلك من خلال اسم الكتاب، و منها: تبصرة الأذهان في علم المعاني والبيان، في علم البلاغة، نظم فيه تلخيص المفتاح، ومنها: وسيلة العسادة، في العقيدة، وله غير ذلك عاش ابن بون فترة طويلة ينشر العلم بالتدريس والتأليف، وتوفي سنة: ١٢٢٠ بعد عمر مديد اختلف في قدره بين ١٢٠ أو ١٤٠ سنة، وقيل مائة ونيفا والله أعلم انظر ترجمته في الوسيط ص ٢٧٩- ٢٨٤، وفتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص:٢٥٤- ٢٥٦.

أن يزوره فتوجه إليه غداة يوم من عند أهله قرب «لتفتار»، غرب «المجرية» والعلامة المختار يومئذ في ضواحي «بوتلميت» وبين المنطقتين ما يقارب ٣٠٠ كيلومتر، وفي ضحوة ذلك اليوم التقيا في مكان مَّا، وتحدثا لبعض الوقت، فقال العلامة المختار للعلامة أبات: منذو وصلتنا هديتك في السنة الماضية وأنت تتابع علينا الدراسة، والآن فارجع إلى أهلك راشدا ودرس طلابك، ثم قم فيما بعد بزيارة لتلميذ البيان يعني بذلك: سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم - وهو تلميذ المختار، وكان يلقبه بهذا اللقب، ثم عاد العلامة أبات في ذلك اليوم إلى أهله، والله على ما يشاء قدير[١].

لقاؤه مع العلامة سيد عبدالله بن الحاج ابراهيم[٢]:

وأما زيارته للعلامة سيدي عبدالله فقد تمت بإشارة من العلامة المختار كما تقدم، فقد ذهب إليه وأمضى معه أسبوعا، وجرت بينهما مذاكرات في مسائل متعددة فأعجب كل منهما بالآخر قال العلامة سيد عبدالله مشيدا بالعلامة أبات: سيبلغ هذا الرجل في العلم مبلغا لم يبلغه الرجال، وفي هذا اللقاء استفاد كل منهما من الآخر، فقد قال العلامة سيدي عبدالله: لقد ازددت في معرفة

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق: ٣٢ - ٣٤.

(٢) هو العلامة الجليل سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي، أخذ العلم في بلده عن أئمة منهم: المختار بن بون الجكني وأخذ عن العلامة محمد البناني بفاس، حج ومكث فترة في القاهرة، وأكرمه أميرها محمد علي باشا، وأعطاه فرسا من عتاق الخيل التي تسمى ب(اكحيلات مصر) فاشترى بها كتاب الحطاب (مواهب الجليل على مختصر خليل) ومكث تسع سنوات في المغرب، ثم عاد إلى بلده ونشر فيه العلم وألف مؤلفات كثيرة مفيدة جدا منها: مراقي السعود، وشرحه نشر البنود في أصول الفقه، ومنها: نور الأقاح وشرحه فيض الفتاح، في علم البلاغة، ومنها: طلعة الأنوار وشرحه هدي الأبرار، في مصطلح الحديث، ومنها نوازله المشهورة وغير ذلك. توفي رحمه الله سنة: ١٢٣٣ أو ١٢٣٥ هـ الوسيط ٣٨- ٤١ الأعلام للزركلي (٤ / ٦٥) ومقدمة نشر البنود للشيخ محمد الامين بن محمد بيب ١/ ٢٢-٢٤

باب الإجارة من خليل بعد لقاء العلامة أبات هذا، فرحم الله الجميع[١].

لقاؤه مع الشيخ سيد المختار الكنتي[٢]:

وأما لقاؤه للعلامة: الشيخ سيد المختار الكنتي فقد تم في فترة مروره أي العلامة أبات على منطقة أزواد في رحلته إلى المشرق، وقد احتفى كل منهما بالآخر، وسأل العلامة أبات الشيخ سيد المختار أسئلة كثيرة في مواضيع مختلفة، أجاب عنها الشيخ سيد المختار بأجوبة مكتوبة تسمى: الأجوبة الأباتية وتقع في جزء كبير[٣]. وقد بدأ أجوبته بعد الحمد والصلاة على النبي ﷺ بقوله: هذا وإني تصفحت سؤالك أيها النحرير الهمام، فإذا هو متضمن مسائل من فرض العين لايُستغنى عن كشف النقاب عنها لمن خالطه فيها بعض الإيهام.... إلى آخره [٤].

وأما لقاؤه للمشايخ من خارج البلد فقد لقي في رحلته العلمية إلى المشرق علماء كثيرين في الجامع الأزهر بمصر، وفي جامع الزيتونة بتونس، وكذا في المغرب، ومن هؤلاء العلامة المقرئ سيدي أحمد الهلالي الفلالي المغربي، والذي أجاز العلامة أبات في القراءات السبع. رحمهما الله تعالى[٥].

---

(١) مشكاة المهاد مصدرسابق ص: ٣٥.

(٢) هو شيخ الشيوخ الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي كان من العباد والزهاد يأتيه المريدون من كل فج، وله تآليف كثيرة، منها: «تفسير البسملة»، و «تفسير الفاتحة» و«نضار الذهب في كل فن منتخب» و «وشرح المقصور والممدود» لابن مالك. وله غيرذلك. توفي سنة: ١٢٢٦هـ انظر فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: ١٤١– ١٤٢ وإمارتا إدوعيش ومشظوف للشيخ باب بن الشيخ سيدي ص ١٢٤.

(٣) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ: المأمون محمد أحمد سنة ١٤٠٩.

(٤) الأجوبة الأباتية ص ١٠ مصدر سابق.

(٥) مشكاة المهاد مصدر سابق ص: ٣٥.

المبحث السادس
في علاقته بأمراء منطقته

(علاقته بإمارة إدوعيش)

لا شك أن عالما مثل العلامة أبات له أتباع يحتمون به، وطلاب متوافرون في حوزته العلمية، ستكون له علاقات بأمراء منطقته، لا سيما وهو يعيش في بلدة لا تحكمها دولة توفر الأمن للناس، بل تقتسمه إمارات وقبائل شتى، تشتعل الحروب بينها تارة وتهدأ أخرى، وقد كان العلامة أبات في هذه الفترة يعيش قرب إمارة إدوعيش في تكَانت وذلك في فترة أميرها آنذاك امحمد شين بن بكار، وابنه: محمد بن امحمد شين، وكانت إذ ذاك في أوج قوتها، وقد ذكرنا لمحة عن هذه الإمارة وتاريخها في بداية هذا الكتاب [1]، وفي تلك الفترة كان أهل العلم يتمتعون باحترام كبير، حتى كان يقال في المثل الشعبي: (العيش الاَّ تحت الركاب، والَّ تحت الكتاب).

يعني أنه لا يتمتع بالعيش الكريم إلا من كان تحت حماية القوة العسكرية (الركاب) أو تحت حماية السلطة العلمية والدينية (الكتاب).

وقد تم اللقاء بين العلامة أبات وأمير إدوعيش آنذك وهو محمد بن امحمد شين، وكان لقاء مهما، مهد لإبرام علاقات وطيدة بين الرجلين استمرت في أحفادهما إلى اليوم وإلى ما شاء الله من بعد.

---

(١) انظر النقطة الثانية: في الظروف السياسية التي كانت تحيط بالمحظرة.

وكان سبب اللقاء بينهما أن أتباعا للأمير أخذوا أغناما لامرأة من أتباع العلامة أبات، ويقال إن أصل المرأة من إدوعيش أو لها علاقة بهم، واشتكت إليه تلك المرأة ما حدث، فذهب العلامة أبات لاسترجاع أغنام المرأة التي تحتمي به، ولسان حاله يقول:

أراك علقت تظلم من أجرنا وظلم الجار إذلال المجير(١)

فحصل اللقاء بينه وبين الأمير، فلما تراجعا الكلام، قال الأمير وأحد النظر إلى العلامة أبات يا صاحب النوازير: ما الذي جعلك تراجعني في شأن امرأة من أتباعي؟

وفي هذه اللحظة تدخل القدر الإلهي، فحُجِب الكون كله عن الأمير وبقي في ظلام دامس، فاندهش الحاضرون لذلك، وحينها تعلق الأمير بأذيال العلامة أبات وبدأ يناشده، أن يدعو الله له ليكشف عنه مابه، وأنه في المستقبل سيكون طوع إشارته وفي خدمته دون حدود، فتوجه العلامة أبات بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عن الأمير ما ألم به، فاستجاب الله دعاءه فعاد كما كان، وهذا لا يستغربه من يعلم قدرة الله المطلقة(٢).

وسُرَّ الأمير بما حصل، ووقع هذا الأمر منه موقعا عظيما وصار العلامة أبات عنده في منزلة لا يعلى عليها، وأغدق عليه الهدايا من الذهب وغيره، فأخذ بعضها ورد البعض.

ومن هنا بدأت تتشكل علاقات وطيدة بين الرجلين ضاربة الجذور تمسك بها أحفادهما إلى يومنا هذا.

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١ / ٣٨٦).

(٢) مشكاة المهاد المصدر السابق بتصرف: ص ٣٥.

وكان من بين بنود تلك العلاقة أن يكون أحفاد الأمير في خدمة أحفاد العلامة أبات، وأن من أخل منهم بذلك تسقط درجته ويصغر شأنه ويتلاشى أمره، وقد جرب ذلك فيما بعد، والله غالب على أمره[1].

وقد كان أمراؤهم يهتمون بهذا الجانب ويعلنونه فيقولون لأحفاد العلامة أبات: «إن الذي بأيدينا لا نملك منه شيئا إلا بعد أن تأخذوا أنتم منه ما تريدون»[2].

ومن بنود تلك المعاهدة كذلك أن يكون أحفاد العلامة أبات يُسْدون النصح والإرشاد لأحفاد الأمير، ويوجهونهم إلى ما يرضي الله تعالى، ويساندونهم بالدعاء في الأزمات والظروف الحالكة.

وقد وفَى كل منهما ولله الحمد بما وكل إليه، وتوجد حكايات كثيرة لدى الطرفين في هذا الاتجاه.

---

(١) فقد استجاب الله لهما ذلك الدعاء، وقد كانا من أفضل أهل زمانهما، فإن العلامة أبات كانت حياته كلها عبادة لله تعالى وصاحب كرامات مشهورة، والأمير محمد بن امحمد شين كان أميرا عادلا، وكان مواظبا على فضائل الأعمال، حتى إنه كان لا يتكلم بعد صلاة الفجر إلى الشروق، واشتهر عنه ذلك، ومما يحكى في ذلك من نوادر الرجل الصالح أحمد بن سيدي المباركي - وكان صاحب ملح ونوادر -، أن جماعة من إدوعيش قالوا له نجعل لك جعلا على أن تحمل الأمير محمد على الكلام قبل طلوع الشمس، فأمهله حتى جلس في مصلاه بعد صلاة الفجر مستقبلا، مقبلا على الذكر، ومراح حلائب إبله أمام وجهه، وهي في مباركها قبل أن يقوم الراعي إلى حلبها صباحا، فضرب ناقة منها برجله حتى قامت فحل عنها شمالها وترك حوارها يرضعها، فقال له الأمير محمد:سبحان الله رافعا بها صوته، ليزجره عن ذلك، فلم يلتفت إليه، وتخطى إلى أخرى وفعل بها مثل ذلك، فقال له محمد:سبحان الله بأرفع من صوته الأول، فلم يلتفت إليه وتخطى إلى الثالثة ليفعل بها كذلك، فناداه الأمير محمد:«يا أحمد لسيد اخْلَيْتْنَ يخْل أهْلَكْ» أي جعلتنا خلاء مما عندنا وأدخلت علينا الضرر، أصاب الله أهلك بمثل ذلك. انظر: إمارتا إدوعيش ومشظوف ص: ١٤٣.

(٢) وممن كان يقول ذلك ويعلنه الأمير عثمان بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى.

ونحن نذكر هنا حكاية جرت في أيام الأمير بكار بن اسويد احمد والعلامة أحمد بن أبات رحمهم الله تعالى.

وهي: أن الأمير بكار اشتعلت بينه وبين إمارة آدرار حروب طاحنة، أشرنا إليها سابقا، وتلقَى الأمير بكار فيها هزائم متتالية،كيوم (آرزاك) ويوم (الطرطيكه)ويوم (امراير حمدون)ويوم (لحنوك) قرب كصر البركه، وكلها في سنة: ١٣٠٩هـ[1].

وفي إحدى هذه الوقائع ولعلها يوم لحنوك، كاد أن يقع في قبضة أعدائه، وتمزق جيشه، وصار في غاية الإعياء، فقال لمن معه وهم أفراد قليلون: دعونا نذهب إلى أشياخنا أهل ابات فنحن الآن قد وصلنا إلى شبه النهاية، فوجدوا جماعة أهل ابات في مسجدهم شمال كصر البركة يصلون العصر، فأخبرهم الأمير بكار بالأمر كله، وقال لهم وهو على فرسه: نحن انتهينا والأسباب أعجزتنا والأمر إليكم.

فقام العلامة أحمد بن أبات وتلا قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء:٦] ثم كرر الآية ثلاثا داعيا بها وقال لجماعة المسجد: أمِّنوا. فارتجت جوانب المسجد بالدعاء والتأمين، فلما رأى ذلك الأمير بكار، ضرب فرسه وقال لأصحابه هلموا فقد نصرنا.

وفعلا تمت بعد ذلك وقعة (فرع الكتان) سنة: ١٣١٠ هـ بينه وبين إمارة آدرار فنصر فيها نصرا مدويا، ولم تطلق بعد ذلك رصاصة بين الطرفين[2].

قلت: والاستنصار بدعاء الصالحين في الحروب وفي الشدائد ولأزمات، أمر معروف ومأثور عن السلف، فإن النصر إنما هو من السماء.

---

(١) إمارتا إدوعيش ومشظوف مصدر سابق ص: ١٥٤.

(٢) الحكاية مشهورة عند مشايخنا رحمهم الله.

جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر أن قتيبة بن مسلم غزا وفي جيشه محمد بن واسع – وكان من العباد الأتقياء – فأصابتهم شدة حتى خافوا على أنفسهم الهلاك فقال قتيبة: ويلكم انظروا محمد بن واسع، فوجدوه في صحراء قائما على ركبتيه يدعو ويشير بأصبعه، فأخبر بذلك قتيبة فقال: احملوا على القوم فإن الله لا يضيع جيشا فيهم محمد بن واسع، فقال بعض رؤساء العسكر: إنا لم نر عند هذا الرجل الذي طلبت كثير قوة، إنما كان يدعو ويشير بأصبعه، فقال قتيبة كلمته المشهورة:

«والله لأصبع محمد بن واسع التي يشير بها أحب إلي من ألف فارس»[1].

وصدق قتيبة رحمه الله فإن الدعاء المستجاب لا يقوم له شيء، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

علاقته بشيوخ قبيلة كنته:

وقد قامت علاقات وطيدة كذلك فيما بعد بين العلامة أبات وشيوخ قبيلة كنتة في تكَانت مثل (شيوخ أولاد سيد حيبلله) – بتفخيم اللام – في (كصر البركة) وهم: أحمد بن محمد وأبناؤه، ومثل شيوخ (أولاد سيد الوافي) بالرشيد، وهم: (ابناء امينوه)، لكن هذه العلاقات كانت بعد قدومه من رحلته العلمية التي سنتكلم عنها في المبحث الأتي، وعليه فسيتم الكلام عن هذه العلاقات في المبحث التاسع بعد الكلام عن رحلته وعودته، لنحافظ على تسلسل الأحداث التاريخية في حياة هذا الشيخ الجليل.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ١٤٢).

المبحث السابع
في رحلته العلمية إلى المشرق

تعتبر الرحلة العلمية في حياة العلماء الكبار أمر في غاية الأهمية، وهي سُنة متبعة لديهم والأصل فيها رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر، المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾[الكهف:٦٠] الآيات.

وقد رحل بعض الصحابة من مسافات بعيدة في طلب حديث واحد.

فهذا جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَدِيث سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ قَالَ: فَابْتَعْتُ بَعِيرًا فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى أَتَيْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عبدالله بْنُ أُنَيْسٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ إن جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيَّ الرَّسُولُ فَقَالَ: جَابِرُ بْنُ عبدالله؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْمَظَالِمِ لَمْ أَسْمَعْهُ فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوت أَوْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ «يَحْشُرُ الله الْعِبَادَ أَوْ قَالَ يَحْشُرُ الله النَّاسَ – قَالَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ – عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، قَالَ: فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَد مِنْ أَهْلِ النَّار يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَحَد مِنْ أَهْلِ

الجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَة، قَالَ: قُلْنَا كَيْفَ هُوَ؟ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ تَعَالَى عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». رواه أحمد[١].

وهذا أَبُو أَيُّوبَ الأنصاري يخرج من المدينة إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ، سَمِعَهُ مِنْ، رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَى مَنْزِلَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ فَأُخْبِرَ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ قَالَ: حَدِيث سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُ عُقْبَةَ فَابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِ عُقْبَةَ، فَأُخْبِرَ عُقْبَةُ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ فَقَالَ: حَدِيث سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فِي سِتْرِ الْمُؤْمِنِ. قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ[٢] سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَا أَدْرَكَتْهُ جَائِزَةُ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ إِلَّا بِعَرِيشِ مِصْر[٣].

ورحل كذلك أئمة التابعين فمَن بعدهم مسافات طويلة للازدياد من العلم، فهذا سيد التابعين سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ يقول: إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ[٤].

وعَنِ الشَّعْبِيِّ أنه قَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ فَحَفِظَ كَلِمَةً تَنْفَعُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ عُمُرِهِ رَأَيْتُ أَنَّ سَفَرَهُ لَا يَضِيعُ.

---

(١) مسند أحمد الحديث: (١٦٠٤٢).

(٢) أي عورة.

(٣) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ١١٩).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٥ / ١٢٦).

وقال الأمام أحمد بن حنبل ما بقيت حاضرة اشتهر فيها الحديث إلا دخلتها.

وقيل لعبدالله بن المبارك - وهو إما م يرحل إليه -: إِلَى مَتَى تَكْتُبُ العِلْمَ؟ قَالَ: لَعَلَّ الكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَكْتُبْهَا بَعْدُ[1].

ورحلات الأئمة في طلب الازدياد من العلم لا تحصى لما لهم من علو الهمة والتضحية في حفظ الدين.

وقد كان لعلماء الشناقطة نصيب وافر من هذه الرحلات العلمية فقد كانوا يرحلون إلى المشرق للتزود من العلوم التي لم تكن لديهم ولنشر ما لديهم من العلوم، فمنهم من يبقى في المشرق حتى يموت[2]، ومنهم من يرجع إلى بلده حاملا معه علما جما وكتبا كثيرة ليزود ذلك القطر النائي بالعلم والمعرفة[3]، وهذا هو دأب أئمة السلف، فقد كان أحدهم إذا حصَّل علم بلد ذهب إلى البلاد الأخرى ليضم علومها إلى مخزونه المعرفي، قال العلامة سيدي عبدالله في طلعة الأنوار:

والمصر لازم متقنيه تسعد وارحل إذا حصلت علم البلد[1]

فكانوا يتجشمون أسفارا شاقة من بلادهم النائية مرورا بتلك الصحاري القاحلة والمهامه الشاسعة، لا تثنيهم تلك الصعوبات عن أهدافهم باذلين أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم من أجل خدمة دينهم فهم أصحاب رسالة، ومن

---

(١) المصدر السابق: (٧/ ٣٨٣).

(٢) مثل العلامة محمد حبيب الله بن مايابى الجكني صاحب زاد المسلم - المتوفى بالقاهرة سنة: ١٣٦٣. الأعلام للزركلي (٦/ ٧٩).
وكأخيه العلامة محمد الخضر بن ما يابى - صاحب كوثر المعاني الدراري على كشف خبايا صحيح البخاري - المتوفى بالمدينة سنة: ١٣٥٣ هـ الأعلام للزركلي (٦/ ١١٣).

(٣) مثل العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي - صاحب مراقي السعود - المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ وكالعلامة أبات، الذي نتحدث عنه في هذا الباب.

(٤) هدي الأبرار على طلعة الأنوار ص: ١٥٧.

كان صاحب رسالة لا يبالي بالصعوبات التي تعترضه أيا كانت، حتى يحقق هدفه أو يموت في سبيله.

فكانت آثارهم بادية في البلاد التي دخلوها، فمثلا كانوا أحيانا يمرون بدولة السودان، وقد تركوا في هذا البلد آثارا لا تزال موجودة في نفوس السودانيين وفي ثقافتهم حتى الآن، وحتى ضربوا بهم الأمثال.

فأذكر أني كنت ذات ليلة من صيف سنة: ١٤٢٦ هـ أقوم بدرس في دورة تقيمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر في الدوحة، وفي الحضور جنسيات متعددة، ولما انتهى الدرس والأسئلة التي بعده، وقمت لأخرج من الجامع، تعلق بي شيخ كبير سوداني وسألني: أأنت شنقيطي؟ قلت: نعم، قال: درست في المحاظر؟ قلت: نعم. قال: عندنا في السودان مثل يقول: «شيخ المحاضر جوابه حاضر»، ثم قال سوداني آخر: ولدينا مثل آخر يقول: «من لا يعرف خليل فعلمه قليل».

وإذا بهم يحكون عن الشناقطة حكايات كثيرة، تدل على بذل كبير وتراكم لذلك البذل لا يستهان به، فهذه الأمثلة والحكايات لا تأتي بين عشية وضحاها.

فقد والله خدموا دينهم ومثلوا بلادهم أحسن تمثيل، فكانوا سفراء ناجحين ونعم السفراء.

وقد كان العالم الشنقيطي يرحل إلى المشرق وبين عينيه غالبا أربعة أهداف:

١. حج بيت الله الحرام.
٢. بث العلوم التي يحملها في كل مكان من العالم وطئته قدمه.
٣. التزود من العلوم التي لم تكن موجودة في بلده.
٤. الحصول على الكتب إما بالشراء أو بالنسخ وذلك في أيام لم تكن المطابع موجودة فيها، وإنما تتم كتابتها باليد، حتى ولو كانت عدة مجلدات.

وفي العقد الأول بعد المائتين والألف هجرية، وللأهداف السابقة: سافر العلامة أبات من عند أهله في منطقة تسمى (سلنبو) قرب (لتفتار) غرب مقاطعة (المجرية) وخلف على محظرته أخاه العلامة الجليل الطالب عبد الدايم.

وإنما قلت إنه سافر في العقد الأول بعد المائتين والألف لما يوجد من خطوطه الدالة على ذلك، فقد كتب في نها ية شرح ابن عقيل:

وكان الفراغ منه عشية الثَّلاَثِاء من شعبان في السنة السادسة والمائتين بعد الألف على يد كاتبه لنفسه: **محمد ابات** بن الطالب احمد بن المختار بن الطالب عبدالله، رحم الله الجميع...

ثم بدأ في الدعاء وفيه يقول:... ويجعل لي من أمري فرجا ومخرجا مما أنا فيه من الوجل العظيم من تغيرات هذه الأعصار، وما قدر علي فيها من حمل الأكدار، وتلاقي الأغيار، ومن أعظمها مفارقة الأوطان والديار، فصرت لا يقر لي قرار، وأطلب منه تعالى تيسير الإياب إلى الحضرة بعد إصلاحها والتوفيق إلى مرضاته إلى أن ألقاه على حسن الخاتمة..إلخ[1].

فهذا النص يدل على أنه في هذا التاريخ كان لا يزال في سفره الذي أمضى في إحدى عشرة سنة، وذلك أمر مشهور عند أحفاده.

وإذا علمنا أنه قبل سفره التقا بالأمير محمد بن امحمد شين الذي تولى الإمارة سنة ١٢٠٨هـ فسيحصل هنا إشكال، إلا إذا قلنا إنه التقى به قبل استتباب الأمر له إذ إن أباه محمد شين توفي سنة ١٢٠٢ هـ كما تقدم إيضاح ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) هذه النص بخط العلامة أبات رحمه الله، وهو في مخطوط بحوزني ولا يزال بحالة جيدة.

وفي طريقه ذاهبا مر على منطقة أزواد والتقى فيها بالعلامة الشيخ سيد المختار الكنتي كما أسلفنا، وسأله عن مسائل متعددة سميت بالأجوبة الأباتية وطبعت في جزء كبير[١].

ثم واصل سفره مرورا بالمغرب، والتقى فيه بالعلامة سيدي أحمد الهلالي الفلالي وأخذ عليه إجازة في القراءات السبع، ثم إلى تونس ومكث فيها فترة ينسخ الكتب ويشتريها.

وقد سمعنا من مشايخنا غير مرة يذكرون أنهم رأوا أشياء من كتاباته في نهايات بعض الكتب التي نسخها بيده في تلك الرحلة يقول فيها: وكان الفراغ منه بتاريخ كذاوكذا بتونس الخضراء حرسها الله[٢].

لكن للأسف لم نقف على هذه الخطوط ولعلها ضاعت أولا تزال تختفي في ثنايا تلك المكتبة الضخمة التي ليس من السهل تفتيش جميع أوراقها بالدقة التي تجعل الشخص يتأكد من أن أوراقا معينة غير موجودة فيها والله المستعان.

ثم واصل رحمه الله سفره إلى مصر، ومكث فيها فترة يشتري الكتب وينسخها وخصوصا في الجامع الأزهر، وله خطوط تثبت ذلك، يكتب فيها: وكان الفراغ منه يوم كذا بالجامع الأزهر سنة كذا وكذا[٣].

وكان يمارس فيه نشاطات متعددة، من الاطلاع على ما في المكتبات ونسخ الكتب وشرائها واللقاءات مع العلماء، وطلاب العلم، فهو في كل ذلك يفيد ويستفيد، وفي هذه الفترة أدى فريضة الحج، وفي بعض الروايات أنه زار دمشق[٤].

---

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ: الميمون.

(٢) سمعت ذلك من المشائخ ومن بينهم الوالد أحمد رحمه الله.

(٣) وهذه الخطوط أيضا لم نطلع عليها حتى الآن، ولكن سمعنا هذا من مشايخنا وهو أمر مشهور عندهم.

(٤) المجموعة الكبرى للدكتور يحي بن البراء ٢ / ٢١.

ثم عاد إلى مصر، ثم رحل راجعا إلى المغرب مرورا بتونس ولديه قافلة من الإبل محملة بالكتب – تقول الرواية الشفهية إنها تقارب العشرة من الجمال – وفي فترة مروره بالمغرب عرض عليه ملك المغرب آنذاك وهو: سليمان بن محمد الثالث[1] أن يقيم معه ويتولى منصب قاضي القضاة في المملكة، فرفض ذلك، فألح عليه الملك في ذلك، فلما رفض غضب الملك وأمر باعتراض قافلته ومضايقته، فأرسل الله على المنطقة ضبابا وريحا حجبت الرؤية مدة أسبوع، فخرج من المملكة في تلك الأجواء ولم يلق كيدا، وفي هذا السفر، وهو في أعماق الصحراء الكبرى اعترضه لصوص – وكان قطاع الطرق في تلك الفترة ينتشرون بكثرة في طرق القوافل يقتلونهم ويأخذون ما معهم –، وفي تلك اللحظة أراهم الله تعالى أعدادا كثيرة من الرجال في صورته هو، فولوا فزعين ونجاه الله من شرهم، وكان معه في هذه الرحلة مرافقون وطلاب علم من ضمنهم رجال جكنيون، منهم تلميذه الإمام بن عبدي: جد أسرة أهل عبدي المعروفة في أولاد طالب[2].

وواصل سيره في تلك الصحاري المتشابهة الأعلام التي لا تسمع فيها إلا أصوات الرياح، ولا يرى فيها إلا الكثبان والرمال المترامية الأطراف، فكأن الشاعر يصفها بقوله:

(١) سليمان بن محمد الثالث: هو ملك المغرب في هذه الفترة، فقد ولي سنة: ١٢٠٦ واستمر إلى سنة: ١٢٧٦ فمدة خلافته سبعون سنة. انظر الجواهر الباهرة مصدر سابق: ٢٧٧.

(٢) أخبرني بعض أحفاده أنه كان رجلا فاضلا من أهل العلم، وكان مهتما بنسخ الكتب وتحصيلها، وعرف عنه أنه خط بيده سبعة عشر كتابا منها تفسير القرطبي وصحيحي البخاري ومسلم وشرح لبانت سعاد في مدح النبي ﷺ. وهومدفون في موضع يسمى (بتت) قرب (انبود)، ولم أطلع على تاريخ وفاته رحمه الله. وانظر: مشكاة المهاد مصدر سابق: ٤٣.

يـــارب مشتبهات لا مــنــار لها   من خاضها ركب الأهوال والغررا[1]

وقد وصف ربيبه الشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي هذه الأسفار الشاقة والمهامه التي قطعها، وصفا رائعا في رثائه له حيث يقول:

وكـــم شـــق بالخرقا فـدافـد نفنف   سـبـاريـت مـومـات لهـن فديد
مهامه تـنـزوا بالقلوب مضلة   مـقـر الـسـعـالي هـولهـن مبيد
يظل بهـا الشجعان خوفا كأنها   بهـام تـسـامـى حـولهـن أســود[2]

ثم واصل سفره حتى قدم على أهله وهم في ناحية (لتفتار) فوجد أخاه العلامة الطالب عبد الدايم تلتف حوله محظرة كبيرة تحتضن الكثير من الطلاب من شتى القبائل، فقدم عليهم بقافلة تحمل مكتبة ضخمة تضم جميع المعارف، وسنلقي الضوء على هذه المكتبة في المبحث الأتي:

(١) البيت لمحمدو بن محمدي من قصيدته:
زارت علي على شحط النوى سحرا *........
انظر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص: ٥٧.

(٢) سترى هذه القصيدة كاملة مع بيان الغامض من لغتها في المبحث الرابع والعشرين من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثامن
في عودته بمكتبته الكبيرة

عاد العلامة أبات رحمه الله من رحلته العلمية الطويلة والتي استغرقت إحدى عشرة سنة، بقافلة من الجمال ترزح تحت الصناديق المليئة بأمهات الكتب التي بعضها لم يسمع عنها القطر الشنقيطي قبل ذلك، فكانت هذه الكتب فيما بعد تسمى ب(كتب الصناديق) فرقا بينها وبين الكتب التي كانت لديهم قبل ذلك أو التي حصلوا عليها من بعد، وكانت هذه الكتب معظمها مكتوب بخط مشرقي، وفي بادئ الأمر قيل إن الطلاب كانوا يجدون صعوبة في قراءتها، ثم تعودوا عليها فيما بعد، ولهذا لما جاءت الكتب المطبوعة في أيام العلامة محمد بن أحمد بن أبات (ت ١٣٥٣) قال: الآن ارتاح طلاب العلم وسهلت الدراسة، والله لقد رأيتُنا في أيام دراستنا نمكث عدة أيام نطالع **حطاب الصناديق** لنحصل على شرح درس واحد منه، أما الآن فقد أصبح العلم في متناول اليد.[١].

وظلت هذه الكتب تخرج الأجيال إلى ظهور المطابع، فكانت بعد ذلك يرجع إليها لتصحيح الكتب المطبوعة، علما بأن بعضها لم يطبع حتى الآن.

وقد ظلت هذه المكتبة صامدة أمام الظروف والعوامل التي من شأنها القضاء على الكتب في ظرف وجيز، ومن هذه العوامل:

١. كثرة الطلاب الذين تعبث أياديهم بالكتب عبر الأجيال المتعاقبة.

---

(١) سمعت هذا من الوالد أحمد يحكيه عن والده محمد محمود عن شيخه وأخيه العلامة محمد.

٢. كثرة الأمطار التي تصيبها وهي في خيام ترحل وتقيم.

٣. كثرة الرياح في بيئة بدوية مكشوفة[١].

فهذه العوامل وحدها كفيلة بالقضاء على الأعداد الكثيرة من الكتب، لاسيما في فترة تزيد على قرنين من الزمن، بيد أن ثمة أمورا جعلت الكثير منها يصمد أمام تلك العواصف فمن ذلك:

- قوة الورق الذي كتبت فيه هذه الكتب كما رأينا.

---

(١) والآفات التي تفسد الكتب كثيرة جدا وقد أحسن بعض العلماء حيث يقول:

عليك بالحفظ بعد الجمع في كتب ... فـإن للكتب آفـات تفرقها
فـالـنـار تحرقها والمـاء يغرقها ... والـلـص يسرقها والـفـار يخرقها

ويقول عبدالله بن المعتزمشيدا بالكتب ومتأسفا على أكل الأرضة لها في رجزه الرائع:

لَمْ أَبْكِ رَبْعاً مُقْفِراً وَلا طَلَلْ ... وَلاَ شَباباً حانَ مِنه مُرْتَحَلْ
وَلاَ حَبِيباً قَطَعَ الْوَصْلَ وَمَلّْ ... لَكِنْ لِعُظْمِ حادِثٍ بِي قَدْ نَزَلْ
كُنْتُ امْرَءَاً مِنَ الأَنامِ مُعْتَزِلْ ... عَلَيَّ سِتْرٌ دُونَ دَمِّى مُنْسَدِلْ
عَلَى الذِي يَمْلكُ رِزْقِي مُتَّكِلْ ... لا راجِياً لَعطْفَةٍ مِنَ الدُّوَلْ
وَلا أَخافُ آجِلاً عَلَى أَمَلْ ... شُغْلِي إذا ما كَانَ لِلنَّاسِ شُغُلْ
دَفْتَرُ فِقْهٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ غَزَلْ ... لا عَابَنِي وَلا رَأَىَ مِنِّي زَلَلْ
وَإنْ مَلِلْتُ قُرْبَهُ مِنِّي اعْتَزَلْ ... أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشَيْبِ المُكْتَهِلْ
رَاكِبُ كَفٍّ أَيْنَ ما شاءَتْ رَحَلْ ... وَلا يَحِلُّ مَوْضِعاً حَتَّى يُحَلّْ
وَهْوَ دَلِيلٌ لِمقالٍ وَعَمْل ... يُقِيُم عوج الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدلْ
وَيُذْكِرُ النَّاسِيَ ما كانَ أَضَلّْ ... كَأَنَّهُ يُنْشَرُ عَنْ رَقْمِ الحُلَلْ
يُخاطِبُ اللَّحْظَ بِنُطْقٍ لا يَكِلّْ ... وَلا يَمَلُّ صاحِباً حَتَّى يَمَلْ
فَدَبَّ فِيهنَّ دَبِيباً قَدْ أَكَلْ ... عَصا سُلَيْمانَ فَظَلَّ مُنْجَدِلْ
يَبْنِي أَنابِيبَ لَهُ فِيها سَبَلْ ... بِالْماءِ وَالطينِ وَما فيهَا بَلَلْ
مِثْلَ الْعروِق لاُ يَرى فِيهَا خَلَلْ ... يَأْكُلُ أَثْمارَ الْعُقُول لا أَكَلْ
حَتَّى يُرَى الْعالِمُ مَهْجُورَ الْمحَلّْ ... يَعُودُ وَقَّافاً وَقَدْ كانَ بَطَلْ
فَأَوْدَعَ الْقَلْبَ هُموماً تَشْتَعِلْ ... وَصَيَّرَ الْكُتْبَ سَحِيقاً مُنْسَحِلْ

انظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم (ص: ٢٦٦)

- جودة التجليد ومقاومته لعوامل التعرية.
- حرص الكثير من الأحفاد على حضانتها، واعتبارها ذخرا وتراثا معرفيا يستحق الحفاظ عليه، مستشعرين ما لقيه جدهم من عناء في سبيل الحصول عليها، هذا بالإضافة إلى المخزون المعرفي الذي تشتمل عليه.

ومن البرور للآباء المحافظة على تراثهم المعرفي ولهذا قال بعض الأدباء[1]:

إذا الفتى مات عن عرف وعن كتب — وكان ذا ولد فليحفظ الكتبا
إن ضاعت الكتب فالمعروف يتبعها — وليس ذا ولدا وليس ذاك أبا
المال إرث بحكم الشرع يعصبه — وفي الحقيقة إن تنظر فلا عقبا
والابن إن حاز ما قد كان حائزه — من المعالى أبوه حقق النسبا

ويقول ابن الرومي في هذا المعنى وأجاد:

وما الحسب الموروث لا در دره — بمحتسب إلا بآخر مكتسبْ
إذا الغصن لم يثمروإن كان شعبة — من المثمرات اعتده الناس للحطبْ

وقد أحسن بعض الأدباء إذ يقول من الشعر الحساني:

ما خالك شِ شَينْ اومعيوبْ — أولاهْ امتنْ مذمَّ
من حد إخل بوه اكتوبْ — وتمُّ مُراهْ امْلمَّ

توقير العلماء للكتب ومحبتهم لها:

لا شك أن من توقير العلم وتعظيمه، تعظيم الكتب والاهتمام بها ولهذا كان العلماء والحكماء يوقرونها ويحافظون عليها، وينكرون على من لا يوقرها،

(١) هو محمد فال بن بابا العلوي، انظر حياة موريتانيا الجزء الثقافي لابن حامد ص: ١٣٤.
(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم (١/ ٢٥٠).

فقد رأى بعض الحكماء رجلا يبتذل كتابا (أي لا يحافظ عليه) فقال له: «بينت عن نقصك، وبرهنت على جهلك».

ورأى أحد العلماء فقيها وقد وضع المحبرة على الكتاب فقال له: «لا تجد النفع من علمك».

وكان شمس الأئمة الحلواني لايأخذ الكتب إلا بعد أن يتوضأ وكان يقول: إنما نلت هذا العلم بتعظيمه.

وكذا الإمام السرخسي، وقد كان مبطونا فكان ربما كرر الوضوء سبع عشرة مرة، وهذا لأن العلم نور، والوضوء نور فيزداد نور العلم به.

وكانوا يجدون السعادة في الجلوس مع الكتب والانفراد بها، حتى قالوا: «الكتاب خير جليس».

يقول المتنبي:

أعز مكان في الدنا سرج سابح   وخير جليس في الأنام كتاب

ويقول آخر:

إذا جفاني بنو الدنيا وضقت بهم   طالعت كتبي ونادمت الألى ذهبوا

ويقول ابن الأعرابي - واسمه محمد بن زياد - في إشادته بالكتب:

لنا جلساء ما يمل حديثهم   ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى   وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة   ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أحياء فلست بكاذب   وإن قلت أموات فلست مفندا[1]

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (٢ / ٢٩٨).

ويقول آخر:

وإذا تضايقت الامـــور ولم تجد ... أنـســا ومــل فــؤادك الأصحابا
فاعمد إلى الكتب التي قد ضمنت ... أوراقــهــا الامــثـــال والآدابـــا
فهي التي تسلي الهـمـوم ولم تجد ... أحـــدا لــه أدب يـمـل كـتـابا

وللعلامة اباه بن محمد الامين اللمتوني قصيدة في الإشادة بالكتب وأنواع العلوم التي تحويها وتقدم بعض هذه القصيدة، يقول فيها:

والكتب خير جليس في الأنـام به ... عقل وحلم وإرشـــاد إلى القرب
لا تختشى فتنة مـنـه ولا سنة ... ولا كــلال ولا إســاءة الأدب
ولا اشتغال ولا مــنٌّ ولا مرضٌ ... ولا اغتيابٌ ولا التعباث باللعب
ولا يـمـوت وإن سـامـرتـه تـره ... أشهى من السمر بالصهباء والضرب
فهي الخلائف عن كل الأئمة بل ... عن النبي إمـام العجم والعرب
وكيف لا وهـي تحـوي كل سالفة ... وكـــل آتـيـة مـــن كــل محتجب

ويقول صفي الدين الحلي:

وأطيب أوقـاتي من الدهر خلوة ... يقر بهـا قلبي ويصفو بهـا ذهني
ويـأخـذني من سـورة الفكر نشوة ... فـأخـرج مـن فـنٍّ وأدخــل في فنِّ
ويفهم ما قد قـال عقلي تصوري ... فنقلي إذًا عني وسمعي بها مني
وأسمع من نجوى الدفاتر طرفة ... أزيــل بهـا همـي وأجـلـوبهـا حزني
ينادمني قوم لدي حـــــديثهم ... فما غاب منهم غير شخصهم عني

وكان بعض العلماء يحزنه أنه سيفارق كتبه ولا يعرف ما ذا يصير لها بعده،

فيقول الفقيه نصر بن عبد الرحمن الفزاري:

أقلب كتبا طال ما قد جمعتها وأفنيت فيها العين والعين واليدا[١]
وأصبحت ذا ضن بها وتمسك لعلمي بما قد صغت فيها منضدا
وأحذر جهدي أن تنال بنائل مبير وأن يغتالها غائل الردى
وأعلم حقا أنني لست باقيا فيا ليت شعري من يقلبها غدا[٢]

ثم نعود فنقول إن كتب العلامة أبات رحمه الله قد تصفحها من بعده أبناؤه وطلابهم وتعلموا منها وعلموا.

والمتصفح لبقاياها سيتراءى له أمران مهمان:

الأمر الأول: أن هذه المكتبة فعلا كانت مكتبة عملاقة بما في الكلمة من معنى، لما تمر به عينه في ثناياها من كثرة العناوين المعروفة والغريبة في شتى العلوم، وهذا مع الفترة الطويلة التي مرت بها في الظروف المذكورة آنفا، وعليه فلا شك أن الموجود منهالا يشكل منها إلا نسبة ضئيلة جدا.

الأمر الثاني: حضور قلم العلامة أبات في ثنايا هذه المكتبة بشكل غير عادي، فالمتصفح لها يرى قلمه رحمه الله تعمل فيها عملا جبارا، فمن الصعب أن تتصور أن الرجل مر على هذه المجلدات كلها بتمعن وتدبر، ويتمثل ذلك العمل غالبا في أربعة عناصر:

الأول: كون الكتاب تم نسخه بقلمه، كشرح ابن عقيل على الخلاصة، الذي انتهى منه سنة: ١٢٠٦ كما تقدم.

وككتاب قراءة حمزة والكسائي الذي كتب في آخره: كتبه لنفسه: أبات بن الطالب أحمد جدُّ[٣].

(١) العين الأولى المراد بها النقود، والعين الثانية المراد بها العين التي يقع بها النظر.

(٢) عشاق الكتب لعبد الرحمن يوسف الفرحان ص ٢٧٠.

(٣) هذه الكتابة في مخطوط بحوزتي.

الثاني: كون الكتاب نسخ بإشرافه وشارك فيه، مثاله:

كتاب: إنشاد الشريد من ضوال القصيد، شرح الشاطبية، وهو لابن غازي المكناسي، كتب في آخره:

«انتهى بعد عصر يوم السبت الأخير من رمضان سنة إحدى عشر ومائتين بعد الألف على يد غير واحد، وآخر من خط فيه مستكتبهم: محمد ابات بن الطالب أحمد جد بن المختار بن الطالب عبدالله النزاري نسبا التاقاطي وطنا»[1].

الثالث: تنبيهه على تصويب بعض المباحث والنقول التي تذكر عن بعض العلماء، فمن ذلك ما كتبه على صفحة من صفحات كتاب: شرح الشهاب على الشفا، تنبيها على نقل غير مرضي عن ابن الجوزي يقول فيه ما يلي: «قف على أن ابن الجوزي له مجازفات أكثرها مردودة»[2].

الرابع: تنبيهاته الكثيرة على الفوائد التي يمر بها في ثنايا الكتب، وهذا كثير.

ولا ننسى أن هذه المكتبة تضم مصحفا نادرا يطلق عليه عندنا (مصحف أبات) فهو مصحف مكتوب برواية ورش عن نافع، وعلى هوامشه القراءات السبع برموز الشاطبية المعروفة، فهو مصحف يضم بين دفتيه أربع عشرة رواية، لأن كل قارئ من السبعة له راويان كما هو معروف، وإليه يشير الشاطبي بقوله:[3]

وسوف تراهم واحدا بعد واحد ... مع اثنين من أصحابه متمثلا

وقد ذكر كاتبه في نهايته اسمه وتاريخ كتابته فقال: «كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل على يد العبد الذليل الفقير الراجي

---

(١) هذه الكتابة موجودة بحوزتي.

(٢) هذا الكتاب كذلك بحوزتنا وهو بحالة جيدة.

(٣) متن الشاطبية – حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (ص: ٢).

عفو مولاه وغفرانه الجيلاني[1] الصغير الشاوي الـداودي العزوز غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأمـوات، وكان الفراغ منه يوم السبت في ستة أشهر وسنتين ومائتي عام وألف.

وهذا المصحف كان القضاة من أحفاده ربما يُحَلِفون عليه مَن كلف باليمين من الخصمين، وكانوا يقولون من حلف عليه كاذبا مات، وأنه فعلا مات بسبب ذلك عدة أشخاص، سمعت ذلك من المشايخ غير مرة[2].

فكانو بعد ذلك يتحاشون تحليف الخصوم عليه إبقاء على حياتهم، لكن ربما يهددون به من ظنوا أنه سيحلف على الباطل، ليقر بالحق أو يقبل الصلح مع خصمه[3].

والمصحف لايزال موجودا وأوراقه سليمة وكتابته واضحة، غير أن الورقة الأولى قد تلف نصفها الأعلى، وهناك تقطع في بعض هوامش الأوراق الأول والأخيرة، والباقي كله بحالة جيدة لله الحمد.

وأخيرا نشير إلى أن العلامة أبات رحمه الله، أوقف هذه المكتبة على أبنائه وأبناء أخيه الطالب عبد الدايم، في وثيقة معروفة يحفظها الأحفاد ونصها:

وبعد: فليعلم من نظر فيه أني حبست كتبي على أبنائي وأبناء أخي الطالب عبد الدايم وأبنائهم، الذكور دون الإناث. وكتب محمد ابات بن الطالب أحمد جدُّ. هكذا حفظناها من أفواه مشايخنا رحمهم الله تعالى.

ثم نشير إلى انتقاله إلى مدينة كصر البركة في المبحث الآتي:

---

(١) هذه الكلمة تحتمل عندي أن تكون الجيلاني أو الجميلان، والاحتمال الأول أولى عندي لأنه أتى بعد النون بياء، وكلمة الصغير قد تكون مسبوقة بكلمة، لأن هامش الورقة فيه انقطاع لكنه بسيط جدا.

(٢) سمعت هذا غير مرة من شيخنا العلامة الجليل: محمد ابات بن محمد رحمه الله.

(٣) وممن كان يفعل ذلك العلامة محمد محمود بن أحمد (ت ١٣٨١) كما سيأتي في ترجمته في تراجم الطبقة الرابعة من هذا الكتاب.

المبحث التاسع
في انتقاله إلى مدينة (كصر البركة) بطلب من زعيمها وفيه نبذة عنها وعن سكانها وتاريخ أسرة أهل ابات مع أسرة أهل امحمد بن أحمد

وقبل الدخول في هذا المبحث أشير إلى أني اعتمدت في كثير منه على الروايات المتداولة عند مشايخنا، وقد توجد هناك روايات أخرى تخالفها، وهذه طبيعة علم التاريخ، فتجد للحدث الواحد عدة روايات، فلابد من اتساع العطن لذلك، وقد أشار البدوي في مقدمة عمود النسب إلى هذا فقال:

ومن رأى خلاف ما كتبته ... فليتئد لعل ما أبصرته
في غير ما طالعه إذ الطرق ... لا سيما في الفن ذا قد تفترق

وقد قال الشافعي قديما قولته المنصفة: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

ثم نبدؤ في موضوعنا فنقول إن مدينة كصر البركة (المندثرة) تقع في الشمال الغربي من منطقة تكَانت، لدى ملتقى «الوادي الأبيض» و «وادي المريفق «وتقع شرقي بحيرة» كَبُّ «الشهيرة»[1].

وهي لأبناء سيد حيبلله، وهم فخذ من قبيلة كنتة، القبيلة المشهورة بالفخر والمجد والسؤدد، والتي تتوزع بين موريتانيا والجزائر ومالي، وهي تنحدر من

(١) سطور في تاريخ كصر البركة ص: ٢٠.

ذرية عقبة بن نافع القرشي[١].

ومؤسس مدينة كصر البركه هو:

الطالب سيد امحمد بن باجد بن سيدالامين بن سيد حيبلله، أسسها في بداية القرن الحادي عشر، وقد توفي سنة: ١٠٦٠هـ، فخلفه ابنه:

أحمد بن الطالب، الذي توفى سنة: ١١٤٠هـ ثم خلفه ابنه:

امحمد بن أحمد، الذي صارت الأسرة الحاكمة - فيما بعد - تحمل اسمه، ثم جاء ابنه الثاني:

سيد احمد بن أحمد، ثم جاء:

- أحمد بن امحمد، وهذا هو الذي أرسل ابنه:

- سيد احمد إلى العلامة أبات يستقدمه إلى تكَانت، كما سيتضح لنا قريبا إن شاء الله تعالى، وسيد احمد هذا هو الذي كان في أيام العلامة أبات، واختلف في تاريخ وفاته فقيل: ١٢٦٦ هـ وقيل: ١٢٧٦ هـ[٢].

وهناك رواية أخرى تقول إنه توفي قبل العلامة أبات، وأن ذلك هو السبب في خروجه أي العلامة أبات من كصر البركه[٣]. والعلامة أبات توفي سنة: ١٢٥٥ هـ والله تعالى أعلم.

ثم جاء ابنه:

- امحمد بن سيداحمد الذي كان في أيام العلامة أحمد ابن ابات، وتوفي سنة: ١٣١٠هـ، وتوفي العلامة أحمد بعده بثمان سنوات، سنة: ١٣١٨هـ ثم جاء ابنه الثاني:

---

(١) الوسيط مصدر سابق ص: ٣٥٦.

(٢) المصدر السابق:٧٩.

(٣) مشكاة المهاد مصدر سابق ص ٥٣.

- سيد امحمد بن سيد احمد، الرجل القوي النافذ الكلمة، الذي كان في أيام العلامة: محمد بن أحمد بن أبات، وقد توفي سنة: ١٣٥٥ هـ[1] وتوفي قبله العلامة محمد سنة: ١٣٥٣ هـ ثم جاء ابنه:
- أحمد بن سيد امحمد،المتوفى سنة: ١٣٧١ هـ وهو الذي كان في أيام كل من العلامة حميد ابن الغوث المتوفى سنة: ١٣٨٦ هـ والعلامة محمد محمود بن أحمد المتوفى سنة ١٣٨١ هـ، ثم جاء ابنه:
- محمد بن أحمد الذي كان في أيام شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد، ومحمد بن حميد، وقد أدركناه ورأيناه لما زارنا في أم النوار، قبل وفاته بسنوات قليلة وهو قد توفي سنة ١٤١٥ هـ وستتحدث عن هؤلاء الزعماء، في تراجم العلماء الذين عاصروهم كل في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وبعد هذا العرض الموجز لتاريخ هاتين الأسرتين نعود لموضوعنا فنقول:

إن العلامة أبات لما قدم من سفره العلمي بمكتبته الضخمة والتف حوله طلاب العلم من كل صوب، وطار صيته، كان زعيم مدينة كصر البركة: أحمد بن محمد – رئيس فخذ أبناء سيد حيبللّه – قد سمع بخبره وأعجب به، فأرسل إليه ابنه الشاب سيد احمد برسالة مضمونها: أنه يريد منه أن ينزل عليه في مدينة (كصر البركة) وذلك لعدة أمور:

أحدها: أنها بلدة عامرة متوسطة الموقع، طيبة المناخ.

الثاني: أن البلدة بحاجة ماسة إلى من يعلم أهلها ويقيم لهم أمور دينهم.

الثالث: أنه سيبني بيوتا له ولطلابه.

---

(١) سطور في تاريخ كصر البركة: ص ١٣ و ٣٥ و٣٩، و ٥١ و ٧٤ و٨٠ و ٨٤ ومقابلات مع بعض مشايخنا.

الرابع: أنه سيقوم بنفقات الطلاب.

فوافق العلامة أبات على هذا الطلب، ولماهَمَّ بالرحيل عظم ذلك على أهل المنطقة، لكنه صمم على ذلك وقال: «استنرت في وجه هذا الشاب الخير لي ولأبنائي» ولما نزل (كصر البركة) هو وطلابه وأتباعه، تلقاهم أهل البلدة بحفاوة وترحيب قل نظيره، لكنه لما قدم وجد الأمير أحمد قد توفي، ووجد الناس قد هيؤو لخلافته أحد بني عمومته، وقد بدأ تنصيبه عند أمير إدوعيش محمد بن احمد شين، وكانت تلك سنة متبعة آنذاك - حسبما يقولون - في منطقة تكَانت، فلما شعر العلامة أبات بالخبر أصر على أن يكون المُنَصَّبُ للإمارة هو: سيد احمد (الشاب الذي جاءه بالرسالة) وبعض أهل المدينة أيضا يودون ذلك، كجده لأمه الذي هو الآخر سعى في الموضوع بجد، فخاطب العلامة أبات أمير إدوعيش في الموضوع، وهو الذي تقدم أنه ارتبط معه بعلاقات وطيدة من نوع خاص، فلم يكن له بدٌّ من الموافقة على طلب العلامة أبات، وفعلا نُصبَ سيد احمد في مكان والده أميرا على كَصر البركة، وتلميذا للعلامة أبات سياسيا ودينيا[1].

يقول الشيخ الكبير سيد محمد بن بادي (أهل الشيخ بن امني) في شعره الحساني:

اعــرْفُ يـاهـل احمـد لَحـمـدْ يـرحـم ذاك المـنـكـم مَـاتْ
عـن بـوكُـمْ سـيـداحمـد لَحـمـدْ بـعـد الاَّ تـلـمـيـدِ لابَّـاتْ

وقد استمرت الزعامة في هذه الأسرة إلى يومنا هذا،

وكانت تتزعم فخذ أبناء سيد حيبلله جميعا والذي يتكون من ثلاث فصائل وهي:

---

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق: ٤٩- ٥٢

١. أولادسيد المين.

٢. أولاد البح.

٣. أولاد تناكيه.

وهناك مجموعات تضاف إلى هذه الفصائل، وهي في الأصل من قبائل متعددة.

وكان الجميع في كصر البركة، فلما حصل النزوح عنها صار لكل فخذ زعامة تخصه، ومجموعات تضاف إليه.

وذلك كالتالي:

- أولاد سيدالمين، وتضاف لهم مجموعتا: آسكير وأهل لكصر.
- أولاد البح، وتضاف لهم مجموعتا: اجناكط، وأهل اعليوه.
- أولاد تناكيه، وتضاف لهم مجموعتا: لكراير وأهل انكيكم.

(بكافين معقودتين) (١)

ثم لما جاء المستعمر صار لكل فصيلة ومجموعة زعيم يخصها، والجميع يشكل اتحادية أولاد سيد حيبلله وذلك كالآتي:

- سيدامحمد بن أحمد، زعيما لأولاد سيد الامين
- سيد احمد بن سيد بن الوداني، زعيما لأولاد البح
- سيد بن أحمد مَنِّيْنْ، زعيما لأولاد تناكيه
- عبدي بن محمد سيدْ، زعيما للكراير.
- سيد بن الكيرع (بكاف معقودة) زعيما لاجناكط.
- عالي بن شداده زعيما لأهل اعليوه.

(١) سطور في تاريخ حاضرة كصر البركه ص: ٨.

- سيد بن الشين زعيما لآسكيره. [1]

ثم نعود لما كنا فيه ونقول إن الزعيم: سيد احمد بن أحمد لما استلم مقاليد الحكم قام بتنفيذ ما التزم به والده، بل وزاد عليه، وازدهرت كصر البركة علميا ودينيا واقتصاديا، واستمرت على ذلك ردحا من الزمن، والعلامة أبات هو شيخها ومفتيها ومرشدها، وازدهرت فيها محظرته التي يطلق عليها اسم (محظرته الثانية) والتي سنتحدث عنها في المبحث الآتي:

(١) المصدر السابق: ص ٨٧.

المبحث العاشر
في محظرته الثانية في (كصر البركة) وشمال تكَانت ونشره للعلم في تلك الربوع

لما استقر العلامة أبات رحمه الله في (كصر البركة) بنى له تلميذه الزعيم: سيد احمد بيوتا له ولطلابه، ومسجدا جامعا يصلي فيه الجمعة بالناس، ما زالت أنقاض تلك المباني ماثلة إلى يومنا هذا [(١)] .

وفرض له ولطلابه «الظرف» من كل عيرٍ تَقدم على المدينة، و«المد» على المزارع، و«الشاة» على المنمي، وكانت له أرض كذلك تستغل في وادي كصر البركه، ما زالت موجودة إلى الآن، ويعترف السكان بها[(٢)].

ثم كانت هذه بداية (محظرته الثانية) في شمال تكَانت فبدأ في نشر العلم وطار صيته وانهالت عليه الطلاب من كل حدب وصوب ينهلون من علمه الجم، حتى قيل إن مختصر خليل كان يكتب كل يوم في الألواح ويغسل لكثرة الطلاب الوافدين على تلك المحظرة، ويحكى أنه تخرج عليه في هذه الفترة في يوم واحد أربعون فقيها[(٣)] .

ولهذا قال فيه الشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي:

---

(١) المصدر السابق ص: ٧٥ قلت وقد زرت هذه المدينة المندثرة أواخر سنة ١٤٣٦ هجرية والمسجد لا يزال قائما وفيه خمس وثلاثون سارية وهو غير مسقوف، وبعض البيوت كذلك لا ترال قائمة، وهي غير مسقوفة، وشوارع المدينة قائمة وهي في غاية الدقة والتنظيم.

(٢) المصدر السابق، ومشكاة المهاد مصدر سابق ص ٥٣ ومقابلة مع الشيخ محمد بن حميد.

(٣) سطور في تاريخ حاضرة كصر البركه ص: ٧٥.

وكـم بث علما في الـصدور مؤثلا   تضـــــلع منه جـــاهل وبليد
تـــورث مــن آبـــاء صـــدق أجلة   وأفــضــل عــلــم الــعــالمــين تليد

فقد جلس رحمه الله للتدريس وذلك بعد أن ضم إلى علم بلده ما اكتسبه من العلوم في رحلته العلمية الطويلة، هذا بالإضافة إلى ما تحتضنه تلك المكتبة العملاقة التي قدم بها من المشرق، وجلس كذلك للقضاء والإفتاء وحل المشاكل وفض النزاعات التي تدور في المجتمع من حوله، وقد كان بصيرا بذلك ومؤيدا من الله عز وجل، فتأتيه الوفود من كل الجهات بالمسائل المعقدة المستعصية فِقْهياً واجتماعيا، فيحلها وينهيها بأسلوبه الهادئ القويم، وما أحسن ما قاله الأديب الكبير ابن اعبيدي في وصفه له في هذا الشأن:

وشيخ شيوخ العارفين وقرمهم   إذا ازدحمــت للمشكلات وفــود
فكم أمــه شرب لــدرك شــوارد   مــن العلم لم يــدرك لهــن شرود
إذا رامها الشهم الذكي تقاذفت   عــبــاديــد منها جــامــح وشرود
وإن هو رام الـدرك منهن دونيت   لأيــدي هــوادي الآبـــدات قيود
فــأدرك وامتطى المـتـون فراضها   عــلى رسـلــه والجـفــن في هجود

وفي هذه الفترة ازدحمت عليه الطلاب من كل جهة واستمر على ذلك، وحتى بعد خروجه من كصر البركة كما سيتضح ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الحادي عشر
في تحوله إلى واحة الرشيد وشمال تكَانت
وما قاله أحفاده في تلك المناطق من الأشعار
ونبذة عن تاريخ قادة الرشيد

ثم بعد أن أمضى العلامة أبات فترة طويلة تقارب عقدين من الزمن في كصر البركة يدرس ويفتي ويصلح بين الناس، شاء الله أن تهتز المنطقة أمنيا – وهي كذلك أصلا – فنشبت حروب دامية في المنطقة وذلك بعد موت الأمير محمد بن امحمد شين الذي كان يقف في وجهها، فبدأت حرب أهلية في إدوعيش بين اسويد احمد وأعمامه، كما تقدم، واندلعت كذلك بعد موته، حرب شرسة بين قبيلتي كنته وأهل سيد محمود استمرت قريبا من مائة سنة تقريبا [١]، كان يقف في وجهها لأن العداوة بين القبيلتين كانت موجودة في أيامه، وكان اسويد احمد مع قبيلة كنته، وأعمامه مع أهل سيد محمود[٢].

وأدت هذه الحروب وغيرها من العوامل إلى نزوح سكان (كصر البركة) عنها، وإن كان الكثير منهم ظل في ضواحيها، وفي خضم ذلك تحول العلامة أبات وطلابه كغيرهم من السكان إلى بادية شمال كصر البركة، ثم بعد ذلك إلى واحة الرشيد المعروفة – الواقعة شمال غرب تججك عاصمة ولاية تكَانت على بعد ٤٠ كيلو متر تقريبا، وهذه الواحة أسسها الزعيم:

---

(١) انظر الوسيط مصدر سابق ص: ٤٨١.

(٢) تاريخ قبائل البيضان للشيخ موسى كمرا ص ١١٢ – ١١٣.

- سيداحمد بن سيد الامين (امينوه) «أبناء سيد الوافي»، في بداية القرن الثالث عشر الهجري، وكان رجلا عالما غنيا ذا مكانة مرموقة في عصره، وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٣٥ هجرية، وخلفه أبناؤه وأحفاده، وهم:
- عبد الرحمن بن امينوه المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ
- ثم جاء بعده أخوه: أحمد بن امينوه
- ثم أخوه: محمد محمود بن امينوه

ولم أطلع على تاريخ وفاتهما، وأظن أن العلامة أبات قدم في أيامهما والله أعلم.

- ثم جاء أخوهم الحامد بن امينوه الذي كان رجلا مشهورا، وقائدا عسكريا قويا، ولم أطلع على تاريخ وفاة الحامد بالتحديد إلا أنها بلا شك ستكون في السنوات التي بين ١٣٠٥ و ١٣١٠ والدليل على ذلك أمران:

الأمر الأول: وجود وثيقة بخطه في كتب أهل المعزوز (أهل احمد بن عيسى) الجكنيين، وهي مؤرخة بسنة: ١٣٠٥هـ.

الأمر الثاني: أن معركة كصر البركة بين كنته وإدوعيش التي وقعت سنة ١٣١٠هـ كان الحامد قد توفي قبلها[١].

ثم جاء بعده ابنه:

- محمد المختار بن الحامد الذي قاد معركة كصر البركه، وغيرها من المعارك[٢].

---

(١) سطور في تاريخ كصر البركه ص: ٧٢.

(٢) محمد المختاربن الحامد هذا هو البطل المجاهد الذي عاصر قدوم المستعمر الفرنسي، وبدأ في أول أمره يريهم أنه في صفهم، حتى حصل منهم على بعض الأسلحة النوعية ثم هاجمهم مع المقاومة في وقعة (انييملان) سنة: ١٩٠٦م، ١٣٢٥ هـ التي انهزمت فيها القوات الفرنسية وقاد كذلك ضدهم

وقد عاصر العلامة أحمد بن أبات أواخر فترة الحامد بن امينوه.

ثم لما سيطر الفرنسيون على البلد، وهاجر محمد المختار بن الحامد إلى الحجاز، كان زعيم الوافيين لمدة سنتين هو:

- عبد الرحمن (دحان) بن سيداحمد بن عبد الرحمن بن امينوه.
- ثم جاء بعده أمير الرشيد القوي محمد محمود (اج)بن أحمد بن محمد محمود بن امينوه المتوفى سنة ١٩٥٦ م ١٣٧٦هـ دفين (الجملانيه) والذي سنشير إلى شيء من تاريخه في ترجمة معاصره العلامة محمد بن أحمدبن أبات.
- ثم جاء بعده ابنه أحمد بن اج، الذي تولى الزعامة بعدوالده سنة ١٣٧٦هـ وتخلى عنها سنة: ١٣٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٣٠ هـ وسنشير إليه في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد.
- ثم جاء بعده أخوه: سيداحمد الذي تولى الزعامة سنة ١٣٨٠هـ [1]، وهو زعيمهم في هذه الأيام، وسنذكره في ترجمة شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد.

معركة الرشيد سنة: ١٩٠٨ م، ١٣٢٧هـ التي هدم فيها الفرنسيون قرية الرشيد وعاثوا في المنطقة فسادا كبيرا، ثم بعد ذلك سافر إلى المغرب ثم إلى الحجاز وتوفي رحمه الله سنة: ١٣٣٣ أو ١٣٣٤هـ ودفن بالبقيع.

انظر: ترجمة محمد المختار بن حامد ودوره في المقاومة بقلم: سيد احمد ولد احمد جد، على شبكة الإنترنت.

و سطور في تاريخ كصر البركه ص ٧٢

(١) معظم هذه المعلومات كتب به إلي الكاتب والدبلوماسي المعروف: محمد محمود بن ودادي حفظه الله تعالى.

ثم نعود لما كنا فيه، فنقول إن العلامة أبات لما خرج من كصر البركة، بعد نزوح أهلها عنها، توجه إلى واحة الرشيد، ولعل ذلك كان في حدود سنة: ١٢٣٨ هـ وهو التاريخ الذي يقول فيه صاحب حوليات تيشيت إنه حصل فيه نزوج أهل كصر البركه عنها [١]

وقد يكون انتقل إليها بعد ذلك بقليل، وفي هذه الفترة ولد العلامة أحمد بن أبات في الرشيد، وذلك في حدود سنة ١٢٤٥ هجرية، إذ يقول أحفاده أنه توفي سنة ١٣١٨ هـ عن ٧٣ سنة، ويقولون إن والده العلامة أبات توفي عنه سنة: ١٢٥٥ وهو في حدود العاشرة من عمره.

ولما حط العلامة أبات رحاله في واحة الرشيد نزل في منطقة تسمى:

(تلمدين) وهي من أرقى المناطق في الواحة، فتلقاه أهل الرشيد بحفاوة، وهم فخذ أولاد سيد الوافي وعلى رأسهم أبناء (امينوه)، فأكرموه وأعطوه حديقتين إحداهما عامرة بالنخيل الجيد، والأخرى غير عامرة فأعمرها هو وطلابه وأبناؤه وخصوصا ابنه: عبدالله، ثم أوقف الحديقة العامرة على أربعة من أبنائه وهم: عبدالله، والطالب محمد، وأحمد، وسيد عبدالله، ووهب الأخرى لابنه عبدالله، لأنه اهتم بها كثيرا وأشرف على الأعمال فيها.[٢]

وكان هو وطلابه وأبناؤه ومن معهم - في فترة القيظ وموسم الرطب المعروف عند أهل البلد ب (الكيطانه) - ينزلون واحة الرشيد لقضاء الموسم فيها، ولا يزال نخيلهم فيها إلى اليوم بحمد الله تعالى.

ثم كانوا إذا انتهى موسم (الكيطانه) تنقلوا في مواضع متقاربة في شمال تكَانت وبدايات منطقة (الخط) وهي مناطق معروفة بالجمال وطيب المناخ،

---

(١) حوليات تيشيت مخطوط وبحوزتي نسخة منه.

(٢) مشكاة المهاد مصدر سابق: ٥٣ - ٥٤.

وسيأتينا في وصايا العلامة أبات أنه أوصاهم بسكناها، والكثير منها مذكور في أشعار أحفاده الذين أدركوه أو عاشوا في الجيل الذي جاء بعده.

وإليك بعضا من أسماء هذه المناطق صحبة الأبيات الشعرية التي ذكرت فيها وهي كالتالي:

(الخط)

يقول فيه محمد احمد بن الطلبه (وهو ابن أخي العلامة أبات) يخاطب جماعته – في مناسبة سيأتي ذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى:

حان الرحيل وأُمُّوا الخطَّ داركم   فأينا أعد دار الحرث ذا داره

(تمسميت)

و(قاع تمراط)

يقول فيهما ربيب العلامة أبات: أحمد فال بن اعبيدي في ميميته:

كأنما (تمراط)مرط ناصع   لسواد عين (تمسميت) العيلم

(جبل حروش)

و(العين)

يقول فيهما أحمدفال أيضا يصف مطرا على تلك المناطق في جيميته:

ودارت على حروش أرحيه وانثنى   إلى العين أحيانا كلاعب فنزج

(خيران)

(وهضب الظباء) وهي المعروفة في اللغة الدارجة ب(اكدية الأمهار)

يقول فيهما محمداحمد بن الطلبه:

ألا ليت شعري هـل أبيتن ليلة بـخـيران إذ هضب الظباء حـذاء

(أكشط) بكاف معقودة

و(الاعكالِية) بكاف معقودة، وتفخيم اللام الثانية، يقول فيهما محمداحمد بن الطلبه أيضا:

وهل ترين عيني ل(أكشط) حرةً وفي رمل (الاعـكـالي) كان شفائي
بــلاد بهـا قطعت نـظـم تمائمي وجـــررت فيها للشباب ردائـــي

(هضب الذياب) وهي بالدارجة (اكدية الاذياب)

يقول محمد احمد بن الطلبه أيضا فيه وفي (هضب الظباء):

إن دارا عـرفـتـهـا لـلـربـاب بين هضب الظبا وهضب الذياب
عــن خـلـيـط عـهـدتـه بـربـاهـا مستكنا سـألـتـهـا لـلـجـواب
فـأجـابـتـنـي بـالـذي هـو حق أن غـير الإلـه بـادي الـذهـاب

(ترين) و(جبل شاو)

وفيهما يقول محمد احمد بن الطلبه في مديحيته أيضا:

أمست ترين تريني أربعا درست بهـا و(شـاو)شـوى قلبي بـه أُخَـر

(العين الخضراء) أو (عين تمسميت)و(النير)

و(انجيلان)

يقول أحمد بن الطلبه في هذه الثلاثة:

يا عين جـودي بما قد كنت صائنة من الدموع على رسـوم ذي الدمن
فــذي مــنـازلـنـا وذي منازلنا وذي منازلنا في سـالـف الزمن
فالعينُ فالنيرُ فانجيلانُ ياعجبا صارت مراتع أهل البحر والسفن

وأشعارهم التي تذكر فيها هذه المواضع وغيرها كثيرة جدا وسيأتي ذكرها في الباب المخصص للأشعار في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وظل أبناؤه – كما أوصاهم – يسكنون في هذه المناطق عشرات السنين وهم كيان مستقل، ولم يتبعوا لأي قبيلة، وكانت القبائل جميعا تحترمهم، وتضعهم فوق الرءوس، بل كانوا محط رحال كثير من الأسر من شتى القبائل لما تلاقيه من الاحترام، والرخاء الاقتصادي والمعرفي، وظلوا يعلمون الناس ويفقهونهم ويصلحون بينهم، ويواصلون خط سيره، ويكملون مشواره العلمي والدعوي، فكانوا جزءا مُهِمّاً من إنتاجه العلمي الذي سنلقي عليه الضوء في المبحث الآتي:

المبحث الثاني عشر
في إنتاجه العلمي

كان العلامة أبات رحمه من العلماء الذين اهتموا بنشر العلم في صدور الرجال أكثر من نشره بالتأليف، وقد نجح في تلك المهمة بفضل الله تعالى إلى حد كبير، فقد بقي طلابه وطلابهم جيلا بعد جيل يعلمون الناس وما زال ذلك مستمرا بحمد الله تعالى إلى اليوم، وإلى ما شاء الله تعالى.

وقد اهتم كثير من العلماء بنشر العلم في صدور الرجال بواسطة المؤلفات القديمة، حتى اشتهرت مقولة معروفة عن بعضهم وهي قولهم:

«لا نريد أن يؤلف أو يكتب جديد، حتى يُقرأ ما كان قد كتب».

وهذه المقولة وإن كانت غير مسلمة على الإطلاق لحاجة كل عصر إلى مؤلفات بأقلام علمائه تأتي بما يناسب عصورهم وتعالج المسائل المستجدة، إلا أن بعض المؤلفات ربما كانت تكرارا لمؤلفات متقدمة، وقد تصدق عليها هذه المقولة، لأنها عارية من التجديد والإبداع عديمة الجدوى خالية من مقاصد التأليف السبعة المعروفة عند العلماء التي نظمها الهلالي بقوله:

في سبعة حصروا مقاصد العقلا — من التآليف فاحفظها تنل أملا
أبدع تمام بيان لاختصارك في — جَمْعٍ ورَتِّبْ وأَصْلِحْ يا أخي الخَللا[1]

وإيضاح هذه السبعة أن يكون التأليف يحمل: إبداعا بمعنى أن يأتى المؤلف بشيء لم يسبق إليه، أو يتمم ناقصا، أو يبين غامضا، أو يختصر مطولا، أو يجمع

(١) نور البصر شرح مقدمة المختصر ص: ١٦.

مفرقا، أو يرتب مبعثرا، أو يصلح مختلا.

فإذا كان التأليف لا يحمل شيئا من هذه المقاصد كان الاشتغال به ضياعا لوقت المؤلف أولا، والقارئ ثانيا، ولهذا عزف كثير من العلماء عن التأليف، وعكفوا على تدريس العلوم بواسطة المؤلفات السابقة، وقد يبدع عالم في التدريس، وآخر في التأليف، وكل ميسر لما خلق له.

وما زلنا بصدد الكلام عن الإنتاج العلمي للعلامة أبات فلا نشك أنه اهتم بالتدريس أكثر من اهتمامه بالتأليف، هذا مع العلم بأنه ألف في بعض المواضيع كتبا مهمة، منها:

١. تأليف في غريب القرآن.
٢. رياض الفصول في علم الأصول.
٣. تعليق على مراقي السعود[١].
٤. أسئلة سأل عنها الشيخ سيد المختار الكنتي فأجاب عنها في كتاب عرف بالأجوبة الأباتية (مطبوع)[٢].
٥. رسائل وفتاوى فقهية كثيرة[٣].

وسنذكر هنا نموذجا من رسائله ونموذجا من فتاواه.

فنموذج الرسائل سنذكرفيه: رسالة وعظ وإرشاد، أوقف بها فتنة أوشكت على الحصول بين فصيلين من جيرانه وسنأتي بها في المبحث بعد الآتي.

ونموذج الفتاوى سنذكر له فيه: فتوى فقهية في موضوع مهم في تلك الفترة

---

(١) حياة موريتانيا الجزء الثقافي ص: ٢٥.

(٢) وإنما نسب إليه هذا الكتاب، لأنه الذي أنشأ الأسئلة وكتب الأجوبة كما حصل للعلامة أسد بن الفرات الذي عمل أسئلة فأجابه عنها ابن القاسم فكانت تسمى مدونة أسد رحمه الله.

(٣) المجموعة الكبرى للدكتور: يحي بن البراء ٢ / ٢١.

ونصها:

فتوى العلامة أبات في مسألة «آرِّيكْ» أي المساعدة:

الحمد لله وحده

سؤال عن حكم شخص دفع لشخص بكرة، حين ذهاب ماله بالغارة، وادعى بعد ذلك بسنين أنها منيحة، وادعى المغار عليه أنها آرِّيكْ – (بكاف معقودة) أي مساعدة – هل مدعي المنيحة يصدق أم لا؟

فالجواب والله تعالى أعلم أنه لا يصدق في دعوى المنيحة، لأن قرينة الحال مكذبة له، لأن مالكا رحمه الله ذهب إلى التوصل بالقرائن إلى الحق، وذلك منسوب إلى قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف:٢٦]. وهذا قرينة على صدق يوسف، وقرائن الأحوال كثيرة يطول ذكرها، ويكذب مدعي المنيحة أيضا العرف، لأن العرف أن من ضاع متاعه، وأعطاه أحد شيئا، أنه آرِّيكْ، وذلك حكمه ظاهر، وحكمه أنه يرجع بقيمة شيئه معجلا، ولا يلزمه تأخيره إلى حدوث غارة ثانية بلا دافع، قاله الأجهوري، وقيل يلزمه تأخيره إلى حدوث غارة ثانية، قاله البرزلي. وما بعد هذا إلا الخوض فيما لا يفيد.

أبات بن الطالب أحمد جد. [1]

وله تسليمات لبعض الفتاوى كتسليمه لفتوى العلامة الطالب بن حنكوش العلوي – تلميذ العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم، وخليفته على طلابه – يقول في هذا التسليم:

ليعلم من نظرفيه أن هذا مسلم صحيح، لأنه راعى فيه ما يراعى شرعا. أبات بن الطالب أحمد جدو[2].

(١) من مخطوط بحوزتي.

(٢) المجموعة الكبرى لابن البراء الفتوى رقم ٢٥٤٩ ويقول إن المصدر مكتبة الطالب بن حنكوش.

المبحث الثالث عشر
في اهتمامه بطلابه وجيرانه وعامة المسلمين

كان رحمه الله مهتما بطلاب العلم، بالإنفاق عليهم وبتحصيلهم العلمي اهتماما كبيرا ويتجلى ذلك من خلال ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنه كان رحمه الله إذا أرسل رائدا أوصاه بأمرين أساسيين عنده وهما:

١. الأشجار ذات الظل الوارف ليستظل بها الطلاب.

٢. الحطب الجاهز لتوفير الإنارة لهم، لئلا يضيع عليهم وقت في غير طلب العلم.

وقالوا كانت نار الطلاب عندهم تتقد سنة كاملة[١].

الأمر الثاني: كان لايدع شخصا من محيطه يسافر إلا في فترة العطل المقررة عندهم، لأن المحيط كله كان طلاب علم تقريبا.

الأمر الثالث: كان يتعاهد الطلاب فيكلف من يفتش له هل في المحظرة من لم يقرأ لوحه لغير عذر في ذلك اليوم، أومن لديه بعض الإهمال فيقول له: لوحك هذا يقول لك اقرأني بجدية، أو ادفعني لمن يقرؤني، بمعنى لا مجال للإهمال أو البطالة ههنا.

وهذا مبدؤ معروف عند العلماء أن المهمل والكسول لاحظ له من العلم فيقول بعضهم:

قالت مسائل سحنون لقارئها ... بالدرس يعرف من كل ما سترا
لا يعرف العلم بطال ولا نكد ... ولا ملول ولا من يألف البشرا

(١) سمعنا ذلك من المشايخ غير مرة.

وكان يتعاهد طلابه بتعليمهم العلم والعمل وينمي فيهم الرغبة فيما عند الله تعالى والتجافي عن الدنيا وزهرتها، والاهتمام بثروة لا ينقصها الإنفاق بل ينميها، مقارنة بثروة المال التي إن أنفقت نفدت وإن أمسكت بُخِّل صاحبها، وإلى هذا المعنى أشار العلامة محمذن فال بن متالي بقوله:

خليلي أفني العمر غير الممدد — في نشب إن منه واسيت يزدد
ولا تفنين العمر في جمع ما إذا — بخلت به تذمم وإن جدت ينفد (١)

وهذه الجدية منه - رحمه الله - والمثابرة والإخلاص قد والله حُصِدت ثمارها والحمد لله.

وكان رحمه الله مهتما كذلك بجيرانه بل وبأمور المسلمين عامة ونورد لذلك مثالين اثنين:

المثال الأول: لما اعتدى بعض الناس على غنم امرأة من جيرانه تحرك لاستردادها بنفسه مما أدى إلى لقائه بأمير إدوعيش محمد بن امحمد شين فحصل بينهما ما حصل، مما تقدم ذكره، ثم كانت بداية علاقات وطيدة بينهما، وردت للمرأة الضعيفة أغنامها.

المثال الثاني: هو تدخله برسالة - علمية وعظية هادفة مليئة بالآيات والأحاديث النبوية - ليوقف بها نزيفا من الدماء حصل أو كاد يحصل بين فصيلين من إحدى القبائل التي توجد في محيطه، فحقن الله بها تلك الدماء والأعراض التي كادت أن تنتهك، ولأهمية هذه الرسالة علميا وأخلاقيا نوردها هنا بكاملها، ونفردها بمبحث يخصها ثم بمبحث يتم فيه التعليق عليها فنقول:

---

(١) حياة موريتانيا الثقافية ص: ١٣٥ ومشكاة المهاد ٥٦ - ٥٧.

المبحث الرابع عشر
في رسالة إصلاحية وعظية
أرسلها لبعض جيرانه، والتعليق عليها

والرسالة هي:

الحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده محمد ﷺ.

هذا وإنه من الأخ الناصح:

الحمد لله الذي قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣] والسلام على النبي الصبور.

وبعد: فسلام يملؤ الأرض البسيطة أريجا، ويقوم على منابر الثناء بنشر محاسنكم، الذين يعهد على مثلهم في وقائع الزمان، أجاركم الله مما يوجب هتك الأعراض ودخول النار، فإنه عليه الصلاة والسلام يقول: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يَا رَسُولَ الله هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه)[1] قبل أن يقتله.

وقال عليه الصلاة والسلام:

(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[2]

وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) رواه البخاري (الحديث: ٣١) ومسلم (الحديث ١٤).

(٢) رواه البخاري (الحديث: ١١٦) ومسلم (الحديث: ٤٨).

(ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية،) [١]....[٢]

قالو يا رسول الله: فما دعوى الجاهلية قال بأن تقاتل القبيلة عصبة وحمية، يقولون ياآل فلان، ولكن سنة الإسلام أن يتداعوا إلى حكم الله ورسوله، ثم يرضوا بها حكم الله ورسوله بينهم كائنا ما كان، أيغضب أم يرضي، أيحزن أم يسر، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء:٥٩] وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام لما شج المشركون جبينه وكسروا رباعيته وقتلوا عمه ومثلوا به، فقال لما رأى من حال عمه ما غاظه: (والله لئن أقدرني الله على قريش يوما لأمثلن بسبعين منهم مثلة يبلغ ذكرها مشارق الأرض ومغاربها)[٣] فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧] الآية.

ففعل عليه الصلاة والسلام ذلك للمشركين أعداء الدين وأعداء الله ورسوله، فكيف بالمؤمنين، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ وإنما للحصر والإثبات، وقال عليه الصلاة والسلام (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)[٤] لمن يظلمه، وقال ﷺ: (إن الله تعالى أذهب عنكم عبية [٥] الجاهلية

---

(١) رواه البخاري (الحديث: ١٢٩٨) ومسلم (الحديث ١٦٥) وغيرهما بلفظ:
لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.

(٢) وكتب رحمه الله هنا كلمة (ياآل فلان) ثم ضبب عليها ولهذا لم نكتبها.

(٣) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار: ١٤ / ٣١٩ بلفظ:
لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم ورواه.
الحاكم في المستدرك بلفظ: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك).

(٤) رواه البخاري (الحديث: ٢٤٤٢) ومسلم (الحديث: ٣٥٨٠).

(٥) العُبِّيَّةُ: الكبر والنخوة، قاله الخطابي في معالم السنن (٤ / ١٤٨).

وفخرها بالآباء، أنتم بنو آدم وآدم من تراب)[١] .

ولما كان الأصل من التراب التي كانت توطؤ بالأقدام، فلا قيام للفرع بعضه على بعض إلا من خصه الله تبارك وتعالى بالتقوى، كرامة من عنده لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣] وما حملني على هذا إلا ما نعرف فيكم من الكرم، فإن صبرتم واستغفرتم فأنتم مشكورون، وإلا فأنتم معذورون، وقد بلغني عنكم ما بلغني من فعلكم فيما بينكم وبين أهل الطالب أحمد، فدعوا ذلك واصبروا، والسلام كما بدأ يعود.

أبات بن الطالب احمد جدو [٢].

---

(١) رواه أبوداوود ٥١١٦ والترمذي ٣٢٧٠ بلفظ:
(إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ).

(٢) نقلت هذه الرسالة من خط العلامة أبات نفسه، إذ بحوزتي نسخة منها بخطه الجميل رحمه الله تعالى.

المبحث الخامس عشر:
في التعليق على هذه الرسالة
وذلك في عشرة محاور

سنلقي الضوء في هذه السطور على أهم المواضيع التي طرقتها هذه الرسالة بإيجاز شديد، فقد اشتملت مع قصرها على عشرة محاور، وهذه المحاور كلها تدور حول القواعد الدعوية التي يستطيع الداعية من خلالها أن يغير المنكر بأسلوبه الهادئ الرصين، والواعظ المخيف، وبأسلوبه الذي يدخل إلى قلوب السامعين دون استئذان، لرُقِيِّه وسلاسته، وعدم التعنيف فيه أو التجريح، وهذه القواعد التي ستراها في هذه الرسالة، مستخلصة كلها من أسلوبه عليه الصلاة والسلام كما سيتضح لنا ذلك في عرض محاور الرسالة في الكلمات الآتية:

المحور الأول:

وهو يشتمل على ما يعرف عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، وهو أن يأتي المتكلم في بداية كلامه بما يشعر بالموضوع الذي سيتكلم فيه، وموضوع هذه الرسالة الصبر والصفح وبيان خطورة الانتقام والتكبر، فقد بدأها بقوله: الحمد لله الذي قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣] وهذه الآية تثني على الصابرين ثناء كبيرا،: ثم قال: والسلام على النبي الصبور.

فالنبي ﷺ هو القدوة في الصبر، فكان يغضب ولكنه يصبر، وذلك في مناسبات كثيرة، فعن ا بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**». رواه البخاري ومسلم [١].

فافتتاحه رحمه الله رسالته بهذه الآية وهذا الحديث، فيه من براعة الاستهلال ما لا يخفى، كما يوجد فيه كذلك السجع بين كلمة (الأمور) و(الصبور) وهو من المحسنات اللفظية كما هو معروف عند علماء البلاغة.

المحور الثاني:

بدأ فيه بالثناء على القوم الذين تُوجه إليهم هذه الرسالة، وهذا أسلوب دعوي ممتاز، وهو الثناء على المدعو لينفتح قلبه للخير، فقد أثنى عليهم بقوله:

«ويقوم على منابر الثناء بنشر محاسنكم».

وهذا ثناء بأسلوب مجازي رائع، ثم يخاطبهم بقوله: «الذين يعهد على مثلهم في وقائع الزمان».

وهذا استعطاف بديع، فهو يقول لهم: أنتم الذين يعهد إليكم في الوقائع الكبار، والأزمات العظام، وهذا غاية ما يثنى به على البشري، لأن كل إنسان مجبول على أن يكون صاحب مجد وسؤدد، أيا كانت منزلته ووضعيته الاجتماعية، فإذا أثنيت على المدعو فسينفتح قلبه للخير الذي ستعرضه عليه، وسيستقبله بكل أريحية وانشراح.

المحور الثالث:

بين فيه خطورة قتل المسلم وسبابه وبدأه بقوله: «أجاركم الله مما يوجب هتك الأعراض ودخول النار»، وهذه الجملة ظاهرها الدعاء، ولكنها تحمل

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٤٣٣٥) ومسلم (الحديث: ١٤١).

من التحذير والتخويف الشيء الكثير، ثم أوضح بعد ذلك أن قاتل المسلم مصيره النار، وذكر الأحاديث التي تنص على ذلك، كقوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[1].

وعليه فليتهيأ كل من توجه إلى ساحة قد يقع فيها اعتداء على المسلم لهذا الوعيد العظيم، ذلك الوعيد الذي نصت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة كقوله تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]

فقد جاء في هذه الآية الوعيد على قتل المسلم عمدا، بأربعة أشياء كل واحد منها يكفي بانفراده، وهي:

- الخلود في النار.
- والغضب من الله عز وجل عليه.
- واللعن، وهو: إبعاده وطرده من رحمة الله.
- والعذاب العظيم الذي لا يعلم مداه ولا حقيقته.

فقتل المسلم أمر عظيم عند الله تعالى حتى إن النبي ﷺ قال:

«لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِم» رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني[2].

وكذلك الوقوع في عرضه ليس بالأمر الهين عند الله تعالى، فقد قال في حادثة الإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (الحديث: ١٣٩٥) والنسائي: (الحديث: ٣٩٨٧).

المحور الرابع:

بين في هذا المحور خطورة دعوى الجاهلية، وهي: أن تتداعى القبائل على المعارك على أساس الحمية والعصبية، ومن المعروف أن المسلم كلما اقترب من الجاهلية، سيبتعد من الإيمان ومرضات الله.

ولهذا لما عير أبو ذر بلالا بقوله: يابن السوداء، قال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[1] أي لم تتنظف من أدران الجاهلية وخبثها، لأن هذا التعيير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم، فكان لهذه الكلمة وقع شديد على أبي ذر لفهمه معنى الجاهلية رضي الله تعالى عنه.

وعلى هذا فمن دعا بدعوى الجاهلية فليعلم أن النبي ﷺ قد تبرأ منه بقوله: «ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية» ومن تبرأ منه رسول الله ﷺ فلا شيء له عند الله، وهذا أمر عظيم الوقع على أهل الإيمان، فالمؤمن إذا علم أنه فعل ما يسخط الله ورسوله، وتأكد من ذلك فإن نفسه تضيق عليه، بل وتضيق عليه الأرض بما رحبت، لأن مستقبله وحاضره أصبحا في خطر عظيم.

المحور الخامس:

بين فيه كيف يكون موقف المسلم إذا اختلف مع أخيه المسلم، وهو أن يتحاكموا إلى شرع الله ثم يرضوا بما حكم به الله ورسوله أيا كان، سواء وافق هوى النفس أو خالفه، فقد قال: «ولكن سنة الإسلام أن يتداعوا إلى حكم الله ورسوله، ثم يرضوا بما حكم الله ورسوله بينهم كائنا ما كان، أيغضب أم يرضي، أيحزن أم يسر».

فهذا هو خلق المسلم، الذي يؤمن بالله ربا، وبالإسلام منهجا، وبرسول الله ﷺ رسولا وقدوة، لأن معنى كلمة (المسلم)أنه استسلم لله، وأسلم أمره إليه،

---

(١) صحيح البخاري: (الحديث: ٣٠) ومسلم: (الحديث: ٣٨).

واطمأنت نفسه بذلك، ولا يلتفت إلى شيء آخر، كما قال تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وكما قال عز وجل:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور:٥١]

أما الذي لا يرضى بحكم الله إلا إذا كان في صالحه فقد اتبع منهجية المنافقين واليهود، التي بينها الله عز وجل في القرآن الكريم، فقال عن المنافقين نافيا عنهم الإيمان: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور:٤٧ – ٥٠] وقال عز وجل عن اليهود موبخا لهم:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٨٥].

فهذا النوع من الأخلاق يوجد وللأسف في كثير ممن يدعي الإسلام ولكن القرآن يوضح أنه ليس من أهل الإيمان وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النور:٤٧] فعلى المؤمن أن يبتعد من هذا الخلق وأن يستسلم ويخضع لحكم الله تعالى- إذا تبين له – دون تردد أو تفكير في أي شيء من أمور الدنيا الزائلة.

المحور السادس:

بين فيه أهمية الصبر والصفح عن الخصوم، والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك، مشيرا إلى ما جرى له في وقعة أحد، لما شج المشركون جبينه وكسروا رباعيته وقتلوا عمه حمزة رضي الله عنه ومثلوا به، فعزم على الانتقام منهم فجاء القرآن يأمره بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

فترك النبي ﷺ الانتقام وصبر، ومع هذا كان المعتدون أعداء الله ورسوله، أفلا يصبر المسلم إذا اعتدى عليه أخوه من باب أولى، وهذا مثال حي ورائع، ومقارنة بديعة منه رحمه الله في هذه النقطة الحساسة.

المحور السابع:

أوضح فيه ضرورة ملاحظة أخوة الإسلام، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، وهذا مبدأ ركز عليه النبي ﷺ كثيرا فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ» رواه البخاري[1].

وشبه ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد في قوله:

«تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» متفق عليه[2].

وقد أثنى سبحانه وتعالى على قوم وأخبر أنه يحبهم ويحبونه بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

---

(١) صحيح البخاري: (الحديث: ٢٤٤٦).

(٢) اللؤلؤ والمرجان: (الحديث ١٦٧١).

أي يخضعون أمام المؤمنين ولا يظهرون عزتهم ولا قوتهم ضدهم بل يكونون متواضعين، ولم يمدح الله عز وجل الذلة إلا في موضعين: أمام المؤمنين كما في هذه الآية، وأمام الوالدين في قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[الإسراء:٢٤].

وإذا روعي مبدأ الأخوة في الإسلام والتراحم والتسامح بين المسلمين، تقلصت النزاعات بينهم وصلح حالهم، وظهروا على عدوهم، أما إن ساد غير ذلك من الخلاف والتباغض والتناحر فإن ذلك يكون سببا في الحروب الأهلية، وبالتالي يؤدي إلى ضعف المسلمين وهوانهم وفشلهم، وقد حذر القرآن من ذلك فقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[الأنفال:٤٦]أي قوتكم. ثم قال: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦]

وهذه الجملة تدل على أن هذا الموقف يحتاج إلى صبر شديد، لأن بعض المسلمين – للأسف – لديه سوء أخلاق لا يطاق، فيكون التعامل معه بالأخوة من أصعب الأشياء، ولكن في النهاية سيكون الصابر رابحا لأن الله معه بالنصر والتأييد، وسيكون المسيء خاسرا في الدنيا والآخرة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) رواه مسلم.(١)

والمَلُّ: هو الرماد الحار.

قال النووي: وَمَعْنَاهُ كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَلَمِ بِمَا يَلْحَقُ آكِلِ الرَّمَاد الْحَارّ مِنَ الْأَلَمِ، وَلَا شئ عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ بَلْ يَنَالُهُمُ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ فِي قَطِيعَتِهِ وَإِدْخَالِهِمُ الْأَذَى عَلَيْهِ(٢). وما أكثر هذا النوع من الناس في أيامنا هذه، فنسأل الله الهداية والتوفيق.

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٢٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٥).

المحور الثامن:

بين فيه أهمية الإيمان بمساوات بني آدم بعضهم لبعض، فأبوهم جميعا آدم، وآدم من تراب، فلا فضل لبعضهم على بعض إلا من فضله الله وأكرمه بالتقوى قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٣].

وهذا مبدأ عظيم من مبادئ العدالة الإلهية، إذا تمسك به كل شخص ووقف عند حدوده، قلَّت المشاكل والأزمات التي تحدث في كثير من مناطق العالم، إذ مبدؤها غالبا هو إرادة البعض الاستعلاء فوق الآخرين بدون حق، ثم مقاومة الآخرين لذلك الاستعلاء الظالم، وحينها يحدث الاصطدام بين الفريقين، فتنتهك الأعراض وتراق الدماء، ويجرم البريء، ويروع الآمن ويقتل الضعيف، وينتشر من الفساد والظلم ما لم يكن في الحسبان. فنسأل الله العافية.

المحور التاسع:

بين فيه أهمية التواضع، وذلك أن الإنسان إذا تذكر أنه خلق من التراب التي تطؤها الأقدام، فعليه أن يبتعد من التكبر والترفع، إذ مبدؤه التراب وإليها يعود قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ كَيْفَ يَتِيهُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ(١).

فالتواضع خلق أصيل من أخلاق الأنبياء والفضلاء والعظماء من بني آدم. وقد قال النبي ﷺ:

«مَنْ تَوَاضَعَ للهِّ دَرَجَةً يَرْفَعْهُ الله دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ يَتَكَبَّرْ عَلَى الله دَرَجَةً يَضَعْهُ الله دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ» رواه بن

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٠٩).

حبان في صحيحه»[1].

والتكبر من أخلاق الشيطان الرجيم، ولا يتكبر من بني آدم إلا من لديه مركب نقص، فهو يريد أن يعوض ذلك النقص بالكبر والفخر، وهيهات، فلن يزيده ذلك إلا بعدا من الله، ونقصا وبغضا في قلوب الناس.

المحور العاشر:

ختم فيه رسالته بكلمة استعطاف ونصح للقوم بأنه يعلم ما في نفوسهم من الكرم والفضل، فينهاهم عما كانوا فيه من الشحناء مع إخوتهم، وقد عبرعن ذلك بقوله: «وقد بلغني عنكم ما بلغني من فعلكم فيما بينكم» وهذه العبارة تحمل تهويلا وتعظيما بالغا، وهو أسلوب بلاغي رائع، فالعرب إذا أرادت تهويل أمر وتعظيمه عبرت عنه بالموصول حتى يحمل طابع الإبهام والتهويل، كقوله تعالى في إهلاك فرعون وجنده: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨] أي غشيهم أمر هائل عظيم لا يمكن تصوره.

وبالجملة فهي رسالة على اختصارها تحمل من المعاني الشيء الكثير وقد أديت هذه المعاني بأسلوب رفيع ورصين. فرحم الله تعالى كاتبها رحمة واسعة.

(١) صحيح ابن حبان (الحديث: ٥٦٧٨).

المبحث السادس عشر
في أخلاقه وزهده

كان العلامة أبات رحمه الله عالما ربانيا جمع بين العلم والعمل، وكان همه الشاغل بليله ونهاره نشر العلم والعمل به، وإصلاح المجتمع من حوله، وكانت له همة عالية خاضت به أخطارا جسيمة، ومآزق مهلكة، يقول أبو الطيب المتنبي.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وكان معرضا عن الدنيا وزخارفها، وعن الراحة والدعة فيها، وقد طلبته الدنيا بنعيمها وأموالها ومناصبها أكثر من مرة في مواطن متعددة، فأعرض عنها، وارتفعت به همته إلى ما هو أعلى وأسمى وأرقى، وهو مرضاة الله عز وجل.

وباستطاعتنا أن نلمس ذلك بوضوح في مراحل متعددة من حياته رحمه الله ونضرب لذلك مثالين اثنين:

المثال الأول: عندما جرى اللقاء بينه وبين أمير إدوعيش محمد بن امحمد شين وجرى بينهما ماتقدم ذكره، ثم أعطاه الأمير مالا جزيلا، قيل: أعطاه جلد غزال مملوءا ذهبا، وهو في تلك الفترة تلتف حوله محظرة كبيرة، فكان باستطاعته - والحالة هذه - أن يكون من أثرياء عصره ويعيش باقي عمره عيشة المترفين، لكنه قرر أن يسافر إلى المشرق، ويخاطر بنفسه، ثم يصرف ذلك المال كله في الكتب، ثم يعود بمئات المراجع النفيسة، ثم يعيش باقي عمره في أحضانها، وهو يطالع تلك المجلدات ويعلم الناس، ثم يموت ولم يورث عنه من الدنيا شيء

يذكر.

المثال الثاني: لما كان في طريق عودته من رحلته العلمية ومر بالمملكة المغربية، التقى بملكها وتقدم إيضاح ذلك في مبحث رحلته - فأعجب به الملك إعجابا عظيما، لأنه رأى علامة جليلا قائما بمجهود هائل، يحمل جامعة عملاقة على الجمال بمفرده تقريبا، فهو يحمل مشروعا ضخما باديا للعيان، لا تكاد الدول أن تقوم بتنفيذه إلا بعد رصد الأموال الكثيرة، وتجنيد الرجال الأكفاء ذوي العدد والعدة.

فلما رأى الملك ذلك طلب منه أن يقيم عنده ليجعله قاضيا ومفتيا للمملكة، وسيرسل من يأتيه بأهله، ولا شك أنه سيغدق عليه أصناف نعم الدنيا وراحتها، لكنه رفض ذلك رفضا باتا وواصل سيره إلى بلده، لينفذ فيه مشروعه العلمي والدعوي الطموح، فكان له ما أراد بتوفيق الله تعالى أولا، ثم بعلو همته وإخلاصه.

وكذا ينبغي أن يكون العلماء الربانيون الذين هم ورثة الأنبياء المقتدون بهديه ﷺ السائرون على نهجه.

فعن بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**». رواه الترمذي وصححه الألباني(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**» رواه الترمذي أيضا وصححه الألباني (٢)

---

(١) سنن الترمذي (الحديث: ٢٣٧٧).

(٢) سنن الترمذي (الحديث: ٢٤٥٦).

وبهذا نال أئمة السلف ما نالوا من خيري الدنيا والآخرة.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَهُ، وَمَنْ أُوتِيهِنَّ أُوتِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أخرجه وكيع في كتاب الزهد[1].

وليس معنى الزهد أن يترك الشخص أسباب الدنيا ويجلس متكلا على الناس فهذا خلاف السنة.

قال بن الجوزي واعلم – وفقك الله – أنه لو رفض الأسباب شخص يدعي التزهد، وقال: لا آكل، ولا أشرب، ولا أقوم من الشمس في الحر، ولا استدفئ من البرد، كان عاصيًا بالإجماع، وكذلك لو قال – وله عائلة-: لا أكتسب، ورزقهم على الله تعالى فأصابهم أذى، كان آثمًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» انتهى[2].

وإنما الزهد في الدنيا قصر الأمل، وأن يبتعد عن المال الحرام ولا يشغله الحلال عن طاعة الله، فيكون همه الشاغل هو العلم والعمل به، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل، ثم يزاول بعض الأسباب الدنيوية الحلال، ليستغني بها عن الناس وعن الشبهات، فقد كان بعض أصحاب النبي ﷺ لهم ثروات طائلة، وهم سادة الزهاد كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهما من الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، ومثلهم في ذلك أئمة التابعين فمن بعدهم.

فهذا سفيان الثورى وهو من أكبر أئمة الزهد في تاريخ الأمة وكانت له أموال يصلحها ليكف بها نفسه عن الحاجة إلى الغير.

(١) الزهد لوكيع: (ص: ٢١٨).

(٢) صيد الخاطر ص: ٧٦.

قال عبدالله بن محمد الباهلي: جاء رجل إلى سفيان الثوري فقال: «يا أبا عبدالله أتمسك هذه الدنانير؟ فقال: اسكت، لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك، ثم قال: من كان في يده من هذه الأموال شيء فليصلحه، فإنه في زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه».

وعن يوسف بن أسباط قال: قال لي سفيان الثوري: لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس[1].

وهذا هو الزهد والفقه والسنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف عبر القرون الماضية.

وهذا هو منهج العلامة أبات رحمه الله الذي رأيناه ماثلا في سيرته وهو الذي كان يوصي به أبناءه وطلابه، وفي هذا لإطار نذكر بعضا من وصاياه لأبنائه وتوجيهاته لهم في المبحث اللآتي:

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لابن الخطيب: ١٢٢.

المبحث السابع عشر
في وصاياه لأبنائه

أوصى العلامة أبات رحمه الله أبناءه بعدة وصايا منها قوله:

الوصية الأولى: (عليكم بالفقهيات)

أي عليكم بقراءة علم الفقه والاهتمام به أكثر، وهذه وصية عظيمة لمن تدبرها فإن مدار العلوم الإسلامية على الفقه وهو خلاصتها، وبيان ذلك، أن علوم الشريعة الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علم الكتاب والسنة وما تعلق بهما كعلم التفسير ومصطلح الحديث والتاريخ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك.

الثاني: علوم الآلة التي هي علوم اللغة العربية من نحو وصرف ولغة وبلاغة، وكعلم الأصول والمنطق ونحو هذا، فهذه العلوم هي الآلة لفهم الكتاب والسنة فهما صحيحا متقنا.

الثالث: خلاصة الكتاب والسنة، وهي الفقه والعقيدة، وعلم تزكية النفس، وهو الإخلاص أو الإحسان، وهو ما يعرف عند المتأخرين ب(التصوف)، والتعبير بالإحسان أو التزكية أولى عندي لأن كلا منهما ذكر في الكتاب أو السنة كقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] وذكر الإحسان في حديث جبريل المشهور في الصحيحين.

والفقه هو معرفة الأحكام الشرعية العملية، أي معرفة أحكام أفعال المكلفين من تحريم وتحليل ووجوب ونحوها، والفقه حقيقة لا يسمى فقها

بدون العقيدة والإخلاص، لأن العبادة لا تقبل إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط وهي:

- صحة العقيدة.
- وموافقة العبادة للسنة.
- والإخلاص فيها.

فالدليل على الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤].

والدليل على الثاني: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». متفق عليه [١] ومعنى فهو رد أي مردود عليه.

والدليل على الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة:٥].

فالفقه إذا هو خلاصة الكتاب والسنة، فلذلك فضله الله تعالى وفضل أهله على سائر الناس.

قال ابن الجوزي رحمه الله: أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته، ومن تأمل ثمرة الفقه، علم أنه أفضل العلوم. فإن أرباب المذاهب فاقوا بالفقه الخلائق أبدًا، وإن كان في زمن أحدهم من هو أعلم منه بالقرآن أو بالحديث أو باللغة.

وكم رأينا مبرزًا في علم القرآن، أو في الحديث، أو في التفسير، أو في اللغة لا يعرف - مع الشيخوخة - معظم أحكام الشرع، وربما جهل علم ما ينوبه في صلاته، على أنه ينبغي للفقيه ألا يكون أجنبيًّا عن باقي العلوم، فإنه بذلك

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: (الحديث: ١١٢٠).

يكون فقيهًا، بل يأخذ من كل علم بحظ، ثم يتوفر على الفقه، فإنه عز الدنيا والآخرة.[1].

هذه وصية العلامة ابن الجوزي - وهو من كبار علماء الأمة وحكمائها - تتفق تماما مع وصية العلامة أبات لأن المنهج واحد وهو اتباع سنة النبي ﷺ وهو القائل: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.) متفق عليه[2] .

ومفهومه أن من لم يفقهه في الدين لم يرد به خيرا والعياذ بالله، وهذا الحديث من أشد الأحاديث وقعا على المفرطين في التفقه في الدين، ولذلك أوصى العلامة أبات أبناءه بهذه الوصية وهي في الحقيقة وصية لكل مسلم، فينبغي أن يتنبه لها.

وكان يحثهم على قراءة مختصر خليل وإتقانه، حتى روي عنه أنه قال: «لحية تتحرك في غير الباب عابثة» وهو يشيربهذا إلى أن الشاب ينبغي أن ينتهي من القرآن وعلوم الآلة قبل أن يلتحي، ثم بعد ذلك يشتغل بخليل، فإذا التحى وهو لم يتفرغ لخليل، فمعنى ذلك أنه لم يكن جادا أيام شبابه في طلب العلم.

ومن المعروف عند الشناقطة أن من أتقن خليلا ومتعه الله بالذكاء لا تكاد تقف أمامه مسألة في المذهب المالكي. فهو الكتاب الذي يغني عن الكتب في حين لا يغني عنه شيئ منها.

ومما يحكى في ترجمة العلامة محمد احمد الداه الشنقيطي - صاحب كتاب الفتح الرباني على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني - أنه لما همَّ بقراءة كتاب صغير في الفقه قالت له أمُّه: اقرأ مختصر خليل واحفظه، فإنك ستُسأل حتى

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٢٣).

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٦١٥).

تموت، ولو قرأت غيره ستَسأل حتى تموت[1].

قلت وما أحسن هذه الوصية وأدقها، فإنها قالت له إذا قرأت خليل وحفظته ستظل تسأل - بالبناء للمجهول - أي سيظل الناس يسألونك ما دمت حيا، وإذا قرأت غيره ستظل بعض المسائل تخفى عليك، وتحتاج إلى أن تسأل عنها غيرك، إلى أن تموت.

الوصية الثانية: (عليكم ببنات الجكانيات):

يعني: عليكم بالزواج من نساء قبيلة (تجكانت)، وهي القبيلة ذات التاريخ المشرق والمجد المتألق، والسر في هذه الوصية - والله أعلم - أمران:

الأمر الأول: قالوا إن المرأة الجكنية تدفع دائما بابنها إلى التعليم، مهما كانت الظروف والأحوال، ولا تتركه يتخلف عن التعليم، وحتى إنها تسلمه لمن يدرسه في مكان بعيد عنها، وتتركه يتلقى الكثير من صعوبات الحياة، غير ءابهة بصغره وضعفه، هذا مع ما أودعه الله عز وجل في قلوب الأمهات من الحنان والعاطفة المفرطة تجاه ابنائهن، وقد عرفت المرأة الجكنية بهذا الخلق الإسلامي الأصيل، ونتائج ذلك ماثلة للعيان، فإن هذه القبيلة عرفت بكثرة العلماء الأجلاء، عبر تاريخها المديد، وحتى نسب إليها العلم في المقولة الشائعة، وهي (العلم جكني).

الأمر الثاني: أن هذه القبيلة كانت تتبع المنهج السني القويم، فقد جمعت بين الدين والدنيا، وبيان ذلك أن القبائل في تلك الفترة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كان اهتمامه بالسلاح والقوة العسكرية والسطوة على الناس بحق وبغير حق، ولكنه يفرط في العلم والدين تفريطا فادحا، فلا يهتم بهما أصلا.

والقسم الثاني: كان اهتمامه بالعلم والعبادة وتربية المواشي، لكنه مفرط في

(١) حجاج ومهاجرون للدكتور حماه الله بن السالم (ص ١٤١).

إعداد القوة العسكرية، فلا يهتم بها بتاتا، وإذا اعتدي عليه لا يستطيع أن يرد عن نفسه.

والقسم الثالث: هو من جمع بين الأمرين، فاهتم بالعلم والدين، وفي الوقت نفسه أعد من القوة العسكرية ما يكفي لرد المعتدين عليه، وهذا هو السنة بلا شك، لأن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ». رواه مسلم[1].

وقد كان الجكنيون يمثلون هذا القسم الأخير، فلذلك أوصى العلامة أبات أبناءه أن يتزوجوا منهم، لأن الأب مطالب بأن يحسن على أبنائه فيختار لهم المنبت الطيب، كما قال أحد الأدباء يخاطب أبناءه:

وأول إحساني إليكم تخيري ... لماجدة الأعراق باد عفافها.

وهذه الوصية التي أوصى بها أبناءه، قد طبقها هو نفسه رحمه الله، فزوجاته كلهن جكنيات، وقد تبعه في ذلك بعض أبنائه، فوجدت آثار ذلك ونتائجه، وحمدت مآلاته وعواقبه، ولله الحمد.

الوصية الثالثة قوله: (عليكم بسكنى أفواه الوديات):

يعني أنه أوصاهم بسكنى شمال تكَانت ومنطقة الخط لأنها منطقة طيبة المناخ صحية في الأبدان، والبدن الصحيح يمكن لصاحبه أن يبدع، وقد جاء في المثل المشهور عن الأطباء: «العقل السليم، في الجسم السليم»[2].

وظلوا يسكنون هذه المناطق حتى أجبرهم القحط على تركها، واستبدالها بالمناطق التي تقع في وسط تكَانت وهي: «القنيزر والمريفق» وما حولهما، كما سيأتي إيضاحه في الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) صحيح مسلم: (الحديث: ٣٤).

(٢) انظر تفسير المنار (٢ / ٣٧٩).

الوصية الرابعة: (عليكم أن تبتعدوا عن جمع الهديات):

أي أمرهم أن يبتعدوا عن سؤال الناس الهدية باسم الشرف، وقال لهم: من ترك منكم ذلك واهتم بالعلم والدين أضمن له الغنى في الدنيا وسعادة الآخرة.

وقد امتثل أبناؤه هذه الوصية، فاستجاب الله لهم دعاء أبيهم فكانوا أصحاب ثروات طائلة، وابتعادهم عن جمع الهدية معروف، حتى قال فيهم الأديب حمادي بن الدمين في شعره الحساني الجميل ما يلي:

فـلـحـقـيـق يَـــلِّ تخـتـيرْ　　يـصـلـح لـك جمْـع الـزيـارات
بـلـعَـجْـلَ غـافـس سـيرْ　　لهـل ابـات ازُورْ اهـل ابَّـات

ثم يقول:

ازْوَاي بـسْـتَـزْوِ عـجـيـبْ　　واشْراف بـشَرَف مـاهُ اكـذيـبْ
شَرَفْـهُـم مَّـا فـيـهْ اتـعَـاكـيـبْ　　مـصـحَّـحْ فـاكـتـوبْ الـرُّوات
وِدَوْرُوه الاَّ لـلـمـجِـيـبْ　　مُـول الملـك الـواحـدْ فَـالـذَّاتْ
مـا كَـبْـظُـوه ابْـذاك اتـنـيريـب　　لامْـر الـطَّـلْـبَ وَالهَـدِيَـاتْ
شرفْـهُـم مَّـا جـرْلهُـمْ عَـيـبْ　　مخَـلَّاهُـم شرفَ وسَـادَاتْ

ولا شك أن هذه وصية عظيمة، وقد تكون لها علاقة بما يحكى أن أبناء الجد الكبير: سيد يحي حصل بينهم تشاح مع قراباتهم في شأن الهدية فنهاهم عما كان في آبائه من التسمية بمولاي، واتباع تلك المظاهر التي تؤدي إلى المشاحة، وأنه يرجوا من الله أن يعوضهم عن ذلك الخلافة الباطنية من العلم والعمل، فطبقوا ما أمرهم به[1].

---

(١) رفع الأستار للشيخ التراد مخطوط ص ٣.

وهذه الوصية التي أوصى بها العلامة أبات أبناءه، هي في الحقيقة، وصية النبي ﷺ فقد قال عليه الصلاة والسلام:

«وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ». متفق عليه[1].

والضمان الذي جاء في هذه الوصية هو ضمان الله عز وجل في كتابه حيث يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧]

فالعلامة أبات رحمه الله في هذه الوصية لم يأت بشيء من نفسه – وما كان له ذلك – وإنما بين لهم وصية الله عز وجل والضمان الذي وعد به عباده، وحذرهم من مخالفة ذلك، والابتعاد مما هو منتشر في البيئة من مخالفة السنة، وهو ما يفعله كثير من المنتسبين للشرف من مسألة الناس بإلحاف، وأنهم أبناء رسول الله ﷺ، فيعطيهم الشخص ما يطيقه وما لا يطيقه، لأن المسلم إذا سئل برسول الله ﷺ، الذي هو أحب إليه من نفسه، سيعطي ما يملك وما لا يملك، ولو سئل نفسه التي بين جنبيه لأعطاها، وهذا خلق إسلامي رفيع من المعطي، ولكن الشريف للأسف قد ظلم نفسه، والشاعر الحكيم يقول:

.... ومـــن يـشـابـه أبـــه فـــما ظلم

ومفهومه أن من لم يشابه أباه فقد ظلم، لاسيما إن كان أبوه ذلك النبي العظيم ﷺ، الذي أمر الله جميع الناس باتباعه دون حدود.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] وقال عز وجل: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤] ومفهومه أن من لم يطعه فليس بمهتد بل هو ضال.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١ / ٢١٧).

ومن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى نهيا باتا عن مسألة الناس.

ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»[1] .

وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[2].

وقوله: مُزعة لحم أي قطعته، قال القاضي عياض: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلا لا وجه له عند الله، والعياذ بالله، وقيل هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم فيه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه[3].

ومن الأخلاق المؤسفة عند كثير من المنتسبين للشرف أيضا أذية الناس والتطاول عليهم، وقد نهى الله عز وجل ورسوله ﷺ عن ذلك أشد النهي.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال عزوجل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨].

وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ١٤٧٠).

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٦١٧).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٣٠).

الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» رواه مسلم[1].

وقوله: بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، وغمط الناس معناه احتقارهم.

ينبغي للشريف أن يتصف بأخلاق جده ﷺ:

فليحذر الشريف المنتسب للنبي ﷺ من الاتصاف بالأخلاق التي تخالف أوامر أبيه، من كثرة مسألة الناس باسم الشرف، وأذيتهم، وتخويفهم منه، وأنه يستطيع أن يضرهم بالخوارق والكرامات وما إلى ذلك.

وليحذر كذلك من أخذ أموال الناس بالرقيا والطلاسم وعلوم الشر، فإن كل ذلك مخالف لسنة النبي ﷺ، وهو بذلك أولا يشوه سمعة الشرف، وثانيا يضر نفسه، وسيتبين له ذلك إذا وضع في قبره، إن لم يعفو الله عز وجل عنه.

ولا يغتر بما شاع عند كثير من رعاع الناس أن الشريف له أن يفعل كذا وكذا لأنه شريف، وليعلم أن عدوه هو من يزين له الخروج عن سنة جده ﷺ، وقد ابتلي كثير من الشرفاء باولئك الأعداء كالروافض وأهل التصوف المنحرف، يقول الشيخ محمد العاقب بن ما يابى رحمه الله:

وأخبث الأعدا لأهل البيت من ... يغريهم بالميل عن أصل السنن

مثل الروافض وأهل البدع ... حتى انتهوا بهم إلى التبدع

ثم قال في شرحه: وأعدى عدو لأهل البيت من يوهمهم أنهم لا يعذبون ويظهر لهم كمال المحبة كما فعل بهم الرافضة حتى مالوا بهم الى بدعتهم وحتى قيل فيهم: «أعز الأشياء في الدنيا شريف سني» نسأل الله السلامة بمنه، بل يذكر لهم {يضاعف لها العذاب} الآية ونحوها، وأن الحسنة في بيت النبوءة أحسن والسيئة فيه أسوء قال الشاعر:[2]

(١) صحيح مسلم (الحديث: ١٤٧).

(٢) هو أبو محمد المخزومي انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٠٤).

العيب في الجاهل المغمور مغمور وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفي من حقارتها ومثلها في سواد العين مشهور(١)

وليعلم الشريف أن عقلاء المجتمع لا يخفى عليهم سوء فعله، وأنه بذلك الفعل يسيء إلى المقام السامي الذي ينتسب إليه، وأهل الفضل من الناس غالبا يُحمِّلهم الله عز وجل تكاليف أكثر، وإن خالفوا يعاقبهم أكثر، فقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ وهو أكرم شخص في الوجود:

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥]

أي لو خالفت ما أمرت به ولو قليلا لضاعفنا عليك العذاب ولأذقناك مِثْلَيْ مَا يُعَذَّب به غَيْرك فِي الدنيا والآخرة.

وقال تعالى لأزواج النبي ﷺ وهن الطاهرات الكريمات على الله:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]

وهذه آيات مخيفة للغاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

وعلى الشريف أن يعرف أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن يعرف أن ميراث النبي ﷺ هو العلم والدين، لا مسألة الناس والتطاول عليهم، قال عليه الصلاة والسلام:

(إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا

(١) نشر الطرف فيما طواه الجهل من أحكام الشرف ص:٩، والبيتان للمخزومي انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٠٤).

العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ). رواه أبو دود والترمذي وغيرهما[1].

وقد أخذ بعض الشعراء معنى هذا الحديث فقال:

الْعِلْمُ مِيرَاثُ النَّبِيِّ كَذَا أَتَى ... فِي النَّصِّ وَالْعُلَمَاءُ هُمْ وُرَّاثُهُ
مَا خَلَّفَ الْمُخْتَارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ ... فِينَا فَذَاكَ مَتَاعُهُ وَأَثَاثُهُ

فإذا كان الشريف لاعلم لديه ولا دين، فليعلم أنه صفر الكفين من ميراث أبيه، ﷺ، أما التكبر والاستعلاء فهو من ميراث الشيطان الرجيم، فقد حكى الله عز وجل عنه قوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف:١٢].

الأمر الثاني: أن يعرف ما هي وصية رسول الله ﷺ لعشيرته وأهل بيته وأحب الناس إليه: عمه وعمته وابنته، فقد أعلن لهم قائلا:

«يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا». رواه البخاري[2].

وبين عليه الصلاة والسلام أن ولايته لا تكون إلا لأهل الدين، فمن ظن أن ولايته تكون بالنسب وحده فهو واهم. فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص:

أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، وَإِنَّمَا وَلِيِّيَ الله وَصَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ»[3].

(١) سنن أبي داود: (الحديث: ٣٦٤١) والترمذي: (الحديث: ٢٦٨٢).

(٢) صحيح البخاري: (الحديث: ٢٧٥٣).

(٣) صحيح مسلم: (الحديث: ٣٨).

قال ابن رجب في شرحه: يُشِيرُ إِلَى أَنَّ وِلَايَتَهُ لَا تُنَالُ بِالنَّسَبِ وَإِنْ قَرُبَ، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَعَمَلًا، فَهُوَ أَعْظَمُ وِلَايَةً لَهُ، سَوَاءٌ كَانَ لَهُ مِنْهُ نَسَبٌ قَرِيبٌ، أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُهُمْ:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ ... فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ
لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبْ[1]

وقال عليه الصلاة والسلام:

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رواه مسلم.[2]

ومعناه أنَّ العمل هو الذي يبلُغ بالعبدِ درجاتِ الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٩]، فمن أبطأ به عمله أنْ يبلُغَ به المنازلَ العالية عند الله تعالى، لم يُسرِعْ به نسبه، فيبلغه تلكَ الدَّرجاتِ، فإنَّ الله تعالى رتَّبَ الجزاءَ على الأعمال، لا على الأنساب[3].

وفي هذ المعنى يقول العلامة الشيخ محمد العاقب بن ما يابى الجكني رحمه الله:

وإن يفارق دينه النفع ذهب ... لقوله تبت يدا أبي لهب
فنسب الدين هو المقطوع ... بنفعه و غيره مقطوع
ومن له بالمصطفى اقتران ... فكفره النعمة و الخسران
أن يتعاطى ما يسوؤه غدا ... إذا رأى ما قدمت منه اليدا
أعاذنا الرحمن من كفر النعم ... والفتنة التي تجر للنقم[4]

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢ / ٣١٠).

(٢) صحيح مسلم (الحديث: ٣٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢ / ٣٠٨).

(٤) نشر الطرف فيما طواه الجهل من أحكام الشرف ص: ٦.

فعلى المنتسبين للشرف أن يتنبهوا لهذه الحقائق ولا ينخدعوا بما قد يوجد في بعض بيئاتهم من الانحراف عن المنهج السوي، حتى ولو كان ذلك الانحراف قد صدر من بعض آبائهم وأجدادهم، وليستغفروا لهم، فإن المعصوم هو رسول الله ﷺ وحده، والغير يخطئ ويصيب، فنسئل الله العفو والعافية والتوفيق في القول والعمل.

ثم نقول إن من الأسباب التي دعت الشرفاء إلى مسألة الناس، هو أنهم ممنوعون من الزكاة لأنهم آل النبي ﷺ، وليس ثم ما يسدون به خلتهم من خُمس ونحوه، فتوجهوا إلى السؤال، وفي هذا الإطار أود أن أسلط الضوء على مسألة منع الزكاة أو جوازها على الشرفاء في وقتنا الحاضر، في المبحث الآتي وذلك لتعلقها بالموضوع الذي كنا فيه:

المبحث الثامن عشر
هل يجوز إعطاء الزكاة في هذا العصر للشرفاء أم لا؟

الجواب والله الموفق أن هذه المسألة من المسائل العالقة، التي اضطربت فيها أقوال العلماء قديما وحديثا، وفي إطار الجواب عنها، لا بد أولا من إيضاح الأدلة التي تتجاذبها، فنقول:

اعلم أن الله عز وجل قال في مصاريف الزكاة:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

فقوله: إنما الصدقات للفقراء والمساكين: نص عام يعم جميع فقراء المسلمين ومساكينهم في كل زمان ومكان، ولا يجوز أن نخرج من هذا العموم إلا ما أخرجه نص صحيح صريح، وقد خُصص عموم هذه الآية بقوله ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد». رواه مسلم[١].

وسنتكلم على هذا الحديث من محورين:

المحور الأول: ما المراد بالآل في هذا الحديث؟

والجواب: أن الآل تطلق في القرآن الكريم وفي السنة النبوية إطلاقين اثنين:

(١) صحيح مسلم: (الحديث: ١٦٧).

الأول: تطلق ويراد بها الأتباع نحو قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٥٠] أي أتباعه، وكقوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٤٩] أي من أتباعه الذين يأتمرون بأمره.

الثاني: تطلق ويراد بها أهل البيت كالأبناء والبنات والزوجات ونحو ذلك، فمثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] فآل عمران: مريم وأمها وابنها عيسى عليه السلام، وآل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وليس المراد ذريته إلى الأبد، هذا مما لاشك فيه، لأن فيهم اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء، وفيهم عبدة الأوثان، والله عز وجل يقول في إسماعيل وإسحاق: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣].

ومثاله من السنة قوله ﷺ في حديث عبدالله بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلاَن، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللهمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» متفق عليه.(١)

فالمراد بالآل هنا: هذه الأسرة التي أخرجت الزكاة، ولا يتناول ذلك ذريتها التي ستأتي في غابر الأزمان، لا يستطيع أحد أن يفسر الحديث بذلك، وكقوله ﷺ، لما مر على عمار بن ياسر وأمه وأبيه يعذبون في الله، قال لهم: «**صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» رواه الحاكم في المستدرك(٢).

فهذا أيضا لا يتناول إلا ياسر وزوجته سمية وابنهما عمار رضي الله عنهم.

هذان هما معنى الآل في الكتاب والسنة، ولا شك أن النبي ﷺ في تحريم الصدقة على الآل لا يريد المعنى الأول قطعا وهم أتباعه، بل يريد الثاني، ومن

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: (الحديث: ٦٥١).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (الحديث: ٥٦٤٦).

المعروف عند الأصوليين أن اللفظ الشرعي إن وجد له تفسير في الشرع لا يفسر إلا به ولا يحمل إلا عليه، فإن لم يوجد له استعمال شرعي فإنه يفسر بالعرفي، فإن لم يوجد، فسر باللغوي، قال في مراقي السعود:

والـلـفـظ محـمـول عـلى الـشرعـي إن لم يـكـن فـمطـلـق الـعـرفي

فاللغوي على الجلي...إلخ [(١)]

وعلى هذا فتكون أحاديث النهي عن الصدقة لا تتناول إلا آل محمد الموجودين في حياته ﷺ، وحينئذ فلا إشكال في إعطائها لذريته البعيدة منه لأن أحاديث النهي لم تتناولهم، فبقوا في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠].. الآية. فمن كان منهم فقيرا أعطي من الزكاة كغيره.

وهذا يتلاءم مع القواعد الشرعية من مساوات ذريته ﷺ لغيرهم في جميع التكاليف، فقد قال ﷺ «وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» متفق عليه[(٢)].

المحور الثاني:

إذا سلمنا تسليما جدليا أن المراد بالآل ذريته ﷺ إلى الأبد، كما هو التفسير الشائع عند الكثيرين - علما بأنه لا يوجد له دليل يؤيده لا من الكتاب ولا من السنة - فما العلة في منعهم من الزكاة؟

هناك عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: أنه إنما نهاهم عنها مخافة ألسنة المفترين، لئلا يقولوا أخذ منا الزكاة وأعطاها لأهل بيته، فأراد أن يقطع وسيلة تلك التهمة، وقد كان عليه الصلاة والسلام يراعي هذا الجانب كثيرا، كما في قوله ﷺ لما أراد عمر

(١) نشر البنود على مراقي السعود ١ / ١٣٩.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحدبث: ١١٠٠).

قتل المنافق عبدالله ابن أبي: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» متفق عليه[1].

وكقوله للرجلين اللذين رأياه مع زوجته صفية، فأسرعا، فقال لهما عليه الصلاة والسلام: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالاَ: سبحان الله يارسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**» متفق عليه[2].

فأراد ﷺ هنا أن يمنع آله من الصدقة ليقطع عنه أسباب التشويش الإعلامي، وهذه العلة تنتفي بموته ﷺ.

الاحتمال الثاني: أن تكون علة منعهم من الزكاة أن لهم في خمس الخمس ما يغنيهم، فلا يحتاج فقراؤهم إلى الصدقة، وهذه العلة أيضا تنتفي إذا منعوا خمس الخمس أو كان غير موجود كما في هذه الأيام.

الاحتمال الثالث:

أن يكون ذلك لشرفهم وأن الزكاة أوساخ الناس، كما جاء في قوله ﷺ: «**إن الصدقة لا تحل لآل محمد إنما هي أوساخ الناس**» رواه مسلم[3].

ولعل ذلك كان تنفيرا لهم منها، ليتركوها ويبتعدوا منها لأنهم في غنى عنها بالخمس، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لكم في الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم**» رواه الطبراني[4]. وقال بن كثير: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنُ الإِسْنَادِ[5].

---

(١) المصدر السابق (الحديث: ١٦٩٦).

(٢) المصدر السابق: (الحديث: ١٤٠٤).

(٣) صحيح مسلم: (الحديث: ١٠٧٢).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (الحديث: ١١٥٤٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير ط العلمية (٤ / ٥٧)

فهم أغنياء بالخمس فلا تحل لهم الصدقة، فهي العلة الواضحة في منعهم من الصدقة.

قال الصنعاني: وَقَدْ وَرَدَ التَّعْلِيلُ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ مَرْفُوعًا بِأَنَّ لَهُمْ فِي خُمُسِ الْخُمُسِ مَا يَكْفِيهِمْ وَيُغْنِيهِم[1].

وقال ابن حجر: وَقَدْ اسْتَدَلَّ بهذا الحديث الرَّافِعِيُّ لِلْإِصْطَخْرِيِّ فِي أَنَّ خُمُسَ الْخُمُسِ إذَا مُنِعَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ حَلَّتْ لَهُمْ الصَّدَقَةُ[2].

وذلك لأن العلة قد زالت وبزوالها يزول المنع.

وعليه، فإذا منعوا هذا الخمس أو كان غير موجود، فهل يمكننا أن نقول لفقير من الشرفاء عاجز عن الكسب ولا يملك قوت يومه، لن نعطيك من الزكاة لأنك شريف، والخمس غير موجود، ولا نجد لك حلا، فاجلس حتى تموت أو يجعل الله لك سبيلا؟

لا نشك أن هذا خلاف سنة النبي ﷺ ويتنافى مع سعة شرع الله عز وجل ورحمته بالضعفاء.

والخلاصة من هذا أننا إن فسرنا آل محمد ﷺ بآله الذين كانوا موجودين معه، كما تقتضيه نصوص القرآن والسنة، فإن الشرفاء في عصرنا لا يتناولهم النهي أصلا.

وإن فسرنا الآل بأنهم آله إلى الأبد، فإنا إن وجدنا لهم بديلا كالخمس أو مخصصات من الدولة مثلا، فإننا نمنعهم من الزكاة لأن لديهم ما يغنيهم، كما كان في أيام النبي ﷺ، أما إن لم نجد لهم شيئا من ذلك، فلا بدمن إعطائهم من الزكاة قطعا، بل يكون إعطاؤهم حينئذ أفضل من الإعطاء لغيرهم لأن

---

(١) سبل السلام (١/ ٥٥٣).

(٢) التلخيص الحبير ط العلمية (٣/ ٢٤٣).

الله تعالى أمر بمودة أقربائه ﷺ في قوله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣].

وبهذا قال كثير من العلماء الأجلاء، فقد قال به الإمام: أبو حنيفة رحمه الله تعلى، وكثير من علماء المذاهب الأربعة وفيما يلي إيضاح ذلك:

قال صاحب ددر الحكام الحنفي: قَالَ فِي شَرْحِ الْآثَارِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الصَّدَقَاتِ كُلَّهَا جَائِزَةٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَالْحُرْمَةُ كَانَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِوُصُولِ خُمُسِ الْخُمُسِ إلَيْهِمْ فَلَمَّا حَصَلَ مَنْعُهُمْ ظُلْمًا عَنْ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ - ﷺ - حَلَّتْ لَهُمْ الصَّدَقَةُ قَالَ الطَّحَاوِيُّ وَبِالْجَوَازِ نَأْخُذُ[1].

وقال به من المالكية ابن مرزوق، وتبعه كثير ممن جاء بعده كالخرشي وكالعدوي وطلابه وعليش وغيرهم.

قال الحطاب: وَسُئِلَ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ رَجُلٍ شَرِيفٍ هَلْ يواسى بِشَيْءٍ مِنْ الزَّكَاةِ أَوْ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْخِلَافِ؟

فأجاب بكلام طويل ثم قال: وَالرَّاجِحُ عِنْدِي فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يُعْطَى وَرُبَّمَا كَانَ إعْطَاؤُهُ أَفْضَلَ مِنْ إعْطَاءِ غَيْرِهِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[2].

وقال الخرشي رحمه الله: (تَنْبِيهٌ): مَحَلُّ عَدَمِ إعْطَاءِ بَنِي هَاشِمٍ إذَا أُعْطُوا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُ وَأَضَرَّ بِهِمْ الْفَقْرُ أُعْطُوا مِنْهَا، وَإِعْطَاؤُهُمْ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ مِنْ إعْطَاءِ غَيْرِهِمْ قَالَهُ ح فِي الْخَصَائِصِ[3].

وقال الدسوقي في حاشيته على الدردير: وَاعْلَمْ أَنَّ مَحَلَّ عَدَمِ إعْطَاءِ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهَا إذَا أُعْطَوْا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا وَأَضَرَّ بِهِمْ الْفَقْرُ

(١) درر الحكام شرح غرر الأحكام (١ / ١٩١).

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢ / ٣٤٥).

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي (٢ / ٢١٤).

أُعْطُوا مِنْهَا وَإِعْطَاؤُهُمْ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ مِنْ إعْطَاءِ غَيْرِهِمْ وَقَيَّدَهُ الْبَاجِيِّ بِمَا إذَا وَصَلُوا لِحَالَةٍ يُبَاحُ لَهُمْ فِيهَا أَكْلُ الْمَيْتَةِ لَا مُجَرَّدَ ضَرَرٍ وَالظَّاهِرُ خِلَافُهُ وَأَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ عِنْدَ الِاحْتِيَاجِ وَلَوْ لَمْ يَصِلُوا لِحَالَةِ إبَاحَةِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ إذْ عَطَاؤُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ خِدْمَتِهِمْ لِذِمِّيٍّ أَوْ ظَالِمٍ. انتهى تَقْرِيرُ شَيْخِنَا عَدَوِيّ[1].

وقال الشيخ عليش: وَمَحَلُّ عَدَمِ إعْطَاءِ بَنِي هَاشِمٍ إذَا كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَوْ أُعْطُوا مَا يَكْفِيهِمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا مِنْهُ أَوْ أُعْطُوا مِنْهُ مَا لَا يَكْفِيهِمْ وَأَضَرَّهُمْ الْفَقْرُ فَإِعْطَاؤُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ إعْطَاءِ غَيْرِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا إلَى إبَاحَةِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ خِلَافًا لِلْبَاجِيِّ صِيَانَةً لَهُمْ عَنْ خِدْمَةِ ذِمِّيٍّ أَوْ ظَالِمٍ أَوْ اكْتِسَابِ حَرَامٍ[2].

وقال به من الشافعية أبو سعيد الاصطخري والهروي ومحمد بن يحيى وغيرهم.

قال الشيرازي الشافعي في الْمُهَذَّب:

وقال أبو سعيد الاصطخري: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم لأنهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس فإذا منعوا الخمس وجب أن يدفع إليهم[3].

وقال به من الحنابلة: شيخ الإسلام ابن تيمية وأبو البقاء والآجري والقاضي يعقوب. وغيرهم.

قال المرداوي الحنبلي في الإنصاف:

قَالَ جَامِعُ الِاخْتِيَارَاتِ (أي اختيارات بن تيمية) وَبَنُو هَاشِمٍ إذَا مُنِعُوا مِنْ خُمُسِ الْخُمُسِ جَازَ لَهُمْ الْأَخْذُ مِنْ الزَّكَاةِ، ثم قال: فَتَلَخَّصَ جَوَازُ الْأَخْذِ لِبَنِي هَاشِمٍ إذَا مُنِعُوا مِنْ خُمُسِ الْخُمُسِ عِنْدَ الْقَاضِي يَعْقُوبَ، وَأَبِي الْبَقَاءِ، وَأَبِي

(١) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١ / ٤٩٣).

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل (٢ / ٨٥).

(٣) المهذب في فقة الإمام الشافعي للشيرازي (١ / ٣٢٠).

صَالِحٍ، وَنَصْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَأَبِي طَالِبٍ الْبَصْرِيِّ، وَالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ. [1] يعني ابن تيمية.

وقال به من المعاصرين كثير من العلماء، منهم العلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، فقد قال في الشرح الممتع:

«فإذا منعوا من الخمس أو لم يوجد خمس، كما هو الشأن في وقتنا هذا فإنهم يعطون من الزكاة دفعاً لضرورتهم إذا كانوا فقراء، وليس عندهم عمل، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الصحيح»[2].

وكذا الدكتور يوسف القرضاوي فقد بالغ في الانتصار لهذا القول في كتابه فقه الزكاة [3]، وهو القول الراجح إن شاء الله تعالى، والله تعالى أعلم»[4] .

ثم نعود إلى موضوعنا فبعد أن أخذنا فيما سبق جولة في حياة العلامة أبات وتعرفنا على فصول متعددة من حياته رحمه الله تعالى، نود أن نستخلص أهم الدروس التي تستفاد من حياته رحمه الله تعالى في المبحث الآتي:

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٢٥٥).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٥٤).

(٣) فقه الزكاة: ٢ / ٧٧٨- ٧٨٥.

(٤) هذا المبحث يمكن إفراده عن هذا الكتاب كفتوى مستقلة لمن شاء ذلك. والله الموفق.

المبحث التاسع عشر
في أهم الدروس التي تستفاد من حياته
رحمه الله تعالى

إن المتأمل في حياة العلامة أبات رحمه الله وفي اهتماماته وإنجازاته، سيرى أنه أمام شخصية عملاقة متعددة المواهب، تتمتع بعبقرية فذة، سواء كان ذلك على المستوى العلمي أو الديني، أو السياسي، أو الاجتماعي، فلا يدري بأي هذه الجوانب يبدؤ، أيبدؤ بهذا أم بذاك؟

تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

ونحن في هذه السطور– وبعد أن أخذنا جولة في حياة هذا الشيخ الجليل – يمكننا أن نستخلص من حياته أنه كان يولي اهتماما كبيرا بالمستقبل ويعمل على تكوين جيل يستطيع أن يواصل خط سير أسلافه، من أداء رسالته العلمية الدعوية والإصلاحية، فهو بذلك – كما يقال – كان يهتم بالاستثمار في العقول لا في الحقول – فنراه رحمه الله يعمل جاهدا في تذليل العقبات التي تعترض الأجيال القادمة غير ءابه بالصعوبات والأخطار، وهذا العمل يمكننا أن نشير إليه في النقاط التالية:

أولا في العلم والتعليم:

لقد كان اهتمامه بتحصيل العلم وتعليمه باديا للعيان فنراه يجلس في محظرة العلامة بن رار أربع عشرة سنة ليتخصص في سائر العلوم الشرعية، ثم بعد

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١ / ١١٧).

أن أنهى تعليمه وأصبح شيخ محظرة بكفاءة عالية، قرر أن يسافر في رحلته العلمية التي قادته إلى الحجاز مرورا بالمغرب وتونس ثم بالأزهر في القاهرة، للحصول على المراجع العلمية، فنراه في هذه الرحلة العلمية يتجشم أسفارا شاقة، مُعَرِّضا نفسه للخطر المحقق، ثم بعد تحصيله لتلك المكتبة الضخمة بالشراء أحيانا، وبالنسخ أخرى، يبدؤ في نقلها على الجمال عبر الصحاري الشاسعة، وفي ظروف قاسية للغاية، في رحلة دامت إحدى عشرة سنة – ولا شك أنها كانت رحلة حافلة، ووددنا لو أنه كان كتب عنها، لكنه لم يفعل – ليزود الأجيال القادمة بالمراجع التي تمكنهم من التخصص في كل العلوم، وهذا هو مفتاح نهوض الأجيال في كل زمان ومكان.

ثانيا في السياسة:

ونراه في الجانب السياسي يبرم معاهدات وعلاقات وطيدة مع أقوى سلطة سياسية في المنطقة آنذاك وهي إمارة إدوعيش، ممثلة في زعيمها القوي محمد بن امحمد شين، ونراه يبرم معه هذه العلاقات، من موضع قوة لا من موضع ضعف – كما تقدم – ليعيش أحفاده وطلابه في احترام وإجلال من قبل قادة هذه الإمارة، عبر عصورهم المختلفة، وتقدمت الإشارة إلى ذلك وهذا كله بفضل الله تعالى.

ثم نراه يرحل وينزل في قبيلة كنته، وخصوصا في فخذ أبناء «سيد حيبلله» بدعوة من زعيمهم أحمد بن محمد، والذي أرسل إليه ابنه الشاب سيد احمد الذي أصبح فيما بعد خليفة أبيه، فقال العلامة أبات: استنرت في وجه هذا الشاب (سيداحمد) الخير لي ولأبنائي، وقد كان ذلك اختيارا موفقا، ثم يعيش بين ظهرانيهم، في علاقات وصفت بأنها من أعمق العلاقات التاريخية بين المجتمعات، ومَن نظر في واقعة الرشيد التي ستأتي في ترجمة العلامة أحمد بن

أبات، سيرى ذلك ماثلا للعيان، فيرى «أبناء سيد حيبلله» هؤلاء، يقولون – وبصوت عال – لإخوتهم «الوافيين» في عمق دارهم: إن لم تنفذوا ما يأمر به القاضي العلامة أحمد بن أبات فإن أحدنا سيخرج الآخر من «الرشيد» اليوم تحت وقع الرصاص.

بمعنى أن الحرب الأهلية بين الفخذين أوشكت على الاندلاع خدمة لأبناء العلامة أبات، وهذا أمر شبه مستحيل عادة، لكنه حصل من هؤلاء القوم لصلابة شيوخهم، وتشبثهم بالسؤدد، واحترامهم للعلاقات التاريخية.

ثالثا: في البعد الاجتماعي:

نجده يتزوج من قبيلة تجكانت، وفي أكثر من فصيل منها، فيتزوج أولا في أولاد طالب من فخذ أولاد إبرهيم، ثم في فخذ لكواليل، ثم في فخذ أهل احمد بن عيسى، ليمد بذلك جسور العلاقات المتعددة داخل القبيلة نفسها، وقد كان باستطاعته أن تكون هذه الزيجات كلها من فخذ واحد، لكنه لم يفعل، حرصا على تعميق العلاقات مع تلك القبيلة العلمية ذات التاريخ المشرق، ثم يوصي أبناءه بالزواج من الجكنيات لأغراض تقدمت الإشارة إليها، وكانت تلك وصية موفقة بلا شك.

وقبل هذا نجده يعتز بخئولته من قبيلة تاكاط، فيكتب لنفسه النزاري نسبا «التاكاطي» وطنا.

ثم نجده يمد جسور العلاقات إلى العلويين (إدوعلي) بواسطة العلامة سيد عبدالله بن الحاج إبراهيم، وهو أعلى سلطة علمية ودينية فيهم آنذاك، ثم إلى منطقة الكبلة، بواسطة شيخها الكبير العلامة المختار بن بونا، ثم إلى منطقة «أزواد» بواسطة شيخها الكبير العلامة الشيخ سيد المختارالكنتي.

ومن خلال هذا نجد أن العلامة أبات، مهد للجيل القادم أن يبدأ في مشواره العلمي والديني في جو يطبعه الاحترام والتقدير من كل قبائل المنطقة بل والقوة الإقليمية بشكل عام، فلا يلتفت أحدهم إلى جهة إلا ووجد أنها عمق له بامتياز.

وهذا كما ترى ليس بالأمر الهين لاسيما وقد تم في فترة وجيزة نسبيا، مما يدل – وبوضوح – على عبقرية الرجل وحنكته السياسية وبعد نظره، وقبل هذا كله أنه موفق من قبل الله سبحانه وتعالى.

رابعا في الاقتصاد:

كان رحمه الله يعيش في بيئة بدوية، تعتمد في معاشها في المقام الأول على تربية الحيوانات، ثم الزروع، ثم التجارة، وفي هذا الجو نجده يولي اهتماما بالغا بالعقار (الأرض وما اتصل بها من بناء أو شجر) فنجد آثار بيوته وجامعه في قرية كصر البركة المندثرة، ثم نجده قبل هذا يستصلح الأراضي الزراعية في منطقة أخواله تاكاط، ليقوم أحفاده باستغلالها أزمانا متطاولة، ثم نجده بعد ذلك يغرس النخيل في منطقة كصر البركة، ثم في الرشيد، ليظل ذلك النخيل بفروعه الباسقة يمد الأحفاد بالثمار مدة تناهز القرنين من الزمن، ومعظم هذه المزارع والنخيل لا يزال موجودا إلى يومنا هذا ولله الحمد.

كل هذه الإنجازات والرجل بدوي يسكن في بيئة تظعن وتقيم، وجل اهتمام أهلها هو تلك الحيوانات التي يعيشون على ما تدر به ضروعها من الحليب، تلك الحيوانات التي تختفي بين عشية وضحاها جراء الجدب أو الأوبئة أو على أيد اللصوص المنتشرين في المنطقة، ولهذا لا تجد لأصحابها الأثرياء بها أثرا في التاريخ.

فلهذا لم يقتصر عليها رحمه الله بل اهتم بالعقار الذي سيزود الأحفاد ويساهم في إسعادهم، فأقول: لو أن الرجل كان حضريا لرأينا له آثارا اقتصادية أهمَّ وأكثر، وأقوى على الصمود والبقاء. فرحمه الله تعالى.

ثم نعود فننبه إلى أن من أهم إنجازاته - بل أهمها على الإطلاق - هو ذلك الجيل من الطلاب الذي كونه علميا وسلوكيا ودعويا، وقد قدمنا أنه أنشأ محظرتين، الأولى قبل رحلته العلمية، والثانية بعدها، وتخرج في كل منهما عدد غير قليل من العلماء الأجلاء الذين انتشرت محاظرهم في مناطق كثيرة من العالم، وعليه فستتكلم في المبحث الآتي عن طلابه الذين تخرجوا من محظرته الأولى والمحاظر التي انتشرت منها فنقول:

المبحث العشرون
في طلابه الذين تخرجوا
من محظرته الأولى والمحاظر التي انتشرت منها

كنا قدمنا أن العلامة أبَّات أنشأ محظرتين الأولى في منطقة آفطوط قبل سفره إلى المشرق، والثانية في كصر البركة وشمال تكَانت بعد قدومه، وتخرج من كل منهما أسراب من العلماء متوافرون، ونشير في هذا المبحث إلى نماذج من مشاهير خريجي المحظرة الأولى الذين تفرعت منهم محاظر مشهورة فمنهم:

١ – أخوه العلامة الجليل الطالب عبد الدايم بن الطالب أحمد جدو

وهو الذي خلفه في محظرته لما سافر إلى المشرق، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء، فمنهم مثلا: العلامة: سيد احمد باب بن محمدو الجكني، وغيره[١].

٢ – العلامة الجليل: سيد محمد بن علي العلوشي شيخ محاظر أفل والركيبة،[٢] وقد تفرعت عنه محاظر كثيرة منها:

أ – محظرة لمرابط محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (٣) والمحاظر الكثيرة التي تفرعت عنه. والتي من بينها:

محظرة أحمدو بن مود وفيها درس العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان[٤]، وعنه أخذ علماء المملكة العربية السعودية كالشيخ محمد

---

(١) سيأتي الكلام عن ذلك في ترجمة الطالب عبد الدايم في الفصل الآتي.

(٢) المجموعة الكبرى للدكتور يحي بن البراء ٢ / ١٠٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ترجمة العلامة محمد الأمين الشنقيطي بقلم تلميذه عطية محمد سالم مع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩ / ٤٨٣).

بن صالح العثيمين، والشيخ الألباني وعبدالله لغديان وعطية محمد سالم، وغيرهم كثير.

وحتى قال الشيخ عطية محمد سالم في ترجمته له:

ولا يغالي من يقول إن كل من تخرج أو يتخرج – من الجامعات السعودية – فهو إما تلميذ له أو لتلاميذه فهم بمثابة أبنائه وأحفاده وكفى[١].

وفي محظرة العلامة أحمدو بن مود درس محمد يحي بن الشيخ الحسين[٢]، وعنه أخذ العلم كثيرون منهم محمد المختار بن انبالة والشيخ عثمان بن الشيخ أحمد أبي المعالي وغيرهما، أخذوا عنه وهو يدرس في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية[٣].

وفي محظرة العلامة أحمدو بن مود أيضا درس السالم بن إسلم، وعنه أخذ الشيخ محمد العاقب بن آدُّ[٤].

ومن المحاظر التي تفرعت من محظرة لمرابط بن أحمد زيدان: محظرة محمدو بن صالح وفيها درس الفقيه سيدي جعفر (الصحه) بن ديدي وعنه أخذ العلامة محمد عبدالله بن الصديق الجكني[٥].

ومنها: محظرة محمد الحسن (بيدر) بن الإمام وعنه أخذ أبناه محمد، ومحمد العاقب، وأخذ عنه أعمر بن محم بوبه[٦].

---

(١) المصدر السابق: (٩ / ٤٩٤).

(٢) المجموعة الكبرى للدكتور يحي بن البراء ٢ / ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق: ٢٥٧.

(٤) المصدر السابق: ٩٤.

(٥) المصدر السابق: ٩٨ – ٩٩.

(٦) المصدر السابق: ١٩٣.

ومنها: محظرة الطالب بن عبدالله بن أحمد ناجم المسومي (أولاد ألمين) وعنه أخذ الفقيه صدفه بن ديه، والسالم بن الطالب أحمادُ[1].

ومنها: محظرة محمد المأمون بن نوح، وعنه أخذ الشيخ أحمد أبي المعالي[2]. وعنه أخذ أبناؤه الأجلاء: الشيخ محمد المصطفى والشيخ عثمان والشيخ عبد الدائم وعنه أخذ الفقيه أحمد باب بن بوسيف، وعن هذا أخذ الشيخ محمد عبد القادر بن أحمد اللمتوني ثم التاكاطي وغيرهم[3].

ب. ومن محظرة العلوشي تخرج محمد محمود بن أعمر طالب من قبيلة أولاد الناصر، وكانت لديه محظرة كبيرة، وله نظم نوازل العلامة سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي[4].

٣- وممن تخرج من محظرة العلامة أبات الأولى العلامة الجليل: سيدي عبد الرحمن بن الطالب عيسى المسومي (أهل باب المصطف) .

ولايزال لدى حيه مثل يضربونه في المقارنة بين أمرين متباعدين فيقولون بالحسانية: (أصلْ مَا هُ امْجِ الشيخ سيد عبد الرحمن من عند الطالب أبات) ومعناه بالفصحى (شتان بين قدوم هذا وقدوم الشيخ سيد عبد الرحمن من عند الطالب أبات) وهي جملة تحمل من الثناء الشيء الكثير[5].

ثم ننتقل إلى ذكر طلابه الذين تخرجوا من محظرته الثانية في المبحث الآتي فنقول:

---

(١) المصدر السابق: ١٤٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٤و ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق: ٣٤ ومقابلة مع الشيخ عبد الدايم حفظه الله.

(٤) المصدر السابق: ٢٥١ – ٢٥٢.

(٥) هذه الحكاية سمعناها من الثقات، وهي مستفيضة عند هذا الحي المذكور.

المبحث الحادي والعشرون
في طلابه الذين تخرجوا من محظرته الثانية

والمحاظر التي انتشرت منها.

قلنا إن محظرة العلامة أبات الثانية هي التي كانت بعد قدومه من المشرق والتي استقرت أولا في (كصر البركة) ثم في شمال تكَانت وبدايات الخط، وقد تخرج عليه في هذه الفترة كثيرون وسنذكر منهم نماذج من أصحاب المحاظر التي تمددت وانتشرت في كل مكان، فمن هؤلاء:

١. ابنه العلامة الجليل الشيخ عبد الرحمن، وهو الذي قام بالمحظرة بعده وكان إماما جليلا ورعا، وازدحمت عليه الناس وتخرج على يديه كثيرون منهم أخوه:

أ. العلامة الكبيرشيخ الشيوخ صاحب المؤلفات النافعة أحمد بن ابات[١] الذي تخرج على يديه الكثيرون ومن بينهم:

ابنه العلامة: محمد بن أحمد الذي تفرعت عنه عشرات المحاظر المشهورة والتي منها:

محظرة الحاج بن فحف المسومي وعنه أخذ أحمدفال بن أحمدن،ومحمد بن المختارالتاكنيتي وصدف بن عبد الصمد ومحمد يحي بن الشيخ الحسين وحمزة الآمريكي وغيرهم [٢].

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق ص ٨٢...

(٢) المجموعة الكبرى مصدر سابق: ٧٨.

ومن محظرة العلامة محمد: محظرة أخيه محمد محمود، ومن هذه محظرة محمد محمود بن تقي ومحمد محمود بن محمد يحظيه البوصاديان، ومنها كذلك محظرة شيخنا: محمد ابات بن محمد،وأحمد بن عبد الودود، ومحمد أمانة الله بن جار الله. [1] وممن أخذ عن محمد محمود العلامة عبدالله بن الإمام الجكني[2].

ومن محظرة العلامة محمد أيضا، محظرة سيد محمد (سيدين)بن الإمام ومن هذه محظرة سيد احمد بن عبد الدايم (أولاد اعلي) ومنها تخرج الفقيهان أحمد بن أهل اعلي، وأحمدفال بن يعقوب[3].

- ومن محظرة العلامة أحمد بن أبات محظرة المقرئ الكبير محمد احيد بن سيد عبد الرحمن المسومي، ومنها محظرة ابنه النجاشي وعنه أخذ محمد بيب بن المقري العلوي[4].
- ومنها كذلك محظرة: محمد عبدالله بن زيدان بن غالي بن المختار فال البوصادي الذي أخذ عنه كثير من علماء المشرق من بينهم: محمد متولي الشعراوي المصري [5] وعن هذا أخذ كثيرون في مصر والسعودية والسودان. وممن أخذ عنه الدكتور يوسف القرضاوي.
- ومنها كذلك محظرة الشيخ محمد بن محمد سيدي الجكني الرمضاني (أهل الطالب محم) وعن هذا أخذ العلامة اباه بن محمد الأمين، ومحمد محمود بن أحمد الهادي اللمتونيان[6]. وعن العلامة اباه أخذ أبناؤه

(١) أدركنا هؤلاء أعني طلاب العلامة محمد محمود، وأخبرونا بذلك.

(٢) المجموعة الكبرى مصدرسابق: ٢٢٧.

(٣) أدركنا هؤلاء وعشنا معهم، وأخبرونا بهذا غير مرة.

(٤) المجموعة الكبرى ى ص ١٥٢ وص: ١٧٧.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٥.

(٦) المصدر السابق: ١٣٣ و ١٣٤.

الأجلاء كشيخنا: محمد شيخنا ومحمد فاضل، ومحمد أمانة الله، وعنه أخذ مختور بن اجميلي ومحمد الامين بن موسى ومحمد محمود بن آكا الجكنيون[1] .

وعن محمد محمود بن أحمد بن الهادي أخذ شيخنا الطالب محمد بن لبريكني الجكني[2].

- ومن أخذ عن العلامة أحمد بن أبات كذلك الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني وعن هذا أخذ أخواه الحافظان محمد حبيب الله ومحمد الخضير وغيرهما[3] .

وإذا نظرنا في هذه الخارطة العلمية الواسعة تبين لنا تمدد هذه المحظرة وانتشار علمها في الآفاق، وهذا ما أشار إليه تلميذهم العلامة: محمد بن بيدر الجكني في قوله:

فلا علم إلا من نفائس علمكم ... ولا مجد في الآفاق إلا لكم ينمى

فهو ليس من مبالغات الشعراء والمداحين، فإن الرجل علامة جليل ورع، يعرف ما يقول.

وقول تلميذهم الآخر العلامة سيد عبدالله بن الزين العلوي:

فلولا المدارس اللتي قد أقمتم ... لأمست دوارسا رسوم ديارها.

(١) المصدر السبق: ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق: ١٤٩.

(٣) المصدر السابق: ٢١٧.

ومن محظرة العلامة أبات الثانية أيضا محظرة ابنه:

٢- عبد القادر (الداد) وستأتي ترجمته في الطبقة الأولى. وممن تخرج منها أيضا:

٣- عبد الرحمن الملقب (عبدي) بن محمد خين، وأمه خيت بنت أحمد طالب وخالها العلامة أبات[١] وكان رجلا مجتهدا في طلب العلم، وقد زوجه الشيخ عبد الرحمن بن أبات ابنته أم المؤمنين، وهو جد أسرة أهل عبدي المعروفة عندنا الآن.

٤- المصطفى بن أيد ألمين (أولاداعلي) الذي كان غاية في سرعة الحفظ، حتى قيل إنه حفظ قصيدة ابن بون الرائية من حكاية واحدة. والله أعلم[٢].

(١) نقلت ذالك من السيد عبد الرحمن بن عبد الدايم.

(٢) سمعنا هذا من الثقات.

المبحث الثاني والعشرون
في بيان أن محظرة آل أبات
تعتبر من أمهات المحاظر المشهورة في موريتانيا،
وكلمة للإمام بداه بن البوصيري،
وبعض العلماء في هذ الموضوع

إذا نظرنا في خارطة المحاظر في منطقة تكَانت وآفطوط والركيبة من خلال ما تقدم نجد أن معظمها يرجع إلى محظرة العلامة أبات إما مباشرة أو بواسطة أو وسائط، وقد يكون بعض أصحاب هذه المحاظر درس على مشايخ آخرين فلا ضير في ذلك، وإنما المقصود أن يكون هذا الشيخ مثلا أخذ عن العلامة أبات أوأخذ عن أحد من طلابه وهكذا.

وما تقدم في المبحثين السابقين يدل على ذلك بوضوح.

وسنورد في هذا المبحث بعضا من كتابات العلماء الأجلاء الدالة على ذلك ونبدأ بما كتبه الإمام الجليل بداه بن البوصيري فقد كتب ما يلي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أمابعد فإن مدرسة – أي محظرة ءال أبات – من أمهات المحاظر المشهورة في موريتانيا، وقد انتفع فيها وتخرج كثير من أبناء موريتانيا، فينبغي أن يسجد البعدي لما فات من إعانتهم، ويعال لهم إن استغرقت الفروض فرضهم، وقد كانوا يسكنون في البدو وقد تحضروا في الموضع المسمى أم النوار بمنطقة جوك فليتنبه لذلك. كتبه الإمام بداه بن البوصيري.

وفي كون هذه المحظرة ظلت متواصلة من عهد العلامة أبات، إلى الآن كتب العلامة: محمد يحي بن الشيخ الحسين [1] يقول:

.. أما بعد فإني لم أزل أسمع منذ نشأت سماعا متواترا يحصل به العلم أن محظرة أهل أبات لم تنقطع من عهد العلامة أبات وقد تخرج بها كثير من العلماء فقها ونحوا وهي من أشهر المحاظر في تكَانت، وكتب منتصف جمادى الأخيرة سنة: ١٤٠٧ هـ محمد يحي بن الشيخ الحسين

وهذا الإمام الفاضل: محمد الأمين بن أمحمود يقول:.. وبعد فإنه اعتمادا على خبرتنا بمحظرة أهل ابات بالمشاهدة والجوار إذ كنا نعيش معهم، وكانوا وما زالوا محل تدريس لمختلف الفنون، نشر الله بهم العلم، وفيهم الآن رجال أكفاء يقومون بدورهم ودور آبائهم، وبالجملة فهذه المحظرة من أمهات المحاظر في قطر موريتانيا. وكتب الإمام: محمد الامين بن امحود.

وكتب كذلك الأستاذ الكبير محمد فاضل بن محمد الامين يقول: محظرة أهل أبات في موريتانيا أشهر من أن تحتاج إلى تعريف فقها وعلما وورعا. وكتب محمد فاضل بن محمد الأمين.

ونختم هذه الكتابات بما كتبه الدكتور: إبراهيم بن إسماعيل مدير مكتب رابطة العالم لإسلامي في موريتانيا حيث كتب ما يلي:

(١) هو العلامة الكبيرالحافظ محمد يحي بن الشيخ الحسين بن آدُّ الجكني الرمضاني أخذ العلم عن عدد من علماء عصره منهم العلامة القارئ اللغوي سيد المختار بن عبد المالك، والعلامة الفقيه أحمدو بن مود الجكنيان والعلامة لمرابط اباه بن محمد الامين اللمتوني وغيرهم، كان رحمه من بحور العلم، شهد له بذلك معاصروه، وأخذ عنه العلم كثير من الطلبة والعلماء، توفي سنة: ١٤٠٨ هـ.

وبعد فإن المدرسة الإسلامية (أي محظرة آل أبات) الشهيرة من أمهات المحاظر المشهورة في موريتانيا، وقد انتفع فيها وتخرج كثير من أبناء موريتانيا...[1].

وسيأتي المزيد من هذا في تراجم الأبناء والأحفاد، بعون الله تعالى، وفي المبحث الآتي نسلط الضوء على أبنائه وكيف واصلوا خط سيره، رحمهم الله جميعا فنقول:

(١) هذه الكتابات التي وردت في هذا المبحث نقلت من أصولها بخطوط أصحابها وهي بحوزتي جميعا.

المبحث الثالث والعشرون
في أبنائه
وكيف واصلوا مشواره في العلم والتعليم

ترك العلامة أبات رحمه الله ثمانية أبناء وبنتين، فأكبر أبنائه الشيخ عبد الرحمن، وعبد القادر الملقب (الدادَ) وأمهما خديجة بنت الطالب بن مينحن الجكني (أولاد طالب)[1] فيليهما عبدالله والطالب محمد وأمهما: فاطمة بنت السالم الجكني ثم الكلالي (الشواوف)[2] والأربعة الباقون وهم أحمد، وسيد عبدالله، والغوث، ومحمد عبد الدايم، أمهم: ابْنيَّه بنت أحمد محمود بن المختار الجكني (أهل احمد انعيسى)[3].

وقد اشتهر منهم ثلاثة بالعلم وهم:

١. **الشيخ عبد الرحمن.**
٢. **وعبد القادر (الدادَ)**، وستأتي ترجمتهما في الطبقة الأولى.
٣. **وأحمد**، وستأتي ترجمته في الطبقة الثانية إن شاء الله تعالى.

والخمسة الباقون وإن لم يشتهروا بالعلم إلا أنهم كانوا على قدر كبير من العلم والورع والفضل، وهم:

---

(١) أولاد طالب فصيل معروف ومحترم من فخذ أولاد ابراهيم، وله شبه استقلال عن فخذه، وكان قديما يعصب لكواليل ويجاورهم في منطقة آفطوط.

(٢) يتألف فخذ لكواليل من أربعة فصائل وهم: أولاد الحاج، وأولاد أحمد، والشواوف، وإديلبه.

(٣) مشكاة المهاد مصدر سابق: ٦٣.

٤. **السيد الفاضل: عبدالله بن أبات،** وكان من أهل العلم، لكنه كان يتورع عن الفتوى وله كرامات مشهورة، منها: أن لصوصا اعتدوا عليه، وأخذوا إبله فكسفت الشمس وأظلم الأفق عليهم فذعروا وولوا مدبرين وتركوا له إبله[١]. وتوفي رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ودفن في منطقة «النعاميه»، في شمال تكَانت وله أبناء وأحفاد فضلاء.

٥. **والسيد الفاضل: الطالب محمد، بن أبات** وكان رجلا فاضلا، وكان يسمع أذانه من مسافات بعيدة لا يمكن عادة أن يسمع منها أي شيء، وهذا يدل على أن أذانه كان يرفع إلى الله سبحانه وتعالى وأنه ستشهد له مخلوقات كثيرة لبعد المكان الذي يصل إليه.

فقد ثبت في صحيح البخاري من طريق مالك عن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني عن أبيه أن أباسعيد الخدري قال له: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ[٢].

وتوفي الطالب محمد رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري

ودفن بموضع يسمى: (الكذافه) شرقي تكَانت وله أبناء وأحفاد فضلاء.

٦. **والسيد الفاضل: سيد محمد الغوث بن أبات،** وشهرته «الغوث» وكان من أهل العلم والفضل، وتوفي رحمه الله في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ودفن في موضع يسمى (الشعيبه) أو (الشعبه) قرب (إكرجان) بكاف معقودة، جنوب تكَانت، وله أبناء وأحفاد

(١) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٨.

(٢) صحيح البخاري (الحديث: ٦٠٩).

فضلاء فمن أبنائه العلامة محمد محمود بن الغوث (حميد) وستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة، ومنهم المقرئ محمد احمد وستأتي ترجمته في القسم الثالث في تراجم القراء.

٧. **والسيد الفاضل**: سيد عبدالله بن أبات، وكان من أهل العلم والفضل، وتوفي رحمه الله في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ودفن مع عمه العلامة الطالب عبد الدائم في (اشكيك عبد الدايم) شمال تكَانت وله أبناء وأحفاد فضلاء.

وهو جد الشاعرين الكبيرين: أحمد والشيخ ابني محمد محمود بن سيد عبدالله.

وسيأتي ذكرهما في القسم الرابع المخصص للشعر والشعراء.

٨. **والسيد الفاضل**: محمد عبد الدايم بن أبات،وهو أصغر إخوته، وتوفي في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، ودفن في مقبرة (أغلنبيت) وله أبناء وأحفاد فضلاء.

وهو والد العلامة أبات بن محمد عبد الدايم الذي ستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة من هذه التراجم.

وأما بناته أي العلامة أبات فهما اثنتان:

١. **فاطمة**: وهي أم أسرة أهل الشواف الجكنيين فخذ (إديقوب)[١].

٢. **مريم**: وهي أم أسرة أهل الحابوس[٢] .

ثم إن أبناء العلامة أبات وأبناء أخيه العلامة الطالب عبد الدايم وأحفادهما

(١) إديقوب فخذ جكني محترم، ومنه العلامة الجليل: محمد الامين بن محمد المختار آبه، صاحب «أضواء البيان».

(٢) أولاد اعلي: القبيلة المعروفة بالفضل والكرم وحسن الجوار، وبينهم وبين أهل ابات علاقات قديمة وخئولات متبادلة، أستمرت من عصر العلامة أبات وأخيه العلامة الطالب عبد الدايم، مروراً بطبقات الأحفاد، ولا تزال كذلك إلى اليوم.

ومن معهم من الأسر الكريمة التي تخلدت فيهم، واصلوا مشواره من بعده فتعلموا وعلَّموا، بل إنهم وصلوا إلى درجات عالية من العلم والعمل، فكانوا قضاة ومفتين ومعلمين،في منطقة تكَانت وما جاورها، ولم يزالوا منذو نشأتهم وهم كيان مستقل لا يتبع لأحد، بل إنه كان مأوى لكثير من الأسر التي تحتاج إلى من تعيش في أكنافه عيشا كريما، وكانت القبائل الكبيرة ذات الشوكة تجلهم وتحترمهم، وإذا أوى إليهم مطلوب من قبل الأمراء المتسلطين، نال الاحترام وكف عنه الظلمة وتركوه هيبة لألئك الأجلاء، وعرفوا بالفضل والورع وكرم النفوس، وضربت بهم الأمثال، وكثر مدحهم والثناء عليهم على ألسنة الشعراء والعلماء من كل القبائل.

فهذا العلامة ابن العلامة محمد بن بيدر الجكني يقول في قصيدة يمدحهم بها:

فلا علم إلا من نفائس علمكم — ولا مجد في الآفاق إلا لكم ينما

قلت: وهذا البيت لوقيل فيه إنه هو أمدح بيت قالته العرب لما بعد ذلك عندي.

ومثله في ذلك «كَاف» الشاعر الشعبي أحمد بن آبك الذي يقول فيه:

حد اسمعْ باهْل ابَّاتْ أكالْ — وَخْيَرْت ألَّ جبْرتْ مقصودْ
باهل ابَّات اتْنَجَّ منْ حَالْ — وخْيَرْت أرَاتْ امْنيْن اتْعوُدْ

فهذا المعنى الراقي بالأسلوب الهادئ، قل من تطرق إليه من الأدباء، ويختص الله بفضله من يشاء.

وسنأتي بجملة مما قيل فيهم من المديح والثناء الجميل، في القسم الرابع المخصص للشعر والشعراء من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وهذه المعاني والفضائل السامية، هي حصاد تلك البذور التي عاش العلامة أبات في زرعها وغرسها في نفوس أبنائه وأحفاده وطلابه، وهي مهمته التي كان يعيش من أجلها، وظلت هي شغله الشاغل إلى أن توفي رحمه الله تعالى كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث الرابع والعشرون
في وفاته ومكان قبره ومراثيه

ظل العلامة أبات يمارس نشاطه العلمي والدعوي والاجتماعي، وحتى في فترة شيخوخته، غير أنه في آخر عمره أقبل على القرآن الكريم فكان هو شغله الشاغل الليل والنهار، إلى أن دعي فأجاب بعد عمر حافل بالعلم والعمل والتضحية، سنة: ١٢٥٥ فعاش ٩٦ سنة رحمه الله تعالى[١]، ذلك هو عمر حياته، وأما عمر ذكره فمستمر إلى ما شاء الله تعالى:

فذو المجد ذو عمرين عمر حياته — وعمر جميل الذكر ما حنت الإبل[١]

ودفن بموضع يسمى «خيران» شمال غرب كصر البركة يبعد عنه حوالي ٣٠ كيلو متر تقريبا، وقبره مزار معروف، وقد زرته سنة ١٤٣٦ هجرية.

وقد كنت أرخت وفاته بقولي:

وجدُّنا الجليلُ أبَّاتُ العلمْ — عاش مع التسعينَ ستةً تُضمْ
في الخمس والخمسين بعد المأتينْ — والالف كانت الوفاةُ دون مينْ
وقبره المشهور في خيرانَا — أدخله إلهُه الجنانا
جنات عدن دانيات الثمراتْ — ولدانُها وحورُها منعماتْ

---

(١) المجموعة الكبرى للدكتور يحي بن البراء، مصدر سابق ص: ١١٢.

(٢) هذا البيت من قصيدة جميلة للعلامة محمدو بن مود يرثي بها الجد: العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات وسنذكرها كاملة إن شاء الله في ترجمته في الطبقة الرابعة.

وقد رثاه شعراء متعددون منهم: ربيبه الشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي ومنهم ابن أخيه الشاعر الجليل محمد احمد بن الطلبه، ومنهم الشيخ الكبير سيد محمد بن بادي (أهل الشيخ بن امني).

وسنورد قصائدهم على هذا الترتيب تباعا فنبدؤ بقصيدة الشاعر احمد فال بن اعبيدي الرائعة.

قصيدة الشاعر الكبير: أحمد فال بن اعبيدي

في رثاء العلامة الجليل: أبات بن الطالب أحمد جدو

وهذه القصيدة تعد من عيون الشعر لبراعة معانيها واقتدار صاحبها وتمكنه من ناصية اللغة، وابتكاره للمعاني الجميلة دون تكلف أو تعقيد، وابتعاده كذلك عن الحشو أو التكرار، فلا تجد له بيتا في هذه القصيدة يمكن الاستغناء عنه، فالقصيدة تعتبر حلقات وفقرات منظمة في غاية الدقة والإحكام، وقد تأملتها فوجدتها مقسمة إلى سبعة محاور، فهو يستكمل أحدها ثم يدخل في الآخر فإذا استوفاه دخل في الذي يليه بأسلوب سلس بديع، والمحاور هي كالآتي:

١. مقدمة رثائية وفيها (٣) أبيات
٢. وَصْفُ العلامة أبات بالعلم الغزير وكيف حصله وكيف علمه للناس، وفي هذا (٨) أبيات.
٣. وصْفُه بالجود والكرم والسخاء المفرط وفي هذا (٤) أبيات.
٤. ذكر سفره إلى المشرق وكيف كانت تلك الرحلة الشاقة وفي هذا (٤) أبيات.
٥. سعيه إلى المجد عموما والتضحية فيه وفي هذا أيضا (٤) أبيات.
٦. ذكر الأبناء والثناء عليهم وأنهم ورثوا ذلك المجد كما ورثه أجدادهم وفي هذا (٥) أبيات.

٧. ذكر موضع القبر والدعاء له بسحائب الروح والريحان وفي هذا (٤) أبيات.

فالقصيدة كما ترى تقع في اثنين وثلاثين بيتا.

وبعد هذا العرض السريع نبقى مع القصيدة، علما بأني بينت في الهامش معاني مفرداتها بشكل موجز ليتضح المعنى للقارئ العادي.

يقول رحمه الله تعالى:

ذوى[١] العيش[٢] بعد الخفض[٣] فهو زهيد[٤] ... وأنجز من صرف الزمان وعيد[٥]

وأظلم مصباح الهدى فتهدمت ... شماريخ[٦] أعلام[٧] الهدى ونهود[٨]

لفقدان من أودى[٩] الكمال لفقده ... أباة الخنا[١٠] والضيم[١١] وهو وليد[١٢]

---

(١) ذوى الشيء: يبس، يقال ذوَى النبات إذا يبس قال الشاعر:

رَأَيْتُ الفَتَى يهْتَزُّ كالغُصْنِ ناعِماً ... تَرَاهُ عَمِيّاً ثم يُصْبِحُ قَدْ ذَوَى

(٢) العيش الحياة.

(٣) الخفض: الدَّعةُ والنعيم ولين العيش وسعته وخصبه، يقال: عيش خَفْضٌ وخافِضٌ ومخفوض: خصيب في دَعةٍ وخصْب.

(٤) الزهيد الحقير التافه.

(٥) أَنْجزَ الوعدَ أو الوعيدَ: وفى به، والوعد يكون بالخير والوعيد بالشر قال الشاعر:

فإني إن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي.

(٦) الشماريخ: رءوس الجبال.

(٧) الأعلام الجبال الطويله التي ترى من بعيد، وكانو يشبهون العلماء الكبار بالجبال في الرسوخ والعلو والثبات.

(٨) النهد: الشيء المرتفع وجمعه نهود.

(٩) أودى الكمال: هلك، يقال فلان من أهل الكمال أي اكتملت فيه الصفات المحمودة كلها.

(١٠) أي يأبى عن الخنا وهو الأخلاق الدنيئة.

(١١) الضيم: الذل.

(١٢) الوليد الطفل الصغير، يعني أنه من صغره وهو يأبى عن الخنا، ويبتعد عنه، ويأبى كذلك أن يظلم أو يحتقر.

وشيخ شيوخ العارفين وقرمهم[١]   إذا ازدحمت للمشكلات وفود

فكم أمه[٢] شرب[٣] لـدرك شـوارد   مـن العـلـم لم يـدرك لهـن شرود

إذا رامها الشهم[٤] الذكي تقاذفت[٥]   عـبـاديـد[٦] منها جـامـح[٧] وشرود

وإن هـورام الـدرك منهن دونيت[٨]   لأيـدي هـوادي[٩] الآبـدات[١٠] قيود

فـأدرك وامتطى المتون فراضها[١١]   على رسله[١٢] والجفن في هجود[١٣]

وكم بث علما في الصدور مؤثلا[١٤]   تـضـلـع[١٥] منه جاهل وبـلـيـد[١٦]

تـورث مـن آبـاء صـدق أجلـة   وأفـضـل علم العـالمين تليد[١٧]

---

(١) القرم السيد الكبير.

(٢) أمه أي قصده.

(٣) الشرب: الجماعة.

(٤) الشهم: القوي الفؤاد الحمول لما حمل من الأعباء.

(٥) تقاذفت: ترامت في كل جهة.

(٦) عباديد: متفرقة.

(٧ الجامح: الشرود الذي لا يقدر عليه.

(٨) دونيت: أي قربت.

(٩) الهوادي: الأوائل يقال: هوادي الخيل أي أوائلها.

(١٠) الآبدات: الوحوش.

(١١) راضها: أي ذللها.

(١٢) على رسله: أي في هدوء وعدم استعجال.

(١٣) الهجود: النوم بالليل ويقال للاستيقاظ أيضا فهو من الأضداد.

(١٤) مؤثلا أي أصيلا وقديما.

(١٥) تَضَلَّعَ الرجلُ: امْتَلَأَ ما بين أَضْلاعِه شِبَعاً ورِيّاً.

(١٦) البليد: ضد الذكي.

(١٧) التليد: القديم المتوارث.

نـويـه[1] نـما في المكـرمـات فـما له … لدن شـب[2] في روم العلوم عديد[3]
بـذول يـذيـب المـال نـائـل سيبه[4] … إذا ضـن[5] عن بذل الزهيد مجيد[6]
فـكـم بـذلـت في الله بـالله[7] كفه … وقـامـت بـه في المسـلـين حـدود
لـه راحـتـا بسط يفيض نـداهمـا[8] … محـط رحـال المـعـتـفـين[9] حميد
وكـم أنـجـزت منه وعـود وتمت … مـواهـب لم تـضرب لهـن وعـود[10]
وكـم شق بـالخـرقـا[11] فدافد نفنف … سباريت[12] مومات[12] لهن فديد[13]

(١) نويه: مرتفع عال القدر، ينوه به، ويُعجب.

(٢) لدن شب: منذو شب.

(٣) عديد أي نظير.

(٤) السيب: العطاء، ومنه قول أحمد البدوي في نظمه للغزوات عند ذكره لغزوة حنين وأن النبي ﷺ قسم الإبل في ذلك اليوم بالمئات فكان يعطي الرجل مائة من الإبل، وأعطى رجلا ما ملأ بين جبلين من الغنم قال البدوي معلقا وأحسن:

وكيف لا ومستمد سيبه … من سيب رب ذي عناية به.

(٥) ضن بالشيء: بخل به.

(٦) المجيد: الكريم السخي.

(٧) في الله: في سبيل الله، وقوله: بالله أي بسبب ابتغاء مرضات الله، والاستعانة به.

(٨) الراحة: اليد، والندى: الجود.

(٩) المعتفين: هم طلاب الحاجات.

(١٠) يقول: فكم أنجزمن وعود العطاء، وكم أعطى ووهب بدون وعود.

(١١) الفدافد: الأراضي التي لاشيء فيها.

(١٢) النفنف: المفازة أي الأرض المهلكة.

(١٣) السباريت: الأرض التي لانبات فيها، ولا شيء فيها.

(١٤) المومات: الفلوات الواسعة.

(١٥) الفديد: الصوت الشديد أي أصوات الرياح الشديدة في الأرض الواسعة.

مهامه[١] تـنـزوا[٢] بالقلوب مضلة — مقر الـسـعـالي[٣] هـولهـن[٤] مبيد[٥]
يظل بهـا الشجعان خـوفـا كأنها — بهـــام[٦] تـسـامـى حـولهـن أسـود
تـرى الـقـرم[٧] بساما بهـا متهللا — إذا التهبت ثوب السموم[٨] جلود
له بعدما العيس[٩] المراسيل[١٠] هللت[١١] — وقـد مـوتـوا[١٢] فـوق الرحال نشيد

---

(١) المهامه: الأرض الواسعة التي لا ماء بها ولا أنيس.

(٢) النزو: الارتفاع والوثبان والمراد هنا شدة الفزع، كما قال تعالى {إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين}

(٣) السعالي: هم سحرة الجن، وقيل إناث الأغوال.

(٤) الهول: الفزع والمخافة من الأمر، لا تدرى ما يهجم عليك منه.

(٥) المبيد: المهلك.

(٦) البهام: صغار الغنم، يقول إن الشجعان في هذه الأرض تظل في خوف وخطر عظيمين كأنها صغار الغنم حول الأسود.

(٧) القرم: الفحل والمقدم في القوم لمعرفته وتجاربه للأمور.

(٨) السموم: الريح الحارة ووهج الصيف، ولعل في هذا البيت نصب الفاعل ورفع المفعول للضرورة وأمن اللبس، لأن قوله: التهبت فعل، وفاعله: ثوب السموم، والمفعول به: جلود،وقد رفعه، وهذا مثل قول العرب: خرق الثوبُ المسمارَ ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

إلى الشري من واد المغمس بدلت — معالمُه وبلا ونكباءَ زعزعا.

فالفاعل هنا: وبلا،وقد نصبه والمفعول به: معالمه، وقد رفعه.

(٩) العيس: المراد بها هنا: كرائم الإبل، وقد تقال للبيض منها.

(١٠) المراسيل: سريعة السير.

(١١) هللت: ضمرت حتى صارت كالهلال.

(١٢) موتوا: أي سكنوا فوق الرحال مدة طويلة.

تخب[١] أمام الركب بالشهم جلعد[٢] مقابلة[٣] تنضو[٤] الجياد وخـود[٥]
تراعي خفوق[٦] السوط أدماء[٧] حرة[٨] دفـوق[٩] إذا كـل[١٠] المطي عنود[١١]
على تلك يرتاد[١٢] المعالي غطمطم[١٣] خـضـم[١٤] عـلـوم مـا لهـن خمـود
فـورثـت الأبـنـاء أبـقـى وراثـة غطاريف[١٥] تصطاد العلى فتصيد
تـلـوح[١٦] بـآفـاق الـبـلاد كأنها مصابيح أعـلام[١٧] لهـن وقـود

---

(١) تخب: تسرع في السير.
(٢) جلعد: أي ناقة قوية شديدة.
(٣) مقابلة: أي ذات إقبال قوي وسريع.
(٤) تنضو الجياد: تسبقها وتنسلخ منها وتبتعد.
(٥) وخود: سريعة السير.
(٦) خفوق السوط: حركته واضطرابه.
(٧) الأدماء من الإبل: الجيدة، والأُدْمة في الإِبل البياض مع سواد المُقْلَتَيْن.
(٨) الحرة: الناقة الكريمة.
(٩) دفوق: سريعة تتدفق في مشيها.
(١٠) كلت المطايا: انقطعت وعجزت عن السير.
(١١) العنود: التي تغلب الزمام فلا يردها لقوة نشاطا.
(١٢) يرتاد المعالي يطلبها ويبحث عنها وأصل الرائد: الرجل الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الماء والكلأ.
(١٣) الغطمطم: البحر الزاخر.
(١٤) الخضم: البحر المتلاطم الأمواج
(١٥) الغطاريف: جمع غطريف وهو: الشريف والسيد السخي كثير الخير.
(١٦) تلوح أي تظهر.
(١٧) الأعلام: الجبال الطوال، يقول كأنها مصابيح على رءوس الجبال يراها كل الناس، وفي هذا المعنى تقول الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فـإن حـسـدوا فـإن للمجد حاسد ... عـلى مثل ذا يلفى لديه حـسـود[(1)]

وقـد ورثـوا المجد الأثـيـل[(2)] وقبلهم ... لـدن[(3)] تقتفي إثر الجـدود جـدود[(4)]

حسود منار المجد تحمي قـوامـه[(5)] ... بـدور تسامى حـولهـن سـعـود[(6)]

أخـيران[(7)] لا تبعد فدتك جـدود[(8)] ... وجادت حيا[(9)] الريحان[(10)] منك رعود

رعـود تباكيها إذا ماتبوجت[(11)] ... سحائب روح[(12)] ماؤهن بـرود[(13)]

---

(١) الحسود والحاسد: هو الذي يتمنى أَن تتحول إِليه نعمة المحسود أوفضيلته أَو يسلبها، والفضلاء وأهل النعم لا يخلون من حسد كما قال زهير:

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حسدوا.

(٢) المجد الأثيل أي القديم والأصيل.

(٣) لدن: هنا ظرف زمان، أي وقبلهم زمانا تقتفي الأبناء آباءها وأجدادها.

(٤) الجدود: جمع جد وهو والد الأب أو الأم.

(٥) قوام الشيئ: ملاكه ونظامه الذي يقوم عليه وهو بكسر القاف وقد تفتح، كما في مختار الصحاح.

(٦) السعود أربعة، وهي من منازل القمر، تطلع في آخر الربيع وقد سكنت رياح الشتاء ولم تأْت رياح الصيف، فأَحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أَيامها، لأَنك لا ترى فيها غُبْرة، فهو يقول إن هذا المجد تحمي قوامه البدور وهم العلماء الكبار وحولهم الأبناء الذين هم كأنجم السعود.

(٧) خيران: موضع في شمال تكَانت هو الذي دفن فيه العلامة أبات

(٨) الجدود جمع جد وتقدم.

(٩) الحيا بالقصر: المطر.

(١٠) الريحان: قيل هو كل نبت فيه زهور طيبة الرائحة، وقيل هو كل ما تنبسط إليه النفوس. ومنه قوله ﷺ في الحسن والحسين: (هما ريحانتاي من الدنيا) رواه البخاري (الحديث: ٣٧٥٣)

(١١) تبوجت السحاب: كثرت بروقها ورعودها.

(١٢) الروح: الرحمة والسعة والفرح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة:٨٩] وذكر الشاعر للروح والريحان هنا رائع جدا فهما من نعيم المقربين، والمقربون هم أعلى درجات أهل الجنة، كما بين الله ذلك في سورة الواقعة، فقد قال في أولها: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١١] وقال في آخرها {فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم} وقال في سورة المطففين ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطفِّفين:٢٨] فالتسنيم شراب في الجنة فاخر، يمزج منه شراب أهل الجنة عموما، ويشرب به المقربون صرفا.

(١٣) البَرود والبَاردُ والبَـرْدُ: بفتح الباء في الثلاثة معناها واحد وهو ضد الحار.

وجود[1] من الفردوس[2] يهمي صبيره[3]	لـه فـوق متن المضجعين[4] عهود
بجاه شفيع الخلق مـدره[5] خطبهم	عـلـيـه مـن الله الـســلام يـعـود

قصيدة الشاعر الكبير: محمداحمد بن الطلبه

في رثاء العلامة الجليل: أبات بن الطالب أحمدجدو

ورفيقه في الطلب سيد مولود بن محمد بن الشيخ سيدالمين الجكني وقد توفيا في سنة واحدة ودفنا في موضع واحد[5].

يقول في قصيدته:

إن الـرفـيـقـين إذ همـا عـلى شرف	حـلا بـخـيران فـالـسـعـدُ لخـيران
فالشيخ أبــات والـشـيـخ سيدنا	مـولـود صـاحـبـه نـعـم الرفيقان
تـرافـقـا في طـلاب العلم واقتفيا	إثــر الـنـبـي المـقـفـى خـير عـدنـان

... وللأسف لم أجدها كاملة حتى الآن.

قصيدة الشيخ الكبير: سيدي محمد بن بادي في رثاء العلامة الجليل: أبات

---

(١) الجَود بفتح الجيم: المطر الذي لا مطر فوقه الغزير الواسع الذي يسقي كل شيء، وفي حديث استسقاء النبي ﷺ بالمدينة، قالوا: حتى سال الوادي وادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود، رواه البخاري (الحديث ١٠٣٣)

(٢) الفردوس اسم لأعلى الجنة وثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (... إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وفوقه عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ). رواه البخاري(الحديث: ٧٤٢٣)

(٣) المراد بالمضجعين قبر العلامة أبات ورفيقه الشيخ سيد مولود بن محمد بن الشيخ سيد المين الجكني وكان رفيقا للعلامة أبات في فترة طلب العلم، وتوفيا في سنة واحدة ودفنا في مكان واحد.

(٤) المدره: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأْيه.

(٥) المجموعة الكبرى لابن البراء (ص: ٢١، وص: ١١٢)

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة الطالب عبد الدايم بن الطالب أحمد جدو وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: في اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: في ولادته ونشأته.

المبحث الثالث في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: في محظرته.

المبحث الخامس: في أخلاقه وهديه.

المبحث السادس: في طلابه.

المبحث السابع: في أبنائه.

المبحث الثامن: في وفاته ومكان دفنه.

بن الطالب أحمد جدو:

سح الدموع على خيران صاحي معي حسبي بـه مربعا لا نابتي برع
إلا تـساعـدني عـلى الـبـكـاء فـدع لومي فذو الوجد بالبكا أخو ولع
يـا لائـما دنـفـا هـاجـت لـه دمـن مـا لم يهـج بـرع لـلـعـارف البرعي
دع المـلام فـلـوم الـصـب مظلمة سلوانه الـيـوم ليس فيه مـن طمع
لو كـان لـومُ الملوم الصبَ يوزعه فقد كفاه مـلام الشيب والصلع
لكنه قـد قـفـا في ذا الـبـكـا سلفا حـزب الصبابة يقفوا إثـر منتجع
باكي الطلول هـوى سكانِها دنفا عـنـد المـحـبـين حـر غـير مبتدع
من حب ساكنها سح الـدمـوع دما عـلَ البكا من شفا فـؤادك الوجع
فـهـذه سـنـة الـعـشـاق عـنـدهـم صـون الـدمـوع بها من أقبح البدع
يا روضـة من ريـاض القدس زاهرة حلاك رب الـورى بالحبر ذي الورع
أبـات حـارسـهـا مـن ذي خيانتها بالعلم سائسها شجاعها الـصرع
فـتـاح مقفلها وضـاح مشكلها فـضـاح خائنها والمـلـحـد اللكع
لا زال منتجعا مـرعـى طريقته من طالب العلم يقفو إثـر منتجع
قـافي الـرسـول عـلى سـواء سنته مـدني غوامضها إمـامـهـا الـورع
صـارت لأبـنـائـه مـن بـعـده خلقا حراسها بالتقى لم تخش من جزع

فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

نهاية ترجمة العلامة أبات

وبهذا تمت ترجمة العلامة أبات ونبدؤ في ترجمة أخيه العلامة: الطالب عبد الدايم في الفصل الآتي:

المبحث الأول
في اسمه ونسبه ونشأته

هو العلامة الجليل: الطالب عبد الدايم بن الطالب احمد جدو النزاري القلقمي وتقدم الكلام على نسبه في المبحث الأول من القسم الأول من هذا الكتاب في الكلام على نسب أسرة أخيه: العلامة أبات رحمهما الله تعالى، وقد قدمنا أن أباهما الطالب أحمد جدو نزح من منطقة قبيلته آنذاك جنوب الحوض الشرقي وسكن في قبيلة تاكاط وتزوج بامرأة من تنواجيو اسمها خديجة بنت الطالب محم، أخوالها تاكاط، وخصوصا فخذ إدواش وولد له منها ثلاثة أبناء وهم: العلامة أبات، وتقدمت ترجمته، والعلامة: الطالب عبد الدايم صاحب هذه الترجمة والثالث اسمه عبدالرحمن ولقبه عبدي ومات في شبابه.

وقد ترعرع العلامة الطالب عبد الدايم في بيت علمي وديني رفيع وبدأ في طلب العلم في فترة شبابه كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ العلامة الطالب عبد الدايم طلب العلم في وقت مبكر، فأخذ مبادئ العلم على والده العلامة الطالب أحمد جدو قبل وفاته، وبعد ذلك أخذ العلم عن أخيه العلامة أبات، فهو يعتبر من أهم طلاب محظرته الأولى، وقد يكون أخذ عن شيوخ آخرين، دون أن يشتهر ذلك، وتقول بعض الروايات أنه كان يأتيه رجل حسن الهيئة، فينفرد به ويدرس عليه، ويقولون هو الخضر عليه السلام.[1]

إلا أنا نشك في ذلك فإن الخضر عليه السلام مختلف في حياته والراجح عند المحققين أنه توفي قبل النبي ﷺ، إذ لو كان حيا للزمه إتيانه واتباعه، وعلى افتراض وجوده في أيامه فإنه يكون قد توفي على رأس المائة الأولى من الهجرة أو في العشر الأول من الثانية، لقوله ﷺ كما في حديث عبدالله بْن عُمَرَ، قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةَ العِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ**» فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ الله ﷺ، إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ**» يُرِيدُ،بِذَلِكَ أَنَّهَا تَخْرِمُ ذَلِكَ القَرْنَ. رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق: ١٣٩

(٢) صحيح البخاري (الحديث: ١٠٦) صحيح مسلم (الحديث: ٢١٧).

والأدلة على موته ظاهرة جدا، بينما لايوجد شيء يدل لحياته إلا أثران أحدهما ذكره بن الجوزي في الموضوعات، والآخر ضعيف جدا[1].

ولا شك أن النبي ﷺ أكمل الله به الدين فلا تحتاج الأمة بعد النبي ﷺ لمن يعلمها شيئا من الدين، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة:٣]. وهذا الدين يحمله من كل خلف عدوله، والعلماء ورثة الأنبياء وهم المبلغون عن النبي ﷺ، وكتبهم تنوب عنهم، وقد تمسك كثير من الصوفية والعوام بقضية الخضر عليه السلام فصاروا ينسبون إليه كثيرا من المغيبات، ولم يكن هذا معروفا في سلف الأمة والتمسك بالسنة أولى والله أعلم.

ثم نعود إلى موضوعنا فنقول إن العلامة الطالب عبد الدايم درس على أخيه العلامة أبات ولازمه مدة طويلة حتى أصبح من الشيوخ البارزين الذين يصدرون الأئمة الكبار، وقد تخلف عنه في محظرته طيلة سفره إلى المشرق، وتركه يدرس محظرة عملاقة، إلى أن قدم من سفره الذي استغرق إحدى عشرة سنة، كما أوضحنا ذلك من قبل في ترجمة العلامة أبات رحمه الله، وسنلقي الضوء على هذه المحظرة في المبحث الآتي:

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٥ / ١٣٣).

المبحث الثالث
في محظرته

جلس العلامة الطالب عبد الدائم للتدريس مدة طويلة، وتوافدت عليه الطلاب من كل مكان وتخرج على يديه الأئمة الكبار، حتى إننا نجد من بين طلابه العلامة الكبير: سيد احمد باب بن محمدٌّ الكلالي (بكاف معقودة) الجكني الذي انتهت إليه رئاسة القضاء والتدريس في قبيلته، وقد قام بنسخ كتاب روضة النسرين لشيخه، ثم كتب في آخره ما يلي:

انتهى هذا الشرح الجميل، بحمد الله الجليل، على يد العبد الذليل، ذي العمل القليل، سيد احمد باب بن محمدٌّ الجكني، لشيخه الجليل: الطالب عبد الدائم بن الفقيه الطالب أحمد جدو النزاري ثم القلقمي هـ[1].

وكان العلامة الطالب عبد الدايم رحمه الله مع تخصصه في العلوم صاحب عبادة واستقامة قل نظيرها كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق: ١٣٩ والمجموعة الكبرى مصدر سابق: ٩٦.

المبحث الرابع
في أخلاقه وهديه

يتميز العلامة الطالب عبد الدايم بهدي سني واستقامة قل نظيرها، وتحكى عنه حكايات تدل على علو كعبه وجلالة قدره.

ومن الحكايات الثابتة عنه أنه صلى إماما بقومه عشرين سنة لم يسجد فيها قبليا ولا بعديا[(١)].

وهذا من الغرابة بمكان، وهو يدل بوضوح على استغراق الرجل واجتهاده في إتقان صلاته، وانصراف همته كاملة لها، ولا يرد على هذا كون النبي ﷺ سها في صلاته عدة مرات، في مدة عشر سنين، وهو سيد المرسلين وإمام المصلين، لأنا نقول إن النبي ﷺ إنما وقع منه السهو، ليبين الله لنا حكم من سها في صلاته ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُن) رواه مالك في الموطأ بلاغا[(٢)].

---

(١) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٨.

(٢) موطأ مالك (٢ / ١٣٨) وهو أحد بلاغات الإمام مالك الأربع التي لم يسندها ابن عبد البر في التمهيد، وأسندها ابن الصلاح رحمه الله تعالى.انظر: الحديث والمحدثون (ص: ٢٤٨)

وبلاغات مالك كلها صحيحة،قال سفيان بن عيينة: إذا قال مالك بلغني فهو إسناد صحيح. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (١ / ٣٦٧)

والبلاغات الأربع المذكورة، أحدها هذا الحديث المتقدم،

والثاني:

(إذا نشأت بحرية – يعني السحاب – ثم تشاءمت فتلك عين غُدَيْقة)

والثالث: قول معاذ: آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ– حين وضعت رجلي في الغرز (أن حسن

ومن الحكايات الصحيحة عنه رحمه الله أن امرأة مجنونة شربت سؤره من الحليب فبرئت تماما من حينها، وبدأت تبحث عن ثياب تستتر بها[1] .

قلت وما شاع على ألسنة الناس من قولهم: سُؤْرُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءٌ فإن علماء الحديث قالوا إنه ليس بحديث، لكن قال علي بن الملا القاري إنه صحيح من جهة المعنى ونص كلامه:

رِيقُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءٌ: مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ويُسْتَأْنَسُ لَهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الحديث الصحيح: (بِسْمِ الله تُرْبَةُ أَرْضِنَا بَرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا) وَأَمَّا مَا يَدُورُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سُؤْرُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءٌ فَصَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لِرِوَايَةِ الدَّارَقُطْنِيِّ فِي الْأَفْرَادِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعا (مِنَ التَّوَاضِعِ أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ مِنْ سُؤْرِ أَخِيهِ أَيِ الْمُؤْمِنِ)[2].

وبالجملة فإن الرجل كان إماما في العلم والعمل، وقد درس عليه الكثير من طلاب العلم نشير إلى بعضهم في المبحث الآتي:

خلقك للناس يامعاذ بن جبل)

والرابع: «أنه ﷺ رأى أعمار الناس أو ما شاء الله منها فكأنه تقاصر أعمار أمته فأعطاه الله ليلة القدر».

انظر الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (١ / ٨٣) و شرح الزرقاني على الموطأ (١ / ٦٤).

(١) واضح البرهان: ٢٨ – ٢٩.

(٢) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لعلي بن الملا القاري (ص: ٢٠٩).

المبحث الخامس
في طلابه

لا شك أن إماما مثل العلامة الطالب عبد الدايم الذي جلس للتعليم فترة طويلة متفرغا للتدريس والعبادة سيخرج جيلا رائدا من حملة العلم والعمل، وقد كان له دور كبير في محظرة العلامة أبات الثانية فكل من تخرج منها فإنه بلا شك قد استفاد من العلامة الطالب عبد الدايم، وأخذ عنه الكثير فإنه الأستاذ الثاني بعد العلامة أبات، وقد تخرج من هذه المحظرة أعداد كبيرة فمنهم:

- سيد احمد باب بن محمدو الجكني
- الشيخ عبد الرحمن بن أبات
- عبد القادر (الداد) بن أبات
- أحمد فال بن اعبيدي
- وغيرهم كثير.

المبحث السادس
في أبنائه

ترك رحمه الله أربعة أبناء وابنتين وهم:

١. الربيع
٢. الحضرمي
٣. سيد محمد المصطفى وعرف بِسيدِ
٤. محمد احمد بن الطلبه[١].
٥. والبنتان هما أم كلثوم وأم الخيري.

فأما الربيع – وهو أكبرهم – فأمه بنت ألمين اطفيل من أهل الطالب أحمذُ، وكان رجلا أديبا يقول الشعر ويجيده ومن شعره قوله:

مــا لهــذا الـبـين طـالـت طـوائـلـه ... إذا قلت هذه أواخـره كرت أوائله
لأمــتـطـين لـلـبـين عـــزم بــن حـرة ... تغول يـد التسويف عني غوائله

وكان مع هذا ناسكا عابدا رحمه الله تعالى[٢]. قيل إنه توفي في أحد أسفاره فلم يعرف موضع قبره رحمه الله تعالى وله أحفاد فضلاء.

---

(١) إنما اشتهر بهذا الإسم وبقي في عقبه لأن والده الطالب عبد الدايم – وهو الأخ الأصغر للعلامة أبات – بقي في خيمة أبيهم الطالب احمد جدو التي كان طلابه يسمونها الطلبة، وهو لقب معروف لخيمة شيخ المحظرة.

(٢) المصدر السابق.

وأما الحضرمي - فأمه خديجة بنت سيد مولود بن محمد بن الشيخ سيد الامين بن الحبيب الرمضاني ثم الجكني - وهو من الشيوخ الفضلاء وكان عابدا زاهدا، وله كرامات معروفة، منها أنه لا يشْتُمُ أحدٌ والديه إلا هلك من حينه، وتحكى عنه في ذلك حكايات متواترة.

توفي رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ودفن بموضع يسمى باتـل (بتاء تقرب من الشين) في غرب لمنيحر رحمه الله تعالى وله أبناء وأحفاد فضلاء.

وأما سيد محمد المصطفى واشتهر بـ «سيد» - فأمه فاطم أم اعلام بنت بوخيار التاكاطي[1] وكان إماما في لغة العرب وكان رجلا كريما زاهدا في الدنيا وكانت له نفس أبية وسخية وتحكى عنه حكايات دالة على ذلك.

وتوفي رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وله أبناء وأحفاد فضلاء ودفن في «النعامية» شمال تكَانت، ومعه جماعة منهم ابن عمه: عبدالله بن أبات رحمهم الله جميعا.

وأما محمد احمد بن الطلبه وهوشقيق سيدِ وهو أصغرهم فستأتي ترجمته في الطبقة الأولى إن شاء الله تعالى.

وأما أم الخيري فقد تزوجها ابن عمها العلامة الداد، وهي أم ابنين وابنتين من أبنائه وهم: محمد، ومحمد المختار الملقب خطري، وفاطمة وأم المؤمنين.

وأما أم كلثوم فهي والدة أسرة أحد أبناء الطالب إبراهيم التاكاطي، ولعله ابنه عبد الدايم، وهو جد العلامة أواه بن الطالب إبراهيم، لأن أواه اسمه محمد بن أبات بن عبد الدايم، وعليه فتكون هذه المرأة سمت ابنها باسم عمها أبات ولم يمكنها أن تسميه باسم أبيها لأنه موافق لاسم زوجها والله أعلم.

---

(١) تاكاط تقدم التعريف بهم في بداية ترجمة العلامة أبات رحمه الله.

وهذا الرجل الذي تزوجها كان تلميذا عند العلامة أبات، لأني كنت سمعت من بعض مشايخنا أن الطالب إبراهيم نفسه درس على العلامة أبات، وأنه تزوج ابنة أخيه الطالب عبد الدايم، فلما اطلعت على تاريخ وفاته عند أحفاده وأنه توفي سنة ١١٩٥ هـ ترجح عندي أن يكون ذلك صادقا على أحد أبنائه ولعله عبد الدايم كما أسلفنا. والله أعلم.

وبالجملة فأسرة أهل الطالب إبراهيم أسرة علمية عريقة، ومن أشهر علمائها العلامة: محمد أحمد الملقب «دحمد»،المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ وتلميذه وابن عمه لمرابط أواه المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ

والعلامة «دحمد» هذا يعتبر من أهم شيوخ الشيخ أحمد أبي المعالي رحمه الله[١].

(١) ترجمة لمرابط أواه للأستاذ محمدو بن الأمين حفظه الله ص ٢٢.
وملخص مفيد حول تاريخ محظرة أهل الطالب إبراهيم في ثلاث صفحات أتحفني به الأستاذ والأخ الفاضل محمد المختار بن عبدو- حفظه الله تعالى- وهو أحد أعيان هذه العائلة.

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

توفي العلامة الطالب عبد الدايم في حياة أخيه العلامة أبات، في أربعينات القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، بعد خروجهم من كصر البركه، ودفن في موضع صار يحمل اسمه فيما بعد، وهو «اشكيك عبد الدايم» شمال تكَانت رحمه الله وقبره مشهور مزور، وللناس حوله حكايات كثيرة منها: أنه يرى عنده النور بالليل، وتسمع عنده قراءة القرآن، وأشياء من هذا القبيل والله أعلم.

وقد كنت أسمع الشيخ الورع الجليل أحمد سالم بن حين الجكني رحمه الله لا يفتر عن ذكره، وذكر قبره، ويهز رأسه ويقول: «الْغَيْثَ» يعني هنيئا له. ولا يزيد على ذلك. فرحمهم الله جميعا وأسكننا وإياهم جنات الفردوس بفضله ومنه.

وإلى هنا انتهى القسم الأول من الكتاب ونبدأ في القسم الثاني بعون الله تعالى وتوفيقه.

القسم الثاني

في ترجمة طبقات الأحفاد

وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول: في ترجمة الطبقة الأولى وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول في ترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أبات، وفيه عدة مباحث.

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة والشاعر الكبير: محمد احمد بن الطلبة، وفيه عدة مباحث

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة عبد القادر (الدادَ) بن أبات وفيه عدة مباحث.

الفصل الأول

في ترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن اباث وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: في ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في شيوخه ودراسته.

المبحث الثالث: في محظرته.

المبحث الرابع: في أخلاقه وهديه.

المبحث الخامس: في كراماته.

المبحث السادس: في طلابه.

المبحث السابع: في أبنائه.

المبحث الثامن: في وفاته ومكان دفنه.

المبحث الأول
في ولادته ونشأته[1]

ولد العلامة: الشيخ عبد الرحمن بن أبات في منطقة (باركيول) من أرض آفطوط، في الفترة التي كان والده يسكن فيها منطقة آفطوط، ولم نجد تحديدا لتاريخ ولادته، إلا أنه قد يكون في نهاية القرن الثاني عشر، أو بداية الثالث عشر، ونشأ رحمه الله في بيت علمي عريق، فنشأ في أحضان محظرة أبيه العلامة أبات، وعمه الطالب عبد الدايم، فقرأ عليهما جميع العلوم الشرعية، وتربى تربية من نوع خاص، فنشأ شابا ناسكا ورعا هادئا جادا، فأعجب به أبوه العلامة أبات وكان يثني عليه كثيرا، وقد أخذ علمه وورعه وهديه من أبيه وعمه كما سنرى ذلك في الفصل الآتي:

---

(١) ولم نذكر في العنوان نسبه، لأن نسب الأسرة جميعا تقدم في أول الكتاب فاكتفينا بذلك، وسنتبع هذه المنهجية في جميع الطبقات طلبا للاختصار.

المبحث الثاني
في شيوخه ودراسته

نشأ العلامة الشيخ عبد الرحمن كما أسلفنا في أحضان والده العلامة أبات وعمه العلامة الطالب عبد الدايم، الإمامين الجليلين، فدرس عليهما العلوم الشرعية، ولا نعلم أنه أخذ شيئا عن غيرهما، بل قيل إن والده العلامة أبات كان يقول له: قد أنعم الله عليك يابني، أخذت العلم وأنت بجنب أمك لم تتغرب له، ولم تتعب في الأسفار من أجله كما حصل لنا[1].

وفعلا قد يمن الله تعالى على بعض العلماء فيحصِّلون العلم دون أسفار أو مشقة، وقد لا يتاح ذلك لبعضهم.

فهذا الإمام مالك رحمه الله لم يُرْوَ عنه أنه سافر من أجل طلب العلم خارج المدينة أبدا، بل نشأ في المدينة وكانت في تلك الفترة تحتضن كوكبة من العلماء المتقنين، كمحمد بن مسلم الزهري، ونافع مولى بن عمر، وعبد الرحمن بن هرمز، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وغيرهم، فلم يحتج للسفر خارجها، لأنه يعيش بجنب أئمة متقنين جمعوا معظم علوم الأمصار فاكتفى بهم.

فإن لم يتح لأحدهم ذلك طاف بأقطار الدنيا يطلب العلم فيها.

فهذا الإمام أحمد بن حنبل يقول: ما بقيت حاضرة اشتهر فيها الحديث إلا دخلتها.

---

(١) مشكاة المهاد بتصرف مصدر سابق: ٨١.

وكان بعض العلماء ينبه طلابه على أنه كفاهم مؤنة الأسفار في طلب العلم ووضَعَه بين أيديهم بدون عوض، ليحرصوا على أخذه ويحمدوا الله على نعمه.

روى الخطيب البغدادي في كتابه: الرحلة في طلب الحديث:

قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو إِنَّ نَاسًا عِنْدَنَا يَقُولُونَ: إِذَا أَعْتَقَ الرَّجُلُ أَمَتَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ وَعَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ، وَأَدَّى حَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ» خُذْهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِي أَدْنَى مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ[١].

فرحم الله الإمام الشعبي.

وهكذا فإن العلامة أبات ربما كان يشير إلى هذا المعنى فإنه فعلا كفاهم مؤنة الأسفار والتغرب، لأنه جمع لهم علوم المشرق والمغرب، ثم وضعها بين أيديهم بغير شيء، فلم يسافر من أبنائه أحد لطلب العلم خارج حيه بعد ذلك، ويقال إنه أوصاهم بذلك، ودعا لمن حرص أن يتعلم في محاظرهم بالبركة في العلم والدين والدنيا، واستمرت تلك المنهجية في طبقاتهم كلها وعرفوا بها إلى الآن.

ويحكى أن رجلا من أحفادهم [٢] ذهب في تجارة ثم مر بمدينة ولاتة في أيام العلامة محمد يحي الولاتي فجلس في محظرته كأنه يطلب العلم، فلما أخبر به العلامة محمد يحي قال لهم: لا أتأكد من صحة نسبة هذا الرجل لهذه الأسرة العلمية، فإن أبناءها لا يتغربون لطلب العلم أصلا، فمحاظرهم موردة من

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ١٤١).

(٢) قيل هو يحي بن أحمد بن أبات رحمهم الله تعالى.

كل مكان، فانتبهوا لكتبكم، فلعله شخص لوى نسبه وانتسب لهذه الأسرة المحترمة، لينفذ شيئا ما[1].

وهذه منهجية معروفة عند العلماء، يرون أن من تربى في محيط علمي وأنعم الله عليه بآباء متقنين، فالأولى به أن يغتنم تلك النعمة ويأخذ عنهم ولا يزهد فيما عندهم، وقد يكون الزهد فيما عندهم من كفران النعم، ومن أسباب الحرمان والعياذ بالله.

قَالَ الذهبي في السير: قال أَبُو عبدالله بنُ الأَخْرَم: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه يَقُوْلُ: دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ أَبِي يَعْقُوْبَ؟ - يعني إسحاق بن راهويه - قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَزِمْتَهُ، كَانَ أَكْثَرَ لِفَائِدَتِكَ، فَإِنَّكَ لَن تَرَى مِثْلَهُ[2].

فهذا الإمام أحمد ينتقد على ابن إسحاق بن راهويه أن يطلب العلم عند غيره، ويقول له: لو لزمت أباك لكان أكثر لك فائدة. وصدق الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وقد اشتهر الشيخ عبد الرحمن هذا بالعلم في حياة أبيه ودرَّس الطلاب في المحظرة بجانبه فترة طويلة، وبعد وفاته كذلك، كما سيتضح لنا في المبحث الآتي:

---

(١) سمعت هذا غير مرة من مشائخنا.

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٠ / ٥٢٦).

المبحث الثالث
في محظرته

يعتبر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أبات من أهم العلماء في فترته، الذين قاموا بتدريس الطلاب وتربيتهم وتزكيتهم وتكوينهم علميا ودينيا وأخلاقيا، وازدحمت عليه الطلاب من كل مكان، حتى قيل إن بعضهم كان لا يصل إليه الدور في الأسبوع إلا مرة واحدة، حتى قيل إن أخاه العلامة أحمد بن أبات وهو من طلابه قرأ عليه كثيرا من مختصر خليل في أيام العطل الأسبوعية، وهي الأربعاء والخميس، وذلك لزحمة الطلاب وكثرتهم[1].

واستمر يدرس الطلاب فترة طويلة، وكان يسكن في شمال تكَانت في المناطق التي تركهم فيها والدهم العلامة أبات، فازدهرت المحظرة في أيامه ازدهارا كبيرا، وضمت في أحضانها طلابا كثيرين من مختلف القبائل والمناطق، وكان يقوم بنفقات الطلاب عموما، لاسيما الغرباء منهم، ويقوم بكسوتهم كذلك، وفي هذا السياق نورد هنا حكاية ممتعة وقعت في أيامه تدل أولا على حكمته وسياسته، وثانيا على اهتمامه بالطلاب. وهي كالتالي:

حكاية طريفة:

أحمد بن أبات وهو طالب يمدح امرأة من الحي فتجيزه فيبعث بالجائزة إلى شيخه الشيخ عبد الرحمن.

من المعروف أن العلامة أحمد بن أبات قرأعلى أخيه العلامة الشيخ عبد

(١) سمعت هذا من الوالد أحمد رحمه الله.

الرحمن العلوم المحظرية كلها، وفي أخريات أيامه في الدراسة، دعا الطلاب ذات يوم من أيام العطلة لنسخ كتاب له، وكان ذلك أمرا شائعا عند طلاب المحاظر فيتعاونون على نسخ كتاب لأحدهم وفي ذلك اليوم يكونون على حسابه، فيقوم بإطعامهم وخدمتهم، فعلمت بذلك زوجة الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه وهي: أم اعلام بنت أيد الامين، (من قبيلة أولاد اعلي) فأتحفتهم بمشروب كثير من نوع خاص، فقالوا أرسلت إليهم إناء يشبه الحوض مملوءا باللبن الرائب المضروب ممزوجا بالسكر، فوقعت هذه التحفة من العلامة أحمد موقعا كبيرا فأرسل إليها هذين البيتين:

فما مجتنى من أدكن[١] فُضَّ ختمه　　يشابُ بماءٍ من غدير سماء[٢]
بأعذبَ مما ناولتْ أمُّ مريم　　غداة تداني الودِّ بعد تناء

فلما قرأ زوجها الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه البيتين أعجب بهما، وقال لها: قد نلت أمرا عظيما، والمديح لا تعوضه الدنيا وما فيها، لاسيما من مثل العلامة أحمد – قلت: وقد قيل: إنما يعرف الفضل من الناس ذووه – ثم قال لها أرسلي إليه بأمتك فلانة وجملي هذا وعليه عدل من قماش وثياب، فهذا أقل القليل.

فلما جاءت الهدية إلى العلامة الشاب أحمد، قال اذهبوا بها إلى شيخنا الشيخ عبد الرحمن، فلما نظر إليها الشيخ عبد الرحمن قال: هذه أمة أم اعلام، وهي

---

(١) الأدكن: هو اللون الذي يكون بين السواد والحمرة، وهو لون الخمرة المعتقة، التي هي أجود أنواع الخمر.

ومنه قول لبيد:

أَغْلى السِباَء بكلِّ أَدْكَنَ عاتِق　　أو جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها

(٢) العرب تقول إن الخمر إذا شيبت بماء زلال، صارت في أعلى درجات الجودة ومنه قول طرفة في معلقته:

فمنهنّ سبق العاذلات بشربة　　كميت متى ما تعل بالماء تزبد

تقوم يشئون كثير من الطلاب فردوها إليها، وهذا جمل محمد احمد بن الطلبه الذي يركبه، فردوه إليه، وهذا القماش والثياب، يكسى به غرباء الطلاب.[1]

فانظر رحمك الله إلى هذه الأخلاق العالية وهذا التعامل الراقي عند هؤلاء القوم، وانظر إلى هذه النفوس الكبيرة، سواء عند المرأة أو عند زوجها، وكيف كان حرصهما على المجد والكرم، وانظر إلى العالم الشاب كيف كان كرمه وبعده عن الحرص والشح، وكيف أنه لم يأخذ هذه الهدية لنفسه ويبدؤ بها كنواة لبدء أسرة ونحو ذلك، مما هو سائغ لدى ذوي النفوس الصغيرة الجشعة، وانظر كيف كان تقديره واحترامه لشيخه، وانظر إلى الشيخ كيف كان اهتمامه ومحبته لجيرانه، واهتمامه الزائد بطلابه لا سيما الغرباء منهم.

فمن يحمل مثل هذه الأخلاق السامية لا شك أنه جدير بأن يكون مربي أجيال ناجحا، وبالفعل قد كان ذلك بفضل الله تعالى.

وسنورد شيئا من أخلاق هذا الشيخ في المبحث الآتي:

---

(١) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد رحمه الله غير مرة.

المبحث الرابع
في أخلاقه وهديه

كان العلامة الشيخ عبد الرحمن موصوفا بالفضائل الجمة والخصال الحميدة، وقد بدا ذلك جليا فيه منذو نعومة أظفاره، مما جعل والده العلامة أبات يشيد به ويثني عليه – وأعلمُ الناس بالولد أبوه – فقد قيل إنه أنشد فيه قوله: [1]

إذا كـان أبـنـاء الـرجـال فظاظة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب[1]

والتقى العلامة أبات بالعلامة عبدالله بن سيد محمود فقال له: ماذا تركت لأبنائك فإني تركت لأبنائي (تقده) وهي قبيلة دائرة في فلك أهل سيد محمود، فقال العلامة أبات: تركت لهم الشيخ عبد الرحمن، وهذا لاشك ثناء كبير لاسيما من مثل العلامة أبات، وفعلا قام بأمور حيهم أحسن قيام، فقد أقام بهم في منطقة جيدة المناخ وأشرف على تعليم الأجيال، فتعلموا وازدهرت أوضاعهم علميا واقتصاديا، وكان لا يترك شركة بين اثنين مخافة الشحناء في المستقبل وكان يقسم تركة الميت يوم وفاته مخافة ضياع بعض الحقوق للأحياء أو الأموات[2].

نماذج من شعره:

له أبيات في الاستسقاء وهي:

---

(١) مشكاة المهاد مصدر سابق: ٨١.

(٢) نفس المصدر السابق.

إلهي اسقنا غيثا هنيئا مباركا مربا به تحيى بلاد من أسلما
فتصبح أرض الله غب هُدُوِّه رياضا تسر الناظرين تكرما
بحق الهدى والمهتدين بهديه عليه صلاة الله ما دام مكرما

وله أبيات وعظية يقول فيها:

إن دارا عرفتها بانكديِّ وطلولا عهدتها بالنديِّ
أنبأتني وهي غير كذوب أن غير الإله ليس بشيِّ

وهذه الأبيات تنبئ عن رسوخ إيمان، وتوجه كامل إلى الله تعالى وتقوى راسخ في الوجدان، وعدم اغترار بالدنيا وما فيها من متاع خداع، وقد بين القرآن الكريم أن بالإيمان والتقوى تتم ولاية الله عز وجل للعبد، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

ويقول النبي ﷺ في الحديث القدسي إن الله عز وجل يقول: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ..» رواه البخاري.(١)

ومن كان هكذا لا غرابة أن يعينه الله عز وجل بالخوارق والكرامات ليتضح للناس أن الله عز وجل مع المتقين، ومع المحسنبن، وأن من تمسك بهدي النبي ﷺ فلا يخاف ظلما ولا هضما، وفي هذا الإطار نشير إلى بعض من كرامات هذا الشيخ الجليل في المبحث الآتي:

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٦٥٠٢).

المبحث الخامس
في كراماته

من المعروف أن أئمة السلف من الصحابة ومن تبعهم كانت همتهم في الاستقامة، وليست في البحث عن الكرامة، بل كان كثير منهم يكتمها ولا يحب ذكرها، وهذا الخلق نجده متكررا في أئمة هذه الأسرة وعلمائها، ولكن الناس تروي ما تشاهده وينتشر ذلك حتى ولو كان الشيخ نفسه يكتمه ولا يحب إفشاءه، ونحن في هذه السطور سنذكر بعضا من كرامات هذا الشيخ الجليل، التي نقلت إلينا بالاستفاضة، وأحيانا بالتواتر، وهذه الكرامات بعضها يكون لدرء الظلمة، وبعضها لنفع المحتاجين، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى يأتي به في الوقت والكيفية التي يشاء، ولهذا كان مهابا من طرف الأمراء وقطاع الطرق واللصوص، لكرامات يظهرها الله على يديه.

فيحكى أنه مر عليه لصوص قد أغاروا على قوم فغصبوا منهم إبلا، فاعترضهم ونادى أميرهم فخلا به، ثم أخذ غصنا رطبا، ثم نفخ فيه فاشتعلت فيه النار بمشيئة الله تعالى، ثم أقبل عليه قائلا: أرأيت هذا؟ قال نعم، قال إن لم ترد عنك إبل هؤلاء المسلمين إليهم فستشتعل فيك النار كما اشتعلت في هذا الغصن، فارتاع لما رأى ونادى في أصحابه: «هلكتم، ردوا للناس إبلهم»[1]

وقد تكرر هذا النوع من الكرامات لعدة أشخاص من هذه الأسرة، فكانوا مهابين لذلك والله على ما يشاء قدير.

ومن كراماته أنهم استضافهم رجل ومعه عبد له، وكانت فترة قاسية،وفي وقت متأخر، وقد حلبت الحلائب كلها، فقال لأحد طلابه ابحث في الحلائب

(١) مشكاة المهاد، مصدر سابق ٧٨.

لعلك تجد لها حليبا، فأتى بجرعة قليلة لاتذكر، فأخذها الشيخ عبد الرحمن ووضع فيها أصبعه وسمى فيها، ثم أرسلها إليهما، فقال الرجل مستهزئا: ما هذا؟ وامتنع منها، فقال الشيخ: قولوا له إذا كان لا يحب أن يشرب سؤرعبده فليشرب أولا، فإنها ستكفيهما وستزيد، فأخذها الرجل وشرب حتى لا يجد له مساغا، ثم أعطى عبده وكان ضخم البدن شروبا، فشرب حتى لا يستطيع أن يزيد، وشاع الخبر في الحي فجاء الناس والطلاب وكل من أراد أن يشرب شرب، والجرعة بحالها، والناس ينظرون ويتعجبون، فلما انتهى الناس ويئسوا من أن ينقصوها، أخذها الشخ عبد الرحمن فسمى الله تعالى وشربها[(١)] .

وهذه القصة تذكرنا بحديث أبي هريرة الثابت في الصحيح أنه، كَانَ يَقُولُ: أَللهَّ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا هِرٍّ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (الحَقْ) وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: (مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟) قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: (أَبَا هِرٍّ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي) قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ

(١) سمعت هذه الحكاية من الثقات.

أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: (يَا أَبَا هِرٍّ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (خُذْ فَأَعْطِهِمْ) قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: (أَبَا هِرٍّ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ) قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (اقْعُدْ فَاشْرَبْ) فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: (اشْرَبْ) فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: (اشْرَبْ) حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: (فَأَرِنِي) فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري(١).

فهذه الكرامة من هذا الولي تشبه هذه المعجزة الثابتة عن نبينا ﷺ، ولا غرابة في هذا فالكل يعتبر آية على صدق النبي ﷺ، وعلى تأييد الله عز وجل له ورضاه عن منهجه وسنته، فقد قال العلماء رحمهم الله، إن كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه هذا الولي؛ لأن تلك الكرامة شهادة من الله أن هذا الولي على حق، فإذا كان يتبع نبياً من الأنبياء فهي أيضاً تستلزم الشهادة بأن هذا النبي حق، وإلا لما أيد متبعه بهذه الكرامة(٢).

وأما قول العامة: «ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي» فليس هذا القول على إطلاقه بل إن من المعجزات ما لا يكون مثله للأولياء قطعا، كنزول القرآن ونحو ذلك، وهذه الجملة ليست حديثا ولا هي من كلام

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٦٤٥٢).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (١ / ٦٤٢).

أئمة السلف، وإنما هي من كلام بعض المشايخ المتأخرين تلقفتها العامة[١].

حكاية تلميذ الفروة:

ومن الحكايات المشهورة التي حصلت في أيامه الحكاية المعروفة ب «حكاية تلميذ الفروه» وهي أن أحد طلابه ذهب في عطلة الأسبوع خارج الحي فلما كان وقت الغروب يوم الخميس - أي ليلة الجمعة - نزل ضيفا عند أسرة تتألف من رجل وأمة ولهم خباء من الجلود معروف في تلك الفترة ويسمى «الفَرْوَه» وعندهم بقرتان، فصلى عندهم المغرب، ثم لما دخل وقت العشاء وهم بالصلاة، أمره الرجل أن يؤخر الصلاة قليلا، وظل يأمره بالانتظار إلى أن اقترب خروج مختار العشاء، فأقام التلميذ الصلاة وفور دخوله فيها، إذا برجل مسرع، وبيده سيف فأهوى إلى الرجل (صاحب البيت) فذبحه وتركه يتشحط في دمه ثم توارى، فجاءت الأمة فوضعت رأسه على فخذها وجاءت إحدى البقرتين فوقفت عليه فجعلت الأمة تحلب عليه من تلك البقرة وأما البقرة الثانية فلم تأت، واستمرت الأمة تحلب عليه، وكلما حلبت عليه التأم جرحه شيئا فشيئا إلى أن التأم تماما، فقام كأن لم يكن به شيء، فذهل التلميذ من هذا المشهد وسأل الرجل ما هذا يا أخي؟ فقال الرجل: يأخي نحن هؤلاء لسنا في الدنيا، نحن في عالم البرزخ، وأنا كنت قتلت هذا الرجل في الدنيا، وتصدقت بهاتين البقرتين وبهذه الفروة، وعتقت هذه الأمة، ومنذو توفيت وأنا يصيبني ما رأيت كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء - ولذلك أمرتك أن تؤخر الصلاة - أي فيأتيني الرجل فيفعل بي ما رأيت، ثم تحلب علي الأمة من حليب هذه البقرة، وأما الثانية فلا تأتي فلعلها لم تقبل[٢].

و قيل إن الشيخ عبد الرحمن أخبربهذه القصة قبل قدوم صاحبها، وقيل إنه

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: ٧٤٥).

(٢) سمعنا هذه الحكاية من الثقات.

لما قدم بدأ يسأله عنها، وعن تفاصيلها كأنه كان عالما بها. والله تعالى أعلم

قلت: وهذه القصة وأمثالها لا تنكر فإن عذاب البرزخ ثابت في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعلى:

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وأما السنة فإن الأحاديث في ذلك كثيرة، ويقرب من هذه الحكاية حديث سمرة بن جندب الطويل الذي يقول فيه:

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: (هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا) قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: (إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى) قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ «قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، – قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ –» قَالَ: (ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى) قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟... إلى أن قيل له:

(أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ

بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ.. إلى آخر الحديث[١].

وقد يطلع الله عز وجل بعض عباده على عذاب أهل البرزخ كما في حديث أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ- أي غربت - فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: (يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا) متفق عليه[٢].

ويمكن لغير النبي ﷺ أن يراه، لحديث أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) رواه مسلم[٣].

وقال بن كثير في البداية والنهاية: جَاءَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا وَضَعَ الْوَلِيدَ بن عبد الملك فِي لَحْدِهِ ارْتَكَضَ فِي أَكْفَانِهِ، وَجُمِعَتْ رِجْلَاهُ إِلَى عُنُقِهِ[٤]. نسأل الله السلامة والعافية ونعوذبه عز وجل من عذاب جهنم ومن عذاب القبر.

ثم نعود إلى موضوعنا فنقول إن الشيخ عبد الرحمن هذا رحمه الله كان إماما عظيما وقد كون جيلا كبيرا من الطلاب الأجلاء، كما سنرى في المبحث الآتي:

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٧٠٤٧).

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث ١٨٢٣).

(٣) صحيح مسلم (الحديث ٢٨٦٨).

(٤) البداية والنهاية ط هجر (١٢ / ٦١١).

المبحث السادس
في طلابه

وكان رحمه الله محبا لطلابه ويثني عليهم، فيحكى أنه في إحدى الفترات وفي خضم الحروب القبلية المشتعلة آنذاك، وقعت معركة بين قبيلة تجكانت وكنته، فقتل فيها عدد كبير من طلابه من القبيلتين، فحضر الشيخ عبد الرحمن إلى المكان، فلما تعرف على طلابه وهم صرعى، استرجع وقال: ذهبوا بهم والله إلى غير مجالهم، ولو ذهبوا بهم إلى «ورد كل صنف»(١) لما سقطوا ولكن الله غالب على أمره.

ثم لما أراد دفنهم قال لطلابه: لا تقدموا في القبور ولا في القبلة بعضهم على بعض، فإنا لا نعرف الظالم منهم من المظلوم(٢).

وهذه الحكاية تدل على هدوء الرجل وإنصافه وسعة صدره، وما يكنه لطلابه من الود والتقدير وإظهارالتأسف العميق على مصرعهم، وحق له أن يتأسف على تلك الخسارة الفادحة، لأن هؤلاء جيل من العلماء والفضلاء قد بَذَل في إعدادهم جهودا مضنية، وإذا بهم يحصدون في أوج شبابهم وفي فترة عطائهم، بأيادي فتنة لا يُدرى فيها الحق من الباطل، فعفا الله عمن سعى في إشعالها، وتغمد برحماته من حصدته من الأرواح.

---

(١) يشير إلى قول خليل في مختصره في باب الفرائض (ورد كل صنف انكسرت عليه سهامه إلى وفقه) وهو من النصوص التي تستعصي على غالب الطلاب.

(٢) سمعت هذه الحكاية من بعض مشايخنا..

وقد ذكرنا أن الشيخ عبد الرحمن هذا ازدحمت عليه الطلاب زمنا طويلا فلا شك أنه تخرج على يديه أسراب من العلماء كثيرون، ونحن نشير هنا إلى نماذج منهم، فقط فمن الذين تخرجوا على يديه:

١. أخوه العلامة الجليل عبد القادر(الداد) بن أبات.

٢. أخوه العلامة الكبير أحمد بن أبات.

٣. ابنه العلامة الأديب محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن

٤. ابن عمه: العلامة الشاعر الكبير: محمد احمد بن الطلبه

٥. الشيخ محمدو الملقب بادي بن الشيخ بن امنِي

٦. الرجل الصالح عبد الدايم بن محمد خين.

٧. أحمد بن محمد آب الكنتي.

٨. الطالب أحمد بن الوداني....

وغير هؤلاء كثير.

المبحث السابع
في أبنائه

له خمسة أبناء وخمس بنات وهم:

١. العلامة محمد الحسن، وستأتي ترجمته في الطبقة الثانية

٢. ومحمدو وكان معروفا بالقوة والفتوة والأدب،

٣. ومحمد محمود الملقب (دحمود) وهو جد المقرئ الكبير (دحمود)[١].

٤. ومحمد الأمين.

وهؤلاء أمهم بنت السالم الكلالي الجكني.

٥. والخامس محمد احمدُ - وليس له عقب - وأمه بنت محمد الأمين بن الطالب بن أعمر (أهل الطالب أحمذو) .

وأما البنات فهن:

٦. مريم وهي: أم أسرة أهل بادي (أهل الشيخ بن امني).

٧. توت وهي: أم أسرة أهل الشيخ المختار.

٨. أم المؤمنين وهي: أم أسرة أهل عبدي

٩. عيشة (شتَّ) وهي أم أسرة أهل احمد بلحاج

١٠. المكبوله بكاف معقودة، ولم تعقب

وأمهن بنت السالم الكلالية.

---

(١) ستاتي ترجمته في في الباب الخامس من القسم الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

المبحث الثامن
في وفاته ومكان دفنه

ولما أخذت عنه العلوم وقام إخوته وأبناؤه وأبناء عمه بمهمة التدريس والإفتاء وشئون الحياة كلها، انقطع للعبادة، وكان لا يتكلم في أي شيء إلا في حالات نادرة، واستمر على ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري ودفن بموضع يسمى (دكّلْ) شمال قرية المجرية، وقبره هناك معروف.

وبهذا تمت ترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن وتليها ترجمة العلامة والشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه في الفصل الآتي:

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة الشاعر: محمد احمد بن الطلبة الكبير[1].

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: في اسمه وولادته.

المبحث الثاني: في نشأته ودراسته.

المبحث الثالث: في بيئته وشخصيته الأدبية.

المبحث الرابع: في المواضيع التي طرقها في أشعاره.

وهل كان من ضمنها الغزل.

ومن المواضيع التي طرقها:

- النسيب - المديح النبوي - الثناء على شيوخه

- الثناء على زملائه من العلماء والشعراء - الرثاء

المبحث الخامس: في أهمية الدور الذي كان يقوم به لحيه

المبحث السادس: في أبنائه.

المبحث السابع: في وفاته ومكان دفنه.

---

(١) قولنا محمد احمد بن الطلبة الكبير: فرقا بينه وبين حفيده الفقيه محمد احمد بن الطلبة الصغير الذي ستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة.

المبحث الأول
في اسمه وولادته

هو العلامة والشاعر الكبير: محمد احمد بن الطالب عبد الدايم بن الطالب أحمد جدو وقد اشتهر بمحمد احمد بن الطلبه، وذلك لأن أباه الطالب عبد الدايم الذي كان هو أصغر إخوته، بقي في خيمة أبيه الطالب احمد جدو، وكان هذا الأخير له طلاب كثيرون وهم يسمون خيمة شيخهم بالطلبه، وهذا أمر مشهور عند الشناقطة قديما كما بينا ذلك في أكثر من موضع، ثم لما كان محمد احمد هذا هو أصغر إخوته وبقي في خيمة أبيه أطلق عليه ذلك اللقب «الطلبه» ثم بقي في أسرته إلى يومنا هذا.

وقد ولد العلامة محمد احمد في أربعينات القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، ولم نجد بالضبط تحديد تاريخ ميلاده شأنه في ذلك شأن غيره من العلماء الذين لا يعرف تاريخ ميلادهم بالتحديد، لأن القوم لم يكونوا يعتنون بكتابة تواريخ الميلاد كما هو شأن القطر الشنقيطي كله في تلك الفترة، وقد نشأ نشأة مميزة كما سيتضح لنا في المبحث الآتي:

المبحث الثاني
في نشأته ودراسته

نشأ رحمه الله وتربى في كنف تلك الأسرة العلمية والدينية، وفي أحضان تلك المحظرة العملاقة، فتربى تحت رعاية أبيه الطالب عبد الدايم الذي لم يعش معه كثيرا، وعمه العلامة أبات، وابن عمه العلامة الشيخ عبد الرحمن، فأخذ عن كل منهم، ولكن معظم دراسته كانت على ابن عمه العلامة الشيخ عبد الرحمن، كما يتضح ذلك في بعض أشعاره التي يخاطبه بها مثل قوله:

يا شيخ يابحر يامروي من زاره ... ببحر علم رمى بالجو تياره

وكان يجل العلامة الشيخ عبد الرحمن إجلالا كبيرا وعاش معه معظم حياته، وكان الشيخ عبد الرحمن يجله هو ويضعه في مكانة سامية كذلك حتى قيل إنه كان إذا أهدي له ثوب جميل يقول: هذا لا ينبغي أن يلبسه إلا محمد احمد بن الطلبه، اذهبوا به إليه، فرحمهما الله تعالى[1] .

وقد غلب عليه رحمه الله طابع الأدب والشعر حتى طغى على علمه واشتهر به أكثر من العلم، وسنلقي الضوء على هذا الجانب من شخصيته الأدبية الكبيرة في المبحث الآتي:

---

(١) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٩.

المبحث الثالث
في بيئته وشخصيته الأدبية

كان رحمه الله رجلا أديبا، رضع الأدب من البيئة النقية التي ترعرع فيها، فقد عاش رحمه الله في شمال تكَانت في منطقة معتدلة المناخ أنيقة تأسر القلوب بمنظرها الخلاب، منطقة قالوا إنها كانت من أحسن بلاد الله منظرا، وقد أثر فيه جمالها فكان يحن إليها إن سافر عنها ولو قريبا، وقد يحن إليها وهو فيها، فيذكر مواضعها، و يجيد النسيب.

يقول بن الرومي:

وحبب أوطان الرجال إليهمُ   مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

ولا شك أن للبيئة تأثيرا قويا في مخيلة الأديب فهي تمده بمخزون المفردات، وتشحذ همته ليحلق بمخيلته في تلك الأجواء العالية، ليعود من تلك الرحلة بما تقاصرت عنه خواطر الأدباء.

فمثلا نجده يذكر أوطانه ثم يقول:

بلاد بها قطعت نظم تمائمي   وجررت فيها للشباب ردائي

وفي هذا المعنى يقول رقاع بن قيس الأسدي:

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي   وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها[1]

(١) الأزمنة والأمكنة للأصفهاني (ص: ٨).

وأحسن ابن ميادة فقال:

بـــلادٌ بهـا نِـيـطـتْ عــليّ تمائمي   وقُطِّعنَ عنّي حينَ أّدركني عقلي[1]

ويقول محمد الأمين بن ختار الجكني:

بـــلاد بهــا نـيـطـت عــليّ تمائمي   وإن لم تكن نيطت علي التمائم[1]

ولا يشك من له ذوق أدبي وبلاغي، أن محمد احمد أبدع في هذا البيت المتقدم، وفاق الشعراء المذكورين في هذا المعنى، فقد أتى في صدر بيته بالمعنى الذي ذكروه كاملا بأسلوب بارع، وزاد عليهم بقوله: وجررت فيها للشباب ردائي.

ويقول محمد احمد في هذه القصيدة أيضا:

وقد أصبحت أرجــوا لــوادان أوبة   ووادان عندي كــان أرض جلاء

وهذا أبلغ في وصف البعد من قول العباس بن الأحنف في بيته المشهور:

قالوا: خراسان أَقـصى ما يُـراد بنا   ثم الـقُـفُـولُ، فقد جئنا خُراسانا

فالعباس قد وصل إلى أقصى البعد عنده وهو خراسان، لكنه لم يتجاوزه، وأما محمد احمد فكان أقصى البعد عنده وادان، ثم تجاوزه حتى صار يتمنى العودة إليه.

وكان رحمه الله صاحب شخصية أدبية بالطبع، فكان أدبه يتراءى في جوانب الحياة التي تمر به، فكان يشيد في شعره بشمال البلاد وبالأرض الصحراوية

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: (٢ / ٧٦٠).

(٢) هذا البيت من قصيدة لابن ختار يمدح بها اج بن محمد محمود الكنتي يقول في أولها:

تذكرت أسبوعا حواه أشارم   وذلك أسبوع لقلبي شارم

وهي من محاسن شعره، رحمه الله.

النقية، ويسب جنوب البلاد التي فيها المستنقعات والغابات ويشفق على أهلها، ويتمنى لهم السلامة من السيول والأوبئة التي تصاحب المستنقعات، وكانوا يطلقون على جنوب البلاد: (الشرك) بكاف معقودة، فيقول رحمه الله:

أرقت لبرق بات يلمع بالشرق ... فحفظا لأهل الشرق من ذلك البرق
خليلي إن الشرق أرض إذا هما ... بها الودق ضاقت بالعباد من الودق
أرض يظل بها المنهوم يملؤ شدقه ... ويـاوي إلى خرقاء مالئة الشدق

إلى أن يقول:

فبيناهم مـلأى لبانا وطابهم ... وعيابهم ملأى من الزرع والنبق
إذا هم بحمى لا يداوى عليلها ... فمن تبق تتركه بغيضا إذا تبق

فكانت شاعريته تتراءى في كل منحى من مناحي الحياة وهذا شأن الأديب البارع، ولهذا نجده في شعره قد طرق مواضيع متعددة نشير إليها في المبحث الآتي:

المبحث الرابع
في المواضيع التي طرقها في أشعاره، وهل كان من ضمنها الغزل؟

لقد طرق العلامة الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبة في شعره عدة مواضيع معروفة عند الأدباء كالنسيب والمديح ونحو ذلك، ولم نجد له أي شيء في الغزل، شأنه في ذلك شأن الكثير من شعراء الإسلام الذين صانوا ألسنتهم عن التغزل بمحاسن النساء، ولا يعني ذلك أن الغزل اجتنبه كل الفضلاء، بل قد كثر قائلوه من الأئمة الكبار، فهذا الإمام الشعبي رحمه الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مرتبته يقول في الغزل فيجيد، فلنستمع إلى قوله:

يقول لى المفتى وهنّ عشية ... بمكّة يسحبن المهدّبة السّحلا
تق الله لا تنظر إليهنّ يا فتى ... وما خلتنى بالحج ملتمسا وصلا
فوالله لا أنسى وإن شطّت النوى ... عرانينهن الشمّ والأعين النّجلا
ولا المسك فى أعرافهن ولا البرى ... جواعل فى أوساطها قصبا خدلا
ووالله لولا الله ما قلت مرحبا ... لأوّل شيبات طلعن ولا أهلا

وهذا أحد شيوخ مالك وهو عروة بن أذينة على زهده، وورعه، وجلالة قدره كان رقيق الغزل كثيره، وهو القائل:

إنّ التي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فيك الذى زعمت بها، وكلا كما ... أبدى لصاحبه الصّبابة كلّها
ولعمرها لو كان حبّك فوقها ... يوما وقد ضحيت إذن لأظلّها
فإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير إلى الفؤاد فسلّها

بيضاء باكرها النّعيم فصاغها ... بـلـبـاقـة فـأدقّـهــا وأجـلّـهـا
لّمـا عـرضـت مـسـلّـما، لى حاجة ... أخشى صعوبتها، وأرجــو ذلّها
منعت تحيّتها فقلت لصاحبى ... مـا كــان أكـثـرهـا لـنـا وأقلّها
فـدنـا وقـــال: لعلّها مـعـذورة ... فى بعض رقبتها، فقلت: لعلّها

وهذا عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، وهو أحد الفقهاء السبعة يقول في زوجة له قد كان طلقها اسمها عثمة:

تَغَلْغَلَ حُـبُّ عَثْمَةَ فِي فُـؤَادِي ... فَـبَـادِيـهِ مَــعَ الْخَــافِي يَـسِــيرُ
تَغَلْغَلَ حَـيْـثُ لَمْ يَبْلُغْ شرَابٌ ... وَلَا حُــزْنٌ وَلَمْ يَـبْـلُـغْ سُرُورُ
أَكَــادُ إِذَا ذَكَـرْتُ الْـعَـهْـدَ مِنْهَا ... أَطِــيرُ لَـوَ انَّ إِنْـسَـانًـا يَـطِـيرُ

وَيروى عَنِ الْعَجَّاجِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا:

طَـافَ الْخَـيَـالَانِ فَـهَـاجَـا سَقَمَا ... خَـيَـالُ سَـلْـمَـى وَخَـيَـال تكتما
قَـامَـتْ تُـرِيـكَ رَهْـبَـةً أَنْ تَصْرِمَا ... سَـاقًـا بَـخَـنْـدَاةً وَكَـعْـبًـا أَدْرَمَــا

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كُنَّا نَنْشُدُ هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَا يَعِيبُهُ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ شَيْخِهِ رَفِيعِ بْنِ سَلَمَةَ وَلَمْ أَعْرِفْهُما، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ[(١)].

وقَالَ ابن عبد البر في الاستذكار: وَقَدْ أَنْشَدَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ وأولها:

بَـانَـتْ سُـعَـادُ فَقَلْبِي الْـيَـوْمَ مَـتْـبُـولُ...

وَفِيهَا مِنَ التَّشْبِيبِ وَالْمَدْحِ ضُرُوبٌ انتهى[(٢)]

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٢٨).

(٢) الاستذكار (٨/ ٢٤١).

قلت: وهذا يصلح أن يكون دليلا لهذا الباب والله تعالى أعلم.

ثم نعود فنقول إن الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبة تناول في شعره عدة مواضيع نوجزها فيما يلي:

١. النسيب
٢. المديح النبوي
٣. الدعاء والابتهال
٤. الثناء على شيوخه
٥. الثناء على زملائه من العلماء والشعراء
٦. الرثاء

فهذه المواضيع الستة كانت لها النصيب الأوفر من شعره رحمه الله تعالى، وسنذكر منها نماذج لنرى من خلالها شخصيته الأدبية، وبساطة أسلوبه، وسلاسة تعبيره وقرب مأخذه، فنراه مثلا في

النسيب يقول:

حي الديار التي هاجت لها الذكر — واستخبرنها ولا يرجى لها خبر
أمست «ترين»[1] تريني أربعا درست — بها و«شـــاو»[2] شوى قلبي به أخر
وذي فيا عجبا تسميت غدت — قـفـر المــرابـع مـا بـربـعـهـا بشر

ويقول أيضا:

إن دارا عـرفـتـهـا لـلـربـاب — بين هضب الظبا وهضب الذياب
عـن خـلـيـط عـهـدتـه بـربـاهـا — مستكنا سـألـتـهـا لـلـجـواب
فـأجـابـتـنـي بـالـذي هـو حق — أن غـير الإلـه بـادي الـذهـاب

---

(١) ترين: اسم موضع يقع شمال تكَانت.

(٢) شاو: اسم جبل يقع شمال تكَانت أيضا.

وفي المديح النبوي يقول:

إلى مديح إمام الرسل قاطبة عساك في مدحه يقضى لك الوطر
إلى مديح الذي عمت شفاعته إذ ليس ينفع من يؤوى له وزر

إلى أن يقول:

أمال بالأسر أعناق الأولى كفروا أذلة بعد ما أمالها البطر
ما قر أعينهم ظفر به وله في كل ما ملتقى في زحفهم ظفر
سائل حنينا وسل بدرا وسل أحدا والفتح أوخندق الأحزاب هل ذعروا

في الدعاء والابتهال:

وله في الدعاء والتعوذ من وباء نزل في منطقتهم: [١]

يا مالك الملك مولى نعمة البشر وكاشف الضر عمن كان ذاضرر
إنا إليك توسلنا بسيدنا محمد المجتبى المبعوث بالسور
وبالآل والأصحاب أجمعهم ومن قفا قفوهم من سالك الأثر
وبالذي صنت من سر وجدت به لأهله من ولي طاب كالخضر
فارفع بفضلك عن ذا الخلق أجمعه هذا الوباء الذي أرسلت بالقدر
وعافين منه من قد مسه وقِنْ من لم يمس وقد أمسى على حذر
ولا تؤاخذ إلهي بالذي اجترحوا من الذنوب التي من أكبر الكُبَر
أنت اللطيف الذي ألطافه شملت وأنت لو شئت لم تبقي ولم تذر[١]
وصل ياذا العلى على الشفيع غدا واقبل شفاعته في رفع ذا الضرر

---

(١) في قوله لم تبقي.. يبدوا أنه لم يحذف الياء للجازم، على حد قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

وقول الأخر:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً.

فقيل هو من باب الضر ورة وقيل هو إشباع للحركة حتى يتولد منها حرف مد.

انظر شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ٨٢).

وفي الثناء على زملائه من العلماء والشعراء:

يقول رحمه الله مخاطباً العلامة والشاعر الكبير امحمد بن الطلبة اليعقوبي حين قدم عليهم زائرا، وذلك أنه في تلك الفترة وهو في تيرس سمع شيئا من جيمية العلامة والشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي الرائعة التي مطلعها:

أهـاجـك ضـوءُ الـبـارق المتبوج ... بـأعـلى صـبـير المـرزم المـتـأوج

فأعجب بها وهم بأن يلتقي بقائلها فلما قدم عليهم وجده قد توفى رحمه الله تعالى، فحياه العلامة محمد احمد بهذه القصيدة:

طلع الـزمـان لنا بسعد الأسعد ... بـشرى الـبـلاد وهـادهـا والأنجد
وخـدت بـه نجب المطايا نحونا ... فجلا الجـوى سير المطايا الوخد
وطـوت بـه مـق المـفـاوز ضمر ... مـا بـين جـلـعـدة ونـاج جلعد
ولـربـما أدنـت تـبـاعـد نـازح ... وبهـا تباعد وصـل مـن لم يبعد
ولـكـم أنالتنا المـنـا مـن قبل ذا ... وألـذهـا نـيـلا طـلـوع امحـمـد

ألى آخرها....

ويقول في الثناء على شيخه الشيخ عبد الرحمن:

يا شيخ يابحر يـامروي من زاره ... ببحر عـلـم رمـى بـالجـو تـياره
لله كـم قـدهـدي للنهج زائـركـم ... وحـط ذو الـوزر مما زار أوزاره

ويقول فيه أيضا:

جـزى ربنا الـرحمـن شيخي عبده ... بخير جـزا مـا لاح ويـك هلال
عـلى بـذل يـمـنـاه وخـط بنانه ... إذا مـا عـرى للسائلين سـؤال

وفي الرثاء:

يرثي عمه وشيخه العلامة أبات ورفيقه في الطلب سيد مولود بن محمد بن الشيخ سيدالامين الجكني:

إن الرفيقين إذ همـا عـلى شرف ... حـلا بـخـيران فـالسـعـد لخـيران
فالشيخ أبـات والـشـيـخ سيدنا ... مـولـود صاحبه نعم الرفيقان
ترافقا في طـلاب العلم واقتفيا ... إثـر الـنـبـي المـقـفـى خـير عـدنـان

المبحث الخامس
في أهمية الدور الذي كان يقوم به لحيه

كان رحمه الله رجلا عظيما ذا عطاء ممتد في كل جوانب الحياة سواء على المستوى العلمي أو الأدبي أو غيرهما، فقد كان يمثل الشخصية الأدبية والوجه الإعلامي لمحيطه، فنجده لما تخرج على يديهم رفيقه في الطلب العلامة الكبير محمدو الملقب (بادي) بن الشيخ بن امني وهمَّ بالرحيل إلى أهله، شيعه بقطعة شعرية يقول فيها:

رحيلك ياأنس العيون رحيل ... به في الحشى شوق إليك دخيل
به في الحشى نار يضيق بها الحشى ... وعبرة عين لا تزال تسيل
ترحلت لم تعلق بعرضك ذمة ... ولست إلى غير الجميل تميل

ونجده - كما تقدم - لما قدم عليهم العلامة الأديب امحمد بن الطلبه اليعقوبي تلقاه بقصيد جيدة يقول في مطلعها:

طلع الزمان لنا بسعد الأسعد ... بشرى البلاد وهادها والأنجد..

ونجده كشخص عادي يذهب رائدا لحيه يبحث لهم عن الماء والمرعى وذلك في إحدى السنين التي رحلوا فيها عن أوطانهم في منطقة (الخط) للبحث عن المرعى لثروتهم الحيوانية، حتى وصلوا إلى منطقة (الحريث) بوسط تكَانت، ثم إنه جال في مناطقهم التي كانوا يسكنونها بالخط فوجدها قد أخصبت وازدهرت، فعاد إليهم بالبشارة مسجلا المشاهد التي رءاها في أبيات وخاطب بها شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن قائلا:

يا شيخُ يابحرُ يامرويَ من زارَهْ   ببحر علم رمى بالجو تيارَهْ
لله كم قدهدي للنهج زائركم   وحط ذو الوزر مما زار أوزارَهْ
الخط سائلة بطاحه وقيعا   نه غدت بلغت من روضها الشارَهْ
حان الرحيل وأُمُّوا الخط داركُمُ   فأينا قد أعد الحرث ذا دارَهْ

المبحث السادس
في أبنائه

خلف من الأبناء رجلا واحدا هو:

- العلامة الأديب أحمد ابن الطلبة وستأتي ترجمته في الطبقة الثالثة،
- وله بنت اسمها آمنة وتلقب (امَيْنَه) وهي أم أبناء الغوث بن أبات، وأمها أم اعلام بنت أيد الامين رحمهم الله جميعا.

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة الكبير: عبد القادر الملقب (الدادَ)، وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: في اسمه وولادته

المبحث الثاني: في نشأته ودراسته.

المبحث الثالث: في ولايته للقضاء.

المبحث الرابع: في محظرته وطلابه

المبحث الخامس: في أخلاقه وهديه.

المبحث السادس: في أبنائه.

المبحث السابع: في وفاته ومكان دفنه

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

عاش رحمه الله حياة علمية أدبية وظل قائما بدوره الحيوي الهام واستمرعلى ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى في أواخرالقرن الثالث عشر الهجري ودفن بخيران مع عمه العلامة أبات رحمه الله تعالى.

المبحث الأول
في اسمه وولادته

هو العلامة الكبير عبد القادر بن أبات، وهذا هو اسمه الذي كان يكتب لنفسه، ولكن اشتهر بلقبه (الداد) واستمر هذا اللقب في أسرته إلى اليوم.

وحتى إن اسمه الأصلي يكاد يكون أصبح مهجورا لايعرفه الكثير من الناس، وقد رأينا ابنه العلامة سيبويه زمانه: أحمد بن الداد يذكره باسمه الأصلي فيقول في بداية نظمه لأسماء الله الحسنى:

يقول أحمد بن عبد القادر   سليل أبات النجيب الماهر

ونحن في هذا الكتاب غالبا نذكره بلقبه للإيضاح وربما ذكرنا اسمه الأصلي ثم نتبعه باللقب بين قوسين هكذا (الداد) وكان ينبغي أن يكتب هكذا (الداده) لأن الدال مفتوحة، ولكن تركنا كتابة الهاء مخافة التباسه على القارئين العاديين باسم آخر.

ولد رحمه الله في أوائل القرن الثالث عشر الهجري قبل سفر والده العلامة أبات إلى المشرق ولم نستطع الحصول على تاريخ ولادته بالضبط شأنه في ذلك شأن كثير من علماء الشناقطة الذين يبقى تاريخ ميلادهم غير معروف، لأن البيئة البدوية التي كانوا يسكنونها لا يهتم أهلها غالبا بتسجيل تواريخ الميلاد وتقدمت الإشارة إلى هذا مرارا.

وهو الأخ الأصغر الشقيق للعلامة الشيخ عبد الرحمن، وأمهما خديجة بنت مينحن الجكني كما قدمنا ذلك في ترجمة العلامة أبات رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني
في نشأته ودراسته

نشأ رحمه الله في حجر والده العلامة أبات، وفي فترة غيابه في رحلته إلى المشرق تركه في حضانة أخيه العلامة الطالب عبد الدايم، وأخذ العلم عليهما في تلك الجامعة التي يعيش في أحضانها، وذكروا أنه كان ثاقب الذهن ذكيا ذا بصيرة بالنوازل والمسائل المعقدة التي ترد من العامة، ولهذا نجد أخاه الشيخ عبد الرحمن أمره بالجلوس للقضاء، كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في ولايته للقضاء

ولما تخرج العلامة عبد القادر (الدادَ) وجلس للتدريس في المحظرة، رأى منه أخوه العلامة الشيخ عبد الرحمن كفاءة عالية فولاه القضاء، فكانت الخصوم تأتي إليه من كل مكان، من العامة والخاصة وغير ذلك، وتوجد بعض الخطوط الدالة على ذلك، فقد اطلعت على مخطوطات فيها بعض كتاباته – وكان خطه غاية في الجمال – فمن ذالك مكتوب بخطه فيه أنه حضر لديه باب بن الشيخ سيدي وفلان بن اسويد احمد، يتنازعان في فرس... ثم ذكر مجريات المرافعة والإجراءات القضائية التي اتبعها وكانت كلمات قليلة بأسلوب رصين ممتاز للغاية، ثم كتب اسمه: عبد القادر بن أبات[1].

وهذا يدل بوضوح أن الرجل مارس القضاء بكفاءة عالية حتى اشتهر وصارت الرقاب الكبيرة تخضع له، وهذا في فترة ازدهار العلم وتوافر العلماء في البلد، واستمر قاضيا ردحا من الزمن.

وفي أخريات أيامه بدأ يستعين بأخيه الأصغر العلامة الشاب أحمد بن أبات ويحيل إليه الخصوم ليتولى مهمة القضاء بعده، وقد تم ذلك فيما بعد كما سيأتي، فرحمهم الله جميعا وأثابهم على ما قدموا.

(١) هذه الوثيقة اطلعت عليها قديما في ثنايا مكتبتنا بأم النوار.

المبحث الرابع
في محظرته وطلابه

جلس العلامة الداد للتدريس والقضاء، وتخرج على يديه عدد من طلاب العلم، فمنهم أبنه العلامة الكبير: عبد الرحمن بن الداد وغيره.

ولا شك أن من تولى مهمة القضاء وفض النزاعات يكون من شبه المستحيل أن يبقى من وقته ما يمكنه من تدريس الطلاب وتعليمهم، ولكن الله سبحانه وتعالى يبارك لأقوام في وقتهم، حتى ينجزوا في مدة وجيزة أعمالا جبارة تحتاج إلى وقت كثير وتفرغ مستمر. وذلك فضل الله يؤتيه يشاء.

المبحث الخامس
في أخلاقه وهديه

كان العلامة عبد القادر (الداد) مع ما هو فيه من ولايته للقضاء، ومتاعب الخصوم ومشاكلهم الجمة وما يمارسه من تدريس الطلاب: رجلا ناسكا كثير العبادة لا يفتر عن ذكر الله، حتى قال أحمدْ بن امود بن عبدالله بن أبات رحمه الله – وهو رجل ذهب عقله من خشية الله تعالى –: إن أبناء الداد كلهم أصحاب قلوب لينة خاشعة لكثرة ذكر أبيهم لله تعالى.

ومن كراماته التي تحكى عنه أنه كان لا يأتي عند دابة إلا درت بالحليب، وكانوا يدعونه لذلك عند الحاجة، فسبحان القادر على ما يشاء. (١)

(١) سمعت هذا من الوالد: أحمد بن محمد محمود رحمه الله.

المبحث السادس
في أبنائه

خلف رحمه الله سبعة أبناء وبنت وهم:

١. العلامة: عبد الرحمن وكان رجلا عالما قام بالفتوى وتدريس المحظرة ردحا من الزمن،[١] لكنه توفي شابا، وكانت وفاته مصيبة فادحة، حتى قال أخوه العلامة أحمد بن الداد، تمنيت أن أفديه بنفسي لعظم الدور الذي يقوم به لحيه ولعامة المسلمين، فرحمه الله تعالى[٢].

٢. العلامة أحمد (سيبويه زمانه) وستأتي ترجمته في الطبقة الثالثة إن شاء الله تعالى.

٣. محمد المختار الملقب «خطري» وكان على قدر كبير من العلم وكان من المتخصصين في علم العقيدة، حتى قال جدنا العلامة محمد محمود بن أحمد رحمه الله إنه في أيام طلبه للعلم عرضت له شبهة عقدية استعصى عليه حلها فعرضها على خطري بن الداد ففرجها عنه وكان لايبارى في علم التوحيد رحمه الله[٣].

٤. عبد الدايم الملقب (الداي) وكان رجلا ناسكا مقبلا على عبادة الله ومنافع المسلمين[٤].

---

(١) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٥.

(٢) يقول الوالد أحمد رحمه الله إن شيخه أحمد بن الداد حدثه بهذا.

(٣) سمعت هذه الحكاية أيضا من الوالد أحمد رحمه الله.

(٤) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٥.

٥. الإمام أحمد، ويعرف بالإمام وكان رجلا ناسكا

وهو والد العلامة سيد محمد (سيدين) بن الإمام الذي ستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة إن شاء الله تعالى.

٦. محمد الامين الملقب (أَلمين)

٧. محمد.

٨. وبنته اسمها أم المؤمنين وهي والدة المقرئ سيد بن عبد الدايم.

الباب الثاني

في تراجم الطبقة الثانية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: في ترجمة العلامة أحمد بن أبات وفيه عدة مباحث.

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات وفيه عدة مباحث.

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة أحمد بن الطلبه وفيه عدة مباحث.

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

توفي العلامة الداد رحمه الله تعالى في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ودفن في منطقة كصر البركة شمال تكَانت في مقبرة كبيرة تضم عددا من العلماء والصلحاء من أسرته وذويهم، فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

وبهذ تمت تراجم الطبقة الأولى، ونبدؤ بتراجم الطبقة الثانية في الباب الآتي:

الفصل الأول

في ترجمة العلامة أحمد بن أبات وفيه اثنا عشر مبحثا

المبحث الأول: في اسمه وولادته

المبحث الثاني: في نشأته ودراسته

المبحث الثالث: في عصره الذي عاش فيه ومكانته العلمية.

المبحث الرابع: في في مؤلفاته وإنتاجه العلمي.

المبحث الخامس: في منهجه في التأليف.

المبحث السادس: في مواقفه الاجتهادية الجريئة في القضاء وذكر مثالين لذلك.

المبحث السابع: في منهجيته في الفتاوى وذكر نماذج منها.

المبحث الثامن: في مواقفه في السياسة وتغيير المنكر.

المبحث التاسع: في ذكر نماذج من مواقفه في الأمور العامة وشعره وملحه المشهورة.

المبحث العاشر: في تلاميذته.

المبحث الحادي عشر: في أبنائه.

المبحث الثاني عشر: في وفاته ومكان قبره ومراثيه.

المبحث الأول
في اسمه وولادته

هو العلامة الكبير: أحمد ابن أبّات وأمه بُنَيَّة بنت احمد محمود بن المختار[1] الجكني من فخذ أهل احمد بن عيسى[2] وقد ذكرنا في أواخر ترجمة العلامة أبات عند ذكر أبنائه في المبحث السابع عشر أن هذه المرأة أم لأربعة من أبنائه من بينهم العلامة أحمد.

وقد ولد رحمه الله في حدود سنة ١٢٤٥ هـ بولاية تكَانت، بمنطقة الرشيد وهي واحة ذات نخيل تقع على الشمال الغربي من عاصمة ولاية تكَانت (تججك) وذلك في الفترة التي كان يسكن فيها والده منطقة الرشيد وشمال تكَانت، وقد تقدم إيضاح ذلك في ترجمته رحمه الله تعالى.

---

(١) وكان أحمد محمود هذا من فرسان قبيلته وشعرائهم، ومن شعره قوله في سينيته:

كنا إذا ما الحرب شب وقودها — نخوض لظاها فارسا بعد فارس

مشكاة المهاد: مصدر سابق: ٦٤.

(٢) وهم أبناء محمد بن أحمد بن عيسى الجكني، ومحمد هذا له أربعة أبناء، وهم:
المعزوز، وهو جد أسرة أهل المعزوز، وأهل محمد احمد (أهل بَبَّاه).
المختار، وهو جد أهل المختار، وأهل خطري، وأهل محمود.
اعبيدي، وهو جد أهل محمد بن اعبيدي، وأهل الطالب بن اعبيدي، وأهل الدّوّ وأهل حبيب الرحمن، وأهل عبد الدايم، ومنهم أهل الهاشمي.
محمد السقير (الصغير) وهذه الأسرة انقطعت للأسف فلا يوجد منه الآن أحد.
وأهل أحمد بن عيسى هؤلاء فصيل جكني محترم، وله أمجاده المعروفة في أيام الحرب والسلم، وبالجملة فله تاريخ مشرق يرفع الرءوس.
وقد استمرت العلاقات الأسرية والاجتماعية بينه وبين أسرتنا، (أبناء العلامة أحمد بن أبات) إلى يومنا هذا.

المبحث الثاني
في نشأته ودراسته

نشأ رحمه الله في حجر والده العلامة أبات في ذلك البيت العلمي العريق، تحيط به هالة من العلم والمعرفة فهذا والده العلامة الكبير، وهذا أخوه الأكبر العلامة الشيخ عبد الرحمن، وهذا أخوه الثاني: العلامة الداد،وهو يعيش في أحضان جامعة عملاقة تضم أعدادا هائلة من البشر.

وما أحسن قول الفارسي الحافظ في إمام الحرمين الجويني حيث يقول: «رباه حجر الإمامة وحرك ساعدُ السعادة مهدَه وأرضعه ثدي العلم والورع إلى أن ترعرع فيه ويفع»(١).

وفي هذه البيئة الصالحة درج وفي هذا البيت الطاهر نمى وترعرع فحفظ القرآن في حياة والده وهو لا يزال طفلا صغيرا، وفي هذه الفترة توفي والده الذي عاش ٩٦ - رحمه الله تعالى - ليتركه بين إخوته السبعة وهو ثامنهم - أربعة فوقه في السن وثلاثة دونه، ثم إنه واصل طلبه للعلم وانكب على علوم عصره يأخذها من تلك الجامعة الكبيرة التي يعيش في أحضانها، تلك الجامعة التي تلتف حول أخيه الشيخ عبد الرحمن العلامة الجليل الذي رحلت إليه أعداد كثيرة من أبناء قطره، ولقد سمعنا أن طلاب هذا الرجل كانوا في بعض الأحيان ربما يمضي على أحدهم الأسبوع الكامل وهو ينتظر ريثما يصل إليه الدور ليأخذ درسه الذي من المفروض أن يكون يوميا، وهذا وإن كان ربما يرى السامع أن فيه نوع مبالغة بشكل كبير إلا أنني لا أستبعد صحة هذا الخبر،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٧٤).

لأن القوم كانوا كذلك، وفي هذا الجو الذي أشرنا إليه واصل طلبه للعلوم ضاربا في كل واد من أودية العلم الشرعي بسهمه، يصحبه في تلك الرحلة ذكاء متوقد وذاكرة سيالة، فقرأ القرآن والتفسير والحديث والفقه وأصوله وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها وبرع في كل ذلك، ويقال إنه أخذ علم النحو عن العلامة محمذن (لمرابط اتفغ) بن سيدي محمد بن الحاج الديماني [(١)] وسمعنا من مشايخنا أنه أخذه على تلميذ جاءهم من أرض الكبلة كان يدرس معه على الشيخ عبد الرحمن.

ثم تمضي الأيام وإذا به يجلس للتدريس والإفتاء بجانب أخيه الثاني العلامة الجليل عبد القادر(الدَّادَ) ليبدأ في أداء رسالته العلمية والدعوية وذلك بعد وفاة شيخه الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر المجموعة الكبرى مصدر سابق ص:٥٤.

وقد ورد في ترجمته في هذا الكتاب أعني المجموعة الكبرى خلط كبير بين أشياخه وطلابه، فقد جاء فيه ذكر شيخه الشيخ عبد الرحمن ضمن طلابه، وذكر فيهم كذلك بعض طلاب أبنائه، كحميد بن الغوث وسيدين بن الإمام ونحوهم، وهؤلاء طلاب ابنه العلامة محمد كما سيأتي في ترجمته في الطبقة الثالثة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث
في عصره الذي عاش فيه ومكانته العلمية

لاشك أن عصره الذي عاش فيه كان من الناحية السياسية عصرا قاتما ومضطربا لعدم قيادة موحدة للبلاد، بل إنها كانت تعيش تحت زعامات عشائرية وحروب قبلية تهيج أحيانا وتهدؤ أخرى ويتخلل ذالك انعدام للأمن مخيف، وفوضى شديدة يصبح الرجل فيها غنيا ويمسي فقيرا جراء النهب المستشري في البلاد وذلك على أيدي عصابات تأتي من هنا وهناك، هذا هو الجو العام وإن كان ربما وجد في ثناياه بعض الاحترام للعلماء وأصحاب المراكز العلمية، (المحاظر).

ولكن هذا العصر كان من الناحية العلمية والدينية عصرا ذهبيا قل أن يرى نظيره إلا في فترات نادرة من التاريخ، حيث كان لأهل ذالك القطر خصوصا فئة الزوايا منهم إقبال على العلم وتنافس فيه يكاد يكون منقطع النظير.

ولهذا نجد تلك الفترة أنتجت كوكبة كبيرة من العلماء بقي ذكرها على صفحات التاريخ، وكان صاحبنا واحدا من أهم ذلك الإنتاج. فقد انتهى إليه الإفتاء في ولاية تكَانت عامة وما جاورها وذالك في وقت كان فيه العلماء متوافرون، وكان ربما أفتى في بعض المسائل بما يخالف ما في كتب الفروع معتمدا في ذلك على الدليل (الكتاب والسنة) مما يؤدي إلى استنكار بعض معاصريه، وذلك لأن الغالب على الفقهاء في ذلك العصر الإقبال على الفروع وتحرير المسائل الفقهية دون البحث عن أصولها كما هو عادة متأخري المالكية، وكان من يجمع منهم بين الفروع وأصولها يعد قليلا جدا وقد كان أحمد رحمه

الله واحدا من أولئك القلة، فقد كان متبحرا في علوم متعددة كالفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية، وعلم التفسير والحديث وغير ذلك، ولكن شهرته بالفقه طغت على كل معارفه الأخرى، فقد كان متخصصا في النحو تخصصا منقطع النظير، وقد سمعت شيخنا الجليل محمد ابات بن محمد رحمه الله غير مرة يقول: قلت لشيخنا أحمد بن الداد أكان أحمد بن أبات من أهل النحو؟ فالتفت إلي وقال: هذا حك عندك؟ بكاف معقودة، يعني(أجاد في سؤالك) لا يأخذ كتابا من كتب النحو التي بأيدينا لشيء فيه أبدا. ثم يقول العلامة محمد ابات: وعندي أن أحمد بن الداد أيضا كان كذلك. فرحم الله الجميع.

المبحث الرابع
في مؤلفاته وإنتاجه العلمي

لقد كان العلامة أحمد رحمه الله من العلماء الذين جمعوا بين التدريس والتأليف والإفتاء والقضاء، وفي نفس الوقت كان صاحب ثروة حيوانية كبيرة وقد سخرها للمحتاجين من محيطه وطلابه الذين يفدون إليه من كل حدب وصوب، ومن المعروف أن أي عالم جمع بين التدريس والإفتاء وقضاء حوائج الناس لا بد وأن يؤثر ذالك سلبا على إنتاجه التأليفي ونجد من ذالك أمثلة كثيرة بينما نجد العلماء الذين تركوا مؤلفات كثيرة لم يشتغلوا بغير التأليف، فنرى الإمام السيوطي صاحب المؤلفات الكثيرة أعرض عن التدريس والإفتاء وحتى عن لقاء زملائه فقد احتجب في بيته وكان لا يأذن لأحد في الدخول كائنا من كان، فكان ذلك سببا في إبرازه لتلك الثروة العلمية الضخمة، أما من كان مشتغلا بمشاكل الناس الدينية والدنيوية فإنه لن يستطيع أن يأتي بالكثير من المؤلفات وإن كان قد صرف وقته في كلتا الحالتين لمولاه عز وجل، وعلى الرغم من ذلك كله فقد ترك العلامة أحمد رحمه الله مؤلفات مفيدة جدا في مواضيع متعددة فمنها:

١. نظم العقيدة والأمر بالمعروف والحث على التعليم
٢. نظم فاسد النكاح
٣. غرة الفجر على الفاسد بالعقد والمهر وهو شرح للنظم المتقدم.
٤. نظمه لخيار النقيصة وشرحه.
٥. منظومة فيما يشتبه على الناس.

٦. نظم حلقي العين من الأفعال.

٧. نظم المطالع

٨. نظم الأدوات النحوية

٩. رسالة الشروط في النكاح

وله فتاوى مفيدة[١].

(١) المنارة والرباط مصدر سابق: ٥٣٨ ومشكاة المهاد مصدر سابق: ٨٣.

المبحث الخامس
في منهجه في التأليف

إذا نظرنا في منهجه في إطار التأليف نرى أنه كان يهتم بالكيف دون الكم وبعبارة أخرى كان يرى أن المؤلف لابد أن ترى بصمات التجديد والإبداع على إنتاجه كان ذلك الإنتاج قليلا أو كثيرا وإلا كان الأجدر به الإمساك، وقد كان يخالف في ذلك كثيرا من علماء عصره، حيث إن بعضهم كان يؤلف عدة مؤلفات لكنها في الغالب تكون إعادة وتكرارا لمؤلفات قديمة دون أن تحمل أي جديد يذكر، فمن ذلك مثلا إقبال بعضهم على شرح مختصر خليل الذي قد كان شرح بأكثر من ستين شرحا ولم يبق فيه موضع إصبع يحتاج إلى توضيح وبيان، بينما يهملون الكتابة في أمور متجددة هي بحاجة إلى الكتابة، وما ذلك إلا لسهولة الأمر الأول وصعوبة الثاني.

ومن المعروف عند العلماء أن للتأليف أغراضا وأهدافا يطلب تحقيقها وهي التي نظمها الهلالي بقوله:

في سبعة حـصروا مقاصد العقلا — مـن التآليف فاحفظها تنل أملا
أبــدع تمـام بيـان لاخـتـصـارك في — جمع ورتب وأصلح يا أخي الخللا

وإيضاح هذه السبعة أن يكون التأليف يحمل: إبداعا بمعنى أنه أتى بشيء لم يسبق إليه، أو يتمم ناقصا، أو يبين غامضا، أو يختصر مطولا، أو يجمع مفرقا، أو يرتب مبعثرا، أو يصلح مختلا.

وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في ترجمة العلامة أبات رحمه الله تعالى، وسنذكر منها المقاصد أو الأهداف التي حاول العلامة أحمد رحمه الله تحقيقها في مؤلفاته،

وهي:

أولا: الجمع وهو: أن يكون المراد جمع شيء من شتات المعلومات التي كانت متفرقة وطالب العلم بحاجة إلى أن يراها مجموعة ومنسقة بدقة وإحكام لتكون في متناول الجميع بسهولة، ونجد في هذا الإطار كتابه:

(غرة الفجر على نظم فاسد العقد والمهر) وهو عبارة عن نظم جيد جمع فيه الأنكحة الفاسدة ورتبها ترتيبا حسنا حيث ذكر المجمع على فساده على حدة والمختلف فيه على حدة كذلك، ثم شرحه شرحا وافيا، ويقع هذا النظم في ١٧٤ بيتا وقد قسمه رحمه الله إلى مقدمة وبابين، وخاتمة، أما المقدمة فذكر فيها المنهج الذي اتبعه في النظم من تقديمه الفاسد لعقده على الفاسد لمهره ونحو ذلك.

وأما الباب الأول فذكر فيه النكاح الفاسد لعقده، ثم قسمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ما يفسخ قبل الدخول ويثبت بعده بصداق المثل.

الفصل الثاني: ما يفسخ مطلقا وهو مجمع على فساده.

الفصل الثالث: ما يفسخ مطلقا مع أنه مختلف في فساده.

وأما الباب الثاني فذكر فيه النكاح الفاسد لصداقه وهذا يفسخ كله قبل الدخول ويثبت بعده بصداق المثل وهو باب طويل جدا

وأما الخاتمة فذكر فيها أحكام نكاح المريض بجميع أقسامه،

وهذا العمل لا نعلم أحدا سبقه إليه لا في المذهب المالكي ولا في غيره من المذاهب الثلاثة الأخرى، فإن الفقهاء دائما يسردون في كتاب النكاح: الأنكحة الفاسدة دون أن يفردوا المجمع عليها عن المختلف فيها، بل يأتون مثلا بنكاح فاسد مجمع عليه ثم يأتون بعده بئاخر مختلف فيه وهكذا، وهذا النوع من التأليف لا شك أن صاحبه أتى بجديد، فهو جمع وفي الوقت نفسه إبداع.

يقول في مقدمة هذا النظم:

الحمد لله الذي قد أثبتا ... ما شاءه وغيره لن يثبتا
وجعل الأحكام للعباد ... إلى النجاة سلم الرشاد
مبينا لها على لسان ... من أظهر الحق من البهتان
محمد خير بني عدنان ... عالي ذرى المجد من البنيان
صلى عليه دورة الزمان ... وصحبه منزل الفرقان
وبعد فالذي إلى الإفاده ... نسب معدود من العباده
لاسيما الإظهار للخفي ... حتى يصير قبضة الغبي

إلى أن يقول:

وها أنا جمعت ما تيسرا ... من فاسد النكاح ما قد نثرا
مع تفرق على ترتيب ... ليسهل الفهم بذا التقريب
مقدما فاسد عقده على ... فاسد مهره بترتيب جلا
مع ذكر الاتفاق والخلاف ... على تفاصيل بلا تناف

ثم يقول:

ولا تكن لعمل تبادرُ ... إلا بعيد نظر تحرِّرُ
لأن ذا المجال ذو امتناع ... إلا لأهل فرط الاتساع
ولست من فرسان ذاك الشان ... فلاحظن أماكن التبيان
لاكنني أذكر المدار كا ... وأوضح المهيع والمسالكا
معذرة مني إلى الرحمن ... إذا زللت أوهفا لساني
فإنه يقبل لا يبالي ... معاذرا جاءت على توالي
فحسبه من الثنا ثناؤه ... لأنني يعجزني وفاؤه
سبحانه من راحم عليِّ ... وفاطر الغبي والذكيِّ

ويقول في خاتمته:

الحـمـــــد لله أتــــم الحـمـد	متـصلا في مـبـــدإ وعـــود
ثـــم صـــلاة الله بـعـد والــسـلام	على النبي وصحبه شهب الظلام
أمــــدَ مـــا غـفـل كـل الـفـجـرهْ	عــن ذكـــــره وذكـــرتـه الــبررهْ

وقد شرحه شرحا وافيا مستفيضا، وإيضاحا لمنهجيته فيه ننقل هنا ما كتبناه في دراستنا على هذا الشرح مع تحقيقه فنقول:

وكانت منهجيته فيه تتمثل في اتباعه للخطوات التالية:

أولا: يبدؤ غالبا بتفكيك عبارات النظم من الناحية اللغوية والنحوية تفكيكا سريعا ورائعا يتبين من خلاله ما يدل على تبحره في علم اللغة العربية «وكل إناء بالذي فيه يرشح» ثم يبدؤ بالشرح ويفيض فيه ويذكر النقول الكثيرة معتمدا على مختصر خليل وشروحه وغيرذلك من المراجع، ومن خلال رؤيتنا لهذا الشرح تترأى لناعدة ملاحظات نوجزها فيما يلي:

١. بما أن المؤلف ربط هذا الشرح بمختصر خليل وشروحه فإنه سيكون فيه نوع صعوبة وغموض على القارئ العادي الذي لم يسبق له أن درس ذلك الكتاب، والعذر للمؤلف في ذلك أنه ألف كتابه في عصر كان عامة الفقهاء والدارسين فيه مقبلين على هذا المختصر أشد الإقبال – وإنه لجدير بذلك إذ هو الكتاب الذي يغني عن الكتب الفقهية في حين لا يغني عنه شيء منها، لكنه لشدة اختصاره وإيجازه ودقة عبارته ضعفت عنه الهمم في هذا العصر وتركه الدارسون بالمرة، وهذه وإن كانت ظاهرة يظن البعض أنها صحية وأن ذلك رجوعا إلى الأصول (الكتاب والسنة) ونبذا لما سواهما، فإني أقرأ ذلك معكوسا تماما، إذ ما من مذهب من المذاهب المتبوعة إلا وله مختصر جُمع فيه فقه ذلك المذهب أو أكثره عاريا من الأدلة، والأدلة توجد في الشروح والمراجع

المختصة بالفقه المقارن، وأحسن تلك المختصرات وأقواها وأشملها حسب علمي هو مختصر خليل، وقد شهد بذلك أئمة الشافعية وغيرهم، وبالإعراض عنه سيسود الجهل بالفقه في قطرنا بلا شك - ومن لم يستطع قراءة ما جمع فلن يستطيع قراءة ما تفرق - وما أعرض الناس عن هذا الكتاب في هذا العصر إلا عجزا عنه وركونا إلى الجهل، ولقد أحسن أبو حيان حيث يقول في التنويه بألفية ابن مالك:

فما عرف الأقوام مقدار فضلها ... ولكن ثناهم أن مسلكها وعر
كذا يترك الحسناء من بات مغرما ... بها مستهاما ليس يمكنه المهر

ومما يحكى في ترجمة العلامة محمد احمد الداه الشنقيطي - صاحب كتاب الفتح الرباني على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني - أن أمه قالت له لما هم بقراءة كتاب صغير في الفقه: اقرأ مختصر خليل واحفظه، فإنك ستُسأل حتى تموت، ولو قرأت غيره ستَسأل حتى تموت(١).

وهي وصية رائعة وهادفة، وقد ذكرناها في مبحث الوصية الأولى من وصايا العلامة أبات رحمه الله تعالى.

وبالعموم فإن هذا الشرح وإن كانت بصمات المختصر بادية عليه إلا أنه في الجملة واضح لا صعوبة فيه إن شاء الله.

٢. يلاحظ من خلال الشرح دقة المؤلف في العزو وشفافيته وإنصافه في المناقشة، وهذا من أهم الصفات التي يتحلى بها كل كاتب ومؤلف إذ الأمانة العلمية تقتضي ذلك وتوجبه.

٣. تضمن هذا الشرح الكثير من الفوائد منها ما يتعلق بموضوعه الأساسي، ومنها ما يتعلق بمواضيع أخرى متعددة، فقد ذكر في شرحه

(١) حجاج ومهاجرون للدكتور حماه الله بن السالم (ص ١٤١).

لترجمة النظم جملا مفيدة ينبغي الاطلاع عليها منها ما يتعلق بعلم الأخلاق ومنها ما يتعلق بأهمية العلم، ومنها ما يتعلق بعلم البلاغة مثل كلامه على الفرق بين مقدمة العلم ومقدمة الكتاب، إلى غير ذلك من الفوائد الجمة. والله تعالى أعلم[1].

كما نجد في إطار الجمع أيضا:

(نظمه لخيار النقيصة) وهو نظم جيد ومفيد، فقد جمع فيه بابا من أهم أبواب البيوع وأشدها تعقيدا. يقول فيه:

بعض الذي عين ثم عددا مقوما إذا به قد وجدا
عيب أو استحق غير الاكثر فبالرجوع والتمسك اجبر

إلى آخره...

كما نجد في هذا لإطار له نظمين آخرين أحدهما: في النحو والثاني في الصرف.

أما الأول فهو: نظمه للأدوات النحوية، قالوا نظمه وهو ابن ستة عشر سنة[2].

وأما الثاني: فهو نظمه لحلقي العين من الأفعال يقول في مقدمته:

الحمد لله الذي يصرف أفعاله ولم يكن تحرف
لأحد عما به قد حكما سبحانه من قادر ما أرحما

إلى أن يقول:

وها أنا جمعت ما قد ضبطوا في الفعل حلقيا ولا أفرط
في غير ما جاء على القياس لأنه عادم الالتباس

(١) غرة الفجر على الفاسد بالعقد والمهر للعلامة أحمد بن أبات بتحقيقنا ص ١٦.

(٢) واضح البرهان للشيخ سيد محمد بن بادي مصدر سابق: ٢٨.

ثانيا: الإبداع، ومنه: أن يكون المؤلف يعالج خللا فكريا وانحرافا عقديا في المجتمع الذي يعيش فيه، ونجد في هذا الاتجاه:

– (نظمه في العقيدة)، الذي حذر فيه من تأويل ءايات وأحاديث الصفات وحذر كذلك من الانبهار بآراء الفلاسفة ومن قراءة المؤلفات المشحونة بذلك وأمر بالالتزام بمذهب أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين، يقول في مقدمته:

الحمد لله الذي قد وهبا	بفضله لا عمل ما وهبا
وجعل الحسنة للأبرار	سيئة المقرب المختار
وشرط التكليف بالمقدور	ولم يكن يحرج في المأمور
وأرسل النبي في أقواله	ليقتدى به وفي أفعاله
صلى عليه الله من رسول	وآله أولي الندى الأثيل

ثم يقول:

وبعد فاعلم أنما الإيمان	بعمل يزداد لا البرهان
وهو اتباع سنة النبي	في قوله وفعله المرضي

ثم يحذر من الكتب التي تهتم بذكر الشبه والرد عليها بحجج الفلاسفة وعلماء الكلام قائلا:

وشبهة مع ردها الآن حرم	إقراؤها وكتب لذا تؤم
مثل الإضاءة وما من كتب	لرد ذي الشبه جنب تصب

ثم يقول:

لا تطلبن تأويل ما تشابها	وآمن به منزها منتبها
فإن ذاك منهج الأصحاب	همُ أولو العرفان والصواب

مثل استوائه وما قد أوهما   من سنة أو آية تجسما
وكلما يخطر بالأذهان   فإنه مخالف الرحمن

ويقول أيضا:

فاترك سبيل العرض والأجرام   وما لفلسف من الكلام(١)

وهذا النوع أيضا لا شك في أهميته لتعلقه بصميم العقيدة. وفي هذا النظم كذلك بين عدة ضوابط مهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول فيه:

ولا يكون زاجرا أوآمرا   إلا الذي في العلم قد تبحرا
وعلم الخلاف والإجماعا   واتسع اطلاعه اتساعا
فإن يكن عمل ذا الناس على   قول وغيره بشهرة جلا
فترك الانكار عليهم يجب   وذكر ما يغيظهم يجتنب
لأنه يشوش الأناما   ويورث الحرج والآثاما
إلا إذا ضعف جدا مدركه   وخرق الإجمع عنهم مسلكه
لأمره باليسر في التذكير   وعدم التشديد والتنفير

ثم يقول:

فإن من حمل كل البشر   على مقام العابدين الاكبر
فإنه لجهله أضرا   بهم وللسنة ما أقرا
بل إنما العالم من يوسع   بسعة الله ولا يضيع
في نفسه قد لزم التورعا   وحمله الناس عليه يدعا

---

(١) شرح العلامة محمد بن أحمد لنظم التوحيد لوالده العلامة أحمد بن أبات مطبوع بتحقيق الأخ محمد محمود بن أحمد، بإشراف المعهد العالي للدرات والبحوث الإسلامية – انواكشوط – ص ٥٢.

وبين كذلك في هذا النظم فضل العلم وأهمية تعلمه فقال:

والعلم لا تترك له إقراء   وإن تكن لم تأمن الرياء
كذا صيام وصلاة صدقات   وارج من الله زوال ذي الآفات
لأن ذاك مبتغى الشيطان   لكي يجره إلى الخسران
فالجهل لا يجدي له إفاده   في الدين والدنيا ولا سعاده

إلى آخره..

ومن الإبداع كذلك: أن يكون المؤلف يعالج خللا اجتماعيا في المجتمع الذي يعيش فيه ونرى في هذا الاتجاه:

(رسالة الشروط في النكاح) التي ألفها في إنكار العرف الذي جرى في عصره باشتراط المرأة على زوجها أن لا يتزوج عليها، والذي أصبح عرفا مستحكما في البلاد لا يستطيع أحد إنكاره بل إنه صار يحمل طابع المسلمات، فنراه في هذا الكتاب انتقد هذا الشرط وبين أنه من البدع التي أماتت سنة النبي ﷺ وأنه بدعة صنعت بأيادي نساء ناقصات عقل ودين وطاوعتهن الرجال في ذلك، ثم قال: وذلك لسيبة الأرض وقلة العلماء الذين ينظرون مصالح العامة»[1].

وفي هذه الرسالة نراه لا يكاد يذكر كلام الفقهاء إلا نادرا وإنما كان استدلاله بالكتاب والسنة وكلام المفسرين وأئمة الحديث، فنجده مثلا يقول: ولم أجد في التفاسير ولا في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم والجامع الصغير بعد المطالعة والبحث من أجاز هذا الشرط ولا من قال إنه وقع في زمن النبي ﷺ ولا الصحابة من بعده، والدليل على أنه لم يقع في زمن الصحابة والتابعين منع مالك له في المدونة، لأنه لقي علماء التابعين ونقل عنهم الأحاديث، وعلماء

(١) كتاب الشرط بتحقيق الأستاذ محمد عبدالدايم بن أبات ص: ٧٠.

المدينة كنافع وابن هرمز والزهري وغيرهم مع حرصه على العلم، وكان يقول:

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

وقد ذكر رحمه الله الآيات والأحاديث الدالة على جواز التعدد، ومنع الشرط، ووطد ذلك بالقواعد الأصولية بلغة علمية رصينة وواضحة، فكان تأليفا ممتعا وقوي المأخذ يشتمل على الحجج البالغة بأسلوب العالم البارع المتخصص في أخذ الأدلة من الكتاب والسنة. رحمه الله تعالى.

وهذا منه كان غيرة على السنة وصدعا بالحق، وقد كان رحمه الله صارما في أحكامه، وخصوصا في الأمور التي لا توافق الشرع فكان لا تأخذه في الله لومة لائم وكذا ينبغي أن يكون حملة العلم القائمين بأداء رسالة النبي ﷺ،الذين وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩].

وفي هذا الاتجاه الإبداعي نجد نظمه في المطالع، وهو نظم مهم وفريد في بابه، يقال جاءه رجل فسأله عن المطالع وحساب ساعات الليل بالنجوم، فنظمه له في جلسة بين الظهر والعصر، فيقول فيه:

نظم المطالع للعلامة أحمد بن أبات

نعائم قل طالع في فجرِ   رابعِ ينير لذاك فادري
ورمز يَزٍّ منه بلدةٌ طلعْ   واللام أول السعود قد وقعْ
والثاني يوم يَبٍ من فبرائر   وثالث في رمز كَهْ للسائر
ورابع لعاشر من مارس   وأول الفرقين كَجْ للرامس
هاء من ابريل لفرق آخرِ   وحَيْ له لبطن حوتٍ نائرِ
في ألِفٍ من ميِّه النطحُ غدا   ويومُ يَدْ فيه البطينُ قد بدا
في كَزِّه النجم ورمز الطاء   من يُنْيَهٍ لدبرانٍ ناءِ

وكَـــبْ لهقــعة، وهنعة قرى ... خامس يُـلْـيَـهٍ مـن الصيف يرى
ولـــذراع الـليـثِ يحُــــه غـدا ... ونـشـرةٌ في غُـــــرة الشهر رِدا
وطـرفـةٌ في رمــزيَـدٍّ قـد بـدتْ ... وجبـهـةٌ في رمـزكَـزْأيـضـا ثبتْ
شـتَـنـبرٌفي طـائـه الخـــرتـانُ ... وكـــبُّه لصـــــرفةٍ يـزانُ
اكـتـوبـرٌ في هـائـه الـعـــوَّاءُ ... وسمــــــكانٌ يحُّـه لـواءُ
والـغـفـرُ في آخـر يـومـه غـدا ... يَـجُّ نـونـبر الـزبـــانُ قـد بـدَا
وكَـوْ لـه قـد طلع الإكلـيلُ ... والـتـسـعُ مـن دجـنـبرٍ دلـيـلُ
لقلبهم واثـنـين والـعـشريـنَـا ... لشـــولةٍ فكـــنْ لـذا مُبينَا

وهذا النظم يعتبر هو حجر الأساس في المادة العلمية للتقويم عند المشائخ في قطرنا، وهذا النظم وغيره من المنظومات والرسائل الصغيرة سنفردها في كتاب بعنوان: «مجموعة رسائل العلامة أحمد بن أبات»، إن شاء الله تعالى.

وهكذا نرى معظم مؤلفاته تعالج موضوعا بحاجة إلى أن يكتب فيه سواء تعلق بالعقيدة أو الفقه أو اللغة كما رأينا أو تعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو بآداب تعلم العلم والإخلاص فيه، فقد طرق تلك المواضيع كلها بدقة وموضوعية فأفاد وأجاد.

وله مواقف اجتهادية وجريئة في القضاء تدل بوضوح على تبحره في الفقه واستقلاليته في النظر.

وسنرى نماذج منها في المبحث الآتي:

المبحث السادس
في مواقفه الاجتهادية الجريئة
في القضاء وذكر مثالين لذلك

كان العلامة أحمد رحمه الله رجلا جريئا في قول الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، ويؤيده في تلك الجرءة والصرامة ذكاؤه، وتبحره في علوم الشريعة الإسلامية، وتمسكه بمنهج السلف الصالح، وعدم التقليد المطلق للمتقدمين، والمتتبع لكلامه يرى أنه كان يميل إلى الاجتهاد المطلق، إذ تراه إذا كتب في المسائل العالقة لا يستدل بكلام الفقهاء إلا نادرا، وإنما يرفع رأسه ويأخذ من الكتاب والسنة بدون واسطة، وهذا في الحقيقة هو شأن العلماء، وفي هذا الإطار كان كثيرا ما يخالف علماء عصره في بعض الأقضية أو الفتاوى، وكان إذا كتب في مسألة لا يتجرأ أحد من معاصريه أن يرد عليه لقوة حجته وسطوع أدلته، وكانت هذه الجرءة والصرامة لا تخطئها عينك في أي جانب من جوانب حياته، رحمه الله، سواء تعلق ذلك بالمسائل الفقهية من فتوى وقضاء، أو بالمواقف السياسية، أو غيرها من جميع مناحي الحياة، فكل مواقفه تدل بوضوح على شخصية عملاقة بما في الكلمة من معنى، ونحن في هذه السطور سنورد أمثلة توضح ذلك فنقول:

من المعروف أن القضاء هو: الإخبار بالحكم الشرعي على وجه الإلزام، وأن الفتوى هي: الإخبار بالحكم الشرعي لا على وجه الإلزام، وأن كلا منهما توقيع عن الله عز وجل، وإخبار عنه بأن هذا حكمه وشرعه في هذه المسألة، فهما من الخطورة بمكان، لكن أجرهما عظيم، لمن قام بهما ابتغاء مرضات الله، وكان أهلا لذلك.

فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [1].

وقد كان العلامة أحمد رحمه الله ممن تولى الفتوى والقضاء في منطقة تكَانت وما جاورها، وكانت له مواقف مشرقة ورائعة في هذا الميدان، فقد كان ربما حكم على أهل وده والمحسنين إليه أو بعض أقربائه ولا يبالي. وسنورد هنا من ذلك مثالين اثنين:

المثال الأول:

ما حصل له مع رجل من الأغنياء وقد كان ابنه يدرس عند العلامة أحمد حتى تخرج على يديه وكانت لديه بقرات وهو في التلاميذ، فلما أراد الرحيل ترك البقرات لشيخه هدية، ثم بعد فترة جاء أبوه في نزاع مع خصم له، فحكم العلامة أحمد لصالح خصمه، فقال: أيها القاضي: لعلك ما عرفتني، أنا فلان بن فلان وابني فلان، يشير إلى أنه الذي أهدى بقرات من قبل.

فغضب العلامة أحمد وقال له: قاتلك الله، أتراني أعرف أحدا في مجلس القضاء؟ والله لو جئت بملء الأرض بقرا وإبلا ما عرفتك، ولا تجاوزت الحق قيد أنملة، ثم قال: قم يا فلان أفرد لهذا الرجل بقرات ابنه.

فندم الرجل وجعل يسترضي العلامة أحمد، ثم بعد ذلك جاء بها ابنه متحسرا على موقف أبيه، فرفضها العلامة أحمد وامتنع من قبولها، فتركها الرجل، وقال هي لأبناء شيخنا ولن أرجع بها أبدا[2].

---

(١) صحيح مسلم (الحديث: ١٨٢٧).

(٢) سمعت هذه الحكاية من مشايخنا رحمهم الله.

المثال الثاني:

لما زوج أحد إخوته بنتا له مجبرة، من رجل من الزوايا وهو من قوم يعطون الإتاوة (الغرامة) لبني حسان، وهي معرة في المجتمع الشنقيطي المحترم آنذاك، حكم العلامة أحمد بفسخ نكاحها مستدلا على ذلك بأن هذه الغرامة في منزلة العبودية أو أخفض منها عند الناس، ثم قال: وأما عند الله فلا تضر لأنها من ظلم بني حسان، ثم ذكر قول بن عاصم في التحفة:

والأب إن زوجها من عبد … فهو متى أجبر ذو تعدّ[1]

وذكر كلام العلماء في الموضوع، ثم قال: إن هذه المرأة شريفة حسب ونسب، زوجت ممن تأنف عنه مساكين الطلبة (أي الزوايا) فأحرى ذريته ﷺ، ثم ختم بقوله: فالحاصل أن نكاح فلانة بنت فلان باطل باطل باطل. وكتب أحمد بن أبات.[2]

فغضب أهل الزوج وطافوا بالحكم جميع أقطار البلد، والعلماء إذ ذاك متوافرون، فما كتب أحد منهم بخلافه حرفا واحدا[3].

---

(١) البهجة في شرح التحفة للتسولي ط دار الرشاد ١/ ٤٦٤.

(٢) نقلت هذا من مشايخنا رحمهم الله.

(٣) سمعت هذا غير مرة من الوالد أحمد رحمه الله تعالى.

المبحث السابع
في منهجيته في الفتاوى
وذكر ثلاثة نماذج منها

كان العلامة أحمد بن أبات رحمه الله يعيش في فترة يسود فيها الاقتصار على مختصر خليل وشروحه، ولا يمكن لفقيه مهما كان أن يتجاوزه لأنه الكتاب المعتمد في المذهب، والمستدِل بكلامه لا يعلى عليه، وفي هذه الفترة يخرج العلامة أحمد على الساحة بفتوى من نوع خاص - في مسألة «الجهاز» وهو: ما تأتي به الزوجة لتعين به زوجها، وقد اضطربت فيها فتاوى الفقهاء في ذلك العصر اضطرابا شديدا، فقد أفتى العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان [١] فيها بأن المرأة إذا لم تأت بالجهاز فإن الزوج يسقط عنه ثلث المهر، وهي فتوى كبيرة تقع في عشر صفحات تقريبا، وهي موجودة ضمن فتاويه المطبوعة بتحقيق حفيده الشيخ: لمرابط بن الطلبه[٢].

---

(١) هو العلامة الجليل المشهور محمد الامين بن أحمد زيدان الجكني المحظري أخذ العلم عن العلامة سيداحمد باب بن محمدو الجكني، والعلامة سيد محمد بن علي العلوشي، أسس محظرته الكبيرة التي تخرجت منها أعداد هائلة من العلماء، له عدة مؤلفات منها: النصيحة على مختصر خليل، وشرح منهج الزقاق، وشرح تبصرة الأذهان في علم البيان للمختار بن بون، وله شرح على مراقي السعود في أصول الفقه، وله فتاوى مهمة تتجاوز الثلاثين، وله غير ذلك. توفي رحمه الله سنة ١٣٢٥ أو ١٣٣٥ عن عمر تجاوز التسعين.

المجموعة الكبرى ص: ١٨٠.

وتحقيق فتاوى العلامة: محمد الامين بن أحمد زيدان للأستاذ لمرابط بن الطلبه ص: ٤٠.

(٢) انظر الفتوى رقم ٢٧ من فتاوى العلامة: محمد الامين بن أحمد زيدان بتحقيق لمرابط بن الطلبه.

ويلاحظ أن العلامة أحمد في هذه الفتوى أعرض عن نصوص خليل وشروحه فلم يستدل بشيئ منها، وإنما بدأ بالاستدلال بالقرآن الكريم، وهذا في تلك الفترة لا يخلوا من الغرابة، لاسيما من عالم متخصص في مختصر خليل وشروحه، مثل العلامة أحمد، لكنه كعادته كان ينحوا إلى الاجتهاد المطلق، وقد بين في هذه الفتوى، قاعدة الأحكام المبنية على الأعراف، مصرحا بوجوب ملاءمة الفتوى لعرف البلد، قائلا أن ما في خليل يعبر عن أعراف أهل مصر، لا عن أعراف أهل شنقيط، ولعل هذا هو السر في إعراضه عن الاستدلال بنصوص خليل وشروحه.

ولأهمية هذه الفتوى علميا نوردها بكاملها وهي:

النموذج الأول: فتوى العلامة أحمد بن أبات في مسألة الجهاز (أي ما تتجهز به المرأة إلى زوجها):

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد: فليعلم من نظر فيه أن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء:٤] أي عطية، وهذا تأكيد للإعطاء، ولا يجور للزوج أخذ شيء منه إلا عن طيب نفس، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤] ثم إن الله حرم على الزوج أكل أي شيء منه بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١].

وقد أوجب الله تعالى النصف للمطلقة قبل البناء بدليل قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧] وهذه الآيات كلها صريحة في وجوب إعطاء الصداق للزوجة، وعدم جواز أكل شيء منه للزوج.

وأما إعطاء المرأة الجهاز فأمر عرفي يفعله بعض الناس لحظوتهن عند أزواجهن وبعض لا يفعله، وهو من العادة التي قال فيها ابن فرحون: «غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد أو بعضها»[1] ولا يجوز لقاض أن يقضي فيه، أو مفت أن يفتي فيه حتى يعلم عرف أهل البلد.

فبلادنا لا يستدل فيها اليوم بعرف أهل مصر التي بنى عليها الشيخ خليل وشروحه نصوصهم، فالجهاز عندهم لا يلزم المرأة إلا إذا كان صداقها عينا، ولا يلزمها إذا كان حيوانا أو عروضا، و لا يلزمها أيضا إذا سبق قبض الصداق البناء، فإذا تبعنا قول خليل وشروحه فلا يلزم المرأة عندنا جهاز، لأن أصدقتنا لا عين فيها[2] .

فالحاصل أن الشيخ خليل وشروحه مصريون، بنوا أحكام الجهاز على عرف أهل مصر.

وعرف بلادنا أن المرأة تأتي بها تيسر من غطاء ووطاء ووسائد وحلي وهودج، فإذا أتت بهذا فقد ملكه الزوج تفويتا [3]، وأما ما تأتي به من الحيوان كالجمل والنياق فله غلته ولا يفيته، فلا يقضى للشحيح منا بغير هذا، وأما الكرام فلا يلتفتون إلى ما تأتي به المرأة ولا يسألونها عن شيء.

وهذا كله مع حياة الزوج وعدم طلاقه، وأما إن طلق أو مات فلا تأتي بشيء، ولا يسقط عنه شيء من صداقها، لأن مجيئها بالجهاز تريد إعانة زوجها

---

(١) أصل هذا الكلام للقرافي في الذخيرة فانظره فيه (١ / ١٥١).

(٢) في أيام العلامة أحمد كان الصداق يكون بقطيع من الإبل أو البقر، وشيء من ألأثواب، لأن النقود في ذلك العصر لا توجد، لعدم وجود دولة تحكم البلاد، فالمستعمر الفرنسي إنما دخل البلد بعد وفاة العلامة أحمد بسنتين تقريبا.

(٣) أي له أن يستغله حتى يبلى وينتهي، وليس له بيعه أو هبته.

وحظوتها عنده وحسن معاشرتها، وهذا علة مجيء الجهاز، والعلة تدور مع معلولها وجودا وعدما.

فالحاصل أنه من مات زوجها أو طلق قبل مجيء الجهاز لا جهاز لها أصلا.
وكتب: أحمد بن أبات..

قلت: لا شك أن مثل هذه الفتاوى واللفتات الفقهية لها وزن عظيم، فهي تنير الطريق للفقهاء والمفتين وتبعث في قلوبهم روح الفقه والنظر السديد، وتزيح عن أعينهم ضباب الجمود والتقليد، فلها قيمة علمية لايستهان بها، وليس كل فقيه يحسنها، إذ لا بد لصاحبها بعد التوفيق من المولى عز وجل من تبحر في أصول المذهب، وجرءة في الحق، واستقلالية في النظر ورسوخ قدم في أصول التشريع الإسلامي بشكل عام.

وقوله: فلا يقضى للشحيح منا... إلى قوله.. وأما الكرام..إلخ لا يخفى ما تحمله هذه الكلمات من شموخ ومكارم أخلاق وأنفة ورقي في الأسلوب، ولا يخفى كذلك ما تحمله في طيها من انتقاد لاذع لأولئك الذين يحملون أنفسا صغيرة وهمما ضعيفة، حتى يخاصموا المرأة لتأتي بالجهاز، فهي كلمات مؤثرة تمس القلوب الحية بل وتهزها هزا عنيفا، فلا أحسب أن شخصا له حس من كرامة يقرأ هذه الكلمات، فيتكلم في شيء من هذه الأمور، وهذا النوع من الكلام يوجه أفراد المجتمع إلى الصواب طوعا لا كرها، فالرجل كما ترى ليس مجرد فقيه يفتي الناس، بل هو مع ذلك مصلح اجتماعي.

ولما اطلع العلامة مفتي البلد في عصره الشيخ بداه بن البوصيري رحمه الله على فتاوى من هذا النوع للعلامة أحمد، قال: ما أخذ أحد قلما في قطرنا مثل هذا الرجل[1]. فرحم الله الجميع وأثابهم على ما قدموا.

(١) قال هذا الكلام بحضرة الوالد أحمد رحمه الله تعالى.

النموذج الثاني: في مسألة جبر الثيبات:

كان العلامة أحمد رحمه الله تربطه علاقة علمية وودية مع العلامة لمرابط محمد الامين بن أحمد زيدان وكان كل منهما معجبا بالآخر، وقد وقعت بينهما مكاتبات في مسائل علمية منها:

أن لمرابط بن أحمد زيدان أفتى بوجوب جبر المرأة الثيب وذلك عندما زوج رجل من تلك المنطقة ابنة عم له من رجل لا ترضاه ففرت منه، فرفعت المسألة إليه فأفتى بصحة النكاح لأن النساء في زمنه كما يقول مجبرات، وكتب في ذلك فتوى تتألف من عشر صفحات، يقول فيها:

«إن فساد النساء اليوم ظاهر، وكل من ظهر فسادها تجبر» ثم قال «أما دليل الكبرى ففي الزرقاني عند قول خليل: «وهل إن لم تكرر الزنا تأويلان» ما نصه: «تتمة بقي على المصنف ثيب بنكاح كبيرة تجبر على النكاح حيث ظهر فسادها وعجز وليها عن صونها فإن الولي يجبرها أيضا على النكاح..» ثم بين دليل المقدمة الصغرى التي هي أن فساد النساء ظاهر، بقوله: «لأن المشاهد اليوم نعوذ بالله تعالى في كثير من الأولياء يترك البيت للأم، وإن كثيرا من الأمهات والله ليحصل لهن السرور بدخول الرجال على البنت، بل والله لرأيتهن يتركن نصف الفراش للبنت مع السفهاء..» إلى أن قال: «وسلامة بعض النساء لا تمنعهن من الجبر لقاعدة التوضيح وابن عرفة وغيرهما التي ذكر في التكميل، ونصه:

إن علل الحكم بعلة غلب وجودها اكتفي بذا عن الطلب

إلى آخر كلامه[1].

(١) انظر الفتوى رقم ٢٦ من فتاوى العلامة: محمد الأمين بن أحمد زيدان وانظر التكميل بشرح السجلماسي عند شرح البيت: ١٦٥ ص: ١١٥

فأفتى العلامة أحمد رحمه الله بأن المقدمة الكبرى مسلمة، وهي «أن كل من ظهر فسادها تجبر»، وأما المقدمة الصغرى، وهي «أن فساد النساء ظاهر» فغير مسلمة، إذ ليست على عمومها، فإن النساء منهن الفاسدات ومنهن ذوات الدين الملتزمات بالأوامر الشرعية، لا سيما والمرأة التي وقع السؤال عنها من نساء عرفن بالدين والعفة... إلى آخر كلامه[١].

ويقال إن العلامة لمرابط بن أحمد زيدان لما اطلع على فتوى العلامة أحمد هذه، وفتوى أخرى للعلامة سيداحمد بن سيد المختار الجكني، رجع عن فتواه في خصوص تلك المرأة، ولكنه لم يرجع عن فكرته عموما حيث لم يزل يرى أن النساء مجبرات[٢].

النموذج الثالث: في مسألة من مسائل السلم والاستحقاق:

وهي: أن العلامة لمرابط ابن أحمد زيدان استفتي في مسألة من مسائل السلم وقد حصل فيها استحقاق، فلم يجد لها حلا في كتب الفروع، فأرسل بها إلى العلامة أحمد، وقال: لعله يجد لنا حلها في كتب الأصول، وصورتها:

رجل اشترى جملا بأمة في الذمة ثم بعد ذلك مرض الجمل مرضا أشرف منه على الهلاك، وخلال مرضه استحقه رجل آخر فما الحل؟

فأفتى العلامة أحمد رحمه الله بحط الأمة عن ذمة الرجل، وتقويم الجمل يوم الاستحقاق ودفع قيمته للرجل الذي استحقه، واستدل على هذا الحل بحديث: «لاَ ضَرَرَ وَلاَضِرَارَ»[٣]

---

(١) والفتوى بكاملها لم أحصل عليها حتى الآن وما كتبت منها نقلته من أفواه مشايخنا رحمهم الله.

(٢) سمعنا ذلك من مشايخنا وانظر تحقيق لمرابط بن الطلبه لفتاوى محمد الامين بن أحمد زيدان ص ٦٣

(٣) مشكاة المهاد على مناقب الأجداد مصدر سابق ص ١٠٦.

قلت: والحديث رواه مالك في الموطإ مرسلا [١] وأحمد في المسند [٢] والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[٣] .

قال أبو عمرو بن الصلاح: «هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوى الحديث، ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به» وقول أبي داود: «إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها، يشعر بكونه غير ضعيف» والله أعلم[٤].

وكلام أبي داوود هذا هو قوله: الْفِقْهُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَحَادِيثَ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ)، وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» وَقَوْلِهِ «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وَقَوْلِهِ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، وَقَوْلِهِ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [٥].

قال بن عبد البر: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فَقِيلَ إِنَّهُمَا لَفْظَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ تَكَلَّمَ بِهِمَا جَمِيعًا عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، وَقَالَ الخشنى: الضرر الَّذِي لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَعَلَى جَارِكَ فِيهِ مَضَرَّةٌ وَالضِّرَارُ الَّذِي لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَعَلَى جَارِكَ فِيهِ الْمَضَرَّةُ وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنُ الْمَعْنَى فِي الْحَدِيثِ وَالله أَعْلَمُ [٦].

وقيل: الفرق بين الضرر والضرار:

أن الضرر يحصل بدون قصد، والمضارة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة.

---

(١) موطأ مالك ت عبد الباقي (٢ / ٨٠٥): وهو في رواية أبي مصعب الزهري (الحديث: ٢٨٦٠).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (الحديث ٢٨٦٥).

(٣) المستدرك على الصحيحين (الحديث: ٢٣٤٥).

(٤) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢ / ٢١١).

(٥) المصدر السابق: (١ / ٦٣).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٠ / ١٥٨).

مثال ذلك: رجل له جار وعنده شجرة يسقيها كل يوم، وإذا بالماء يدخل على جاره ويفسد عليه، لكن الفاعل لم يعلم، فهذا نسميه ضرراً.

والمثال الثاني: رجل بينه وبين جاره سوء تفاهم، فقال: لأفعلن به ما يضره، فركب محركا كهربائيا عند جدار جاره وقصده الإضرار بجاره، فهذا نقول مضار، والمضار لا يرفع ضرره إذا تبين له بل هو فاعله عن عمد، وأما الضرر فإن صاحبه إذا تبين له رفعه(١).

والحديث خبر والمراد به النهي أي لا يجوز الضرر ولا الضرار وهو يدخل في أبواب كثيرة من العلم، فيدخل فيه النهي عن التدليس والغش في المعاملات وكتم العيوب فيها، والمكر والخداع والنجش، وتلقي الركبان وبيع المسلم على بيع أخيه والشراء على شرائه، ومثله الإجارات، وجميع المعاملات، والخِطْبة على خِطْبة أخيه، وخِطْبة الوظائف التي فيها أهل لها قائم بها. فكل هذا من المضارة المنهي عنها(٢).

وهو أصل عظيم في أبواب كثيرة، ولا سيما في المعاملات: كالبيع والشراء والرهن والارتهان، وكذلك في الأنكحة يضار الرجل زوجته أو هي تضار زوجها، وكذلك في الوصايا يوصي الرجل وصية يضر بها الورثة، فالقاعدة: متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار(٣) .

والعلامة أحمد كما ترى قد استدل بالحديث في المسألة المذكورة على حل لا يتضرر فيه أحد المتعاقدين أصلا أو يكون الضرر - على الأقل - غير فادح. فرحمه الله تعالى وأثابه على ما قدم.

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٣٢٥).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد (ص: ٤٦).

(٣) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٣٢٦).

المبحث الثامن
في مواقفه في السياسة وتغيير المنكر

كانت للعلامة أحمد رحمه الله مواقف عظيمة وكان رجلا مهابا كبير النفس، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولهذا كان الأمراء والكبراء يجلونه، ويأتمرون بأمره بل ويضحون بأنفسهم في تنفيذ أوامره، فكان في المنطقة التي يعيش فيها من تكَانت هو الآمر الناهي بدون حدود، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فيؤتيه للعلماء العاملين القائمين بالقسط بين الناس فتهابهم العامة والخاصة، لا لجيوش ولا لشرطة، ولكن لهيبة ورهبة وقبول يضعه الله لهم في قلوب الناس، وما أحسن قول الثوري في الإمام مالك رحمه الله تعالى حيث يقول:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة	والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى	فهو المهيب وليس ذا سلطان[1]

ونحن في هذا الإطار نشير إلى مثال من مواقفه الصارمة المشرقة، في حكاية مشهورة وقعت له في واحة الرشيد، وكانت هذه الواحة في تلك الفترة في أوج ازدهارها، ويحكمها زعماء أبناء امينوه،(الوافيون) وهم ملاك هذه الواحة الأصليون، ومعهم في تلك الفترة شيوخ (ابناء سيد حيبلله)، وهما فخذان محترمان من قبيلة كنته، وكان العلامة أحمد ينزلها في الموسم المعروف ب (الكيطانة) وهو قاضي المنطقة وعالمها ومرشدها.

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢ / ٣٤).

وفي الوقت نفسه تعيش في هذه الواحة العامرة طائفة تسمى (سُوكَابَة) وهي عصابة منظمة من اللصوص والموالي، ولها نظام محكم ويعترف بها المجتمع نوعا مَّا، ولها شعراؤها وأدباؤها،ولها كذلك مصارعوها ولصوصها، وأيديها شبه مطلقة في كثير من مناطق الواحة، فتأخذ ما تشاء، وتترك ما تشاء، وتعتدي على من تشاء، ولكنها لا تستفز الأمراء ليتركوها وشأنها، ورءيس هذه العصابة اسمه (اسْوَيْلِمْ أهلْ ختَّارْ) وذات يوم والناس تموج في النخيل تم اعتداء من رئيس العصابة على شخص من طلاب العلامة أحمد وذويه، حيث كلمه بكلمة تحمل استهزاء، فأخبر العلامة أحمد بذلك، فغضب وقال لرسوله:

اذهب إلى أهل امينوه وقل لهم: القاضي أحمد بن أبات واقف في الشمس حتى يُؤتى إليه برئيس سكابة مكبلا الآن، فرجع إليه الرسول ولم ير تحركا سريعا.

فقال للرسول اذهب إلى رئيس (أولاد سيد حيبلله) - فإن عهدتنا عليهم، إذ هم الذين أقدموا والدنا إلى تكَانت - وقل لهم ما قلنا لك، فلما قدم عليهم الرسول كان تحركهم سريعا للغاية، فأرسلوا فرسا مسرعة إلى أهل (امينوه) برسالة تقول: إما أن يؤتى برئيس سوكابه الآن مكبلا عند القاضي، وإلا فإن أحد الحيين (نحن وأنتم) سيخرج أحدنا الآخر من واحة الرشيد اليوم قبل صلاة العصر تحت وقع الرصاص، ثم أمروا بطبول الحرب فضربت، فلما وصلت الرسالة الجادة إلى أهل (امينوه) تحركوا سريعا واهتزت الواحة بكاملها، وما هي إلا لحظات وإذا برئيس سوكابه مكبلا بين يدي العلامة أحمد، فأمر به أن يلقى على وجهه في الرمضاء ويداه خلف ظهره، ثم ترك لساعات وأنفه في التراب أمام الجماهير، ثم بعد ذلك أمر العلامة بإطلاق سراحه[1].

---

(١) وهذه الفرقة المذكورة قد لحقتها نتائج بغيها فيما بعد، فقد قامت باغتيال البطل المعروف: سيداحمد لبات بن محمد بن اسويد احمد،(إدوعيش) فانبرى لهم ابنه البطل بكار، فكتب أسماءهم وقتلهم فرادى وجماعات، فقتل بعضهم عند الطريقة وهم: التلميدي ولكويري بن أحمد صالح بن لكويري،

ثم قال: لو لم أفعل هذا لأحرقت مكتبتنا هذه الليلة[1] .

فهو يقول ذلك ولسان حاله ينشد قول النابغة الجعدي الذي أنشده بحضرة النبي ﷺ فارتضاه ودعا له، وهو قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولا خـير في حلم إذا لم تكن له ... بـوادر تحمي صفوه أن يكدرا[1]

وما ذلك إلا إظهارا لهيبة العلم والدين وتوطيدا لدعائم العدل والأمن في الأرض، وقمعا لأهل البغي والطغيان، وتصغيرا لشأنهم وتحقيرا لهم أمام الناس، وهذا النوع من تغيير المنكر الواضح له شأن عظيم، فمن شأنه أن تعيش الناس في ظله وفي نتائجه زمنا طويلا.

ولا شك أن هذا التصرف من شيوخ (أبناء سيد حيبلله) يدل على عمق العلاقة والوفاء، حيث كانوا على استعداد لخوض معركة دامية ضد أبناء عمهم، ومن ثم نشوب حرب أهلية داخل القبيلة (قبيلة كنتة) لا تعرف عقباها، وذلك تنفيذا لأوامر العلامة أحمد، فهو موقف لا شك يذكره التاريخ، ويدل بوضوح على أن هذه علاقات يُطمأَنُّ إليها.

ويقال إن العلامة أحمد لما رأى هذا الموقف سُرَّ به وقال: إن أبانا كان رجلا مكاشفا وملهما، وقد قال - في والد هؤلاء لما جاء يريده أن يذهب معه إلى كصر البركة -: «رأيت في وجه هذا الشاب الخير لي ولأبنائي». وقد تقدم الكلام على ذلك في المبحث التاسع من ترجمة العلامة أبات رحمه الله تعالى.

ورمظان بن الكيحل، وأحمد بن سيدمحمود بن رمظان في تسعة، وبعضهم عند التاقصة، وهم المختار بن خير الله، وأخوه سيد احمد، وأحمد سالم، وسيداعمر في ٣١، وبعضهم عند القليبات، منهم ابن علوش في ثلاثة، وبعضهم بآوكار منهم: المختار بن يمير في ٢٢، وبعضهم في كندل جنوب الغدية، منهم اسويلم أهل ختار، في أربعة. انظر ابن حامد جزء إدوعيش مصدر سابق ص ٥٣.

(١) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد ومن غيره من مشائخنا رحمهم الله.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٢٣٢).

المبحث التاسع:
في هديه واتباعه للسنة:

كان رحمه الله رجلا محافظا على اتباع السنة بعيدا من الخرافات والتقليد، محاربا لكل المظاهر التي قد يخشى أن تفتح بابا إلى البدعة، أو إلى ما يمس العقيدة، فنجده في بداية نظمه في العقيدة يقول:

وأرسل النبي في أفعاله ليقتدى به وفي أقواله

وكان رحمه الله ينتقد تأويل الصفات، ويحذر من دراسة الكتب التي تذكر شبه علماء الكلام،كما تقدم فيقول في ذلك:

وشبهة مع ردها الآن حرم إقراؤها وكتب لذا تؤم
مثل الإضاءة وما من كتب لرد ذي الشبه جنب تصب

ثم يقول:

لا تطلبن تأويل ما تشابها وآمن به منزها منتبها
فإن ذاك منهج الأصحاب همُ أولو العرفان والصواب
مثل استوائه وما قد أوهما من سنة أو آية تجسما
وكلما يخطر بالأذهان فإنه مخالف الرحمن.

وكان رحمه الله حريصا على اتباع السنة، ويتلمسها في كل خطواته، فكأن هديه كان تجسيدا لوصية أحد أئمة السلف لزميله حيث قال له: «يا أخي إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بسنة فافعل» وهذه وصية عظيمة ينبغي أن يضعها كل مسلم نصب عينيه لأهميتها.

وكان رحمه الله حريصا على إظهار سماحة الإسلام والتيسير على الناس بعيدا من التشدد والتنطع، لأن هذا هو هدي النبي ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلاَ تعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا» متفق عليه[1].

فنراه يشير إلى معنى هذا الحديث فيقول:

لأمـــره بـالـيسر في الـتـذكـير	وعـــدم الـتـشـديـد والـتـنـفـير
فـــإن مـــن حمـــل كـــل الـبـشرِ	عـلى مـقـام الـعـابـديـن الاكـبر
فـإنـه لجـــــــهـلـه أضرَّا	بهـم ولـلـســـــنـة مـا أقـرا

وكان يرى أن العالم هو من يوسع على الناس في إطار السنة، ويأخذ بالاحتياط والورع في خاصة نفسه، فيقول:

بـل إنـــما الـعـــالم مـــن يـوسع	بـســعـــة الله ولا يـضـيـع
في نـفـسـه قـد لـزم الـتـورعـا	وحمـلـه الـنـاس عـلـيـه يـدعـا

وفي هذا المعنى يقول الإمام سفيان الثوري: العلم رخصة من عالم، أما التشديد فيحكمه كل أحد، ويقول ابن عبد البر: ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخص والسعة ما لم يخف المأثم[2].

وكان من هديه كذلك الإنكارعلى المفتين والمرشدين الذين يتصدون للمسائل الخلافية، وهم ما زالوا في الشبر الأول من العلم، فيقول إن هذا المنصب لا ينبغي أن يتصدى له إلا من وصل إلى مراتب العلماء المتبحرين، فيقول رحمه الله:

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١١٣١).

(٢) انظر شرح العلامة محمد بن أحمد لنظم والده العلامة أحمد بن أبات بتكميلنا ص: ٦١.

ولا يكون زاجرا أو آمرا ... إلا الذي في العلم قد تبحرا
وعلم الخلاف والإجماعا ... واتسع اطلاعه اتساعا

والمراد بهذا في الحقيقة المسائل الخلافية، أما المسائل المجمع عليها كوجوب الصلاة والزكاة، وكتحريم الزنا وشرب الخمر فهذه ينكرها كل أحد، لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة، وقد كنت ذيلت هذين البيتين بقولي:

محل ذا إن كان ما يأمربه ... مدركه يخفى على غير النبه
وحيث كان الأمر فيه ظهرا ... جاز لكل مسلم أن يأمرا [1]

وبالجملة فالرجل كان إماما في الفقه، وإماما في السنة رحمه الله تعالى.

(١) المصدر السابق ص: ٤٨.

المبحث العاشر
في ذكر نماذج من مواقفه
في الأمور العامة وملحه المشهورة وأشعاره

كان العلامة أحمد رحمه عالما مهابا جادا وكان مع ذلك مليحا يضحك جلساءه، بصراحته وواقعيته، وكان شديد الإنكار على من يدعي الكرامات والمكاشفات وما إلى ذلك حتى ولو كان صادقا، حرصا منه على صيانة عقائد العوام، ومحافظة على نهج السلف، وابتعادا من الخرافات والأساطير، وكان شديد الإنكار لكل ما خالف السنة، حتى ولو صدر من الفضلاء والأكابر، فيروى عنه في هذا كثير من الحكايات.

فمنها:

أنهم كانوا في إحدى السنوات في فترة قحط وشدة، وهموا بالرحيل إلى منطقة أخرى طلبا للرعي، كعادتهم في ذلك الزمن ، فقيل له إن أحد معاصريه ممن تذكر عنه بعض الكرامات يقول إن المطر سيأتي غدا، والعلامة أحمد لايعبؤ بمثل هذه الحكايات وينكرها حفاظا على عقائد العوام، فأمرهم بالرحيل، ثم إن المطر جاء في الغد، فقال الرجل: ألم أقل لكم أن المطر سيأتي غدا؟ فنقلت الكلمة للعلامة أحمد فقال: قاتله الله أكانت في جيبه؟ قولوا له لا يعد إلى مثل هذا[1] .

ويحكى أن الرجل الصالح الشيخ: عبد الدايم بن محمد خين وقد كان على درجة عالية من الفضل والزهد في الدنيا، وفي آخر عمره أصبح مقعدا فكان

(١) هذه الحكاية مشهورة وسمعناها من الثقات.

ابنه البار المقرئ لكتاب الله تعالى: سيد، يحمله ويقوم بشئونه كلها، فقال الشيخ عبد الدايم: لو كان الله يحبني لأخذ عني سيد هذا، وذلك لعظم مصيبته عليه، إمعانا في طلب الأجر والثواب على المصيبة الفادحة.

فبلغ ذلك العلامة أحمد فقال: «هذه أمنية لا تنبغي، هلا سأل الله أن يسعده في الدنيا والآخرة، فإن الله قادر على ذلك».

وصدق العلامة أحمد فإن السنة دالة على هذا المعنى فقد قال النبي ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ لاتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» متفق عليه[1].

قال ابن بطال: وفيه من الفقه النهى عن تمنى المكروهات، والتصدى للمحذورات، ولذلك سأل السلف العافية من الفتن والمحن؛ لأن الناس مختلفون فى الصبر على البلاء، ألا ترى الرجل الذى آذته الجراح فى بعض المغازى مع رسول الله ﷺ فقتل نفسه، أي فدخل النار، وقال أبوبكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر» [2].

وثبت في صحيح مسلم عن أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سُبْحَانَ الله لَا تُطِيقُهُ – أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ – أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ[3].

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: (ا الحديث ١١٣٧).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥ / ١٨٥).

(٣) صحيح مسلم (الحديث: ٢٦٨٨).

قلت: وإذا نظرنا في أصحاب النبي ﷺ نجد أن من فقرائهم وزهادهم: أبوذر وأبو الدرداء وأبوهريرة في أول حياته، وهؤلاء ليسوا من العشرة المبشرين بالجنة.

والمبشرون بالجنة رجال أقوياء لهم حضورهم الإيجابي في دنيا الناس، ولهم ثروات يقومون عليها ويخدمون بها دينهم ومجتمعهم، ولما رأت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أقواما يمشون بهدوء ومسكنة، قالت من هؤلاء؟ قالوا هؤلاء النساك، فقالت: الناسك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان إذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع...

بل إذا نظرنا قبل ذلك في الأنبياء نجد أن ممن ابتلي منهم أيوب ويونس ويعقوب عليهم السلام، وهؤلاء ليسوا من أولي العزم، فأولوا العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم.

فعلو المقام إذاً إنما ينال بفضل الله تعالى أولا، ثم بالتضحية في الدين وإفادة البشرية.

وكان العلامة أحمد رحمه الله يستشهد بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

ومنها:

أنه في إحدى السنوات أصيبت المنطقة القريبة منهم بوباء يبيد الأبقار، وكان العلامة أحمد صاحب ثروة كبيرة من البقر وقد سخرها لطلابه والمحتاجين من محيطه، فَهَمَّ بإجلاء بقره إلى مناطق بعيدة آمنة من الوباء، فكلمه رجل من أهل العلم والفضل في ذلك قائلا: أيجوز الفرار من الوباء؟ فقال العلامة أحمد: إذا انتهيت من توديع الرعاة الذاهبين بالبقر، فأتني أناقش معك الموضوع، فضحك الحاضرون.

وفعلا كان ذلك رأيا سديدا، قالوا: هلكت الأبقار كلها في تلك المنطقة، إلا بقر العلامة أحمد فجيء به بعد ذلك، فوزعه على الناس فكان غيثا لهم في تلك الفترة القاسية[1].

ولا شك أن العلامة أحمد كان على دراية تامة بمسألة الفرار من الوباء، لأن الوباء لم يأت إلى منطقته بالفعل، ومن المعروف أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عارضه أبو عبيدة بن الجراح – في مسألة الفرار من الطاعون الذي وقع في الشام – بقوله: أتفر من قدر الله؟ قال كلمته المشهورة: **نفر من قدر الله إلى قدر الله**، وقد كان ذلك موافقا للحديث الذي رواه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قوله ﷺ:

(إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) متفق عليه[2] .

ومن ملحه المشهورة عنه أنه سمع بعض الناس يشتكي من كثرة سؤال أصحاب الحاجات فقال له: «اصبر على ذلك واعلم أن الناس لن يتركوا لك شيئا مما لديك إلا وحاولوا أخذه منك أو نقصه إلا شيئا واحدا، وهو المرض الذي في جسمك، فهذا لن ينقصوا عنك شيئا منه». وهذا في الحقيقة أمر واقع وتعيشه الناس في كل عصورها عبر التاريخ.

نموذج من شعره:

ونشير هنا إلى نموذج من شعره في حكاية ممتعة ذكرناها في ترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن وسننقل هنا ما كتبناه هناك فنقول:

أحمد بن أبات وهو طالب يمدح امرأة من الحي فتجيزه فيبعث بالجائزة إلى شيخه الشيخ عبد الرحمن:

(١) وهذه الحكاية أيضا مشهورة عنه رحمه الله.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٤٣٣).

من المعروف أن العلامة أحمد بن أبات قرأعلى أخيه الشيخ عبد الرحمن العلوم المحظرية كلها، وفي أخريات أيامه في الدراسة، دعا الطلاب ذات يوم من أيام العطلة لنسخ كتاب له، وكان ذلك أمرا شائعا عند طلاب المحاظر فيتعاونون على نسخ كتاب لأحدهم وفي ذلك اليوم يكونون على حسابه، فيقوم بإطعامهم وخدمتهم، فعلمت بذلك زوجة الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه وهي: أم اعلام بنت أيد الامين، (من قبيلة أولاد اعلي) فأتحفتهم بمشروب كثير من نوع خاص، فقالوا أرسلت إليهم إناء يشبه الحوض مملوءا باللبن الرائب المضروب، ممزوجا بالسكر، فوقعت هذه التحفة من العلامة أحمد موقعا كبيرا فأرسل إليها هذين البيتين:

فما مجتنى من أدكن[1] فض ختمه — يشاب بماء من غدير سماء[2]
بأعذب مما ناولت أم مريم — غداة تدان السود بعد تناء

فلما قرأ زوجها الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه البيتين أعجب بهما، وقال لها قد نلت أمرا عظيما، والمديح لا تعوضه الدنيا وما فيها، لاسيما من مثل العلامة أحمد – وقد قيل: إنما يعرف الفضل من الناس ذووه – ثم قال

---

(١) الأدكن هو اللون الذي يكون بين السواد والحمرة، وهو لون الخمرة المعتقة، التي هي أجود أنواع الخمر.

ومنه قول لبيد:

أَغْلي السِباَء بكلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ — أو جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها

(٢) العرب تقول إن الخمر إذا شيبت بماء زلال، صارت في أعلى درجات الجودة ومنه قول طرفة في معلقته:

فمنهنّ سبق العاذلات بشربة — كميت متى ما تعل بالماء تزبد

ومنه أيضا قول ذي الرمة:

كأن رضابه من ماء كرم — ترقرق في الزجاج وقد أحالا
يشج بماء سارية سقته — على صمانه رصفاً فسالا

لها أرسلي إليه بأمتك فلانة وجملي هذا وعليه عدل من قماش وثياب، فهذا أقل القليل.

فلما جاءت الهدية إلى العلامة الشاب أحمد، قال اذهبوا بها إلى شيخنا الشيخ عبد الرحمن، فلما نظر إليها الشيخ عبد الرحمن قال: هذه أمة أم اعلام، وهي تقوم يشئون كثير من الطلاب فردوها إليها، وهذا جمل محمد احمد بن الطلبه الذي يركبه، فردوه إليه، وهذا القماش والثياب، يكسى به غرباء الطلاب[1].

فانظر رحمك الله إلى هذه الأخلاق العالية وهذا التعامل الراقي عند هؤلاء القوم، وانظر إلى هذه النفوس الكبيرة، سواء عند المرأة أو عند زوجها، وكيف كان حرصهما على المجد والكرم، وانظر إلى العالم الشاب كيف كان كرمه وبعده عن الحرص والشح، وكيف أنه لم يأخذ هذه الهدية لنفسه ويبدؤ بها كنواة لبدء أسرة ونحو ذلك، مما هو سائغ لدى ذوي النفوس الجشعة، وانظر كيف كان تقديره واحترامه لشيخه، وانظر إلى الشيخ كيف كان اهتمامه ومحبته لجيرانه، واهتمامه الزائد بطلابه لا سيما الغرباء منهم. فرحمهم الله جميعا.

(١) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله غير مرة.

المبحث الحادي عشر
في دعوته ووعظه المؤثر

كان العلامة أحمد رجلا بليغا ومؤثرا في وعظه وتعليمه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يدل على إخلاص صاحبه، وأن الوعظ صادر من قلب متأثر به، ولهذا يحكى أن عمر بن ذر كان إذا وعظ الناس أبكاهم،فقال له ابنه ذر: ياأبت ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب؟ فقال: «يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة»[1].

ونذكر هنا حكاية جرت للعلامة أحمد مع رجل لص من أولاد انبارك اسمه: البكاي بن سيد الصالح، يقول هذا الرجل نفسه: كنت في فترة أمارس مع زملائي قطع الطريق، وأخذ أموال الناس، وجميع أنواع المنكرات، وكنت أحلق رأسي فأجعله ثلاثة قرون وأسميها بالأسماء التالية على التوالي: «لا ناه، ولا منتاه (أي ولا منته)، ولا يرجوا العفو من الله» هكذا يسمي قرونه بهذه الأسماء إمعانا في الخبث والإجرام، ثم يقول: وفي هذه الفترة مررنا على حي لا نعرفه وهم في أثناء الرحيل، وتبين فيما بعد أنه حي أهل ابات، قال فأخذنا شاة من أغنامهم لنذبحها - كعادتنا - وتبعنا صاحبها يكلمنا أن نردها له (وهو الغوث بن أبات) ونحن لا نبالي به، وإذا برجل آخر يناديه وهو العلامة أحمد بن أبات يقول له: دعها لهم، ثم استوقفنا فوقفنا، فقرأ علينا قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ١٨٧).

﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم:٢٢] ثم فسرها لنا تفسيرا رائعا ومخيفا، فلما سمعت كلامه وقع في قلبي منه خوف عظيم، وأدخل الله الإيمان في قلبي من تلك اللحظة، وتركت كل ما كنت فيه، وأعلنت توبتي أمامه، فأخذني وأمر بحلق رأسي، وأمر الطلاب أن يحتضنوني ويعلموني، ثم مكثت في محظرته فترة من الزمن. ثم كان هذا الرجل بعد ذلك من أعبد الناس وأورعهم(١).

قلت: وهذه الحكاية تذكرنا بحكاية الإمام شعبة ابن الحجاج العتكي التي كانت سببا في هداية الإمام القعنبي وقد ذكرها بن الجوزي في المنتظم بإسناده إلى بعض أبناء القعنبي فقَالَ:

كَانَ أَبِي (أي القعنبي) وهو شاب يَشْرَبُ النَّبِيذَ وَيَصْحَبُ الأَحْدَاثَ، فَقَعَدَ يَوْمًا يَنْتَظِرُهُمْ عَلَى الْبَابِ، فَمَرَّ شُعْبَةُ وَالنَّاسُ خَلْفَهُ يَهْرَعُونَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: شُعْبَةُ، قَالَ: وَأَيُّ شُعْبَةَ؟ قِيلَ: مُحَدِّثٌ، فَقَامَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ أَحْمَرُ فَقَالَ لَهُ: حَدِّثْنِي، قَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَشَهَرَ سِكِّينَهُ فَقَالَ:

أَتُحَدِّثُنِي أَوْ أَجْرَحُكَ، فَقَالَ لَهُ: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ رَبَعِيٍّ، عَنِ ابي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) (٢)، فرمى سكينه

(١) هذه الحكاية حكاها صاحبها هذا للرجل الفاضل عبدالله بن أحمدُ رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ولفظه:

قَالَ ابْنُ مَالِكٍ – وهو القطيعي – حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) مسند أحمد ط الرسالة (الحديث: ٢٢٣٤٥)

وأخرجه البخاري لكن من طريق آدم عن شعبة، لا من طريق القعنبي. صحيح البخاري (الحديث: ٣٤٨٤).

ورجع إلى منزله، فأهراق ما عنده، ومضى إلى المدينة فلزم مالك بن أنس، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة، فما سمع منه غير هذا الحديث.[1]

فهذ الإمام القعنبي وهو عبدالله بن مسلمة، بعد أن كان هذا حاله أصبح من أفضل أئمة الدنيا، ومن أثبت من روى الموطأ عن مالك، قال ابن المديني: لاَ يُقَدَّمُ أَحَدٌ مِنْ رُوَاةِ المُوَطَّأِ عَلَى القَعْنَبِيّ، وكان مالك يكثر الثناء عليه فعَنِ الحُنَيْنِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكٍ فَقَدِمَ القعنبي مِنْ سَفَرٍ فَقَالَ مَالِكٌ: قُوْمُوا بِنَا إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ.

وقال الإمام الذهبي: حَدُّ الوَلِيِّ الرُّسُوخُ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ مِثْلُ القَعْنَبِيِّ.[2]

فهذا يدل على أهمية المواعظ النافعة من أهل الإخلاص وأن الرجل الطافح ربما يسمع موعظة فتغير حياته إلى الأبد،ويصبح شخصا من نوع آخر، ومن يهد الله فهو المهتدي.

وبهذا الهدي والتعليم والمواعظ النافعة ربى العلامة أحمد بن أبات طلابه، والذين سنشير إلى بعضهم في المبحث الآتي:

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٦ / ٢٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨ / ٣٦٨).

المبحث الثاني عشر
في تلاميـذته

أخذ عنه العلم خلق كثير وحمل علمه إلى مشارق الأرض ومغاربها، فحمل إلى مصر وإلى الحجاز وغيرهما وكان رحمه الله حريصا على تدريس النجباء من الطلاب والاهتمام بهم، وكان حريصا على اكتشافهم من ذلك البحر الذي يموج حوله من الطلاب، وكان له نظر ثاقب في هذا الاتجاه.

ومن أمثلة ذلك ما حكاه تلميذه العلامة أحمد بن الداد حيث يقول: كنت في بداية الطلب أدْرُس على العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن، وكان العلامة أحمد بن أبات شيخا مهابا لا يتجاسر عليه إلا كبار الطلبة، وذات يوم دعاني فسألني:، ما ذا تدرس؟ قلت: أدرس مبادئ النحو. قال: على من تدرس؟ قلت: على محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن، قال فاختبرني بسؤال أو اثنين، ثم قال: ائتني دائما أدرسك، قال: فكانت هذه بداية دراستي عليه[1].

ومن مشاهير طلابه رحمه الله:

١ -ابنه العلامة: محمد بن أحمد الذي تفرعت عنه عشرات المحاظر المشهورة والتي منها:

محظرة الحاج بن فحف المسومي وعنه أخذ أحمدفال بن أحمدن، ومحمد بن المختار التاكنيتي وصدف بن عبد الصمد ومحمد يحي بن الشيخ الحسين وحمزة

(١) سمعت هذه الحكاية من عدد من طلاب العلامة أحمة بن الداد هذا.

الآمريكي وغيرهم [1].

ومن محظرة العلامة محمد: محظرة أخيه محمد محمود، ومن هذه محظرة محمد محمود بن تقي ومحمد محمود بن محمد يحظيه البوصاديان، ومنها كذلك محظرة شيخنا: محمد ابات بن محمد، ومحمد أمانة الله بن جار الله[2]. وممن أخذ عن محمد محمود: أحمد بن عبد الودود وعبدالله بن الإمام الجكني[3].

ومنها:

محظرة سيد محمد بن الإمام ومن هذه محظرة سيد احمد بن عبد الدايم (أولاد اعلي) وأحمد بن أهل اعلي وأحمدفال بن يعقوب[4].

٥- ومن طلابه العلامة سيبويه زمانه أحمد بن الداد، وهذا طلابه لا يحصون فمنهم: العلامة محمد محمود بن أحمد، وهذا تفرعت عنه عدة محاظر، ومنهم الشاعر الكبير محمد الأمين بن ختار الجكني، ومنهم الشاعر الأديب: محفوظ بن جارالله (أهل الشيخ بن امني)

٦- ومن طلابه رحمه الله: المقرئ الكبير محمد احيد بن سيد عبد الرحمن المسومي، وعنه أخذ ابنه النجاشي وعنه أخذ محمد بيب بن المقري العلوي ومحمدو بن البنيه[5].

٧- ومنهم: محمد عبدالله بن زيدان البوصادي الذي أخذ عنه كثير من علماء المشرق من بينهم: محمد متولي الشعراوي المصري[6] وعن هذا أخذ

(١) المجموعة الكبرى ليحي بن البراء مصدر سابق: ٧٨.

(٢) أدركنا هؤلاء أعني طلاب العلامة محمد محمود، وأخبرونا بذلك.

(٣) المجموعة الكبرى مصدرسابق: ٢٢٧.

(٤) أدركنا هؤلاء وعشنا معهم، وأخبرونا بهذا غير مرة.

(٥) المجموعة الكبرى لابن البراء ص ١٥٢ وص: ١٧٧.

(٦) المصدر السابق: ٢٢٥.

كثيرون منهم الدكتور: يوسف القرضاوي وغيره.

٨- ومنهم: الشيخ محمد بن محمد بن سيدي الجكني من فخذ أهل الطالب محم، وعن هذا أخذ العلامة اباه بن محمد الأمين ومحمد محمود بن أحمد بن الهادي اللمتونيان[١]. وعن العلامة اباه أخذ أبناؤه الأجلاء كشيخنا: محمد شيخنا ومحمد فاضل ومحمد أمانة الله، وعنه أخذ مختور بن اجميلي ومحمد الامين بن موسى ومحمد محمود بن آكا الجكنيون[٢]. والشيخ سيد محمد التاكنيتي[٣] ومحمد عبدالله بن آدُّو[٤].

وعن محمد محمود بن أحمد بن الهادي أخذ شيخنا الطالب محمد بن لبريكني ومحمد عبدالله بن الصديق[٥].

٩- وقد أخذ عنه كذلك: الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني وعن هذا أخذ أخواه الحافظان محمد حبيب الله ومحمد الخضير وغيرهم[٦]. وعن الشيخ محمد الخضيرأخذ ابنه محمد الامين الذي شغل منصب قاضي القضاة بالأردن[٧].

١٠- ومنهم لخليف بن زين العابدين (أهل الشيخ بن امني)

وغير هؤلاء كثير.

---

(١) المصدر السابق: ١٣٣ و ١٣٤.

(٢) المصدر السبق: ٢٤٩.

(٣) المصدر السبق: ١٢٢.

(٤) حجاج ومهاجرون للدكتور حماه الله ص ١٣١.

(٥) المصدر السابق: ١٤٩.

(٦) المصدر السابق: ٢١٧.

(٧) حجاج ومهاجرون مصدر سابق ص ١٥٨.

المبحث الثالث عشر
في أبنائه

خلف من الأبناء أربعة رجال وابنتين وهم:

العلامة محمد بن أحمد، وستأتي ترجمته في الطبقة الثالثة

العلامة محمد محمود بن أحمد، وستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة

اللغوي الكبير يحي بن أحمد.

الرجل الصالح سيد بن أحمد.

ومريم بنت أحمد وكانت امرأة عظيمة الشأن تشبه والدها في القوة والجرأة وهي أم الرجلين العظيمين: الطيب وسيد محمد ابني المعزوز، وأختهم فاطمة وهي أم أسرة أهل محمد بن اعبيدي، من فخذ أهل أحمد بن عيسى الجكني.

والقريشية، وهي والدة النحوي الكبير شيخنا: محمد يسلم بن أحمد بن الداد. رحمهم الله جميعا.

المبحث الرابع عشر
في وفاتـه ومكان قبره ورثائه

عاش العلامة أحمد رحمه الله حياة علمية جمع فيها بين التدريس والتأليف والقضاء والإفتاء، واستمر على ذلك إلى أن توفي في حدود سنة: ١٣١٨هـ عن ٧٣ سنة ودفن بمقبرة (أغلنبيت) في وسط تكَانت غربي عاصمة الولاية (تججكه) على بعد ٧٠ كيلومتر تقريبا وتضم هذه المقبرة علماء وصلحاء من أسرته وتلاميذتهم رحمهم الله جميعا، وجمعنا معهم في مستقر رحمته بفضله ومنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد رثاه ابن أخيه الأديب محمدو بن الشيخ عبد الرحمن برثاء يقول فيه:

من بعد أحمد صار الدين في غرر ... على شفا جرف هار من الخطر

فالعلم باك على فقدان غامضه ... بفقد شارده لم يبق من أثر

صارت شوارده في الجو طائرة ... أو في البحار غدت من أصغر الإبر

وإلى هنا تمت ترجمة العلامة أحمد بن أبات رحمه الله، ثم نتبعها بترجمة العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن في الفصل الآتي:

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن
وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: في ولادته ونشأته

المبحث الثاني: في دراسته وشيوخه

المبحث الثالث: في وأدبه ونماذج من شعره

المبحث الرابع: في نشره للعلم وعطائه الاجتماعي

المبحث الخامس: في طلابه

المبحث السادس: في أبنائه

المبحث السابع: في وفاته

المبحث الأول
في ولادته ونشأته

ولد العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، ولم نستطع الجزم بسنة محددة لميلاده لأن القوم لم يكونوا يسجلون تواريخ الميلاد، فهم يعيشون في بيئة بدوية، لا يعتني أصحابها بتدوين تواريخ الميلاد. وقد نشأ في كنف والده العلامة الشيخ عبد الرحمن، وتربى على يديه تربية ممتازة جعلته يقوم بشئون الدين والدنيا في آن واحد، وتلك كانت تربيته لأبنائه رحمه الله، فكان أحدهم مع اشتغاله بالعلم والعبادة باستطاعته أن يذهب في القافلة التي تحمل الملح من شمال البلاد حتى تبيعه في الجنوب، ثم تحمل مكانه الحبوب ذاهبة بها إلى وسط البلاد، أوشمالها، وتستمر هذه الرحلات عدة شهور يتحمل فيها أصحاب هذه القوافل من المشقة ما الله به عليم.

وربما سجلوا بعض هذه الرحلات في أشعارهم، فهذا الأديب محمدو بن الشيخ عبد الرحمن، أخو صاحب الترجمة يذكر بعض هذه الرحلات فيقول:

ظلت تقاد بملح «ازل»[1] مصبحها	**وبات مرتعها «ذا الصرح» [2] عن وطر**
ثم احتملنا و «بالحسي» مصبحها	**وبات مرتعها «تالغز» ذا الوعر**
يقودها أغيد[3] كأن لمته	**من شائخ الحاذ ذا عامين عن مطر**

(١) اسم موضع بين آدرار وتكانت.

(٢) ذا الصرح: اسم موضع كذلك، وهو بالدارجة (احسي آتيله) وبين الموضعين مسافات بعيدة حسبما يقال.

(٣) يشير بهذا إلى قائد القافلة وهو الأجير الذي يقوم على خدمة القافلة.

مغبر أشعث مخطف الحشى كدر   لا يالف العيش إلا لقمة السحر
لا يـالـف الـنـوم إلا لحـظـة ولـه   تقطع الـيـل بالصَّلى عـلى الجمر
لا يعقل الساق إن يمشي ولا يقفن   عند انقطاع الـزمـام غـير منزجر
إذا طلبنا لـعـذر بـالـعـنـاة له   مثل انقطاع الـزمـام قـام بالشرر
تـلـك الطبيعة لا عنها محالته   إن الطبائع كـالجـبـال في النظر
يـا حـبـه مـن رفـيـق غـير أن له   عـلى الجـهـال دعــاء كــان بالضرر
فـلا أجـبـت فيها يـارب دعوته   بجاه خير الـورى المبعوث بالسور
صـلى عـلـيـه الإلـه الله خالقنا   رب العباد ورب الشمس والقمر

قلت: فهذه التربية تجعل أحدهم باستطاعته أن يخوض بنفسه كل مغامرات الحياة بشتى ألوانها، وهذه هي تربية الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني
في دراسته وشيوخه

درس العلامة محمد الحسن على والده الشيخ عبد الرحمن سائر العلوم الشرعية كاللغة والفقه والأصول وغيرها، ولا يستبعد أن يكون أخذ عن عمه العلامة الداد، فقد عاش معه فترة غير قصيرة، وكان العلامة محمد الحسن رحمه الله بارعا في العلوم الشرعية كلها وخصوصا اللغة العربية فقد اشتهر بالتبحر فيها وخصوصا علم النحو والصرف فكان متخصصا في جامع ابن بونا على الألفية فقد درسه للطلاب فترة طويلة، كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في نشره للعلم وعطائه الاجتماعي

جلس العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن للتدريس مدة طويلة، فكانت تحيط به أعداد كبيرة من الطلاب من شتى القبائل، وكانت لديه طاقة فائقة في الصبر على التدريس، مع ما يزاوله من الأعمال الجبارة من القيام على ثروته الحيوانية، وشئون الناس من حوله، فكان يسهر على مصالح حيه وعلى إسعادهم، ويقوم بالأعمال الكبيرة التي لا يستطيع القيام بها إلا العصبة من الرجال أولي القوة، ونشير هنا إلى مثال من ذلك:

فقد قيل إن حيه أرادوا الرحيل في إحدى الفترات في زمن حر شديد، وفي الحي أعداد كثيرة من الأبقار والأغنام وغيرها ، والناس إذ ذاك تعتمد في المعاش غالبا على الحليب الذي تأتي به تلك المواشي، فاستاق العلامة محمد الحسن هذه المواشي كلها ليلا، مستعينا ببعض الرعاة، ووصل إلى المكان المنشود مع الفجر، فبدأ في حفر «حَاسٍ» (بئر قصير) لسقي تلك المواشي، ثم عزل عنها صغارها ليتوفر الحليب، ثم لما كان قرب الزوال بدأ الحي في الوصول إلى المكان، فوجدوا الماء متوفرا والمواشي قد سقيت وضروعها مليئة بالحليب، فكأنهم كانوا مقيمين، ثم إنه جلس تحت الأشجار المعدة للطلاب ونادى فيهم قائلا: هلموا بألواحكم لا يقب أحد اليوم، (أي لا يتعطل أحد عن درسه) علما بأن أعداد الطلاب هائلة، وهي تدرس علوما متعددة[1] .

(١) سمعت هذه الحكاية غير مرة من الوالد أحمد رحمه الله.

فانظر رحمك الله إلى هذه الأعمال الجبارة كيف تأتي من شخص واحد في آن واحد، لتتخيل كيف كان عطاء هذا الشيخ الجليل، وكيف سيكون المصاب به إذا ارتحل عن الدنيا، لاشك أن المصيبة بمثله خسارة فادحة.

فهي خسارة لمحيطه ومن كان يسهر على مصالحهم، وأما بالنسبة له هو فإنها راحة من عناء الدنيا، وانتقال إلى جزاء هذه الأعمال الخيرية المباركة، كما بين ذلك رسول الله ﷺ في قوله:

(مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابّ). متفق عليه[1].

وقد كان رحمه الله مع علمه وورعه وجده، شاعرا وأديبا كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٥٥٤).

المبحث الرابع
في أدبه ونماذج من شعره

كان العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن مع علمه وورعه واجتهاده في العبادة والتعليم، شاعرا وأديبا، ومن خلال عرضنا لنماذج من شعره، ستتراءا لنا نزعته الأدبية، وشاعريته القوية، إلا أنه كان كغيره من العلماء يمسك بلجام تلك النزعة الأدبية حفاظا على مساره العلمي ونسكه الشرعي، غير أن تلك النزعة ربما طغت وخرجت عن السيطرة في بعض الأحيان النادرة، ليتكشف من خلالها ذلك الأدب الأصيل المستتر خلف رداء سابغ من خشية الله تعالى.

وتوجد أمثلة لذلك في سلفنا الصالح فهذا عبيد الله بن عبدالله بن عتبَة بن مَسْعُود وهو أحد فقهاء المدينة السبعة كان يقول فى الْغَزل ويجيده ومن شعره قوله:

كتمت الْهوى حَتَّى أضربك الكتم ... ولامك أَقوام ولومهم ظلم
ونم عَلَيْك الكاشحون وَقبل ذَا ... عَلَيْك الْهوى قد نم لَو نفع النم
فيا من لنَفس لَا تَمُوت فينقضى ... عناها وَلَا تحيا حَيَاة لَهَا طعم
تجنبت إتْيَان الحبيب تأثما ... أَلا إِن هجران الحبيب هُوَ الْإِثْم[1]

وَهذا عُرْوَة بن أذينة وَهُوَ من فُقَهَاء الْمَدِينَة وعبادها وَكَانَ من أرق النَّاس تشبيبا يقول:

---

(١) أمالي القالي (٢ / ٢٠).

قَالَت وأبثثها وجدى وبحت بِهِ … قد كنت عندى تحب السّتْر فاستتر
أَلَسْت تبصر من حولى فَقلت لَهَا … غطى هَـوَاك وَمَـا أَلْقى على بصرى

قالوا وَقد وقفت عَلَيْهِ امْرَأَة فَقَالَت أَنْت الذى يُقَال فِيك الرجل الصَّالح وَأَنت الْقَائِل:

إِذا وجـدت أوار الْحـبّ فى كبدى … غَـدَوْت نَـحْـو سقاء الْمَـاء أبـترد
هبنى بـردت بِـبرد الْمَـاء ظَـاهره … فَـمـن لـنـار عـلى الأحـشـاء تتقد

وَالله مَا قَالَ هَذَا رجل صَالح.

قال ابن عبد ربه معلقا: وكذبت عدوة الله عَلَيْهَا لعنة الله بل لم يكن مرائيا وَلكنه كَانَ مصدورا فنفث[1].

وكذلك العلامة محمد الحسن رحمه الله تعالى فقد كان رجلا ناسكا لكنه هو القائل:

ومـيـض بـرق بـدا للعين بـراق … أضنى الجوانح حتى قيل من راقي
كـأنـما ومـضـه في مـزنـه سحرا … ومض العوارض من ريانة الساق
ساق سعير الجوى من خدلة الساق … ساق فؤادي يوم الكشف عن ساقي
تلتف سـاق الفتى إن تبد باسمة … عن كالأقاح غـداة الطل بالساقي

لا شك أن هذا الشعر ينم عن شاعرية مقتدرة، لحسن معانيه وجودة سبكه بعيدا عن التعسف والتكلف، إلا أن العالم الزاهد مشغول بما هو أهم من هذه المعاني، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

فـلـولا الـشـعـر بـالـعـلـماء يـزري … لكنت الـيـوم أشـعـر مـن لبيد

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٦ / ١٤٠) و الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢ / ٥٦٥).

لكن الشاعر المطبوع لا بد أن يقوله فجأة عندما تأتي المناسبة، وفي هذا الإطار نذكر لصاحبنا أبياتا قالها لامرأة جكنية من فصيلة (الشواوفه) اسمها مريم بنت إبراهيم، وهي زوجة: سيد محمد (أحفضُّ) بن الطالب بن اعبيدي (أهل احمد انعيسى) وقد كانت هذه المرأة قامت بإكرامه غاية الإكرام لما نزل ضيفا عندهم فأتحفها بأبيات يقول فيها:

فما زاخر أضحى بموج يمده — زواخر أعيا موجها كل سابح
بأجدى على العلات من كف مريم — غداة أتاها كل ظمئان لائح
فما نول يحيى وابن يحيي وخالد — كنول يديها كل دان ونازح
ومن يعتمد يوما طويلا ولم يرح — لمريم أمسى خاليا غير رائح

وهذا من حسن أدبه ونبله، والشاعر المطبوع إذا أحسن إليه مدح تلقائيا لايستطيع غير ذلك، والنبي ﷺ يقول:

(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَّ) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني[1] .

ويحكى أنه لما طلق زوجته الأولى وهي الغوثه بنت سيد أرسل إليها رسالة وفي الرسالة أبيات يقول فيها:

بلغ سلامي إلى براقة الجيد — بنت الفتى حبذا بنت الفتى سيد

فرحمه الله تعالى ما أحسن شعره وأعذبه.

(١) سنن الترمذي ت شاكر الحديث ١٩٥٤.

المبحث الخامس
في طلابه

جلس العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن للتدريس فترة طويلة وتخرجت على يديه أعداد كثيرة من الطلاب نذكر منهم:

الأديب الكبير: محمد بن عبد التار الذي كان يقول قسمت عمري إلى أربعة أقسام:

أحدها: عند حمَّ بن نفرو، أدرس عليه اظهوره (بحورالشعر الحساني) [1]

والثاني: عند أهل محمود بن لحبيب أدرس القرآن الكريم.

والثالث: عند العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن أدرس جامع ابن بون.

والرابع: عند العلامة محمد بن أحمد بن أبات أدرس الباب من مختصر خليل.

وعنه أخذ النحوي الكبير أحمد بن الداد.

ومن طلابه أيضا جماعة من قبيلة (أهل الشيخ بن امني).

منهم الفقيه: محمد محفوظ بن الأسياد وغيره.

---

(١) انظر تفاصيل هذه البحور في حياة موريتانيا الجزء الثقافي لابن حامد ص ١٤٥ فما بعدها.

المبحث السادس
في أبنائه

ترك العلامة محمد الحسن ابنا واحدا وأربع بنات:

فالابن هو: سيد محمد رحمه الله، وليس له عقب الآن.

والبنات هن:

١. السالمه، وهي أم الرجل الفاضل الشيخ بن محمد عبد القادر.

٢. كلثم، وهي أم أسرة أهل الاسياد (أهل الشيخ بن امني)

٣. سعادُ، وهي أم أسرة أهل محمد احمدُ بن الطالب محمد
وأم هؤلاء الغوثه بنت سيد بن الطالب عبد الدايم.

٤. وآمنة، وهي والدة أسرة أهل سيدين بن الإمام.

وهي شقيقة سيد محمد وأمها: عيشة بنت سيد محمد (أحفضُّ) بن الطالب بن اعبيدي «أهل أحمد بن عيسى».

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة أحمد بن الطلبه
وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: في ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وشيوخه.

المبحث الثالث: في أدبه ونماذج من شعره.

المبحث الرابع: في ابتهالاته وأدعيته.

المبحث الخامس: في أبنائه.

المبحث السادس: في وفاته.

المبحث السابع
في وفاته

ظل العلامة محمد الحسن يقوم بنشاطه التعليمي حتى توفي رحمه الله في حدود أربعينات القرن الرابع عشر الهجري رحمه الله تعالى ودفن في (تامورت النعاج)غرب تگانت بموضع يسمى (لكديم) بكاف معقودة.

وإلى هنا تمت ترجمة العلامة: محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، ثم نتبعها بترجمة العلامة أحمد بن الطلبه في الفصل الآتي:

المبحث الأول
في ولادته ونشأته

ولد العلامة أحمد بن الطلبه في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، ونشأ في بيت علم ومجد عريق فوالده العلامة والشاعر محمد احمد بن الطلبة الكبير وأمه أم اعلام بنت أيد ألمين المرأة الماجدة التي مدحها العلامة أحمد بن أبات بأبيات جيدة في حكاية تقدمت في ترجمته وترجمة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أبات رحم الله الجميع، وقد تربى مدللا ومكرما حيث إنه الولد الوحيد عند أبويه، وقد درس العلم والأدب وهو شاب صغير كما سيتضح لنا من المبحث الآتي:

المبحث الثاني
في دراسته وشيوخه

درس العلامة أحمد بن الطلبه على والده وقد يكون أخذ عن العلامة الداد بن أبات وأخذ عن غيرهما من رجالات ذلك المحيط العلمي فقد كان يعيش في بيئة علمية فريدة، تلك البيئة التي كونها ووطدها العلامة أبات وحافظ عليها ونماها أبناؤه كما بين ذلك الشيخ الكبير سيد محمد بن بادي رحمه الله في قوله:

صـــارت لأبنائه مـن بـعـده خلقا　　　حراسها بالتقى لم تخش من جزع

وكان رحمه الله من رجالات العلم والأدب رضع ذلك من البيت الذي درج فيه ومن تربية والده الشاعر الكبير محمداحمد بن الطلبه وسنشير إلى نماذج من أشعاره في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في هديه ونماذج من شعره وأدبه

كان العلامة أحمد بن الطلبه رحمه الله رجلا عابدا ورعا، وكان مع ذلك مليحا يَضْحَكُ جلساؤُه من كل ما يقول،(١) وكان شاعرا وأديبا وكان يقول الشعر الفصيح والشعبي ويجيدهما، وقد قال الشعر في وقت مبكر من حياته، حتى إنه كان ربما ساجل والده في بعض قصائده وهو صغير السن جدا، ونورد هنا مثالا لذلك، فقد كان والده محمد احمد بن الطلبه يذم جنوب البلاد ويذكر أنها أرض كثيرة الأوبئة والسيول ولا تصلح للسكن وكان يظهر الإشفاق على سكانها، فيقول:

أرقــت لــبرق بــات يلمع بالشرق فحفظا لأهل الشرق من ذلك البرق
خليلي إن الــشرق أرض إذا هما بها الودق ضاقت بالعباد من الودق
أرض يظل بها المنهوم يملؤ شدقه ويـــاوي إلى خرقاء مالئة الشدق

إلى أن يقول:

فبيناهم مــلأى لــبانــا وطــابهــم وعيابهم مــلأى من الــزرع والنبق
إذا هم بحمى لا يــداوى عليلها فمن تبق تتركه بغيضا إذا تبقي

وكان يحب منطقة الخط ويثني عليها كثيرا، وهي منطقة صحراوية، فإذا بابنه الشاب أحمد بن الطلبه يعارضه ويذم الخط ويشفق على سكانه من القحط وقلة الطعام والحليب فيقول:

---

(١) واضح البرهان مصدر سابق: ٢٩.

يا ويح من كان هذا الخط منزله	بعد الخريف يخال الغبن وهو مغبون
فلا حبيب به يجنى ولا لبن	والمحل من قلة الأمطار مقرون
لذاك ضمنت هذا البيت منقلبا	معناه لا لفظه فاللفظ محسون
الخط يبقى زمانا بعد صاحبه	وصاحب الخط تحت الترب مدفون

وكان رحمه الله صاحب حس مرهف وعاطفة أدبية جياشة، ففي إحدى السنوات - وبعد أن نزح مع حيه عن أوطانهم، في شمال تكَانت إثر ذلك الجفاف الذي أشار إليه في أبياته السابقة - شاءت الأقدار أن يعود بعد أن تقدم به العمر إلى تلك الديار وهو في سفر بحث عن نوق من إبله ومعه مولى له يعاصره، فمرَّا بمنازل حيهم، فإذابها قد تغيرت آثارها وتبدلت أعلامها، وإذا بالمولى يقول له أترى هذا الحطب المركوم؟ هذه دوحة الطلاب التي كانوا يستظلون بها، وهذا منزل آل فلان وهذا منزل بني فلان، وإذا بالمناطق تتجمع فيها حراسات من الجيش الفرنسي إبان احتلاله للبلاد، وفوجئ بتغير كبير في المنطقة التي كان يعيش فيها مع آبائه وزملائه، فحن إلى تلك المنازل وأيامها، وبكى عليها بعاطفة صادقة، وأنشد أبياته المشهورة التي سارت بها الركبان، وغنى بها الأدباء والفنانون في عامة البلاد وهي قوله:

قد أيقظت دمن قفر مرابعها	تليد ماض الهوى ونائم الشجن
يا عين جودي بما قد كنت صائنة	من الدموع على رسوم ذي الدمن
فذي منازلنا وذي منازلنا	وذي منازلنا في سالف الزمن
فالعينُ فالنيرُ فانجيلانُ ياعجبا	صارت مراتع أهل البحر والسفن

وقد أخطأ خطئا فادحا من نسبها إلى غيره، فإن هذه الحكاية متواترة عندنا، والعهد قريب، فنحن عشنا مع ابنه الشيخ الفاضل محمد عبدالله بن الطلبه الذي توفي في حدود ١٤١٠ هـ.

وكان العلامة أحمد بن الطلبه رحمه الله أيضا يقول الشعر الشعبي ويجيده، فمن ذلك قوله في النسيب:

أكُّـــيَـــامَـــتْ لـــكْ وازْغَـــــيْرْ وَكْـــر انـــــزَاهَ والـــسَّـــافي[1]
وانْــــــــــورْزَكْ لــكـــوازْغَــيْرْ اخـــل كُـــون مْـــن الـــسَّـــافِي[2]

فهذا «الكاف» قد يكون بداية لمقطوعات شعرية (اطْلعْ) لكني لم أطلع عليها فلو وجدت ستكون رائعة جدا، وهو يدل على أن الرجل مقتدر في هذا المجال كما لا يخفى.

---

(١) «اكَيامت» اسم موضع في شمال تكَانت وكلمة «آزغير» في البيت الأول اسم موضع، وكذالك «السافي».

(٢) وكلمة «انورزكَ لكواز» اسم موضع وكلمة «السافي» في البيت الثاني: الرياح.

المبحث الرابع
في استسقائه وابتهالاته وأدعيته

كان رحمه الله رجلا ناسكا ورعا وله ابتهالات كثيرة في الاستسقاء أحيانا وفي غيره من الابتهالات المتنوعة، ومن استسقائه قوله:

يابـاني السـما بـلا عـماد   ومـاهـد الـتراب لـلعـباد
أدعـوك يـارب بـالاسـم الاعظم   وكـل آي في الـكـتاب المحكم
وكـل سـورة وكـل بسمله   وكـل وقـفة وكـل هيلله
وبـالملائـك والانـبـيـاء   والـنـقبا يـا سامـع الـدعـاء
لـك الـتجـاؤنـا مـن الـضراء   فـأبـدل الـضراء بـالسراء
ضـاعـت مـواشـينا بـذي الـبلاد   مـن شـدة المـحـل مـع الـتـماد
ولا سـبـيـل لـلـرحـيـل لأحـد   مـن شـدة الجـدب بـكـل مـا بلد
أرسـل لـنـا غيثا مغيثا ممرعا   حـتـى نـرى كـل مـسيل مترعا
وكـل واد مـزبـد تـيـاره   يـلـقـي عـلى أرجـائـه أشـجـاره
ضـفـدعـه تسبيحه بـكـل ليل   تخـالـه مـدارس الـشـيـخ خليل
يـكـسـو الـبـلاد كـلـهـا ملابسا   يـسرنـا مـن ظـهـرهـا بـعـد الأسـا
بجاه من بجاهه ترجى السحاب   أمَّـنَّـنـا يـوم الجـزا مـن الـعـذاب
محـمـد هـو ابـن عـبـدالله   محـمـد خـاتـم رسـل الله
صـلى عـلـيـه ربـنـا وسـلـما   وآلـه مـا دام فـوقـنـا الـسـما

ومن أدعيته وابتهالاته:

وله أدعية وابتهالات وفي بعضها يتوسل بأعضاء النبي ﷺ فيقول:

بجسد النبي عاف جسد … من كل ما نخاف طول الأبد
وبجنانه ياذا الإحسان … على الإيمان ثبتن جناني
واهد لساني لجواب الملكين … والشفتان اهدهما بالشفتين
وحل منطقي بكل نطقي … ونجني من الشقا والفسق
ومقلتاه بهما مستشف … من ذنب مقلتي يوم الرجف
وأنفه بيمنه اعتصمت … من شر ما بأنفي قد شممت
وبيدي خير الورى توسل … بما فعلت بيدي اغفره لي

إلى آخرها...

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى أن التوسل بعمل النبي ﷺ لاخلاف في جوازه، وأما غير ذلك فلا يخلوا من الخلاف، إلا أن إقرار النبي ﷺ أصحابه على التبرك بأجزاء جسده كشعره وريقه كما ثبت في الصحيح قد يستدل به على جواز التوسل بأعضائه ﷺ.

فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى مِنًى، فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ) (١)

قال النووي: وفي هذا الحديث عدة فوائد منها: التبرك بشعره ﷺ وَجَوَازُ اقْتِنَائِهِ لِلتَّبَرُّكِ. (٢)

---

(١) صحيح مسلم: (الحديث: ١٣٠٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩ / ٥٤).

وقد ثبت أن الصحابة تبركوا بشعره بعد وفاته ﷺ، ففي صحيح البخاري بسنده إلى عبدالله بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ - وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ (وهو أحد رواة الحديث)ثَلاَثَ أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ - فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ، فَاطَّلَعْتُ فِي الجُلْجُلِ، فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا[1].

وتبركوا كذلك بريقه - عليه الصلاة والسلام - وهو يراهم كما في حديث صلح الحديبية في صحيح البخاري وفيه قال: ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ - بن مسعود - جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ.[2]

قال ابن حجر: وَفِيهِ طَهَارَةُ النُّخَامَةِ، وَالتَّبَرُّكُ بِفَضَلَاتِ الصَّالِحِينَ الطَّاهِرَةِ انتهى[3].

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٥٨٩٦).

(٢) صحيح البخاري (الحديث: ٢٧٣١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥ / ٣٤١).

المبحث الخامس
في أبنائه

خلف رحمه الله أربعة أبناء وهم:

١. العلامة محمد احمد بن الطلبه الحفيد وستأتي ترجمته في الطبقة الرابعة.

٢. المصطفى.

٣. المختار، وأمهم لاله بنت الحضرمي.

٤. محمد عبدالله وأمه فاطمة بنت محمد عينين، وكان من أهل العلم والفضل.

الباب الثالث

في ترجمة الطبقة الثالثة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: في انتقالهم من شمال تكَانت إلى وسطها وجنوبها، وما قالوه في المناطق الجديدة من الأشعار وفيه عدة مباحث.

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة: محمد بن أحمد وفيه عدة مباحث.

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة: أحمد بن الداد وفيه عدة مباحث

المبحث السادس
في وفاته

عاش رحمه الله عمرا مديدا في العلم والعمل، وتوفي قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري ودفن في مقبرة «أغلنبيت» فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وبهذا تمت ترجمة العلامة أحمد بن الطلبه، وبها تمت تراجم الطبقة الثانية

ونبدؤ في تراجم الطبقة الثالثة في الباب الآتي:

الفصل الأول

في انتقالهم من شمال تـكَانت إلى وسطها وجنوبها، وما قالوه في المناطق الجديـدة من الأشعار وفيه ثلاثـة مباحث

المبحث الأول: في أسباب انتقالهم من شمال تـكَانت إلى وسطها وجنوبها.

المبحث الثاني: في طبيعة تلك المناطق الجديـدة وكيف كان سكناهم فيها.

المبحث الثالث: فيما قالوه فيها من الأشعار.

المبحث الأول
في أسباب انتقالهم من شمال تكَانت
إلى وسطها وجنوبها

كنا قدمنا في المبحث الحادي عشر من ترجمة العلامة أبات أنه انتقل من كصر البركة بعد نزوح أهلها عنها إلى شمال تكَانت، وبدايات الخط، وظل أحفاده يسكنون في تلك المناطق عشرات السنين، وقد ذكرنا بعضا من أشعارهم فيها، في المبحث المذكور، وفي أخريات أيام الطبقة الثانية بدأوا في النزوح عنها نتيجة الجفاف والقحط الذي تتابع عليها عدة سنوات، ويشهد لذلك شعر العلامة أحمد بن الطلبه المتقدم الذي يقول فيه:

يا ويح من كان هذا الخط منزله … بعد الخريف يخال الغبن وهو مغبون
فلا حبيب به يجنى ولا لبن … والمحل من قلة الأمطار مقرون

...إلخ ومما يدل على أن نزوحهم من الشمال تم في أخريات فترة الطبقة الثانية هو أن علماء هذه الطبقة دفنوا كلهم قريبا من وسط تكَانت، فنجد كلا من العلامة أحمد بن أبات، وأحمد بن الطلبه مدفونا في مقبرة «أغلنبيت»، ونجد العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن مدفونا جنوب ذلك، في (لكديم) بتامورت النعاج، كما قدمنا ذلك في تراجمهم.

ويدل شعر العلامة أحمد بن الطلبه - كما قلنا - على أن نزوحهم كان بسبب ضغط الجفاف وقلة الأمطار لأن اعتمادهم كان على الثروة الحيوانية، فلا بد

من الانتقال بها إلى أماكن رعوية، وإن كانت نفوسهم لا تزال تحن إلى الوطن القديم، ويتضح ذلك من خلال أبياته المشهورة التي يقول فيها:

قـد أيقظت دمـن قفر مرابعها تليد مـاض الهـوى ونائم الشجن

إلى آخرها...

وقد ذكرناها قريبا في ترجمته رحمه الله.

والحنين إلى الأوطان القديمة التي ينتزعها القدر بعامل الجفاف والقحط من أيدي أصحابها معروف مشهور، فهذا العلامة الأديب سيدي محمد بن الشيخ سيدي يقول في بئرهم «ميمونة السعدى»:

لعمرك ما ترتاب ميمونة السعدى بأنا تركنا السعي في أمرها عمدا
سـوى أننا كـنا عبـيد مشيئة ولا عار في أن يعجز السيد العبدا
فليس علينا أن يسـاعدنا القضا ولكن علينا أننا نبذل الجهدا
ألم تـر أنـا قـد رعينا عهـودها على حين لا يرعى سوانا لها عهدا
حبسنا عليها وهي جدب سوامنا فما صدنا السعدان عنها ولا صدا
ويظعن عنها الناس حال انتجاعهم ولم ننتجع برقا يلوح ولا رعـدا
وإذ غدرت فانفض من كان حولها وفينا فلم نغدر ولم نخلف الوعدا
فجئنا لهـا حـتى ضربـنا قبابنا على نجدها الميمون أكرم به نجدا
ومـرجـع سـانيـهـا جعلنا مخيما لئلا نصون الشيب عنها ولا المردا

إلى أن يقول:

بهـــذا تـــرى مـيـمـونـة أن تركنا لها لم يكن منا اختيارا ولا زهدا
عـلى أنـنـا والأمـــر عـنـا مغيب ولله مــا أخـفـى ولله مـا أبـدا
مـن الله نـرجـوا أن ييسر أمرها ويجعل بعد النحس طالعها سعدا
فــيرأب مـثـئـاهـا ويجـــبر كسرها ويبقيها ميمونة كاسمها سعدى[1]

وهذا المعنى كثير في أشعار العرب وأيامها، فلا نطيل به.

ثم نشير إلى المناطق الجديدة التي بدأوا يسكنونها من وسط تكَانت، وكيف كانت طبيعة سكناهم فيها في المبحث الآتي:

(١) الوسيط مصدر سابق ص: ٢٦٨ - ٢٦٩.

المبحث الثاني
في طبيعة تلك المناطق الجديدة
وكيف كان سكناهم فيها

لما منعهم الجفاف من الرجوع إلى مناطقهم القديمة وبدأوا في انتجاع وارتياد المكان الملائم لهم، شاء الله تعالى أن ينزل معظم القبيلة منطقة من وسط تكَانت تعتبر من أصعب مناطقها وأعقدها تضاريس، وهي منطقة القنيزر (آقنيزير) والمريفق وما بينهما من الأودية والشعاب، وبعضهم سكن منطقة (لعديلات) في جنوب تكَانت، وقد كنت أتعجب كيف تم اختيارهم لأرض القنيزر وما حولها دون غيرها، وكيف اختارها الله تعالى لتكون موضعا لنشر العلم والدين؟

فلما منَّ الله تعالى علي بالحج، ودخلت منطقة الحرم المكي، والتي هي أشرف مكان على وجه الأرض، ورأيت كثرة جبالها وشعابها وتضاريسها الوعرة، قلت: لعله يكون لمثل هذه التضاريس الوعرة والأماكن الجبلية، سر لا يعلمه إلا الله تعالى!

المبحث الثالث
فيما قالوه فيها من الأشعار

من طبيعة العربي الأصيل، المتشبث بالحضارة الإسلامية وأدبها العربي العريق، أن تُرى بصماته على كل منطقة وطئتها قدمه، فيخلد ذكرها في أشعاره، فتجده يشتاق إليها، ويذكرها في مناسبات مختلفة، وفي هذا الإطار نذكر أن هذه المناطق التي هي في وسط تكَانت أوالتي في جنوبها، وجدناها مذكورة في أشعار هؤلاء القوم، وهي تتكون أساسا من المناطق التاية:

القنيزر وهو بالدارجة (المكان الجبلي الذي تتخلله الشعاب)

تِيزَوَازْ وهو بالدارجة: (المكان الجبلي الذي يجري فيه الماء) ولعلها سميت بذلك للروافد والأنهار الجبلية التي تنزل منها، وإلا فهي منطقة مستوية ومرتفعة جدا، ومناخها طيب.

البوجه (وهي المكان المنخفض الهادئ) [1]

المريفق (وهو الوادي المنحني)

«كَيْمَلْ» وهي أضاة عميقة بين الجبال لا تنضب أبدا مهما تطاولت سنوات القحط والجدب، فهي بذلك معلم سياحي جميل، وتلجأ الناس والحيوانات إليها عندما تجف جميع منابع المياه في المنطقة. وهي جزء من وادي المريفق المذكور قبل.

---

(١) ومنه قولهم: فلان ما يبوج أي ما يتحرك.

العديلات وهي: الأماكن المرتفعة فوق الجبال، وهي تقع في جنوب تكَانت.

وهذه المواضع سنراها في الأبيات الشعرية التالية:

يقول الشاعر الأديب الشيخ بن سيد عبدالله في القنيزر:

ربـع الـقـنـيـزر مـربـع الأعـيـان	قـوم أفـاضـل طـيـلـة الأزمـان

إلى أن يقول:

نهج الشريعة في الـزمـان مرامنا	شـأن لـنـا فـلـنـعـمـه مـن شـان
حـل الـمـشـاكـل لـلأنـام طريقنا	تـاتي الـوفـود لـنـا مـن الـبـلـدان
ثـم اشـتـغـال شبابنا في عـصره	درس الـعـلـوم بـه مـع الـقـرآن
تلفى المشايخ بالمساجد ركعا	مـن كـل شـيـخ خـائـف نـشـوان
يخشى الإلـه بـلـيـلـه ونهـاره	لا يـنـثـنـي عـن ذاك للبطلان
قـول الإلـه ﴿وَقَرْنَ﴾ نهج نسائنا	لا يـنـثـنـين لحـادث الـشـيـطـان

إلى آخرها...

ويقول الشاعر الأديب أحمد بن جدام في وادي القنيزر أيضا:

عـج بالنياق لـدى جـو القنيرير	تـطـوي المـوامـي بـإدلاج وتبكير
لعل ترحالها إن كنت زاجرها	يـدني لك اليوم بطحاء القنيزير

ويقول رحمه الله فيه أيضا وفي (تيزواز) لما اعتدى الدببة والأسود على بقرات له فجعل يذم المنطقة لكثرة أسودها ممازحا لزملائه:

أرض «القنيزر» جنب صاحب البادي	و«تـيـزواز» وهـادهـا والانـجـاد
لهـا سُراة جـنـوح الليل ضارية	ذئـب ونـمـر كـذاك أطـلـس عاد
إن يأت فيها الدجى من كان مطرفا	يلقى الضواري بين الفرد والنادي

إلى أن يقول:

ألا قل لحاد يسوق الإبل قاصدها ... هلا اختشيت ضرارا أيها الحادي
تلك الأريضة[1] لا مرعى يجر لها ... لأن أطلسها يهوي إلى الزاد
مابينها والودي ذي القريظ فلا ... سقته يوما روايا الوابل الغادي
لولا اتخاذ كرام الناس مسكنها ... لكنت أبعد عنها أي إبعاد

فأجابه زميله تلميذهم العلامة الأديب محمد بن الجيلي بن محم بوسيف الكنتي مساجلا له بقوله:

فدى القنيزر ما في الأرض من وادي ... وفدفد وعظام الشم الاطواد
كأنما كهفه حيطان من إرم ... وطعم مياهه أحلى من الجادي
لازا ل يهمي به جون رواعده ... أصواتهن كهزم المقرم الطادي[2]
إن كنت ثاويه فكن على حذر ... من أن تبدله بغيل أو واد
أو كنت في غيره فاقصده ممتطيا ... لجلعد في رؤوس الأكم وخاد
تطوي به شاحطات الفيف مصطبرا ... على الدؤوب ولا تقلع عن اسعاد[3]
إني مساعد من يدعوا إليه وما ... عندي لداع إلى غيرٍ من اسعاد
أبكي مرابعه إن غبت عنه مع الـ ... ـحمام فيها الألى بأيكها الشادي.

وساجله أيضا زميله الشيخ الكبير الأديب سيد محمد بن بادي وأجاد:

سقى القنيزر مغنى الشم الاسياد ... كل ملث غزير رائح غاد

(١) الأريضة بفتح الهمزة وكسر الراء: الأرض المعجبة للعين الخليقة بالخير. وبضم الهمزة وفتح الراء تصغير أرض.

(٢) الهزم: الصوت الشديد، والمقرم: الفحل من الإبل الذي يعفى من الركوب، والطادي: الذي له سنام كالطود وهو الجبل.

(٣) الشاحطات البعيدات، والفيف: المكان المستوي.

وانٍ يجر فويق الأرض هيدبه ... فراج هم الحزين اللائح الصادي
جون الغمامة تمتد الشعاب به ... من كل نبت بهي ناعم ناد
يكسي «القليبات» وشيا من مناسجه ... يلقي البرود على «المنفوش» والوادي
يعطي «الزميميل» من مرعى مثاربها ... حتى يسر بذك الراتع البادي
يلقي البعاع بـ «فرع الرِّجل» ريقه ... و«تيزواز» وهادها والانجاد
تلك الأريضة لا أهوى المقام بها ... لولا الأجلة أهل خارق العادي
حماة دين النبي أهل ملته ... يا حبذا أهل ذاك الخاتم الهادي
إن صد وارد علم أم غيرهم ... فواردوا علمهم ليسوا بصداد
ياآل أبات لا زلتم يساعدكم ... رب العباد بإسعاد فإسعاد
وقاكم من شرور الساكنات بها ... وكل حي مضر ساكن عادي

ويقول الشاعر أحمد بن جد ام في القنيزر وفي البوج:

مغنى لمية هاج الهم والخبلا ... أمسى به دمع عين الصب منهملا
مغنى لدى وادي «القُنَيْزِر» لم تدع ... ذواري الصبا من ربعه طللا
ومنزلا قد بدا بـ «البُوجَ» لوعة من ... لذكر مية مشتاقا بها ثملا
تلك الديار التي حينا وقفت بها ... أمست منازلها من ميها عطلا

إلى آخر تلك القصيدة الرائعة.

ويقول الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله في (المريفق):

لدى عدوتي وادي المريفق ما بقي ... بعينيك من دمع تصون ولا تقي
وفي ملتقى الأسيال ربع عهدته ... سبيخة ذي الأراك جنب المريفق

و يقول الشاعر أحمد بن جد ام رحمه الله في (كيمل)

لقد حان شرب الناس من كل منهل ... وأصعب شيء شرب آضاة كيمل

ونجده رحمه الله في استسقائه ذكر معظم المناطق التي كانوا يسكنونها عموما، سواء كانت في شمال تكَانت أو في وسطها أوجنوبها، فيقول:

يارب هيئ لنا وابلا ياتي ... بعد الهدو وآت بالعشيات
مرخى الجوانح لم تبرح رواعده ... سحا تجاوب أصواتا بأصوات
ينهل فوق ربى «خيران» مرتكما ... حتى يجول على «الزرق القليبات»[1]
ما إن يغادر ظبيا حل ساحتها ... ولا الضباب ب«أفواه الوديات»[2]
له شآبيب لا تنفك ساقية ... بعد الوديات أشجار «العديلات»[3]
وتنثني حول «وادي الفج» تاركة ... ربط الأمير مزالا حلف أشتات[4]
ما ذا على الله لو أهدى المربات ... تلقي على الأرض أثواب الدجنات
يلقين غيثا هزيم الرعد بارقه ... تخاله الصبح ثاو تحت مشكاة
ينهل فوق ربيات «الحريث» فما ... يبقين رينا بها تلك الربيات[5]
فلما حدى المزن حاديه قلت له ... «هضب النعاميَ» سواق المربات[6]

ويذكر الشاعر أحمدو بن حرمه كثيرا من تلك المواضع قائلا:

تحية الود مني والمحبات ... دورَ العشيرة آل القطب أبات
حيث القنيزر والمريفق اتسما ... بدور حي العلوم والأُخوات
وتيزواز وهادُها وأنجدهُا ... للحي دور ودور بالثنيات

---

(١) أي القليبات الزرق، وهي في وادي القنيزر.
(٢) أفواه الوديات هي مناطق في شمال تكَانت، وقد تقدمت الإشارة إليها في مبحث وصايا العلامة أبات رحمه الله.
(٣) العديلات هي مناطقهم في جنوب تكَانت.
(٤) الفج: وادي في جنوب تكَانت، وربط الأمير هو: سد الأمير عبد الرحمن بن بكار في وادي دابر أو كهميت.
(٥) الحريث: منطقة عند وادي المريفق.
(٦) هي هضبة النعاميه وهي في شمال تكَانت، وعندها مدفن لبعض علماء أهل ابات وصلحائهم.

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة محمد بن أحمدبن أبات
وفيه ستة عشر مبحثا

المبحث الأول: في ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في شيوخه ودراسته للعلم.

المبحث الثالث: في عصره الذي عاش فيه ومكانته العلمية والسياسية.

المبحث الرابع: في مؤلفاته وإنتاجه العلمي.

المبحث الخامس: في ردوده العلمية على معاصريه (رده على لمرابط اباه في تحريم الشاي).

المبحث السادس: في رده على الشيخ سيد المختار بن أحمد الهادي في مسألة (المعية).

المبحث السابع: في فقهه ونماذج من فتاواه.

المثال الأول: فتواه في مسألة العضل.

المثال الثاني: فتواه في سلم العبيد بعد منع المستعمر من بيعهم في رسالة أرسلها إلى لمرابط بن أحمد زيدان.

المبحث الثامن: في علاقته بأمراء منطقته.

المبحث التاسع: في علاقته بإمارة إدوعيش

(علاقته بالأميرالحسين بن بكار)

المبحث العاشر: علاقته بزعماء قبيلة كنته.

(علاقته بالزعيم: سيد امحمد بن أحمد شيخ (أبناء سيد حيبلله)

المبحث الحادي عشر: في علاقته بزعماء الوافيين (أولاد سيد الوافي)

(علاقته بالزعيم «اج» بن محمد محمود)

المبحث الثاني عشر: في كرمه وإنفاقه في سبيل الله.

المبحث الثالث عشر: في هديه وخشوعه وشعره الوعظي.

المبحث الرابع عشر: في تلاميذته.

المبحث الخامس عشر: في أبنائه.

المبحث السادس عشر: في وفاته ومكان قبره ومراثيه

ووادَيِ البوج واحمرتلْم كم عهدوا ... دورا ومرتفعات السيل تـارات
وملتقاها وذات الرجل مشرقها ... مـنـازل الحـي ظلت مستمرات
لهـم مـنـازل بـالـظـهـريـن[1] آونـة ... والخـط أخـرى وأفـواه الـوديـات
ورب صيف بتيفركَكَ مشربُه ... من كيمل رغم تلكم الصعوبات
قضوا بذا عشرات الدهر تسعدهم ... يـد الـزمـان لـدى شتى المجالات

وهكذا نرى هذه المناطق قد خلد ذكرها في هذه الأشعار مما يدل على أن المدرسة الأدبية كانت حاضرة في محظرة أهل ابات المشهورة بالفقه والنحو أساسا، وسنرى في الفصلين الآتيين عملاقين من هذه المحظرة، يمثل أحدهما المدرسة الفقهية وهو العلامة محمد بن أحمد، ويمثل الآخر المدرسة النحوية، وهو سيبويه زمانه العلامة أحمد ابن الداد رحمهم الله تعالى فلننتقل إلى الفصل الأول الذي ستتم فيه ترجمة العلامة محمد بن أحمد بعون الله تعالى:

(١) المراد بالظهرين: ظهر إكَجران، وظهر إكَاطن وهما: موضعان في شمال تكَانت.

المبحث الأول
في ولادته ونشأته

هو العلامة الجليل محمد بن أحمد بن أبات، ولد رحمه الله سنة: ١٢٩٠ هجرية، وأبوه العلامة الجليل أحمد بن أبات الذي تقدمت ترجمته في الطبقة الثانية، وأمه أم المؤمنين بنت سيد احمد بن أحمد محمود بن المختار، من فخذ (أهل احمد انعيسى) الجكني[(١)].

ونشأ في حجر والده فتربى تربية دينية وعلمية من نوع خاص، وكان والده معجبا به لما رأى فيه من الذكاء وجودة القريحة، وصفات السؤدد بجميع أنواعها، مما جعله يتبوأ مكانة عالية في مجتمعه وهو شاب صغير، وسنرى كيف كان أخذه للعلم في المبحث الآتي:

(١) تقدم التعريف بهم في بداية ترجمة العلامة أحمد بن أبات في الطبقة الثانية.

المبحث الثاني
في شيوخه ودراسته للعلم

أخذ العلامة محمد بن أحمد جميع العلوم الشرعية على والده العلامة أحمد بن أبات ولا نعلم أنه أخذ شيئا عن غيره، كما هي عادة هذه الأسرة فكانوا لا يأخذون العلم إلا من محظرتهم إذ لا داعي للسفر إلى خارجها والعلوم كلها تدرس فيها بإتقان، وقد برع في العلوم الشرعية في وقت وجيز حتى كان بعض الناس من أبناء عمه يستغرب أمره، كيف ومتى حصل هذا العلم. والله يؤتي فضله من يشاء.

فقرأ علوم العربية والفقه والأصول والمنطق وبرع في كل ذلك، ومن نظر في كتاباته تبين له سعة اطلاعه وتمكنه من هذه العلوم، مما جعله يحتل مكانة عالية في عصره والعلماء إذ ذاك متوافرون كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في عصره الذي عاش فيه
ومكانته العلمية والسياسية

عاش العلامة محمد رحمه الله في فترة مضطربة من الناحية السياسية والأمنية حيث إنه عاصر فترة احتلال الفرنسيين للبلد وما صاحب ذلك من الجهاد العسكري والثقافي ضد المستعمر، ولكن التعليم الشرعي كان في أوج ازدهاره في كثير من مناطق البلاد في تلك الفترة.

ولما استتب الأمر للفرنسيين بدأ العلماء يتعاطون مع الوضع الجديد، وحتى كان بعضهم يفضله على الفترة التي سبقته والتي كانت تتسم بالفوضى وقلة الأمن على المال والأنفس[1].

وبدأ بعض العلماء في الاتصال بالمستعمر الفرنسيى والزمرة التي تحكم معه البلد ليشاركوا في صنع القرار نوعا ما، أوعلى الأقل للتخفيف من وطأة الظلم والتعسف الذي كان هو طابع تلك المرحلة.

ومن هؤلاء العلماء العلامة محمد رحمه الله، مع زهده وورعه، إلا أن الرجل كما يقول من عرفوه، كان عبقريا نافذ البصيرة يتمتع بحنكة سياسية قل نظيرها، وقد كان رحمه الله هو القاضي الذي يرجع إليه في المسائل الكبار في منطقة تكَانت وما جاورها من ولايتي لبراكنة ولعصابة، مما جعل حكام المستعمر يستدعونه دائما في ولاية تجكجك ليستشيروه في القضايا المستعصية عليهم، كما يتضح ذلك

(١) ومن هؤلاء العلامة: باب بن الشيخ سيدي رحمه الله.

من الكتابات الفرنسية التي توجد بقاياها في مكتبته، فقد سمعت ابنه العلامة شيخنا محمد ابات رحمه الله غير مرة يقول، إنه كان كثيرا ما يعثر على الرسائل الفرنسية إليه يكتبون فيها «إلى السيد القاضي محمد بن أحمد: مدعوٌّ..».

ولما توفي أذيع نبؤ وفاته في العاصمة الفرنسية باريس، لمكانته العلمية والدينية وحله للمشاكل المستعصية(١).

وقدأخبرني بعض الثقات أن أحد المشائخ الكبار في جنوب البلاد جاءته مسألة مستعصية، فقال للسائل هذه المسألة لا ينفعك فيها إلا العلامة محمد بن أحمد بن أبات، في تكَانت، وقد اُرِيتُ أنه اقترب أجله فأسرعْ إليه ولا أراك تدركه، وفعلا توفي قبل وصول الرجل إليه(٢).

وبالجملة فقد كان العلامة محمد رحمه الله رجلا كاملا بما في الكلمة من معنى، قالوا ما جالسه أحد أو رآه إلا أعجب به من أي طبقات المجتمع كان، فإن جاءه الزهاد رأوا رجلا أزهد منهم وأورع وأقل كلاما وأكثر عبادة وخشية لله، وإن جاءه الملوك والسياسيون رأوا ملكا مهابا نافذا وسياسيا محنكا، وإن جاءه الفقهاء أو كاتبوه وجدوا فقيها ماهرا وأصوليا يغوص إلى الأعماق، ومنطقيا بارعا واضح الحجج، يرد على معاصريه كثيرا بكلام موجز للغاية، ويقنعهم بالحجج الواضحة فيرجعون إليه، قالوا: وما ردت له فتوى أبدا في حياته، وإن جاء أهل الدنيا والأموال وجدوا رجلا صاحب ثروة عظيمة يدبرها بخبرة فائقة، وهو ينفقها آناء الليل وأطراف النهار في سبيل الله.

وكان طلابه الكبار يشيدون به ويتيهون به، وفي هذ الإطار نذكر ما كتبه عنه تلميذه الجليل العلامة: أبات بن محمد عبد الدايم فقد كتب عنه – في مناسبة سيأتي ذكرها في ترجمته أي العلامة أبات – ما يلي:

(١) هذه الحكاية مشهورة عند أهل تكَانت عموما وسمعناها من مشائخنا غير مرة.

(٢) سمعت هذه الحكاية من ثقات منهم الرجل الفاضل الاقظف بن محمد عبد الرحمن الجكني.

«وشيخنا محمد قد أعطي غاية الغايات، من كل علم وفضل، وإنصاف وعدل، ورأَيْنَا فيه ذكاء إياس، وعدل عمر بن عبد العزيز، وعلم مالك.

لَـيْـسَ عَـلى اللهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ   أَن يَجْـمـع الـعـالَمَ فى واحِـــدِ[1]

ما أغنى مادحه عن الإكثار، والمفاخِر به عن الافتخار، على أنه أحق بالفخر المقبول، وأولى به ممن يقول:

أَولَـئِـكَ آبَـائِـي فَجِئنِي بِمِثْلِهِمْ   إِذَا جَمَعتنا يَـا جَـريـرُ المجَامِعُ[2]

واعلم أيها الناظر أن هذا قليل من كثير علمته من مناقب هذا الشيخ»[3]

قلت: لا يخفى ما تحمله هذه الكلمات من الثناء العظيم، وقد قال تلميذه الآخر العلامة الأديب: محمد بن بيدر في رثائه له:

هـو الـبـدر والبحر المؤثـل موجه   فغص تخـرج الـدرر الثمين المنظما
عـلا همـم المعـروف طفلا ولم يزل   إذا هـم في شـأن المـكـارم صمما
فلله قـــــــوم دونهم كان جُنَّة   وقرما وسيفا في الخطوب مقوما
فأصبح حـال الـدهـر ينشد بعده   وأحسن في ذا القصد بيتا تقدما
فـما كـان قيس موته مـوت واحـد   ولـكـنـه بـنـيـان قـوم تهـدما

ومع هذا كان رحمه الله في غاية التواضع، فيقال إن ابن عمه محمد محمود بن عبدالله الملقب: (امود) وكان رجلا صالحا له كرامات ثابتة، وكان أكبر سنا من العلامة محمد فقد عاش مع والده العلامة أحمد فترة من عمره ، قال له يوما يا محمد أنت تضيق علينا في الفتاوى جدا، إنا كنا مع والدك العلامة أحمد فكان يوسع علينا.

---

(١) هذا البيت لأبي نواس، انظر شرح ديوان المتنبي للعكبري (١ / ٣٣٦).

(٢) البيت للفرزدق همام بن غالب من قصيدة يفاخر بها جريرا وهي من أحسن شعره وأروعه، وسنذكر أبياتا منها عند ذكر هذه الكتابة في ترجمة العلامة أبات بن محمد عبد الدايم.

(٣) نقلته من خط العلامة أبات رحمه الله من مخطوط بحوزتي.

فقال العلامة محمد: هذا صحيح، إن الوالد أحمد رحمه الله رجل عالم، وأنا لا أقول إلا ما أعرفه[١].

وبالجملة فقد رزقه الله القبول عند الخاصة والعامة، وانتقل ذلك إلى طلابه فكانوا في قبائلهم يحظون بالاحترام والإجلال وسأذكر لذلك مثالين:

المثال الأول: كان الشاعر الكبير والأديب العملاق محمد الأمين بن ختار الجكني رجلا دانت له الدنيا، والناس تهابه للمواهب التي رزقه الله إياها، وكان صاحب زهو وفخر، ولا يرى أن أحدا يدانيه، فكان في مجلسه ربما يُدَخِّنُ - عفا الله عنه - بحضور من هو أكبر منه سنا من أبناء عمه، فقيل له: ألا توقر أبناء عمك؟، فقال: أيطمع أحد من هؤلاء أن أوقره؟ لا والله، إلا ما كان من فلان وفلان فنَعَمْ فإنهما من طلاب محمد بن أحمد ابن أبات، فيستحقون علي الإجلال والتعظيم.[٢].

المثال الثاني: ما حكاه الشيخ محمد الحسن بن دحان[٣] الجكني رحمه الله قال: حججت في إحدى السنوات صحبة كل من محفوظ بن محمد عبدالله[٤]،

---

(١) سمعت هذه الحكاية من شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله.

(٢) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد بن محمد محمود وهو سمعها من زميله بن ختار هذا رحمهما الله تعالى.

(٣) هو الشيخ الكبير محمد الحسن بن محمد بن دحان الجكني الأشفغي أخذ العلم عن علماء عصره، وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ أحمد أبي المعالي التاكاطي، وكان رجلا قويا في دينه صارما في الحق، توفي رحمه الله في حدود سنة: ١٤٢٣ هجرية.

(٤) هو الرجل الفاضل محفوظ بن محمد عبدالله (ابيده) الجكني الأشفغي (أهل بلبات) أخذ العلم عن العلامة محمد بن أحمد بن أبات، وكان من أغنياء عصره، ومن أهل العلم والفضل، فكان من رجال الدنيا والآخرة، وهو خال والدنا العلامة أحمد، إذهو أخو والدته: مريم الملقبة (ميَّ) بنت محمد عبدالله توفي محفوظ رحمه الله سنة ١٣٨٩ أو ١٣٩٠ هجرية.

والمصطفى بن محمد بن عبد الرحمن[1]، الجكنيين وهما من طلاب العلامة محمد، فلما وصلنا المدينة المنورة أتانا بعض الإخوة الشناقطة وبدأوا يسألوننا – كعادتهم – عن بعض الأمور المتعلقة بالعقائد والتصوف، بطريقة غير مؤدبة، فقلت لهم اسمعوا:

هذان الرجلان أخذا عن العلامة محمد بن أحمد بن أبات أمور دينهما، فلن يحيدا عما أخذا عنه قيد أنملة، فلا طمع فيهما، وهما مع ذلك من أغنياء البلد، فلا تضيعوا وقتكم فيهما، ولكن التفتوا إلي فانا صاحبكم، فبهت الحاضرون لذلك وتوقفت تلك النقاشات تماما، وكان الشيخ محمد الحسن هذا رجلا ربانيا وصارما وصريحا، وصاحب أجوبة مسكتة، فرحم الله الجميع.[2]

وقد كان أئمة السلف إذا أخذ أحدهم عمن اشتهر بالعلم والفضل ذُكَرَ بذلك، وكانت مفخرة له ولطلابه، ولهذا قال يحيى بن حسن:

كتبت يوماً عن مالك ثمانية أحاديث فسررت بها سروراً كثيراً.

وقال بشر الحافي: حدثنا مالك، وأستغفر الله، إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك[3].

فسبحان الموفق لا رب سواه.

---

(١) هو الرجل الفاضل المصطفى بن محمد بن عبد الرحمن الجكني الأشفغي، أخذ العلم عن العلامة محمد بن أحمد بن أبات، وكان من أغنياء عصره وحكمائه، وله همة عالية في طلب العلم، فقد أخبرني شيخنا العلامة محمدابات أنه كان حريصا على حضور دروس العلامة محمد محمود بن أحمد، قال: فلا يكاد يقرأ طالب متنا إلا بحضوره، لحرصه على طلب العلم، فهو بذلك يكون طالبا للعلامة محمد محمود أيضا، وكان يتيه بشيوخه هؤلاء فكان يقول: إن أشياخنا أهل احمد بن أبات لم نتعلم منهم من أمور الدين أكثر مما تعلمنا من أمور الدنيا، فعلمونا الدين والدنيا معا. توفي رحمه الله في حدود سنة ١٤٠٣ هجرية.

(٢) سمعت هذه الحكاية من طلاب الشيخ محمد الحسن وذويه.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٢ / ٣٥).

المبحث الرابع
في مؤلفاته وإنتاجه العلمي

كان العلامة محمد رجلا كثير الأعمال وكان أكثر وقته مشتغلا بالتدريس، فكان يجلس للطلاب بعد الفجر إلى أن ينعدم الظل قبل الزوال، ويجلس لهم آخر النهار إلى بعد العصر، ثم يتحرك ليتفقد أوضاع الثروة االحيوانية ويتبعه بعض الطلاب وبأيديهم ألواحهم، ثم يجلس لهم جزءا كبيرا من الليل(١).

فمثل هذا لا يجد فرصة للتأليف، لكنه رحمه الله ألف في مواضيع بحاجة إلى التأليف، وكان من أوائل مؤلفاته:

١. شرحه لنظم والده في العقيدة فقد أمره أن يشرحه ففعل فلما أكمله وعرضه عليه قال أسهبت فيه ولم تختصر.

٢. ومنها تأليفه في إباحة الشاي ردا به على الفقهاء الذين ألفوا في تحريمه.

٣. ردود شعرية على بعض معاصريه، كرده على الشيخ سيد المختار بن أحمد الهادي في مسألة معية الذات.

٤. فتاواه الكثيرة في المواضيع الشائكة(٢).

وسنرى نماذج منها في المبحث السابع إن شاء الله تعالى.

(١) سمعت ذلك من الرجل الفاضل محمدو بن الطالب محمد وهو ممن أدركه.

(٢) المنارة والرباط مصدر سابق: ٥٨٤ ومشكاة المهاد مصدر سابق: ١١٤- ١١٥.

المبحث الخامس
في ردوده العلمية على معاصريه
(رده على لمرابط اباه [1] في تحريمه للشاي)

من الطبيعي في العالِم المشهور المورود الذي يعيش في بيئة علمية يتوافر فيها العلماء، أن تكون له ردود علمية على بعضهم، لاختلاف وجهات النظر والاجتهاد في المسائل المستجدة، وفي هذا الإطار نجد أن العلامة محمد رحمه الله حصل له الشيء الكثير من ذلك مع بعض معاصريه وسنورد هنا مثالين لذلك:

المثال الأول: ما حصل بينه وبين العلامة الجليل لمرابط اباه بن محمد الامين اللمتوني في مسألة أتاي (الشاي) حيث ألف لمرابط اباه رسالة في تحريمه، ومعه آخرون، وأفتى العلامة محمد بإباحته، قالوا لما جاءه كتاب العلامة اباه ليسلم ما فيه، كتب بجنبه كلمة مختصرة قال فيها:

أما بعد فالظاهر لنا أن الشراب المسمى أتاي مباح والله تعالى أعلم. محمد بن أحمد ابن أبات.

(١) هو العلامة الجليل لمرابط إبراهيم الملقب اباه بن محمد الامين اللمتوني أخذ العلم عن الشيخ محمد بن محمد سيد الجكني (أهل الطالب محم) وعن العلامة عبد السلام بن عبد الجليل العلوي وغيرهما من علماء عصره، وكانت محظرته في آفطوط من أكبر المحاظر وتخرجت منها أعداد كبيرة من العلماء، له مؤلفات منها نظم «الفردوس» في الفقه وهو يقع في اثني عشر ألف بيت (جمع فيه نظم أوضح المسالك لمحمد عبدالله بن يحظيه الكناني، ونظم نوازل عبدالله بن أحمد بن الحاج الغلاوي، ونظم الشيخ محمد العاقب بن مايابى الجكني لنوازل سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي، ونظم التلخيص للجعفري، ونظم بن أحمدُّ فال التندغي) ومن مؤلفاته: شرح نظم المغيلي في المنطق وله غير ذلك. توفي رحمه الله سنة ١٣٨٠ هجرية. المجموعة الكبرى ص ٢٢.

فكتب إليه لمرابط اباه رسالة يقول فيها:

أما بعد: فما رددت به إلينا فلا ينهض حجة وليس هو مما تعاطاه العلماء من قبلنا، وإنما كان العالم يأتي بدليل من نفسه، أو يسلم ويكتفي بدليل صاحبه. إبراهيم الملقب اباه بن محمد الامين.

فكتب العلامة محمد كتابه المشهور في إباحة الشاي وناقش فيه أدلة العلامة اباه مناقشة علمية دقيقة، تدل على تمكنه في كافة العلوم الشرعية ودقته، يقول في أوله:

وبعد: فيقول الفقير إلى مولاه: محمد بن أحمد بن أبات: لما نظرت في تأليف إبراهيم (اباه) بن محمد الأمين اللمتوني على تحريم أتاي فإذا هو جازانا الله وإياه كل خير، ووقانا وإياه كل ضير، قد حرم أتاي لثلاثة أسباب:

أحدها: دخوله في حد الميسر.

والثاني: شبهه بالخمر صورة واستعمالا.

والثالث: وجود عوارض كثيرة صرح العلماء بتحريم كلما وجدت فيه.

فأقول - والله أعلم -: أن الدليلين الأولين فيهما بحث عندي.

أما الدليل الأول وهو: دخوله في حد الميسر في تعريف الشيخ سيد المختار(١)، فالظاهر عندي والمتعين أن يحمل تعريفه على أهل الخصوص العارفين الفانين القائمين عن أنفَسهم وعن علومهم وعن أعمالهم وأحوالهم فهم قائمون بالله قد تولى الله أمرهم، فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لأنهم لم يروا أنفسهم عمالا لها، وإذا ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل.

(١) يشير إلى تعريف الشيخ سيد المختار الكنتي رحمه الله للميسر حيث قال:(كل ما صرفت فيه دنياك وصرفك عن مولاك ولم تقم به بنيتك فهو ميسر).

إلى أن يقول:

فلعل الشيخ إذا سئل عن هذا في مقام الاستفتاء لأفتى بأنه غير ميسر، لأنا إن قلنا أن تعريفه هذا شامل للعامة والخاصة كان غير مانع، فإن الأطعمة التي لا تقوم بها البنية المشتراة وجدت فيها الأوصاف التي هي شغل عن الله تعالى، فإن الدنيا كلها شاغلة لأنها إحدى العوائق الأربع [1] إلا للأولياء الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، وموافقة الهوى وصرف الدنيا فيها وعدم قيام البنية وهي مباحة قطعا، وشرط المعرف الاطراد ولانعكاس قال (الأخضري في السلم):

وشرط كل أن يرى مطردا منعكسا وظاهرا لا أبعدا[2]

والشرط يلزم من عدمه العدم قال (في مراقي السعود):

ولازم من انعدام الشرط عدم مشروط لدى ذي الضبط[3]

مع أن كلام الشيخ هذا في باب القضايا وإن كان متضمنا للتعريف فإنه عبر بقضية كلية حاكمة على كل فرد اجتمعت فيه هذه الأوصاف بأنه ميسر، والتعريف إنما يكون للحقيقة وهي فرد والكلية أفرادها جزئياتها، ويعترض على الكلية بعدم صحة الحكم في جميع جزئياتها حاكمة على كل فرد، ويعترض على هذه القضية بما تقدم، فحمل كلام الشيخ هذا على أهل الخصوص أولى بل هو المتعين عندي ليسلم من الاعتراض.

إلى أن يقول:

---

(١) العوائق الأربع هي: ١- الشيطان ٢- الدنيا ٣- النفس ٤- الهوى.

(٢) شرح البناني للسلم ص ١٠٤.

(٣) نشر البنود على مراقي السعود ١/ ٣٥.

وقول جامعه [1] في مبحث الحد: فلا يلزم من إباحة كل بانفراده... إلى أن قال: فلا يلزم من الحكم على الأخص كالإنسان مثلا بتكليف، الحكم على الأعم كالحيوان والجسم..:

فيه نظر، بل الحكم على الإنسان يستلزم الحكم على الحيوان لأن الإنسان ملزوم للحيوانية، وثبوت الملزوم يستلزم ثبوت اللازم، وثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم.

فالأولى أن يقول: فلا يلزم من الحكم على الأعم الذي هو الجزء بالإباحة مثلا، الحكم به على الأخص الذي هو الكل، لأن جزئية الكل لازم له، والكل ملزوم، وثبوت الملزوم لا يستلزم ثبوت اللازم، فلا يلزم من صدق الحيوان صدق الإنسان.

فيقال: لا يلزم من إباحة الماء والورق مثلا إباحة اجتماع الجميع لأن الكل إذا انتفي جزؤه انتفى كله، لأن الجزء لازم والكل ملزوم، وبانتفاء اللازم الذي هو الماء والورق ينتفي الملزوم الذي هو الجميع[2].

وإذا بان مما تقدم، أنه لا يجوز جعله ميسرا فيما يظهر إلا بالنسبة لأهل الخصوص تعين حمل الميسر على ما فسره به المفسرون من أنه القمار، وكذا أهل اللغة.

إلى أن يقول أيضا:

وأما السبب الثاني: الذي هو شبهه بالخمر صورة واستعمالا

فلا يبعد عندي أن يكون شبيها به لما ساقه من أشعار العرب لكن في هذا القياس من حيث هو لا بد أن تكون علة الحكم موجودة بتمامها في الفرع لأن

---

(١) يعني لمرابط اباه رحمه الله.

(٢) هذا مبحث من أدق وأصعب مباحث المنطق، وينظر في شروح السلم، وإيساغوجي وغيرهما.

بثبوتها في الأصل يثبت الحكم وبانتفائها ينتفي الحكم، والحكم ثابت بها قال في المراقي:

.... والحكم ثابت بها فاتبع[١]

وهي ركن من أركان القياس، فبانتفائها ينتفي القياس لأن بانتفاء ركن من أركان الماهية تنتفي.

قال في مراقي السعود:

وجود جامع به متمما *.. إلخ [٢].

ومن المعلوم أن علة تحريم الخمر الإسكار، والإسكار غير موجود في أتاي كما هو معروف عند شربته، وليست علة الخمر صورته حتى يقاس عليها أتاي، والعلة هي السبب وبانعدام سبب التحريم الذي هو الإسكار ينعدم المسبب الذي هو التحريم في الخمر قال في مراقي السعود:

كسبب وذا الوجود لازم *.. إلخ [٣]

فكيف يقاس فرع على أصل لم يشارك الفرع الأصل في علة تحريمه، ففي هذا القياس القدح بمنع وجود علة الأصل أي المقيس عليه في الفرع، قال في مراقي السعود:

من القوادح كما في النقل   منع وجود علة للأصل[٤]

(١) نشر البنود مصدر سابق ٢/ ١٢٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١١٧.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٣٤.

ونص الفقهاء على أن الخمر إذا زال عنه الإسكار بتخليل أو غيره زالت نجاسته وحرمة أكله، فيقتضي قياس شبه أتاي على صورة الخمر وانتفاء الإسكار عنه، إباحة أتاي لتشابهها في الصورة وفي انتفاء الإسكار من كل، فهذا قادح يسمى بالقلب، وهو إثبات نقيض الحكم بعين العلة، قال في مراقي السعود:[1]

والقلب إثبات الذي الحكم نقض   بالوصف والقدح به لا يعترض[1]

ويعترض به على جميع الأدلة.

واعلم أن قياس الشبه لا يصار إليه إلا عند عدم إمكان غيره، وإذا أمكن غيره من المناسب بالذات وجب تركه بإجماع أهل الأصول قال في مراقي السعود: [2]

وحيثما أمكن قيس العلة   فتركه بالاتفاق أثبت[1]

وقد تتبع الأدلة كلها مبينا أنها لا تصمد أمام التمحيص والنقاش العلمي[3].

فرحم الله الجميع.

وقد أخبرني شيخنا العلامة محمد شيخنا بن لمرابط اباه أن والده ارتضى ما كتبه العلامة محمد رحمه الله، قال وشربناه بحضرته وشربه ضيوفه في بيته بإذنه.

قلت: وهذا هو شأن العلماء العاملين فإذا تبين لأحدهم الحق رجع إليه، ولا يتعصب لقوله لأن هدفهم هو البحث عن الحق ثم اتباعه.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢١٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٩٠.

(٣) طبعت هذه الرسالة طباعة أولية وهي تقع في حدود عشرين صفحة.

وكان الأمير عبد الرحمن بن بكار يأمر أن يقرأ هذا الكتاب في مجلسه لإعجابه به وبمؤلفه، رحمهما الله تعالى[1].

وهذا الكتاب قد قرظه ابن أخيه الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله بأبيات يقول فيها:

أراك نطقت بالكلم الفصيح ... وقد أبرزت بالفهم الصحيح
مخدرة شفت ما من عليل ... وذا ظمإ بمنطقها المليح
وقد برهنت يا بحر العلوم ... لها بالآي والنص الصريح
جزاك جزاك مولاك الر ... حيم بتوفيق وتنوير الضريح
سقى الرحمن قبرك صوب مزن ... غزير السكب سحساح[2] دلوح[3]

(١) سمعت هذا من الفقيه الجليل سيدا حمد بن عبد الدايم رحمه الله.

(٢) المطر السحْساح: الذي يَصب صبا شديداً، ومنه قول امرئ القيس في معلقته:

فأضحى يَسُحُّ المَاء من كلِّ فِيْقَة ... يَكُبَّ على الأذقان دَوحَ الكَنَهْبَلِ.

(٣) السحابة الدلوح: المثقلة بالماءِ.

المبحث السادس
في رده على الشيخ سيد المختار بن أحمد الهادي[1]
في مسألة المعية

لقد أثيرت في أيام العلامة محمد رحمه الله مسألة المعية بالذات، وقد أرسل إليه الشيخ سيد المختار بن أحمد بن الهادي أبياتا تحمل سؤالا في مسألة معية الله تعالى للمخلوقات هل هي بعلمه أم بذاته، وقد كان الشيخ سيد المختار يرى أنها بالذات كشيخه سيد المختار بن عبد الجليل التندغي، ومعهما في ذلك ثلة قليلة من العلماء، بينما عارضهم في ذلك جماهير العلماء في البلد، فمنهم من رد بمنثور كالشيخ أحمد أبي المعالى التاكاطي رحمه الله[2]، ومنهم من رد بمنظوم كالعلامة محمد رحمه الله، وإليك أبيات السؤال وهي:

أبيات السؤال:

يـا مـنـكـرا لمـعـيـة لإلـــه لنا	أجـب عساك تفوز صاح بالرشد
هل ذات ربي مع الأكـوان حاضرة	أم هــي غـائـبـة حــدث ولا تـزد
إن قلت غائبة ووصـفـهـا معنا	قد رمت حصرا لذات الواحد الأحد
ورمـت إبعاد من بالقرب متصف	هيهات ما رمته في الواحد الأحد[3]

(١) هو الشيخ سيد المختار بن أحمد بن الهادي اللمتوني من الأسرة العلمية المعروفة بالعلم والفضل، أخذ عن سيد المختار بن عبد الجليل التندغي وكان متأثرا به في مسألة المعية هذه، عاش رحمه الله عمرا طويلا وتوفي في بداية القرن الخامس عشر الهجري.
مقابلة مع الأستاذ الفاضل: أحمدبابُ بن أحمدبابُ التمدكي.

(٢) ولدي نسخة من مؤلفه وهو كتاب نفيس.

(٣) انظر التحفة السنية، في شرح أبيات المعية للعلامة محمد محمود بن أحمد بتحقيقنا ص: ٣٠ -٣٣.

فمضمون هذه الأبيات يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: سؤاله عن الله جل جلاله هل هو حاضر بذاته مع الكائنات أم هو غائب؟ وإلى هذا أشار بقوله:

هل ذات ربي مع الأكوان حاضرة … أم هي غائبة حدث ولا تزد

الأمر الثاني: افتراض جواب للسؤال المتقدم، ثم اعتراضه، فقد قال في الجواب المفترض: إن قلت: أن الله عز وجل غائب بذاته حاضر بصفته أي علمه، فقد يلزم من ذلك أمران مستحيلان:

أحدهما: انفصال الصفة عن الذات.

والثاني: إبعاد من بالقرب متصف،وهو الله عز وجل، فإنه قد وصف نفسه بالقرب من مخلوقاته في آيات كثيرة من كتابه.

وإلى هذا أشار بقوله:

إن قلت غائبة ووصفها معنا.. البيتين

ثم استبعد ذلك قائلا:

هيهات ما رمته في الواحد الأحد

أبيات الجواب:

فأجابه العلامة محمد رحمه الله بقوله:

الذات والوصف لا بالكون قد جمعا … والنص فاحمل على ما لاق بالصمد

تعلق العلم بالأكوان كلهم … معنى المعية ذا لدى أولي الرشد

فالانكشاف هو المراد فارض بذا … فدونك الحق لا تنقص ولا تزد

فالاجتماع والافتراق كلها … معنى الحدوث بلا شك ولا فند

حاشا كمال الإله أن يحل به ... وصف الحدوث عسى يمن بالمدد

فلا تحل مع الأكوان منزلة ... ولا تمر بها الأزمان في الأبد

كنه الإله فنزه لا يحاط به ... لا يعرف الله إلا الله لا تحد

وقد تناول العلامة محمد رحمه الله في جوابه هذا عدة مسائل نوجزها في خمس نقاط:

النقطة الأولى بين فيها أن الصفة لا تفترق مع الذات، ولكن لا يلزم من اجتماعهما في أنفسهما، اجتماعهما في الكون، ويحمل النص في المعية على ما يليق بالله تعالى من كونه بائنا من خلقه وهو معهم بعلمه وإلى هذا أشار بقوله:

الذات والوصف لا بالكون قد جمعا ... والنص فاحمل على ما لاق بالصمد

النقطة الثانية بين فيها أن تعلق العلم بالأكوان هو معنى المعية، ثم ذكر أن هذا التعلق يعرف عند علماء العقيدة بالانكشاف، وعرفوه بأنه: «صفة أزلية تتعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفاء» وإلى هذا أشار بقوله:

تعلق العلم بالأكوان كلهم ... معنى المعية ذا لدى أولي الرشد

فالانكشاف هو المراد فارض بذا ... فدونك الحق لا تنقص ولا تزد

النقطة الثالثة بين فيها أن الاجتماع والافتراق الذين وقع السؤال عنهما، كلاهما من صفات الحوادث، فلا ينبغي افتراضهما في ذات الله عز وجل، لأنه تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ وإلى هذا أشار بقوله:

فالاجتماع والافتراق كلهما ... معنى الحدوث بلا شك ولا فند

النقطة الرابعة بين فيها أن القول بمعية الله تعالى بذاته للكون يلزم منه حلول ذاته سبحانه وتعالى في الأمكنة وأن تمر بها الأزمنة، وتعالى الله عز وجل عن ذلك، وإلى هذا أشار بقوله:

فلا تحل مع الأكوان منزلة ... ولا تمر بها الأزمان في الأبد

النقطة الخامسة بين فيها وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وأن كيفية اتصافه عز وجل بصفاته، وكيفية تعلق هذه الصفات بالمخلوقات، لا يعلم كنه ذلك إلا الله عز وجل فيجب على المسلم أن يتمسك بذلك وأن لا يحيد عنه، لئلا يقع في التشبيه أو التعطيل وكلاهما ضلال، نسأل الله التوفيق والسداد، وإلى هذا أشار بقوله:

كنه الإله فنزه لا يحاط به ... لا يعرف الله إلا الله لا تحد

فقد استوفى الموضوع كاملا بهذه الأبيات السبعة على وجه الاختصار، وقد أخبرني القاضي والفقيه الشيخ عبد الدايم بن الشيخ أحمد أبي المعالي أن والده الشيخ أحمد، لما وصلته هذه الأبيات استحسنها وقال: سبحان الله، كل ما كتبنا لخصه العلامة محمد من قبلنا في هذه الأبيات. [1]

وهذه الأبيات شرحها أخوه العلامة محمد محمود شرحا وافيا وكان لا يزال مخطوطا، وقد قمت مؤخرا بالتقديم له والتعليق عليه، وطبعه طباعة أولية. فرحمهم الله جميعا.

(١) حدثني بهذا سنة: ١٤٣٢ هـ بمدينة الدوحة.

المبحث السابع
في فقهه ونماذج من فتاواه

(المثال الأول: فتواه في مسألة العضل):

كان العلامة محمد رحمه الله من العلماء الذين ترد إليهم الفتاوى من كل الجهات وخصوصا في المسائل المستعصية، فيجيب عليها بتوفيق الله تعالى الجواب الشافي بلغة واضحة وبأسلوب علمي رصين، وكان رحمه الله فقيها متمكنا دقيق النظر، حتى إنه ليأخذ المسألة من نصوص فقهية ما كان الفقهاء يظنون أنها تؤخذ منها لعمق نظره وبعد غوره، هذا مع عدم التكلف ومع التواضع وقلة الكلام، وسنورد هنا مثالين من فتاواه الكثيرة ليرى القارئ عن قرب ما كنا نشير إليه:

المثال الأول:

جاءه رجل من أرض القبلة (غرب البلاد) ولديه مسألة اختلفت فيها الفتاوى، وهي أن رجلا منع ابنته المجبرة من الزواج إلا من أسرة معينة، فأفتى الكثير من العلماء بأن الأب له الحق في ذلك، ويستدلون بقول خليل:

«ولا يعضل أب بكرا برد متكرر حتى يتحقق»[1].

فتحرك خال البنت في الموضوع وطاف بكثير من الفقهاء ثم سافر إلى العلامة محمد، فلما قدم عليه وجده بين طلابه، وكان رحمه الله إذا أتته مسألة عرضها على كبار طلابه ليدربهم على حل المسائل، فلما سمع الرجل ذلك قال:

(١) مختصر خليل (ص: ٩٧) و الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي (٢ / ٢٣٢).

يا شيخ أنا جئتك من مسافة كذا وكذا، أتراني أريد قول هؤلاء أكلة العيش؟ إنما جئت لقولك أنت، فتبسم العلامة محمد، ثم لما سمع أجوبة طلابه، قال لهم: انظروا قول خليل في باب الطلاق: «لا إن عم النساء أو أبقى قليلا»[١].

ومعنى هذا النص أن الرجل إذا حلف بالطلاق أنه إن تزوج أي امرأة فإنها تصبح طالقا، فإنه لا يلزمه الطلاق، وكذلك إذا أبقى قليلا فإن القليل ملحق بالعدم، كقوله: كل امرأة أتزوجها طالق إلا من القرية الفلانية وهي صغيرة، لأن تبقية ذلك القليل تنزل منزلة التعميم.

فأخذ العلامة محمد هذا النص من باب أيمان الطلاق لمسألة من باب الزواج وعضل الأولياء، وقال بأن هذا الرجل مادام ربط زواج ابنته بأسرة معينة قليلة، فكأنه ربط زواجها بالعدم، وحينئذ فللقاضي أو من ينوب عنه زواجها دون إذن الأب، وطاف الرجل بتلك الفتوى فتتابع على تسليمها العلماء.[٢]

فانظر رحمك الله إلى هذا الأخذ الدقيق، والغوص العميق، والنظر السديد.

المثال الثاني: فتواه في سَلَم العبيد بعد منع المستعمر من بيعهم في رسالة أرسلها إلى لمرابط ابن أحمد زيدان:

وهي رسالة أرسلها إلى العلامة: محمد الامين بن أحمد زيدان يسأله فيها عن مسألة شائكة في تلك الفترة، ثم أفاد الجواب عنها بطريق موجز ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله وحده، وبعد فمن كاتبه سلام ألذ من الشهد، وأذكى من الوصال بعد الصد، تنفصم من رياه السلام، ويقصر عنه مصفى العسل كصافيه، إلى مجدد رسم الدين بعد التوى، ومؤيده بامتثال الأوامر واجتناب الهوى.

---

(١) مختصر خليل (ص: ١١٥) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٢ / ٣٧٣).

(٢) سمعنا هذا من مشايخنا رحمهم الله غير مرة. ولم أعثر على نص الفتوى حتى الآن.

أعني: محمد الأمين بن أحمد زيدان، سقانا الله وإياه سحائب الرضوان، موجبه إليك أن تجيبنا في مسألة أشكل أمرها لكثرة اضطراب الأقوال فيها، وهي:

سلم الناس في هذا العام الماضي في العبيد، فمنهم من أسلم قبل العلم بمنع بيع العبيد، ومنهم من أسلم بعده، فهل هذا البيع يفسخ مطلقا سواء حصل العلم بمنع بيع العبيد قبل العقد أو بعده، وإذا حصل الفوات هل يمضي أم لا؟ وهل الفوات يعتبر في رأس المال أو لا يعتبر إلا في المسلم فيه؟

أجيبوا بما يشفي الصدور يوم تبلى السرائر. قال:

وأنت أبو عذر العويص إذا نبا　　　شبا كل فهم دونه وتثلما

فإن الذي أظهر الله لنا: أن من أسلم قبل العلم بمنع العبيد فعقده صحيح لأن من ترتب له في ذمة آخر دين ثم حدث انعدام المسلم فيه أو منعه فإن عقده صحيح وتلزم القيمة كما يعلم ذلك من قول خليل: «وإن بطلت فلوس فالمثل أو عدمت فالقيمة»[1] .

وأما إن علما بمنع العبيد فمعلوم أن قصد المتعاقدين قيمة أمة، وإن كانا قد قالا أنهما متعاقدان على أمة، لأن القصد يقدم على اللفظ كما هو مقرر في محله[2]، فصار عقدهما جزئية من جزئيات بيع السلعة بالقيمة وهي فيها الخلاف، فقد ذكره عبد الباقي والخرشي قبل قوله: «واغتفر غرر يسير.. [3]». وينبني على الخلاف الإمضاء بعد الفوات، خليل: «فإن فات مضى المختلف

---

(١) مختصر خليل (ص: ١٤٧) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٣/ ٤٥).

(٢) ومن جزئيات ذلك قول خليل في باب فرائض الصلاة،» وإن تخالفا فالعقد «انظر شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٢٦٦):

والأصل في ذلك حديث إنما الأعمال بالنيات... متفق عليه.

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي (٥/ ٧٥).

فيه بالثمن...»[1].

وأما الفوات فلم أر نصا صريحا في ذلك هل يعتبر في المسلم فيه وحده أو يعتبر في رأس المال، والذي يظهر أنه متى وقع فوات في رأس المال يكفي، وبيان ذلك أنهم يقولون فإن فات المبيع، والمبيع لفظ عام لأنه معرف بأل قال في مراقي السعود: [2]

.... وما معرفا بأل قد وجدا[2]

فيشمل فوات العوضين، وفوات أحدهما سواء كان رأس المال وحده أو المسلم فيه أو غيرهما من السلع، لأن اللفظ إذا عم يعم الأفراد والأزمنة والأمكنة، والأحوال، قال في مراقي السعود: [3]

ويلزم العموم في الزمان ... والحال للأفراد والمكان[3]

بل لو صرحوا بأن الفوات يعتبر في المسلم فيه وحده لحملناه على الذي يطلقون عليه السلم عادة لأن الغالب عندهم رأس المال يكون عينا، لأن اللفظ يحمل على ما يطلق عليه عرفا، قال: [4]

واللفظ محمول على الشرعي ... إن لم يكن فمطلق العرفي[4]

اللهم إلا أن يصرحوا بأن رأس المال إذا كان عرضا لا يعتبر، والسلام كما بدأ يعود.

محمد بن أحمد بن أبات[5].

---

(١) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٣/ ٧١).

(٢) نشر البنود ١/ ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ١ / ١٢٨.

(٥) نقلت هذه الرسالة من خطه رحمه الله.

فلما وصلت هذه الرسالة إلى العلامة لمرابط بن أحمد زيدان أعجب بها كثيرا وسلم ما فيها، وكان ذلك في فترة شباب العلامة محمد وبعد وفاة أبيه العلامة أحمد، الذي كان معاصرا لابن أحمد زيدان، والذي جرت بينه وبينه معارضات ومكاتبات وعلاقات من نوع خاص تقدمت الإشارة إليها في ترجمة العلامة أحمد.

فرحم الله الجميع وأثابهم على ما قدموا.

المبحث الثامن
في علاقته بأمراء منطقته

كانت للعلامة محمد بن أحمد علاقات وطيدة بأمراء منطقته كأمراء إدوعيش وشيوخ قبيلة كنته، بل لا نُعَد مبالغين إن قلنا إنه كان هو الشخصية الوحيدة المؤثرة في منطقة تكَانت على نطاق واسع، ويشهد لذلك ما روي عن الرجل القوي والأديب: سيد محمد بن الكصري الكنتي، وقد قدم من أرض القبلة على أبناء عمه في تكَانت فضايقوه وهموا بإخراجه من منطقتهم، وضاقت به الأرض بما رحبت.

ففزع إلى العلامة محمد فتدخل في موضوعه وكلم فيه شيوخ (أولاد سيد حيبلله) بقيادة الرجل القوي: سيد امحمد بن أحمد وقال: لهم لا نوافقكم على هذا، بل نرفضه، ولا يمكنكم أن تطردوا هذا الرجل، ولكن اقطعوا له قطعة من الأرض يسكن فيها، فاستجاب لذلك سيد امحمد وقال: نعم، أوصانا ءاباؤنا وأجدادنا ألا نخالفكم في أمر أردتموه، فقطعوا له منطقة (اعوينت كركد) فكان هذا الرجل بعد ذلك يقول: «إن تكَانت فيها شخص واحد، وشُخَيْص «فأما الشخص فالعلامة محمد بن أحمد، وأما الشخيص فهو شخيص (بلنيار)، وهو صخرة طويلة في رأس جبل يسمونه (آرويكيج بلنيار) وهذا من بلاغة هذا الرجل وطرافة أسلوبه[1].

(١) هذه الحكاية مشهورة عند العامة وسمعناها من الثقات غير مرة.

قلت: ولعل أحفاده أهل باب أحمد، لو قرأوا هذه الواقعة وعرفوا أهميتها بالنسبة لهم، لما ضايقوا أهل ابات في وادي المريفق، ولعلموا أنه لولا أهل أبات لما استقر جدهم في المنطقة أصلا.

والمحافظة على عهود الآباء أمر بها النبي ﷺ، وهي من شيمة الكرماء.

فعن عبدالله بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عبدالله بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عبدالله، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عبدالله: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ) رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم الحديث (٢٥٥٢).

المبحث التاسع
في علاقته بإمارة إدوعيش

علاقته بالأميرالحسين بن بكار:

كانت العلاقة بين أمراء إدوعيش وأهل أبات علاقات وطيدة ومتوارثة عن الأجداد من أيام الأمير محمد بن امحمد شين، والعلامة أبات وقد تقدم إيضاح ذلك في المبحث الخامس من ترجمة العلامة أبات بما في ذلك علاقة الأمير بكار بأهل أبات وخصوصا في أيام العلامة أحمد بن أبات فلينظر هناك.

وسنورد هنا حكاية جرت للعلامة محمد بن أحمد مع الأمير الحسين بن بكار.

فقد كان العلامة محمد رحمه الله رجلا جادا قليل الكلام، لا يتكلم إلا في أمر مهم، بكلام مختصر مفيد، وكان رجلا نافذا، والأمراء في فترته يخضعون له ويستعينون به في أمورهم، وقد أدرك أواخر فترة الأمير بكار وقد التقى به في بعض المناسبات وأعجب به، ثم عاش فترة مع ابنه الأمير الحسين بن بكار، وكانت العلاقات بينهما وطيدة كسلفهما.

وفي إحدى السنوات كان الأمير الحسين يريد أن ينفذ أمرا مَّا، تجاه حي من أتباع كنته وهو في تلك الفترة في أحضان إدوعيش، ويريد فتوى شرعية يستند إليها في ذلك، فأرسل إلى العلامة محمد، ليزوده بذلك السند الشرعي، وهو الشيء الذي لم يتحقق كما سنرى، وملخص هذه الرسالة على رواية اعْلِي بن بكار، وهو يحكي للوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله إذ يقول:

أرسلني أخي الحسين بن بكار إلى عمك محمد بن أحمد، وكان رجلا لا يبالي بالبشر، فلا والله ما رأيت رجلا مثله.

فجئت إليه برسالة الحسين وهو يقول فيها: «نريدك أن تكتب لنا أن الحي الفلاني مُلكٌ لَنا».

قال: فلما أبلغته الرسالة، رأيت كراهية ذلك في وجهه، قال فمكثت عنده ليلتين، فما وجدت منه غير ثلاث كلمات:

الأولى: قال لي: ما ذا يريد منهم؟

الثانية: قلت له ما ذا أقول للحسين؟ فقال لي: قل له: لا حاجة له بهم.

الثالثة: لما هممت بالذهاب وأعدت عليه السؤال قال لي: قل له: الحر يذهب حيث شاء.

فرجعت إلى الحسين بهذه الكلمات الثلاث، وأنا ممتلئ من هيبة الرجل والإعجاب به.

وفعلا كان هذا من النصح في الدين الذي أُخِذ على العلماء العهد بالقيام به، وهو أيضا من جزئيات تلك البنود التي قامت عليها العهود بين علماء أهل أبات، وأمراء إدوعيش، وقد أبرمت تلك العهود بين العلامة أبات والأمير محمد بن امحمد شين، واستمرت بعد ذلك، والأحفاد يحافظون عليها جيلا بعد جيل، وقد ذكرنا في ترجمة العلامة أبات تفاصيل تلك العهود، ونعيد هنا ما كتبناه هناك من بنود تلك المعاهدة وهو كالتالي:

«وكان من بين بنود تلك العلاقة أن يكون أحفاد الأمير في خدمة أحفاد العلامة أبات، وأن من أخل منهم بذلك تسقط درجته ويصغر شأنه ويتلاشى أمره، وقد جرب ذلك فيما بعد، والله غالب على أمره.

ومن بنودها كذلك أن يكون أحفاد العلامة أبات يُسْدون النصح والإرشاد لأحفاد الأمير، ويوجهونهم إلى ما يرضي الله تعالى، ويساندونهم بالدعاء في الأزمات والظروف الحالكة». [1]

وهذا الإرشاد الذي أسداه العلامة محمد للأمير الحسين يجيء في هذا السياق الذي أشرنا إليه، من تلك العهود المتوارثة عن الأجداد.

وسنرى أمثلة منها في ترجمة كل من: العلامة محمد محمود بن أحمد، والعلامة حميد بن الغوث، وشيخنا العلامة محمد أبات بن محمد، وما جرى لكل منهم مع الأمير عبد الرحمن بن بكار، وأيضا العلامة محمد أبات مع الأمير عثمان بن عبد الرحمن وإخوته، رحم الله الجميع رحمة واسعة.

(١) انظر صفحة ١١٣- ١١٤ من هذا الكتاب.

المبحث العاشر
علاقته بزعماء قبيلة كنته

(علاقته بالزعيم: سيد امحمد بن أحمد، شيخ (أبناء سيد حيبلله):

كانت علاقة علماء أهل أبات وقادتهم بزعماء أبناء سيد حيبلله ضاربة في الجذور، يتضح ذلك من خلال ما تقدم في ترجمة العلامة أبات، لما استقدمه أجداد أولئك الزعماء من أرض آفطوط، وقطعوا على أنفسهم عهودا له، باحتضانه هو واحتضان محظرته وأبنائه ومن معهم، واطمأن العلامة أبات لتلك العهود، وقدم معهم تاركا مسقط رأسه والأرض التي كان يعيش فيها مع أخواله الكرام تاكاط، وقد وفى القوم بما تعهدوا به تماما.

وحافظت على هذه العلاقات أجيال محترمة من الفريقين، وقد تقدم إيضاح ذلك في ترجمة العلامة أبات، وتمت الإشارة إلى نماذج مهمة من ذلك في ترجمة ابنه العلامة أحمد.

وفي أيام العلامة محمد بن أحمد هذا، والأمير سيد امحمد وصلت العلاقات بينهما إلى درجات عالية، حتى إن العلامة محمد يتدخل في المواضيع الحساسة لدى سيدامحمد، مثل قضية سيد محمد ابن الكصري، الذي كان سيد امحمد يرفض استقراره بالبلد، فإذا بالعلامة محمد يتدخل، وسرعان ما غير الزعيم سيد امحمد رأيه في الموضوع،كما تقدم قريبا. والمتأمل في علاقات الرجلين يجزم بأن الحواجز قد أزيلت بينهما ونضرب لذلك ثلاثة أمثلة:

المثال الأول:

ما جاء أن الزعيم سيد امحمد بن أحمد أرسل في إحدى السنوات إلى العلامة محمد رسولا يقول له: نريد من عندكم جلدا نغشي به الطبل.

وفي الصباح يأمر العلامة محمد للرسول بثور أحمر عملاق، ويقول للرسول: بلغ سيد امحمد السلام وقل له إني لأعلم أن الثور الأبيض أو الأصفر أفضل لتجليد الطبل، ولكن هذا هو المتاح.

ولا يخفى على أحد أن الأمير سيد امحمد لا يعوزه جلد يغشي به الطبل، وهو يملك نصف تكَانت وأهم مناطقها، ولكنه للتبرك والتيمن بجلد منسوب إلى ذلك البيت الطاهر المعروف بالفضل والورع، ليكون هدير ذلك الطبل مُفْزِعا للصوص والأعداء، ومفرحا للإخوة والأصدقاء.

وغني عن القول أن هذا الطبل ليس للهو واللعب، وما كان للعلامة محمد وهو الرجل الورع الخاشع الجاد، أن تكون له يد في اللهو واللعب، ومعاذ الله، بل هو رمز للقوة والجد والصرامة، ومن المعروف أنه كان لا يضرب إلا عند الأوقات الحرجة، التي يصبح فيها الأمن القومي مهددا، أو عند الإنذار بأن الحرب الشرسة قد اندلعت أو كادت.

فهو الطبل الذي ضرب لنصرة العلامة أحمد بن أبات ومن معه في واقعة الرشيد التي تقدمت في المبحث الثامن من ترجمته.[١]

المثال الثاني:

هو ما جاء أن الزعيم: سيد امحمد هذا أرسل إلى العلامة محمد أن يرسل ناسا لجمع المُدِّ الذي كان فرضه جده سيد احمد بن أحمد للعلامة أبات على

(١) انظر الصفحة: ٣١٦، ٣١٨ من هذا الكتاب.

جميع المزارعين، توطيدا للعلاقات المتوارثة عن الأجداد، لكن العلامة محمد رفض ذلك ورد عليه بأنه لن يلزم المزارعين بشيء، وأن ذلك كان من الزعيم سيد احمد للعلامة أبات، ثم قال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:١٣٤] الآية. ومن تلك الفترة ترك أبناء أبات الأخذ من أولئك المزارعين اقتداء بتوجيه العلامة محمد رحمه الله.

المثال الثالث:

في هذه الفترة ينزل العلامة محمد وادي القنيزر، (آقنيزير) ويبدأ في إحيائه هو وعماله وجماعته، على مرأى ومسمع من الأمير سيد احمد، ذلك الرجل القوي الذي لا يترك ذبابة تنزل في أرضه إلا بإذن منه، حتى إنه ليريد أن يطرد أبناء عمه، لكنه والحالة هذه يسره أن يرى العلامة محمد ومن معه من أهل أبات يحيون في أرضه، بل يتمنى أن يطلبوا منه المساعدة في عملية الإحياء، ذلك لأن العلاقات بين القوم كانت من نوع خاص، حتى إن الحواجز كما قلنا قد أزيلت تماما بينهما، لأن أجدادهم عاشوا في ظل علاقات ممتازة للغاية عبر عدة طبقات، وستظل بعون الله كذلك.

وإنما كان شيوخ القبائل يتحرجون من استيطان الغرباء في أرضهم قبل اختبارهم بدقة، لمعرفتهم بعواقب الأيام، مخافة أن يزرعوا لأحفادهم من يزعجهم، أو يثير لهم المشاكل والقلاقل، وهم في غنى عن ذلك. والشاعر يقول:

أَبْـلُ الـرجـالَ إذا أردتَ إخاءهم ... وتـوسَّـمَـنَّ فَـعَـالهـم وتـفـقَّـدِ
فـإذا ظفرتَ بـذي الأمانة والتُّقى ... فَبِهِ اليَدَيْنِ قريرَ عَـيْنٍ فـاشْـدُدِ[1]

فإذا عرف القوم بحسن الأخلاق وطيب الأصل وكرم النفوس، تركوا وما

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١ / ٢٥).

أرادوا، لأنك إذا أكرمت الكريم ملكته، وقد أحسن المتنبي إذ يقول:

إذا أنـت أكرمت الكريم ملكته وإن أنـت أكرمت اللئيم تمـرّدا[1]

ويقول الآخر:

إنّ الكـرام إذا ما أسهلوا ذكـروا من كان يألفهم في المنزل الخشن[2]

وعلى العكس من ذلك، اللئيم فإنه يجب الحذر منه والحزم في التعاطي معه، فقد قال الشافعي رحمه الله: أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام، أي الإحسان إليهم[3].

ويقول بعض الحكماء في وصيته لابنه:

وضَعْ يا بني الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعَنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكرك ويرصدك بالمكافأة، وإن اللئيم يحسب ذلك حتماً، ويؤول أمرك معه إلى الندامة. وقد قال الشاعر:

إذا أولـيـتَ مـعـروفـاً لئيماً فـعـدَّك قـد قـتـلـتَ لـه قتيلا
فـعُـدْ مـن ذاك مـعـتـذراً إليه وقـلْ إني أتـيـتـك مستقيلا
فـإن تـغـفـر فـمـجـترمٌ عظيمٌ وإن عـاقـبـت لم تـظـلـم فتيلا
وإن أولـيـت ذلـك ذا وفـاءٍ فـقـد أودعـتـه شـكـراً طـويـلا[4]

وقال يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبة حلم؟ قال: ما حلمت عن لئيم وإن كان وليا إلا أعقبني ندما، ولا أقدمت على كريم وإن كان عدوا إلا

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري (١ / ١٦٦).

(٢) القائل هو دعبل الخزاعي انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٣/ ٢٦).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢ / ٢٣٥).

(٤) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١ / ٢٨).

أعقبني أسفا. قال شاعر:

متى تضع الكرامة في لئيم … فإنّك قد أسأت إلى الكرامه
وقد ذهبت صنيعته ضياعا … وكان جزاء فاعلها النّدامه[1]

وهذه حكم ثابتة في البشر، لا تتبدل ولا تتغير.

أسأل الله أن يجعلنا من الكرام، وأن يقينا شر اللئام.

ثم نشير إلى علاقة العلامة محمد بن أحمد بشيوخ الوافين في الرشيد في المبحث الآتي:

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١ / ٢٩٩).

المبحث الحادي عشر
في علاقته بزعماء الوافيين
(أولاد سيد الوافي)

(علاقته بالأمير اج بن محمد محمود):

كانت علاقة علماء أهل أبات بأمراء الوافيين قديمة وعريقة، فهي من أيام العلامة أبات وأبناء سيدا حمد بن سيد ألمين الملقب (امينوه) وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في ترجمة العلامة أبات، وظلت هذه العلاقات ممتازة ويشيد بها كل من الفريقين إلى يومنا هذا.

ونشير هنا إلى ما أخبرني به كل من شيخنا العلامة محمد أبات بن محمد، والوالد أحمد بن محمد محمود رحمهما الله تعالى، لما قدما على واحة الرشيد في إحدى السنوات في بداية العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، وتلقاهما الزعيم سيداحمد بن اج وأقام مأدبة على شرفهما، وجاء عدد كبير من قادة الوافيين ورموزهم، ومن ضمنهم الفنان الكبير المعروف: سيداتي بن آبَّ،(بتفخيم الباء) فلما أخذ الناس مجالسهم قام أي سيداتي فقال: يا سيد احمد بن اج: هؤلاء علماء أهل أبات، والله لقد ازدهر الرشيد في أيامهم وبهم، ووالله ما رأيناه مزدهرا كازدهاره في أيام أهل أبات، مع والدك اج، فانتبه لتاريخك، فانتبه لتاريخك...
في كلمة كانت مؤثرة أعجبت الحضور.

وهذه الفترة الذهبية التي يشير إليها الفنان الكبير سيداتي، هي في أيام العلامة محمد هذا، والزعيم «جَّ» فقد كانت تربط الرجلين علاقة وطيدة، ومما يدل على قوتها، وأنها لا تهزها العواصف، ما وقع بينهما من خصومة أرض الحبس التي وقعت في الرشيد وسنشير إليها الآن:

ما جرى بين العلامة محمد والزعيم اجَّ في شأن أرض الحبس:

كان العلامة محمد رحمه الله مع علمه وورعه صارما وقويا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان يصدع بالحق ولا يهاب أميرا ولا عظيما أيا كان، بل كان الجميع يخضعون له لعلمهم بقوته واستقلاليته في المواقف التي يتخذها، كما بينا ذلك في رده على الحسين بن بكار في المبحث الثامن من هذه الترجمة.

وكان الزعيم اجَّ بن محمد محمود سيدا مطاعا، وكان في الرشيد لا يعصى له أمر مهما كان السبب، ويفعل بمن خالفه كما يشاء، وقد رزقه الله هيبة في قلوب الناس، حتى كان يهابه أمراء زمانه، وقد وصفه الشاعر الكبير: محمد الأمين بن ختار في مدحه له بقوله:

هو السيد جَّ المرتضى إن جهلته	تنبئك عنه بالأمر الدواهي الدواهم
وتنبئك عنه الخيل والبيض والقنا	وينبئك عنه من تولى وقادم
إذ الملك الجبار وافاه هيبة	تلاشى لديه الملك والملك قائم
عمامة خير من عمائم سادة	تجر على الأعقاب منها العمائم..

إلى آخر تلك القصيدة الرائعة[1].

وملخص ما جرى بين هذين العملاقين العلامة محمد، والزعيم اج: أن أحد العمال الذين يغرسون النخيل المعروفين باسم (آغزازير) - وهو من حاشية الزعيم اجَّ - آجره العلامة محمد على غرس نخيل في أرض من أحباس أهل ابات، الموجودة في الرشيد، فادعى هذا العامل أنه غارسه فيها،

---

(١) وهذه القصيدة من أجود شعر ابن ختار، يقول في أولها:

تذكرت أسبوعا حواه أشارم	وذلك أسبوع لقلبي شارم
وأسبوع ذات الدف أجدر بذكره	فما أنا عن ذكراه مدى الدهر نائم
وأسبوع مغنى ذي الجريجس إننا	غنينا به والدهر صفو مسالم

إلخ..

وبالتالي سيكون له نصف النخيل، فنفى العلامة محمد ذلك قائلا: أنه ما كان ليغارس في أرض الحبس أبدا، فأمر الأمير اج بتنفيذ ما قال العامل، فرفض العلامة محمد ذلك وقال: هذه أرض الحبس لا نملك التصرف فيها إلا بما فيه المصلحة، ولكن نُحَكم الشرع فيما بيننا، فقال بعض الناس للعلامة محمد: أتنازع الزعيم اج في الرشيد وهو في أوج قوته؟

فقال العلامة محمد: أتروني أخالف شرع الله عز وجل خشية مخلوق؟ لا والله لا يكون ذلك أبدا، سنعرض المسألة على الشريعة وليكن ما يكون.

فتداعى الفريقان في يوم مشهود إلى قاضي الرشيد... بن أحمد الهادي وهو في مجلس الزعيم اجَّ، وكلف العامل بالبينة، فجاء برجل من ذويه يشهد أنه رأى وثيقة بالمغارسة بخط العلامة محمد، فقال العلامة محمد: أين الوثيقة؟ قالوا غير موجودة، فتهيأ القاضي ليحكم لصالح العامل بذلك الشاهد مع اليمين.

فقال العلامة محمد للقاضي: لا تحكم حتى تجد الوثيقة، فإن الشهادة على الخط لا يعمل بها إلا مع حضوره، ولا بد من شاهدين أيضا، قال القاضي كيف هذا؟ قال العلامة محمد: هو ذاك أيها القاضي، ثم أمر أحد طلابه بإحضار الكتاب الذي ينص على القضية، وحبست الأنفاس ريثما يأتي المرجع، فلما حضر الكتاب، وهو شرح الزرقاني على مختصرخليل، قال له: انظر في باب الشهادات عند قول خليل «وجازت على خط مقر»[1]، ثم قال أمامك في السطر قبل الأخير، فنظر القاضي - واللحظات حاسمة - ثم قرأ الأسطر وسكت، وخيم على المجلس جو قاتم ورهيب، وأخرست الألسن، ونطقت الوجوه بهول الموقف وصعوبته.

فلما رأى العلامة محمد ذلك - وكان رجلا بصيرا بالأمور ومؤدبا للغاية - بدأ في الانسحاب من المجلس هو وجماعته وطلابه، فلما انفصلوا قال بعض

(١) انظر شرح الزرقاني لمختصر خليل ٤ / ١٨٣.
وفيه يقول: ولابد من حضور الخط ومن كون الشاهد عليه اثنين على المعتمد.. إلخ
وانظرحاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي (٧ / ٢٠٦).

الجماعة: لما ذا نقوم عنه وهو لم يحكم لنا؟

فقال العلامة محمد: ذلك فيه إحراج للأمير اجَّ في مجلسه ولن نفعله، ولن يتكلم أحد من أولئك العمال بعد اليوم في هذه القضية.

وقد كان الأمر كذلك.

وقد تجلى في هذه الواقعة ما كان عليه الأمير اجّ رحمه الله من قوة والتزام بالسنة وتطبيق للشريعة وتنفيذ للعدالة الربانية، وقد عوضه الله على ذلك في الدنيا ما عوضه من النفوذ، والهيبة في قلوب الناس، والرخاء الاقتصادي، واجتماع الكلمة حوله، وسيجزيه - إن شاء الله تعالى - على ذلك في الآخرة جزاء أهل العدل والقسط، الذي جاء في قول النبي ﷺ: «إنَّ الْمُقْسِطِينَ عند الله على مَنَابِرَ من نُورٍ، عن يَمينِ الرَّحْمنِ - عز وجل - وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» رواه مسلم[1].

وانتهت الأزمة، وظلت العلاقات بين الرجلين وطيدة وكل منهما يحترم الآخر ويعرف له قدره، فسبحان الموفق لمن يشاء.[2]

وقد اطلعت على كتابة للعلامة محمد وهو يوثق فيها بيع نخلات من أرض الرشيد اشتراها أهل المعزوز[3] من رجل له نخيل في الرشيد اسمه ول الداه، وكتب في آخرها، «ورضي بذلك اج بن محمد محمود »[4].

وهذا يدل على احترامه له، وأنه كان يرى أنه لا يمكن أن يتم أمر في الرشيد دون رضاه. والله يؤتي فضله من يشاء.

ثم ننتقل الآن إلى ذكر شيء من كرم العلامة محمد وبذله وإنفاقه في سبيل الله تعالى في المبحث الآتي:

---

(١) صحيح مسلم: (الحديث: ١٨٢٧).

(٢) هذه الحكاية متواترة سمعناها من المشايخ غير مرة.

(٣) أهل المعزوز (أهل أحمد بن عيسى الجكنيين).

(٤) بحوزتي نسخة من هذه الوثيقة التي هي بخط العلامة محمد بن أحمد..

المبحث الثاني عشر
في كرمه وإنفاقه في سبيل الله

كان العلامة محمد رحمه الله صاحب ثروة حيوانية كبيرة وقد سخرها للمحتاجين من طلابه وفقراء منطقته، فكان يوزع من المنائح أعدادا كثيرة، ويتركها عند من أرسلت إليهم أزمانا طويلة حتى تتكاثر وتتناسل عندهم فينفقون منها ويتصرفون فيها بإذنه وحتى كأنهم ملاكها.

ولما توفي رحمه الله بدأت الناس ترد المنائح فكانت تأتي من كل مكان ومن شتى القبائل، ومكثت المنائح تتوافد على أبنائه سنة كاملة، وهم لا يعرفون أصحابها ولا متى منحت لهم.

وكان رحمه الله لانشغاله بالطلاب والخصوم وحل مشاكل الناس واستقبال أصحاب الحاجات لا يكاد يوجد خارج بيته أو محظرته، فكان يوصي أن ترفع إليه حاجات الناس، ولكنه أحيانا نادرة ربما تفقد أحوال الجيران بنفسه، ثم يتصرف بما يراه مناسبا.

فمن ذلك ما أخبرتني به المرأة الفاضلة: (إنجيها) بنت العيل رحمها الله، قالت: لا أنسى وأنا بنت صغيرة، وكنا في فترة لدينا بقرة قليلة الحليب، وكان العلامة محمد لا يكاد أحد يراه من النساء أو الصغار لكثرة الرجال حوله، ولا يكاد يدخل بيتا من بيوت جيرانه لانشغاله، فبينما نحن ذات يوم قبل الغروب في خيمتنا إذ طلع علينا وكنت أتمنى أن أراه، فتلقاه والدي محمد بن العيل فلما سلم، نظر إلى البقرة فقال: أما تحلبون غير هذه؟ قلنا نعم، فمضى إلى بيته وبعد

لحظات إذا بأمة تأتينا بتوس (وهي الفتية) من البقر تحتها بنتها وتكاد تنفجر من كثرة الحليب، وقالت يقول لكم محمد هذه التوس اسمها كذا.

قالت فو الله لقد كنا نفعل بالحليب كذا وكذا ثم يبقى فنوزعه، فرحم الله العلامة محمد.

وكان رحمه الله تأتيه أحمال الجمال من التمر فيشرف عليها بنفسه حتى يتم توزيعها على المحتاجين من جيرانه.

وكان إذا منح حلائب لمحتاجين، ثم شعر بأنهم صاروا أغنياء لا يدعها عندهم طرفة عين، بل يأخذها فيرسلها إلى محتاجين آخرين، ولا يحابي أحدا مهما كانت قرابته، وكان مع انشغاله لا يكاد يتحرك شيء في محيطه إلا وشعر به لفطنته وذكائه، فيحكى أنه أعطى منائح لأسرة من أبناء عمه..، وبعد فترة صارت لديهم عدة بقرات يملكونها لكنها قليلة الحليب، وإنما يعتمدون على بقراته المنائح عندهم ، ثم إنهم منحوا بقرة لبعض قراباتهم وهم يكتمونها عنه، فرآها العلامة محمد من بعيد والرجل يسوقها، فسأل عنها فقيل له: بقرة منحها بنو فلان لبني فلان، فقال مبتهجا: الحمد لله صاروا يمنحون، ثم قال: قم يا فلان ائتني بالبقرات التي كانت عندهم.

فقالوا: قاتله الله، قلنا له لا يمر بمكان يمكن أن يراه العلامة محمد منه، قد والله أرزأنا ما كنا فيه من الحليب الكثير.

وكان رحمه الله رجلا محبا للفقراء وقريبا منهم، ورحيما بهم، إذا رأى من تبدوا عليه مظاهر الفقر والبؤس، تلقاه بالترحيب حتى يظن الناس أنه من خاصيته وهو لم يكن رآه قبل ذلك، ويأمر له بالعطاء دون أن يسأل.

وكان لا يبالي بأهل الدنيا، ولا يزنون عنده شيئا، إن لم تكن لأحدهم صفة أخرى من علم أودين، وكان مطبوعا على هذه الأخلاق لا تتغير فيه ولا تتبدل. [١]

ولا شك أن هذه كلها أخلاق النبي ﷺ، من حبه للفقراء وتواضعه لهم، وعدم مبالاته بأهل الدنيا، وقوته في الحق وشجاعته ومراقبته لمرضات الله عز وجل، يعرف ذلك من درس سيرته عليه الصلاة والسلام. نسأل الله التوفيق للتخلق بأخلاقه والاهتداء بهديه عليه الصلاة والسلام. ثم نشير إلى بعض من أخلاقه رحمه الله، وإلى شيء من هديه وخشوعه، في المبحث الآتي:

---

(١) هذه الحكايات السابقة نقلتها من الثقات الذين عاشوا معه رحمه الله.

المبحث الثالث عشر
في هديه وخشوعه وكراماته وشعره الوعظي

كان العلامة محمد رحمه الله رجلا متبعا للسنة كثير العمل، لا يرى فارغا، وكان رجلا قليل الكلام قليل الضحك، حتى إن زوجته خديجة بنت سيد عبدالله رحمها الله – وقد أدركناها في أواخر عمرها وهي من النساء العابدات، أدركناها لا تنام من الليل إلا قليلا – تقول إنها قالت له في يوم من الأيام: منذو زمن ما رأيناك ضاحكا لماذا؟، فأجابها جواب العارف الرباني بقوله: «إن من شاهد الحقيقة لا يمكنه أن يضحك».

وهذه الكلمة تدل على أن الرجل قد وصل إلى درجة عالية من خشية الله تعالى ومراقبته، وأنه يعيش مع أحاديث النبي ﷺ وخصوصا حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ. متفق عليه[1].

وقد أخذ عليه بعض طلابه الكشف، يقول تلميذه الجليل عبد الوهاب (بهاب) الجكني، كنت ليلة وأنا في الطلاب، ولم أجد حليبا أشربه وأنا في أعداد هائلة من الطلاب فقلت في نفسي لو أن شيخنا محمدا أرسل لي حليبا لعلمت أنه لا مثيل له، فبينما أنا كذلك وإذا به رحمه الله وهو يحمل حليبا وناداني فلما سمعته ضاقت بي الدنيا وتأسفت وأقسمت بالله أن لا آخذه منه بعدها أبدا.

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٥٢١).

وفي إحدى السنوات وقد توجهت عير للحي إلى الشمال وفيها رجال منهم محمد عبد الرحمن بن امود (حمن) ومحمد عبدالله بن عبد التار ومحمد عبد الرحمن بن خين فقال أي العلامة محمد رأيت عبد الرحمن بن الداد رحمه الله فقال لي إن رجال العير أصيب منهم واحد وأصيبت ناقة لأهل الداد وباقي العير بخير، فلما قدم أصحاب العير تبين أنهم تعرضوا لهجوم من قبل الجيش الفرنسي لأنهم كانوا في معسكر للمقاومة بقيادة المجاهد وجاه بن الشيخ محمد فاضل، فأصيب عبد الرحمن بن خين برصاصة أدت إلى وفاته وأصيبت ناقة لأهل الداد وباقي العير لم يصب بأذى، فسبحان علام الغيوب الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء من علم الغيب، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» رواه البخاري ومسلم[1].

وكان العلامة محمد رحمه الله عالما ربانيا وهذا ما نلمسه واضحا في شعره الوعظي الذي تخشع عند سماعه القلوب الغافلة، حيث يقول:

ألا فراقب فإن الوعد قد قربا ... ورائد الموت فيك لاح وانتدبا
أين الأحبة والأقران قد ذهبوا ... وأين من كان يجني اللهو والطربا
بادوا وأفنى المنون كل ما جمعوا ... صاروا بما اكتسبوا رهنا فياعجبا
ما ذا تجيب به رُسْل الإله إذا ... ما أوقفوك على ما كنت مكتسبا
فتُبْ ونُحْ لذنوب طال ما جُنيتْ ... واهجر لذيذ الكرى ولازم الأدبا
وانه الهوى إن هوى عما هوى ذو النهى ... وابك الدماء على ما فات مكتسَبا
واغض الجفون على وَخْزِ السَّفا فعسى ... ترى لسُبْل الهدى والدين مكتسِبا

وهذه الأبيات على قلتها كما ترى قد طرقت أبوابا متعددة من الوعظ حساسة جدا، كقوله: ورائد الموت فيك لاح وانتدبا.

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/ ٨٠).

وقد قال بعض السلف إن رائد الموت هو الشيب، وفسر قوله تعالى ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ بأنه الشيب[١].

وأخذه بعض الشعراء فقال:

رأيت الشّيب من نذر المنايا ... لصاحبه وحسبك من نذير[٢]

وقال آخر:

فقلت لها: المشيب نذير عمري ... ولست مسوّدا وجه النّذير[٣]

وكذلك موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان فإنذار بالرّحيل، وقد قال بعضهم: [٤]

وأراك تحملهم ولست تردّهم ... فكأنّني بك قد حملت فلم تردا[٤]

ويقول الفقيه أبوعبدالله محمد بن أبي زمنين رحمه الله تعالى:

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هُمُ كانوا لنا سكنا[٥]

وقال آخر وأجاد:

أَيْقِظْ جُفُونَكَ يَا مِسْكِينُ مِنْ سِنَةٍ ... وَانْظُرْ بِعَقْلِكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ عِبَرِ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ٤٧٨) وتفسير القرطبي (١٤ / ٣٥٢).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي: ٢٠١.
(٣) الكامل للمبرد: / ١٢٨.
(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة مصدر سابق: ٢٠٤.
(٥) المصدر السابق: ٢٠٣.

بِالأَمْسِ كُنْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي لَعِبٍ غَضِّ الشَّبابِ قَلِيلِ الهَـمِّ وَالْفِكَرِ
وَقَدْ كَبِرْتَ وَحَانَ الشَّيْبُ مِنْكَ وَلا أَرَاكَ تَنْظُرُ يَا مَـغْـرُورُ فِي الْكِبَرِ
تَبغْتَ وَيْحَـكَ دُنْيَـا لا بَـقَـاءَ لَهَا تُمْسِي وَتُصْبِحُ مَـسْرُورًا عَلَى النُّكُرِ
أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَا شَيَّعْتَ مِنْ سَلَفٍ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الأَشْيَاخِ وَالصِّغَرِ
وَأَنْـتَ فِي كُـلِّ يَـوْمٍ زَائِـدًا أَمَـلاً وَالدَّهْرُ يَهْـدِمُ مِنْكَ الْعُمْرَ فَابْتَدِرِ
يَا مَنْ مَضَى عُمْرُهُ الْمَكْنُونُ فِي سَفَهٍ وَفِي الْمُحَـالِ وَفِي الـلَّـذَاتِ وَالْبَطَرِ
أَيْنَ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَحْمِدُهُ مَضَى سَرِيعًا كَمِثْلِ اللَّمْحِ فِي الْبَصَرِ
وَقَـدْ أَتَـى لَـكَ شَيْبٌ لا زَوَالَ لَهُ إِلا بِـمَـوْتِـكَ يَـا مَـغْـرُورُ فَانْتَظِرِ
إِنَّ الرَّحِيلَ حَقِيقٌ فَاسْتَعِدَّ لَهُ وَقَـدْ أَتَـاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فَازْدَجِرِ
بَـادِرْ مَتَابَكَ يَا مِسْكِينُ فِي عَجَلٍ قَبْلَ الْمَـنُـونِ وَبَـادِرْ فُسْحَةَ الْعُمُرِ
حَافِظْ عَلَى الْخَمْسِ فِي الأَوْقَاتِ إِنَّ لَهَا فَضْلاً وَقُـلْ يَا إِلَهِـي نَـجِّ مِـنْ سَقَرِ
طُوبَى لِعَبْدٍ تَقِيٍّ خَـائِـفٍ وَجِـلٍ خَافَ الذُّنُوبَ وَبَاعَ النَّوْمَ بِالسَّهَرِ
وَقَـامَ بِاللَّيْلِ لِـلـرَّحْمَـنِ مُبْتَهِلاً يَتْلُو الْكِتَابَ وَدَمْـعُ الْعَيْنِ كَالْمَطَرِ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا مَعَ الْحِسَانِ ذَوَاتِ الْغُنْجِ وَالْحُـورِ
تُسْقَى بِهَا سَلْسَبِيلاً طَابَ شَارِبُهَا مِـنْ كَـفِّ غَانِيَةٍ أَضْـوَا مِـنَ الْقَمَرِ
فِي قُـبَّـةٍ مِـنْ لُجَـيْـنٍ جَـلَّ صَانِعُهَا قَدْ خَصَّهَا بِاخْتِلالِ النَّخْلِ وَالنَّهْرِ
وَالطَّيْرُ فِيهَا عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ أَصْـوَاتُـهَـا كَحَنِينِ الْعُودِ وَالْـوَتَـرِ
وَالْحُـورُ يَمْشِينَ فِي حُلْيٍ وَفِي حُلَلٍ كَـمَا أَتَـى فِي بَيَانِ الـذِّكْـرِ وَالسُّورِ
فَأَعْكِفْ عَلَى سُنَّةِ الْهَـادِي وَتَابِعِهِ وَاتْبَعْ طَرِيقَتَهُمْ تَقْفُوا عَلَى الأَثَـرِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ أَهْلِيكَ مُرْتَحِلٌ عَـمَّا قَلِيلٍ لِبَيْتِ الـدُّودِ وَالْمَـدَرِ
لا تَـأْمَـنَّـنَ مِـن الـدُّنْـيَـا وَزَهْـرَتِهَـا لأَنَّهَـا كَـسِـرَاجٍ لاحَ لِـلْـبَـصَرِ
أَيْـنَ الأَحِـبَّـةُ وَالْجِـيـرَانُ مَا صَنَعُوا صَـارُوا لَنَا خَـبَرًا مِنْ أَعْظَمِ الْخَبَرِ
أَيْـنَ الْمُلُوكُ الَّـذِي عَـاشَرْتَهُـمْ زَمَنًا صَارُوا جَمِيعًا إِلَى الأَجْـدَاثِ وَالْحُفَرِ

أَيْـنَ الْقُصُورُ الَّتِي كَانَتْ مُعَمَّرَةً ... حُصُونُهَا مُلِئَتْ بِالْبُسْطِ وَالسُّرُرِ
أَيْـنَ الْـوُجُـوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... أَيْنَ الْخُـدُودُ الَّتِي تَسْبِي أولي النَّظَرِ
صَارُوا جَمِيعًا إِلَى ضِيقِ الْقُبُورِ وَقَدْ ... صَارَتْ مَحَاسِنُهُمْ مِنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ
وَنَـحْـنُ عَـمَّا قَلِيلٍ لاحِـقُـونَ بِهِـمْ ... فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ غَايَةَ الْحَذَرِ[1]

فكل هذا الشعر الجيد قد لخصه هو وزاد عليه في أبياته السبعة رحمه الله.

وفي هذا الإطارنذكر أرجوزة وعظية رائعة لتلميذه الذي تربى على يديه، واتسم بهديه وهو العلامة لمرابط الحاج بن فحف المسومي يقول فيها:

يا نفس قومي فارعوي وانزجري ... وفجئة الحمام منها فاحذري
ولذة الدنا جميعا فاهجري ... لا سيما الهجوع وقت السحر
ولعبادة العلي شمري ... إياك والإكثار من ذا الغرر
ولتشكري آلاءه لتشكري ... ولتقفي بالباب ولتدكري
لا تلتهي عنه بنيل وطر ... أو اكتساب إبل أو بقر
ولا بذكر البيض مثل القمر ... نحورها تلمع مثل الدرر
ولتنظري قول النبي الاطهر ... «لو تعلمون» وبه فاعتبر
فلا يغرنك طول الحضر ... فستسافرين كل السفر
ولتذكري بطش الإله الاكبر ... سبحانه من مبدئ مصور
وإن في الموت لدى ذي النظر ... لعبرة تفوق كل العبر
فكم نرى على ممر العصر ... صاحبه مغيبا في المدر
وليس للذي أتى بمخبر ... وهو لو كلم جم الخبر
والقبر روضة كما في الخبر ... من جنة أو حفرة من حفر

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (٦/ ٧٦٩).

ولـتــتــزودي نـفـيـسُ واذكـــري ... ســـؤال رب مــلــك مـقـتـدر
فـــإن أهــبــة الــفــتــى المـشـمـر ... نــافـعـة لــه غـــدا في المـحـشر
ومــن يــرى في ذي الـدنـا ذا بطر ... فــســيرى في تــلــك ذا تحير
فــهــذه دار الأســـى والــقــذر ... وصــاحــب الـعـقـل بها ذو كـدر
قــد فـــاز فـيـهـا مـدمـن للسهر ... مــســتــغــفــر إلهـــه بــالــســحــر
نـسأل ذالـفـضـل الجـزيـل الاكـبر ... لـطـفـا بـنـا عـنـد جمـيـع الـقـدر
صـــلى وســلــم عــلى المـطـهـر ... محـمـد شـفـيـعـنـا في المـحـشر

وما أحسن قول الإمام موفق الدين ابن قدامة:

أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَسكنا ... سِوَى الْقَبْرِ إِنِّي إِنْ فعلت لأَحْمَقُ
يُخَـــبِرُنِي شَـيْـبِـي بَـــأَنِّي مَـيِّـتٌ ... وَشِيكًا فَيَنْعَانِي إِلَيَّ وَيَـصْـدُقُ
يُخَـرَّقَ عُـمْـرِي كُـلَّ يَـوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... فَهَلْ مُسْتَطَاعٌ رَقع مَا يَتَخَرَّقُ
كَـأَنِّي بِجِسْمِي فَـوْقَ نَعْشِي مُمَدَّدا ... فَمِنْ سَاكِتٍ أَوْ مُعْوِل يَتَحَرَّقُ
إِذَا سُئِلُوا عَنِّي أَجَابُوا وَأَعْـوَلُـوا ... وَأَدَمَـعُـهُـم تَـنْـهَـلُّ هَـذَا المُـوَفَّـقُ
وَغُيبتُ فِي صَدْعٍ مِنْ الأَرْضِ ضَيِّقٍ ... وَأُودِعْـتُ لَحْدًا فَوقَهُ الصَّخْرُ مُطْبَقُ
وَيَحْثُو عَـلَيَّ الـتُّرْبَ أَوْثَـقُ صَاحِبٍ ... وَيُسْلِمُنِي لِلْقَبْرِ مِـنْ هُـوَ مُشْفِقُ
فَيَا رَبَّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَحْشَتِي ... فَـــإِنِّي بِـــمَا أَنْـزَلْـتَـهُ لُمـصَـدِّقُ
وَمَـــا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللهِ صَـائِـرٌ ... وَمَـنْ هُوَ مِنْ أَهْـلِي أَبَـرُّ وَأَرْفَـقُ[1]

---

(١) المصدر السابق: (٥/ ٢٥٥).

لقد ظل العلامة محمد رحمه الله يعمل من أجل هذه المعاني ويلهج بها حتى توفي رحمه الله تعالى، وفي هذا المعنى يقول بعض الأدباء:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمرا ذا أُهبة لم تلهه الآمال[1]

لكنه رحمه الله لم يرحل إلا بعد أن كون جيلا كبيرا من العلماء الأجلاء، والذين سنلقي عليهم الضوء في المبحث الآتي:

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص: ١٢٤.

المبحث الرابع عشر
في تلاميـذته

لقد تجمعت حوله رحمه الله أعداد من الطلاب لايمكن حصرها فقد كان الناس يشبهونها بالأغنام لكثرتها، وكانوا يقولون توافدت على العلامة محمد أعداد من البشر هائلة حتى جاءه طلاب من قبائل لم يسمع الناس بها في منطقة تكَانت وما جاورها، إذ بعضهم من أقصى الحوض الشرقي وبعضهم من ضفاف البحر والنهر، وقد تخرج على يديه أعداد كثيرة من العلماء الذين حملوا راية العلم وبثوه في كل مكان، وسنذكر بعض مشاهيرهم، إذ استقصاؤهم لا سبيل إليه فمن مشاهيرهم:

١. أخوه: محمد محمود بن أحمد بن أبات القلقمي (أهل ابات)
٢. سيد محمد (سيدين)بن الإمام بن الداد
٣. أبات بن محمد عبد الدايم
٤. حميد بن الغوث
٥. محمد احمد بن الطلبه [١]
٦. يحي بن الحضرمي
٧. محمد بن عبد التار
٨. الحاج بن فحف المسومي
٩. محمد بن بيدر ابن الإمام الجكني

(١) وهؤلاء الخمسة ستأتي تراجمهم في الطبقة الرابعة إن شاء الله تعالى.

١٠.عبد الوهاب (بهاب)

١١.عبد الرحمن (السيوطي) بن الإمام

١٢.الحسن بن أحمد الحسين بن عمار

١٣.محمد بن عبد المالك

١٤.محمد بن حمن

١٥. الطيب بن المعزوز

١٦. المصطفى بن محمد عبد الرحمن

١٧. محفوظ بن محمد عبدالله

١٨.محمد محمود بن الشيخ محمد

١٩.محمد المصطفى (صدف) بن محمد بن سيد الجملي ثم الجكني

٢٠.اباه بن لخليفه (أهل الشيخ بن امني)

٢١.اعلنب طالب بن أحمد عبد الدايم

٢٢.أحمد محمود (ابو) بن جار الله

٢٣.عبد الرحيم بن الإمام السمسدي

٢٤.محمد بن السني

٢٥.أحمد بن عبدالله اليعقوبي

٢٦.محمد المصطفى بن محمود

إلى غير ذلك من العلماء والفضلاء.

المبحث الخامس عشر
في أبنائه

له أربعة أبناء وثلاث بنات وهم:

١. عبدالله وكان رجلا ربانيا وله مكاشفات ثابتة وقد أدركناه شيخا كبيرا توفي في حدود ١٤٠٧هجرية.

٢. أم المؤمنين المرأة الفاضلة.

وأمهما فاطمة: بنت محمدو (دادي) بن سيد عبدالله بن أبات.

٣. محمد ابات شيخنا العلامة الجليل، وستأتي ترجمته في الطبقة الخامسة.

٤. محمد احمد وتوفي صغيرا

٥. فاطمة جدتنا الفاضلة حفظها الله،

وأمهم خديجة بنت محمدو بن سيد عبدالله، وهي أخت السابقة.

٦. أحمد وتوفي في شبابه.

٧. وكلثامه، وتزوجها العلامة سيدين بن الإمام وتوفيت في شبابها أيضا.

وأمها آمنة بنت محمد عبد الدايم بن أبات.

المبحث السادس عشر
في وفاته ومكان قبره ومراثيه

لم يعش العلامة: محمد عمرا طويلا لكن عمره كان عريضا، فقد أنجز فيه ما لم ينجزه غيره في العمر الطويل، فقد عاش عمرا مباركا كعمر النبي ﷺ ٦٣ وتوفي رحمه الله مسموما سنة: ١٣٥٣ وكانت وفاته مفاجئة فقد توفي في صحته ونشاطه وعطائه، فكان وقع وفاته عظيما على المسلمين عموما، وعلى طلابه ومنطقته ومحيطه خصوصا، وكاد بعض طلابه أن تطيش عقولهم، لقوة الصدمة، ولما حاولوا نقله إلى مقبرة أغلنبيت - التي فيها قبر والده العلامة أحمد بن أبات وهي إذ ذاك المدفن الرئيسي للأسرة - أرسل الله أمطارا شديدة منعت التحرك بتاتا، فاضطروا إلى دفنه في مقبرة كَلب الملح (بكاف معقودة)،في وسط تكَانت، وهي إذ ذاك تضم قبورا قليلة، فهو يعتبر من أوائل من دفن فيها، بل إنما تتابع الدفن فيها بعده، وقد زرتها، وفيها عدد كبير من العلماء والصلحاء من أسرته وذويهم فرحمهم الله جميعا.

وقد توالت عليه المراثي من العلماء والشعراء، ونذكر منها هنا مرثيتين لاثنين من أجلاء تلاميذته:

الأولى: مرثية تلميذه العلامة الأديب محمد بن بيدر الجكني [1] يقول فيها:

---

(١) هو العلامة الجليل الشاعر الأديب: محمد بن العلامة محمد الحسن (بيدر) بن الإمام الجكني الحاجي، ينحدر من أسرة علمية، أخذ العلم عن والده وعن العلامة محمد بن أحمد بن أبات، ولما توفي شيخه عاد إلى أهله، واستمر في نشاطه العلمي والأدبي، حتى توفي سنة: ١٤٠٩ هجرية.

عيون العلا أضحت على البذل سجما ... ونائح دين الله نادى فأعلما
لفقد أبي ماجد متبتل ... تبدَّر لما خلف الخلق أنجما
هو البدر والبحر المؤثل موجه ... فغص تخرج الدرر الثمين المنظما
علا همم المعروف طفلا ولم يزل ... إذا هم في شأن المكارم صمما
فلله قوم دونهم كان جُنَّة ... وقرما وسيفا في الخطوب مقوما
فأصبح حال الدهر ينشد بعده ... وأحسن في ذا القصد بيتا تقدما
فما كان قيس موته موت واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما[1]

والمرثية الثانية: لتلميذه الأديب: محمد بن الجيلي بن أحم بوسيف الكنتي التي يقول فيها:

لتبك على ذي الجود والسؤدد الفرد ... بنو الدهر من شيب مشايخ أو مرد
لقد رزئوا من لاشبيه لمثله ... مفرج ما يشكوا ذوو الجمع والفرد
وقد كان قواما مع البرد في الدجى ... وقد كان صواما مع العطش المرد
إذا قيل من للعلم والجهلُ غالبٌ ... ومن لعويص الحكم والشارد الفرد
ومن لفقير مشتك ولصبية ... وأرملة شعثاء ترضع في المهد
تنادى جميع الحي أين محمد ... فيسعف بالمقصود في البدء والعود
عسى ربنا الرحمن يكرم نزله ... ويرحم مثواه إثابة ذي ودِّي.

---

(١) هذا البيت ضمنه من رثاء عبدة بن الطّبيب لقيس بن عاصم الذي يقول فيه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحّما
تحيّة من ألبسته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلّما
وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنّه بنيان قوم تهدّما

انظر: عيون الأخبار (١/ ٤٠٢).

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة: أحمد بن الداد
وفيه تسعة مباحث

المبحث الأول: في اسمه وولادته.

المبحث الثاني: في نشأته ودراسته.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية واشتهاره بعلم النحو.

المبحث الرابع: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث الخامس: في هديه وعبادته.

المبحث السادس: في مؤلفاته.

المبحث السابع: في طلابه.

المبحث الثامن: في أبنائه.

المبحث التاسع: في وفاته ومكان دفنه ومراثيه.

فرحمه الله تعالى وأدخله فسيح جناته.

وبهذا تمت ترجمة العلامة محمد بن أحمد، وتليها ترجمة العلامة أحمد بن الداد في الفصل الآتي:

المبحث الأول
في اسمه وولادته

هو العلامة أحمد، أو أحمد محمود بن عبد القادر (الداد) بن أبات، فقد كان يكتب كلا منهما لنفسه، فقد كتب الاسم الأول «أحمد» واقتصر عليه في بداية نظمه لأسماء الله الحسنى حيث قال:

يـقـول أحمــد بــن عـبـد الـقــادر ... سليل أبــات الـنـجـيـب الماهـر

وربما كتب «أحمد محمود» كما رأينا في بعض فتاواه، وكذلك في تسليمه لفتوى تلميذه العلامة سيد عبدالله بن الزين العلوي رحمه الله تعالى.

وقد اشتهر عند العامة باسم «أحمد بن الداد» وهو الذي نطلقه عليه غالبا في هذا الكتاب طلبا للإيضاح، وقد ولد رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأبوه العلامة عبد القادر الملقب «الداد» – الذي تقدمت ترجمته في الطبقة الأولى – وأمه خديجة بنت العيل من قبيلة: (أولاد اعلي)

ونشأ في حجر والده في بيئة صالحة كما سنرى في المبحث الآتي

المبحث الثاني
في نشأته ودراسته

نشأ رحمه الله في بيت علمي وديني عريق، فأبوه العلامة عبد القادر (الداد)، وأعمامه أبناء أبات الأجلاء، وجده العلامة أبات رحمهم الله جميعا.

ولما بدأ في طلب العلم توفي والده فبدأ يقرأ على ابن عمه العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن، مبادئ اللغة العربية وذلك بعد حفظه للقرآن الكريم.

فيقول: كنت في بداية الطلب أدْرُس على العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن، وكان العلامة أحمد بن أبات رجلا مهابا لا يتجاسر عليه إلا كبار الطلبة، وذات يوم دعاني فسألني: ما ذا تدرس؟ قلت: أدرس مبادئ النحو. قال على من تدرس؟ قلت: على محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن، قال فاختبرني بسؤال أو اثنين، ثم قال: ائتني دائما أدرسك، قال: فكانت هذه بداية دراستي عليه.

وفعلا درس عليه جامع ابن بون في علم النحو والصرف فبرع فيه حتى أصبح يضرب به المثل في ذلك، كما سيتضح لنا في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية واشتهاره بعلم النحو

كان العلامة أحمد بن الداد رجلا متبحرا في كل العلوم غير أنه اشتهر بعلم النحو، وطلابه الأجلاء يؤكدون ذلك، يقول تلميذه الشيخ سيد محمد بن بادي في كتابه واضح البرهان:

وأما شيخنا أحمد بن الداد فهو الفقيه الجامع الورع، الماهر في علوم القرآن، وهو سيبويه زمانه، وخليله في الفقه. [1]

وقد اشتهر رحمه الله بعلم النحو فكان يلقب بسيبويه زمانه وقد سمعنا من العلماء والشيوخ الذين درسوا عليه يقولون إنه كان يحفظ كتب النحو التي بين أيديهم في ذلك الزمن، فلا يحتاج أن يراجعها لشيء بل يقول في الكتاب الفلاني كذا وفي الآخر كذا، ثم يصوب أحيانا على الكتب الكبيرة المعتمدة لإتقانه وحفظه.

وقد سمعت شيخنا العلامة محمد ابات يبالغ في معرفته للنحو دون حدود فيقول: معرفته للنحو لا توصف، وقد كان العلامة محمد ابات رحمه الله لبراعته ودقته لايكاد يعجبه أحد، وسمعته يقول: قلت يوما للعلامة أحمد بن الداد: أكان أحمد بن أبات من أهل النحو؟ فالتفت إلي وقال: هذا حك عندك؟ (يعني أأنت جادٌّ في سؤالك؟) لا يأخذ كتابا من كتب النحو التي بأيدينا لشيء فيه أبدا. ثم يقول العلامة محمد ابات: والحاصل عندي أنا أنه هو أيضا كان كذلك.

وقد كان الناس يضربون به المثل في التبحر في النحو، فكانو يقولون: لا يسمع به أحد ثم يأتيه إلا وجده فوق ما كان يسمع.

---

(١) واضح البرهان مصدر سابق ص: ٢٥.

وكان شيخنا العلامة محمد شيخنا بن لمرابط اباه يقول: كنا ونحن في أرض آفطوط لا نزال نسمع بمثل مشهور يقول: «كل مشكور محكور إلا نحو أحمد بن الداد»[١].

والمعنى أن كل ممدوح إذا اختبرته ستحتقره وتجده أقل مما كنت تسمع، إلا معرفة العلامة أحمد بن الداد للنحو فإنك ستجدها فوق ما كنت تسمع. يقول فيه تلميذه البارع يحي بن دحمود في رثائه له:

يا ويلة الناس إن الأرض قد سترت   قول الخليل وعمرو ثم فراء

وقد كان رحمه الله مع هذا فقيها وقارئا، فقد كان من المتقنين لعلم التجويد والقراآت، فكان يدرس الشاطبية وغيرها من المتون التي تعتني بالقراآت، وكان بارعا في المنطق وفي علم العقائد، ويشهد لذلك قول تلميذه يحي بن دحمود أيضا:

والآبدات من التوحيد قيدها   ينقض مثل تنوفي بصحراء

بل كان متقنا للعلوم كلها لاسيما الفنون الصعاب التي يقل إتقانها، وما أحسن قول تلميذه الشاعر: أحمد بن جدام في رثائه أيضا حيث يقول:

صعب الفنون أرى أن يستبان أبى   من بعد من كان للدين القويم أبا
فناعيه ناع لها تلك الفنون إذا   شحاج غربانها بالبين قد نعبا

لكن شهرته بالنحو طغت على كل معارفه، حتى لم يشتهر عنه غيره، وقد سُمع في فترة شيخوخته يتأسف على علوم لديه لم تؤخذ عنه، ومنها علم القراآت والتجويد. [٢]

وقد جلس للتدريس مدة طويلة في محظرته التي توافد عليها الطلاب من كل مكان والتي سنتكلم عنها في المبحث الآتي:

---

(١) سمعنا ذلك منه في زياراته المتعددة لنا والتي كانت في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري.

(٢) سمعت ذالك من طلابه الأجلاء مثل ابنه شيخنا محمد يسلم، والوالد أحمد بن محمد محمود.

المبحث الرابع
في محظرته وعطائه العلمي

جلس العلامة والنحوي الكبير: أحمد بن الداد للتدريس فترة طويلة وازدحمت عليه الطلاب، من شتى القبائل والمناطق، فكان جامع ابن بون يقرأ عليه كله في أسبوع لكثرة الطلاب.

قال العلامة محمدو بن مود الجكني: وكانت محظرته أشهر محظرة نحوية عرفتها الولايات الأربع التالية: ولاية لعصابة، وتكَانت، والحوض الغربي، والشرقي(١).

ويحكى أن تلميذه الشاعر الكبير محفوظ بن جار الله (أهل الشيخ بن امني) لما سافر إلى تونس وشارك في مسابقة أساتذة اللغة العربية وأخذ الرقم الأول قالوا له في أي جامعة درست قال في جامعة آقنيزير عند العلامة أحمد بن الداد(٢).

واستمر في التدريس قريبا من نصف قرن من الزمن، فقد قرأ عليه الرجال وأبناؤهم، ومن أمثلة ذلك أن جدنا العلامة: محمد محمود بن أحمد قرأ عليه النحو، وقرأه عليه كذلك ابنه الوالد أحمد رحمهم الله جميعا، فقد ألحق الصغار بالكبار كما يقول علماء الحديث(٣).

وكانوا يدرسون عنده النحو وعلوم اللغة جميعا، ويتعلمون من هديه فيصدرون عنه وهم أئمة في العلم والورع، فمن ذلك ماحدثني به الشيخ

(١) انظر بحث العلامة الجليل: محمدو بن مود الجكني، حول محاظر الوسط الموريتاني ص: ٥.

(٢) هذه الحكاية مشهورة سمعناها من غير واحد عنه، رحمه الله.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢١ / ٢٧).

الكبير المعمر محمد المختار بن السالم الحاجي ثم الجكني – وكان من طلاب العلامة أحمد بن الداد وكان لا يفتر عن ذكره والثناء عليه – يقول:

كان أهلك (أهل ابات) يربون طلابهم بأي فن كان، حتى بالنحو، لقد جئتهم أنا ولمرابط الحاج بن فحف وآخرون، وكنا في عنفوان الشباب والطيش، ثم بدأنا نقرأ عليهم الألفية، ثم يقول: – والألفية لا طعم فيها – فما لبثنا إلا قليلا حتى كان أحدنا لا يستطيع أن يتوضأ من إناء زميله حتى يستأذنه[1].

وكان رحمه الله يعتز بكونه تلميذا للعلامة أحمد بن الداد وكان يرسل للعلامة محمد يسلم بن أحمد بن الداد، كل سنة ثيابا فاخرة لأنه ابن شيخه، فرحمهم الله جميعا.

(١) حدثني بهذا سنة: ١٤٠٦ هجرية بمدينة كرو.

المبحث الخامس
في هديه وعبادته

كان رحمه الله مقبلا على العبادة كثير العمل، قالوا لم يره أحد يتيمم أبدا، وهذا من الأمور النادرة وخصوصا لسكان البوادي في فترة الشتاء، وكان يقول إن الماء مخلوق لا يضر إلا بإذن الله، وهذه درجة من اليقين والتوكل قل من يصل إليها.

ولا يرد على هذا أن الله عز وجل رخص في التيمم لغير القادر على الماء، لأنه سبحانه وتعالى لم يمنع من الأخذ بالعزيمة إذا كان الضرر غير فادح، على التفصيل المعروف عند الفقهاء رحمهم الله. [(١)]

والناس في هذا على درجات، وأصحاب اليقين الكامل لهم أحكام تخصهم، فقد شرب خالد بن الوليد السم بعد أن سمى الله عز وجل، [(٢)] ومن المعروف أن شرب السم حرام.

وقد سمعت شيخنا: العلامة محمد ابات رحمه الله يقول: كنا عند العلامة أحمد بن الداد، وفي إحدى السنوات تحول الناس من موضع إلى آخر وذهب

---

(١) وإلى هذا التفصيل يشير الشيخ محمد العاقب بن مايابى في نظمه لنوازل العلامة سيدي عبدالله العلوي:

ومُذهب نفس الفتى أو إرْبَهْ ... مما يشق جالب للإرْبَهْ
وألغيت خفيفة كبرد ... ماء الطهارة أوان البرد
وما توسطت كزيد المرض ... مختلف في جلبها للغرض

(٢) قال بن حجر: رواه أبو يعلى عن أبي السفر ورواه ابن سعد من وجهين آخرين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢ / ٢١٨).

كعادته قرب الحي ليرد عجولا له، فلم يجدهم فرجع إلى الموضع الذي تحول الناس منه وبات فيه وحده، وبات الناس يبحثون عنه في كل مكان، فلما كان من الغد جاء فتلقاه الناس والطلاب يسألونه عن حاله، وكيف بات في خلاء ولا شيء معه، ثم لما جلس سمعته يقول: أعوذ بالله بتُّ أتيمم الليل كله، قال فلم يشتك لا من الجوع ولا من العطش ولا من الغرر الذي بات فيه، وإنما من قلة الوضوء.

وكان رحمه الله متواضعا مخبتا لله تعالى، يظهر على وجهه الخشوع والمخافة، يقول تلميذه الشيخ سيد محمد بن بادي: كان رحمه الله متواصل الأحزان، وكنت أنظر في وجهه كثيرا أثناء درسه لنا يحمر وجهه ويقول: «مر أحيمد»[1]

فهو يسب نفسه ويصغرها والناس لا يشعرون. فرحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله مجاب الدعوة فيحكى أنه في إحدى السنوات أصاب الناس قحط شديد، وفي يوم من الأيام جاءه أحد رجال الحي وقال له: إن الحيوانات أوشكت على الهلاك، وحتى الماء الذي كنا نسقيها منه نضب فلا ندري كيف نصنع اليوم، فقام العلامة أحمد بن الداد إلى خيمته وأرخى ستور البنية عليه، ولا يدرون ما ذاصنع، وليس في السماء أي سحاب بل الأجواء مرمدة قاحلة، وفي نفس اللحظات وإذ بالسحب بدأت تتشكل وسبح فيها الرعد، وبدأ الماء ينهمر حتى خافوا على أنفسهم، فسبحان القادر على ما يشاء[2].

(١) واضح البرهان مصدر سابق ص: ٢٥.

(٢) سمعت هذه الحكاية من محمد محمود بن أحمدو رواها عن والده عبدالله بن أحمدو وهو الذي شكى القحط إلى العلامة أحمد بن الداد رحمهم الله تعالى.

المبحث السادس
في مؤلفاته

كان رحمه الله تعالى مشغولا بالتدريس لكثرة الطلاب عنده، وقد قدمنا أنه كان يمر عليه جامع بن بون في الأسبوع الواحد، ومن كان كذلك فسيكون من الصعب أن يجد فرصة للتأليف، غير أنه قد كتب في بعض المواضيع فمن ذلك:

الشواهد النحوية التي كان يلخص فيها بعض المسائل النحوية العالقة، كقوله:

وإن يكن جواب شرط بانا	**إسمية أوفعلا أو قد كانا**
منتفيا بغير لم لا أوبدي	**بحرف تنفيس وقد أوجامدي**
فذا الجواب للأدات لا يصح	**وزيد ما برب أو حلف افتتح.**

ومنها: أبياته التي يرد بها على سيد المختار بن أحمد بن الهادي الذي نظم أبياتا يسأل فيها عن معية الله تعالى، هل هي بالعلم أم بالذات، وقد ذكرناها مع جواب العلامة محمد لها في ترجمته السابقة، ونصها:

يا منكرا لمعية لإله لنا	**أجب عساك تفوز صاح بالرشد**
هل ذات ربي مع الأكوان حاضرة	**م هي غائبة حدث ولا تزد**
إن قلت غائبة ووصفها معنا	**قد رمت حصرا لذات الواحد الأحد**
ورمت إبعاد من بالقرب متصف	**هيهات ما رمته في الواحد الأحد**

وقد أجابه العلامة أحمد بن الداد بالأبيات التالية:

إن المعية حق لا جحود لها	**لكنها بالذي قد لاق بالصمد**

ليست بـذات مكان لا ولا زمن … وذي التي ينكرون فـزت بالرشد
بـل هـي تعلق علم الله جـل بنا … مـع الـقـيـام بـذاتـه بـلا فند
لـذاك لاتصفن ذات السميع بقر … ب في المكـان أخـي كـلا ولا بعد

٢- ومنها: نظمه في الدعاء بأسماء الله الحسنى وهو يقع في ١٢٢ مائة واثنين وعشرين بيتا يقول في أوله:

يـقـول أحمـد بـن عبـد الـقـادر … سليل أبـات الـنجيب الماهر
أحمـد مـن أمـر بالدعـاء … ثـمـت أن أدعـوَ بـالأسماء
أسمائـه الحسنى العظيمة التي … وعـد مـن أحـصى دخـول الجنة
كما روى الثقات عن خير البشر … صـلى عـليـه الله مـنـزل الـسـور
مـن أجـل ذا دعـوتـه امـتـثالا … بهـا أُرَجِّـي عـنـده الـنـوالا
مـرتـبـا لهـا عـلى الـذي ورد … في الخـبر المشهـور عمن يعتمد
أقـول بـاسـم الله بـعـد حمـده … مـصـلـيـا عـلى الـنـبـي عـبـده
أدعـوك بـالله سُـماك(١) الاعـظـمِ … أن تثبت الإيـمان لي في مختمي

إلى آخره...

وقد تناول في هذه المقدمة عدة مواضيع نشير إليها فيما يلي:

١. فبعد أن عرف بنفسه في البيت الأول، بين بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر بدعائه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]

(١) سماك أي اسمك، فهي لغة من لغاة الاسم العشر، ولا شك أن العلامة أحمد كان على دراية تامة بها، لأنها مذكورة في أول احمرار ابن بون الذي كان يختم عليه كل أسبوع، وذلك في قوله:

وثلث الهمزة واحذف واقصرا … مثلث السين سماة اذكرا.

٢. ثم بين أن الله تعالى أمر بدعائه بأسمائه الحسنى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٣. ثم ذكر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» متفق عليه(١).

قلت: وقد اختلف العلماء في معنى الإحصاء هذا، على عدة أقوال:

- **أحدها**: أن المعنى: من عدها، ويدل له رواية سُفْيَانَ (مَنْ حَفِظَهَا دخل الجنة)(٢).
- **والثاني**: أن المعنى: من أطاقها بحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الرب بها.
- **والثالث**: أنه من عرفها وعقل معانيها وآمن بها. قاله البيهقي (٣)

٤. ثم بين رحمه الله أن هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ، وهو كذلك بالنسبة لحديث الإحصاء الذي تقدم، وأما الزيادة التي فيها سرد الأسماء هكذا فقد رواها الترمذي في الجامع، والحاكم في المستدرك، وقد اختلف في رفعها إلى النبي ﷺ.

قال بن حجر: واختلف العلماء في سَردِ الأسماء هل هو مرفُوع، أو مدرج في الخبر من بعض الرُواة، فمشى كثير منهم على الأول، وذهب آخرون إلى أنَّ التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العُلماء(٤).

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/ ٢٢٠).

(٢) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٦٢).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٢٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٢١٥).

وهذه الأسماء التسعة والتسعون ليست جامعة لكل أسماء الله لأن بعض الأسماء استأثر الله تعالى بعلمه كما جاء في قوله ﷺ: «أواستأثرت به في علم الغيب عندك».

قال النووي: وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارِ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هو لك سَمَّيْتَ بِهِ نفسك أواستأثرت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ).

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ للهِ تَعَالَى أَلْفُ اسْمٍ قال بن الْعَرَبِيِّ وَهَذَا قَلِيلٌ فِيهَا وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

ويقول رحمه الله في خاتمة هذا النظم:

يـاربـنـا بـذي الأسـامـي الحسنى　　اخــتــم لــنــا بهــا إذا مــا متنا
وكــن لنا عند ابـتـلاء في القبور　　ووفــقــنَّــنَــا لمــا يــولي الــسرور
وثــقــلــن مـــوازن الحَــسْــنــات　　مـع محــو مـا كــان مــن الــزلات
حتى نكون من ذوي الحـثْـوات[٢]　　يــا رب بـــالأســماء والـصـفــات
وصــــل دائـــــما عـــلى محــمــد　　وآلـــه وصــحــبــه والمـقــتــدي

(١) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٥).

(٢) قوله من ذوي الحثوات إشارة إلى ما جاء في حديث عُتْبَةَ بْن عَبْدٍ السُّلَمِيّ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يُتْبِعُ كُلَّ أَلْفٍ بِسَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يَحْثِي بِكَفِّهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ)، فَكَبَّرَ عُمَرُ، فَقَالَ ﷺ: (إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْأُوَلَ يُشَفِّعُهُمُ الله فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ أُمَّتِي أَدْنَى الْحَثَوَاتِ الْأَوَاخِرِ) رواه ابن حبان في صحيحه: (الحديث: ٧٢٤٧).

مـــن مـهـتـد مـــن أمـــة المـخـتـار   تـعــاقــبَ الـلـيــل مـــع الـنـهــار
ثـــم عـــلى الأمــــلاك والمـقــربـيــن   مــع الــســلام دائــما في كــل حين.

فهذا النظم يعتبر جزءا من إنتاجه العلمي، وكذلك طلابه الذين أمضى في تكوينهم الجزء الأكبر من عمره رحمه الله، وهم يعتبرون أهم إنتاجه العلمي، وسنشير إليهم في المبحث الآتي:

المبحث السابع
في طلابه

جلس العلامة أحمد بن الداد للتدريس مدة طويلة كون خلالها عدة أجيال من شتى القبائل، فمنهم المدرسون المتخصصون في العلوم كلها،وخصوصا في اللغة العربية ومنهم العباد والزهاد، ومنهم من يجمع ذلك كله، ومنهم الشعراء والأدباء.

ونذكر هنا مساجلة رائعة جرت بين اثنين من هؤلاء الأدباء وهما: الأديبان الشاعران: محمد بن بيدرالجكني، ومحفوظ بن جار الله ابن امني [1] فقد ضمهما مجلس ذات يوم بعد كبرهما، فقال محمد بن بيدر يخاطب محفوظا:

يا طالب الأدب المحفوظ معهده	من كل ما هو مسموع وملحوظ
لا تتعب النفس يوما في تطلبه	فمعهد الأدب المحفوظ محفوظ

فأجابه محفوظ بقوله:

هـذا إذا لم تجـد محـمـدا ومتى	وجـدتـه فمقول الـكـل ملفوظ
قيد بلفظك أو بالقلب ذاك بذا	فالقيد نـوعـان مـنـوي وملفوظ

---

(١) هو العلامة والاديب الكبير محفوظ بن يعقوب بن جار الله " أهل الشيخ بن امني " درس على العلامة احمد بن الداد وكان لا يبارى في علم اللغة العربية ، ويحكى انه حضر ندوة للغة العربية تشرف عليها جمهورية مصر ودار النقاش في موضوع دقيق فكانت مداخلته رائعة أبهرت الحضور فقال له الدكتور المصري : تخرجت من اي جامعة يا شيخ ؟ فقال له : تخرجت من جامعة آغنيزير "محظرة العلامة أحمد بن الداد" كان رحمه الله مع ذكائه وبراعته في الأدب هادئا ويظهر عليه سمت العلماء وأهل الفضل ، له ديوان شعر جيد . توفي رحمه الله سنة :١٩٩٤ للميلاد . .

فهذا الأدب الأصيل كما ترى قد ترعرع في أحضان هذه المحظرة، وتمت صناعة هؤلاء وأمثالهم على يد هذا الشيخ الجليل، وهم أعداد كثيرة لا سبيل إلى حصرهم، ولكن نشير إلى بعض من مشاهيرهم فمنهم:

١. محمد محمود بن أحمد بن أبات القلقمي (أهل ابات)
٢. سيد محمد بن الإمام بن الداد
٣. أبات بن محمد عبد الدايم
٤. حميد بن الغوث
٥. محمد احمد بن الطلبه [١]
٦. ابنه محمد يسلم بن الداد
٧. محمد أبات بن محمد
٨. أحمد بن محمد محمود [٢]
٩. أحمد بن سيد عبدالله
١٠. يحي بن دحمود
١١. الشيخ بن سيد عبدالله
١٢. أحمد بن جدامٌّ
١٣. الحاج بن فحف المسومي
١٤. محمد بن بيدر الجكني.
١٥. محمد المختار بن السالم الجكني (أهل الحاج الرماظين)
١٦. محفوظ بن جار الله (أهل الشيخ ابن امني)
١٧. لخليفة بن جار الله

(١) وهؤلاء الخمسة ستتم ترجمتهم في الطبقة الرابعة إن شاء الله تعالى.

(٢) وهؤلاء الثلاثة ستتم ترجمتهم في الطبقة الخامسة.

١٨ . محمد الأمين بن ختار الجكني

١٩ .سيد عبدالله بن الزين العلوي

٢٠ .محمد مر بن الحابوس (أولاد اعلي)

٢١ .كابر بن سيد بن عبدي

٢٢ .محمد بن حمن الجكني

وغيرهم كثير.

المبحث الثامن
في أبنائه

ترك رحمه الله ابنا واحدا، لكنه يزن عدة أبناء، وهو النحوي الكبير: شيخنا: محمد يسلم بن أحمد بن الداد وستأتي ترجمته في الطبقة الخامسة إن شاء الله تعالى.

المبحث التاسع
في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

ظل رحمه الله يمارس نشاطه العادي من التدريس والعبادة وحتى في فترة شيخوخته، إلى أن توفي رحمه الله في حدود سنة: ١٣٦٦ هـ ودفن في مقبرة «إريج فوقات» في جنوب تكَانت، ورثاه عدد من طلابه الكبار، فمنهم الشعراء التالية أسماؤهم:

١. أحمد بن جد ام

٢. يحي بن دحمود

٣. محفوظ بن جار الله.

وسنذكر قصائدهم على هذا الترتيب تباعا.

المرثية الأولى: للشاعر الأديب أحمد بن جد ام

يقول فيها:

صعب الفنون أرى أن يستبان أبى ... من بعد من كان للدين القويم أبا
فناعيه نـاع لها تلك الفنون إذا ... شحـاج غربانها بالبين قـد نعبا
بحر طمى موجه يلتاح ملتطما ... غـــواص لجـتـه راء بهـا عجبا
كم عينه سهرت خوف الإله وكم ... راض من معضلات العلم ما صعبا

ولم نحصل عليها الآن كاملة للأسف.

المرثية الثانية: للشاعر والأديب يحي بن دحمود:

يقول فيها:

وليلةٍ مثل موج البحر غماء[1] لا يبصر البرق فيها غير غماء[2]
طار الكرى[3] ككران[4] والسهاد له خلف على الجفن من آلام جلاء[5]
فبات خدى ناب عن وسادته والعين مسمولة بشوك غناء
والقلب يسطركالزناد تحسبه حديدة شررا ما بان للراء
ومهجتى من دوام الحزن تحسبها جرباء[6] مهنوءة[7] تمشى بجرباء[8]
ما شمت برق يمان كالمهيض إذا في هيدبات[9] يلوح وسط غراء[10]
ولا تنسمت بالأسحار ريح صبا هبت بأذفر[11] من أردان[12] أسماء
لكن بكيت على من فى العدا [13] دفنوا تحت العداء[14] وريب الدهر بكاء
يا ويلة الناس إن الأرض قد سترت قول الخليل وعمرو ثم فراء

---

(١) الغماء: المطبقة الظلام.
(٢) والغماء: من الخيل كثيرة شعر الناصية.
(٣) الكرا: النوم.
(٤) لعل المراد به الكروان، ويقال لذكره الكرا، ومنه قولهم في المثل: أطرق كرا إن النعام في القرى.
(٥) الجلاء: الأمر العظيم.
(٦) الجرباء الناقة المصابة بداء الجرب.
(٧) والمهنوءة المطلية بالقطران.
(٨) والجرباء: الأرض القاحلة.
(٩) الهيدبات: هي السحب المتدلية التي كأنها تمس الأرض.
(١٠) السحابة البيضاء التي تصب الماء.
(١١) المسك الأذفر أي طيب الريح.
(١٢) الأردان: الأعطاف.
(١٣) العدى كإلى: الأرض المستوية.
(١٤) العداء: الصخور التي تجعل على القبر.

ووزن أشـيـاء لاتـعـبأ بـه أبـدا   قـد انقضى زمنا كـوزن أشـيـاء[1]
والمالـكـيـة[2] فـوق الصد تحسبها   خيطاء[3] فى الطلق لاتثنى بغلباء
قد راضها السيد المفضال في مهل   له السها فى السرى أربـاب حوجاء
والآبـــدات مـن التوحيد قيدها   ينقض مثل تـنـوفي[4] بصحراء
أأحمـــد أنـت خـير الخـلـق كلهم   غيرالنبيين والصحب الأجـلاء
لازلـــت في خـيـر وفى نعم   يغشى ضريحك ثيث كل سهواء[5]
بجاه أفضل خلق الله مدرههم[6]   عند الـعـوان[7] وعند كل بأساء

(١) وزن كلمة: «أشياء» من المباحث الصرفية الصعبة التي اختلفت فيها أقوال الأئمة، وسيأتي إيضاحها في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد، في لغزه الذي أرسل به للعلامة أحمد بن أحمد الهادي.

(٢) المالكية لقب لفريضة معروفة في التركة وقد أشار لها خليل بقوله: (وَإِنْ كَانَ مَحَلَّهَا أَخٌ لِأَبٍ وَمَعَهُ إِخْوَةٌ لِأُمٍّ سَقَطَ) وإنما سميت بالمالكية لأن مالكا لم يخالف زيدا في باب التركة إلا فيها. انظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٤ / ٤٦٥)
فالشاعر رحمه الله يقول إن المسائل العلمية العالقة ستستعصي على الناس بعد العلامة أحمد بن الداد، الذي استطاع أن يروضها، وذكر في الصرف وزن «أشياء» وذكر في الفقه الفريضة المعروفة «بالمالكية » وهكذا.

(٣) الخيطاء: النعامة طويلة العنق.

(٤) يشير إلى عقاب تنوفى الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

كَأَن دثارا حلقت بلبونه   عِقَابُ تنوفى لَا عِقَابُ القواعل

وتنوفى: بفتح التاء المثناة فوق والفاء، كـ: جلولا،مقصور للضرورة: ثنية مشرفة قرب القواعل. قاله في القاموس. وقال في المغني: إنه جبل عال، والقواعل: الجبال الصغار. وقد كان امرؤ القيس نزل في طيىء، فأغير على إبله ونهبت، فهو يقول: كأنما اختطفتها عقاب الجبل العالي، فحلقت بها في الجو، فلا يرجى رجوعها.

(٥) السهواء: هادئة السير.

(٦) المدره: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأْيه.

(٧) العوان: الحرب التي سبقتها أخرى فالأولى تسمى بكرا والتي بعدها تسمى عوانا، وهي أشد من الأولى غالبا.

صلى الإلـه عليه مـا شـدا أرق	في ليلة مثل مـوج البحر غماء

المرثية الثالثة للشاعر الكبير: محفوظ بن جار الله يقول فيها:

مـرض القلب لا لبيض التراقي	والـتـنـائـي عنهن بـعـد التلاقي
وشفاهها والثنا الـغـر منـها	والـلـثـا الحـو والخـصـور الـرقـاق
والمحـاكـي تصوير أدم المها من	قـد أجـيـادهـا وحـسـن الحـداق
لاولامـا تـضـمـن الثغرمنها	من رضـاب كالشهدعذب المذاق
إنـما خـطـبـه الجـلـيـل لـرزء	عـم أقـطـار الأرض بـالإطـلاق
واسبكرت منه الليالي وعاضت	مـن سـنـاهـا غـيـبـوبـة الإشراق
موت قطب قد ساد في الفضل يرقى	سُـلَّـما فـيـه مـا لهـا مـن راقـي
غـاص في أبحر العلوم فأضحى	ذا اصطباح من فيضها واغتباق
ودَّع الجـنس منذ أيفع طفلا	لاجـتـنـا الـعـلـم لا لخـد وسـاق
ثـم بـاع الـكـرى بسهد وعصـيا	نـا وخـلـفـا بـطـاعـة الخـلاق
وثوابا لشانـئيه بحلم	وشقاقا لحـيه بوفاق
وظـهـورا بـين الـورى بخمول	وركـونـا إلى الـدنـا بـطـلاق
وتحلى بالزهد عنها وبـاع الطـ	ـيب منها وحلوهـا بالزعاق
همه في يوم التلاقي وشغـل النـ	ـاس فيها حـوالـة الأسـواق
لم يـزل يـذكـر الـفـراق إلى يو	م أنـيـخـت لـه مـطـي الـفـراق
لـو تُـبَـقّي تلك المـآثـر حيا عما	عـد للخلق في الـثـوى والتلاقي
أبـقـت الشيخ في الحـيـاة ولكن	لـيـس حـي عـلى المـنـون بباقي
رب فـارزقـه مـا يحـب ويـرجـوا	مـن نعيم الجـزا وكـأس دهـاق
وصـلاة عـلى المـشـفـع مـا حر	رك بـين هـواجـس المـشـتـاق

ويحكى أن كبار طلاب العلامة أحمد بن الداد، أعجبوا بسبك هذه القصيدة لكن انتقدوا أسلوبها وقالوا شذت عن أسلوب المراثي لأنها بدأت بأبيات غزلية، والمراثي عند العرب تبدؤ بالرثاء وتنتهي به، أو بما يتعلق به كالدعاء للميت ولأبنائه، والقدوة عندهم في ذلك قصيدة متمم بن نويرة التي يرثي فيها أخاه مالكا، وهي المعروفة بأم المراثي، وهي من القصائد الرائعة لجودة شعر صاحبها وصدق عاطفته، فلنذكر هنا مقاطع منها، فهي طويلة جدا، يقول فيها رحمه الله:

لَعَمْري، وما دهـري بتأبِينِ مَالكٍ ... وَلاَ جَزعاً مِمّـا أَصَـابَ، فَأَوْجَعَا
لَقَدْ غَيَّبَ المِـنْـهَـالُ تَحْـتَ رِدَائِــهِ ... فَتىً كَانَ مِبْطَانَ العَشِيّاتِ أَرْوَعَـا
وَلاَ بَـرَمـاً تُهْـدي النّساءُ لِعِرْسِهِ ... إذا القَشْعُ منْ رِيحِ الشتاءِ تَقَعْقَعَا
لَبِيباً أَعَــانَ الـلُّـبَّ مِـنْـهُ سَـمَاحَـةٌ ... خَصيباً، إذا ما راكب الجَدْب أَوْضَعَا
أَغَـرَّ كَنَصْلِ السّيْفِ يَهْتَزّ للنّدى ... إذا لم يَجِدْ عِنْدَ امْرِىء السَّوْءِ مَطْمعا
إذا اجتزَأَ القَوْمُ القِدَاحَ، وَأُوقِـدَتْ ... لَهُـمْ نَـارُ أَيْـسَـارٍ كَفَى منْ تَضجّعا
وَيَوْماً إذا ما كظّكَ الخَصْمُ إن يَكُنْ ... نَصِيرَكَ مِنْهُمْ، لا تَكُنْ أَنْتَ أَضْرَعَا
بِمَثْنى الأيـادي ثُمّ لَمْ تُلْفِ مَالِكاً ... لَدَى القُرْبِ يَحْمِي لَحْمَهُ أَن يُمَزَّعَا
فَعَيَنَيَ جُـودِي بالدّموعِ لمالكٍ، ... إذا أَرْدَتْ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعا
وللشَّربِ، فابْكي مالكاً ولبُهمةٍ، ... شديدٍ نواحيهِ على مَـنْ تَشَجّعَا
وَللضّيْفِ إنْ أَرْجَـى طُرُوقاً بَعِيرَهُ ... وعـانٍ ثَـوَى في القِدّ حتى تَكَنّعَا
وَأَرْمَـلَـةٍ تُسْعى بِأَشْعَثَ مُحْثَلٍ، ... كَفَرْخ الحُبارَى رَأْسُـه قد تَصَوّعا
فَتىً كَانَ مِخْذاماً إلى الـرَّوعِ ركضُهُ ... سريعاً إلى الدّاعي إذا هُـوَ أَفزَعا
وَمَا كان وَقَّافاً، إذا الخَيْلُ أَحجَمَتْ، ... وَلاَ طائِشاً عِنْدَ اللّقاءِ مُرَوَّعا

إلى أن يقول:

سَقَى الله أرضـاً حلّها قـبرُ مالكٍ ذهابَ الغَوادي المُدْجِناتِ فَأمْرَعا
فمُخْتَلفَ الأجْزاع من حَول شارعٍ فـروّى جِبالَ القرْيَتينِ، فضلفعا
وآثَــرَ سَـيْـلَ الـوادِيَــيْنِ بِديمةٍ، تُرَشِّحُ وَسْمِيّاً منَ النبْتِ خِروَعا
تَحِيّـتُـهُ مِـنّــي، وإنْ كَــانَ نَائِياً، وَأَمْسى تُراباً فَوْقَهُ الأرضُ بلْقَعا
فــإنْ تَـكُــنِ الأيــامُ فَـرّقْــنَ بَيْنَنا لقدْ بـانَ مَحْمُـوداً أخـي، يـومَ وَدّعـا
وعِشْنا بخيرٍ في الحـيـاةِ، وقبلَنا أصَـابَ المَنَايا رَهْـطَ كِـسْرى، وَتُبّعَا
وَكُـنّـا كَـنَـدْمَـاني جَـذِيـمَـةَ حِقْبَةً من الدّهْرِ، حتى قيلَ لن يَتَصَدّعا
فَـلَـمّا تَـفـرّقْـنـا كـأنيّ ومـالِـكـاً لطول اجتـماعٍ، لم نَبِتْ ليلةً مَعَا
فتىً كـانَ أَحْـيَـا مـن فَـتـاةٍ حَيِيّةٍ وأشْـجَـعَ مـنْ لَـيْـثٍ إذا مـا تمنّعا
تَقُولُ ابْنَةُ العَمرِيّ: مَا لَكَ بَعْدَما أَرَاكَ قديماً ناعمَ الـوَجْـهِ أَفرعا
فقلت لها: طولُ الأسى، إذ سألِتِني ولوعةُ حُـزْنٍ تـترك الوجةَ أسفعا
قَـعِـيـدَكِ أن لا تُسمعيني مَلامَةً ولا تَنكَئي قَـرح الـفـؤادِ فييجعا
وَحَسْبُكِ أني قد جَهِدْتُ، فلم أجِد بـكـفّـي عـنـه لـلـمَـنـيّـةِ مـدفَـعـا

إلى أن يقول:

أبــيّ الـصّــبر آيــات أراهـــا وأنّنى أرى كلّ حبل دون حبلك أقطعا
وأنـى متى ما أدع باسمك لا تجب وكنت جديرا أن تجيب وتسمعا
فما شـارف عيساء ريعت فرجّعت حنينا فأبكى شجوها الـبرك أجمعا
ولا وجــد آظـــآر ثــلاث روائـــم رأيــن مجـرّا مـن حـوار ومصرعا
يــذكّــرن ذا الـبــثّ القديم بدائه إذا حنّت الأولى سجعن لها معا
بــأوجــد مــنّــى يــوم قــام لمالك منــاد فصيح بـالـفـراق فأسمعا

الباب الرابع

في ترجمة الطبقة الرابعة وفيه عدة فصول

الفصل الأول: في ترجمة العلامة: محمد محمود بن أحمد وفيه عدة مباحث

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة محمد احمد بن الطلبه الحفيد وفيه عدة مباحث.

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة: سيد محمد (سيدين) بن الإمام

وفيه عدة مباحث.

الفصل الرابع: في ترجمة العلامة: محمد محمود (حميد) بن الغوث وفيه عدة مباحث.

الفصل الخامس: في ترجمة العلامة: أبات بن محمد عبد الدايم وفيه عدة مباحث:

ورتبناهم هكذا حسب ترتيب وفياتهم رحمهم الله.

الفصل الأول

في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد وفيه خمسة عشر مبحثا

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية.

المبحث الرابع: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث الخامس: في مؤلفاته

المبحث السادس:: اشتهاره بالقضاء وقوته فيه:

المبحث السابع: في قوته في الفتوى ونماذج من فتاواه:

المبحث الثامن: في علاقته بعلماء عصره والردود التي جرت بينه وبين بعضهم وذكرمثالين لذلك:

المثال الأول: ماجرى بينه وبين الشيخ أحمد أبي المعالي

المثال الثاني: ما جرى بينه وبين العلامة أحمد بن سيد احمد بن الهادي

لمبحث التاسع: في علاقته بأمراء منطقته.

علاقته بإمارة إدوعيش

علاقة بشيوخ قبيلة كنتة

المبحث العاشر: في مزحه ونوادره.

المبحث الحادي عشر: في اهتمامه باللغة العربية وذوقه الأدبي

المبحث الثاني عشر: في هديه وعبادته.

المبحث الثالث عشر: في طلابه.

المبحث الرابع عشر: في أبنائه.

المبحث الخامس عشر: في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة الجليل: محمد محمود بن أحمد بن أبات

ولد رحمه الله في منطقة الركيبة بضواحي كيفة جنوب البلاد (موريتانيا) في حدود سنة: ١٣٠٦ هجرية، وأمه المرأة الصالحة مريم بنت سيد محمد (الداي) بن بُلبَّاتْ [1] الجكني، من فخذ (أشفقات)

وتوفي عنه والده وهو صغير فذهبت به أمه إلى أخوالها وكانت تسكن مع أمها: القريشية بنت احمدَّ بن محمد الراظي (أهل سيد محمود) في ضواحي كيفة، فحفظ القرآن عندهم، وترددت به أمه على عدد من القراء حتى أتقن القرآن وعلومه كالتجويد والرسم ونحو ذلك، ولما ناهز البلوغ قدمت به على أهله،أهل أبات في تكَانت، فبدأ في دراسة العلم كما سنرى ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) وهو العلامة الجليل: محمد بُلبَّاتْ بن سيد بن أحمد بن المختار بن مود، وأبناؤه أربعة:
سيد محمد (الداي) وهو جد أهل الداي، وأهل ختار، وأهل النهاه.
سيد المختار وهو جد أهل محمد المختار بن أحمد، وأهل محمد ابات.
الطالب أحمد وهو جد أهل الداه وأهل أوَّ.
إبراهيم، وهو جد أهل سيد وأهل(تمِّيْنْ) وأهل (ابَّيْدَه).
ومن هذه الأسر الأربع تتكوَّنُ فصيلة «أهل بلبات «المعروفة، وهذه الفصيلة من أشفقات لها تاريخ مشرق في تكَانت، فقد استطاعت أن تقوم بحمل أعباء قبيلة تجكانت بمفردها في شمال ووسط تكَانت، وقامت بذلك بجدارة تامة، دينيا وسياسيا وماديا وعسكريا، وقد كان العلامة محمد محمود بن أحمد هذا يزكي شبابهم جميعا ويقول: لا يوجد فيهم سفيه ولا فاسق،- سمعت ذلك من شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله - وهذا ثناء كبير جدا، فرحم الله السلف وبارك في الخلف.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

وفي هذه الفترة كما قلنا قدمت به أمه على أهله أهل أبات وكانت محظرتهم آنذاك في أوج ازدهارها على يد العملاقين، وهما: أخوه العلامة محمد بن أحمد، وابن عمه: العلامة أحمد بن الداد وهما من تلاميذة أبيه، وتقدمت ترجمة كل منهما في الباب السابق، فلما قدمت به بدأ أخوه العلامة محمد يختبره، هل يحفظ شيئا من القرآن أم لا؟ فإذا به متقن لكتاب الله تعالى بدرجة عالية جدا، فسُرَّ بذلك ودعا لأمه، وقال: أمَّا إذ فعلت به هي ذلك، فسترى ما سنفعله نحن به إن شاء الله تعالى، فأمره بكتابة الديوان الستي، وهو «مختارات الأعلم الشنتمري» قال فحفظته كحفظي للقرآن، ثم قرأ الدواوين الأخرى كديوان غيلان ونحوه من شعراء الدولتين، ثم تحول إلى سيبويه زمانه: العلامة أحمد بن الداد فقرأ عليه النحو فأتقن عنده جامع ابن بونه، وكُتب ابن مالك في النحو والصرف حتى تبحر في علوم اللغة العربية، وكان يقول: كنت أظن أن فني (أي تخصصي) سيكون اللغة العربية فقط.

ثم بعد ذلك عاد إلى أخيه العلامة محمد، وبدأ في قراءة مختصر خليل بادئا بباب البيوع كعادة طلاب محظرة أهل أبات، ثم أكمل الكتاب بإتقان، ثم واصل دراسته لباقي المتون من أصول الفقه والمنطق والبلاغة والعقائد والمصطلح وغيرها، وبرع في كل ذلك.

ويقول رحمه الله كنا عند شيخنا العلامة محمد ونحن عدد كثير من الطلاب، ومن زملائي من كان لايبارى في الاجتهاد في دراسة العلم، حتى إنه لا ينام إلا

قليلا، وكنت أحاول مجاراتهم في ذلك، وفي بعض الأيام وأنا تحت شجرة أراجع درسي من المختصر على شرح عبد الباقي الزرقاني، هجم علي النعاس فكنت آخذ عصا أضرب بها نفسي لئلا أنام، فوقعت العصا بالخطإ في أوراق الكتاب فأثرت فيها تأثيرا بالغا، قال فمر علي شيخنا العلامة محمد وأنا على تلك الحال، فلما رأى المشهد قال لي: يا محمد محمود هون عليك، «إن المها لم تكتحل بالإثمدي».

قال فهذه النصيحة أفادتني كثيرا، فتركت تلك المجارات وذلك السباق، وصرت أطلب العلم بهدوء[1]».

قلت: وهذا هو الهدي الإسلامي المشار له بقوله ﷺ:

(سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا) رواه البخاري[2]».

وروى البيهقي بسنده إلى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عبدالله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ الله، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[3].

وما أنشده العلامة محمد هو عجز بيت للبوصيري يمدح به أبا العباس المرسي فيقول:

قل للذين تكلفوا زي التقى ... وتخيروا للدرس ألف مجلدِ
لا تحسبوا كحل الجفون بحيلةٍ ... إنَّ المها لم تكتحل بالاثمدِ[4]

(١) سمعت هذا من كل من شيخنا العلامة: محمد اباه بن محمد والوالد أحمد بن محمد محمود رحمهم الله تعالى.

(٢) صحيح البخاري (الحديث: ٦٤٦٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٢٨).

(٤) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ٣٠٥).

فكأنه يقول له: إنما هذه أسباب والله يؤتي فضله من يشاء، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّهُ نُورٌ يَجْعَلُهُ الله فِي الْقُلُوبِ[(١)].

وذلك طبعا بعد الطلب الجاد والعمل بالعلم، فقد قال بعض السلف: العلم نور نفور. وقال مالك رحمه الله: العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع[(٢)].

وقال سفيان الثوري: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل[(٣)].

وقد كان العلامة: محمد محمود رحمه الله من العلماء العاملين، فبوأه الله مكانة علمية عالية، كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢ / ٦٠).

(٢) سمعت ذلك من شيخنا العلامة محمد ابات رحمه الله.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٧٠٧).

المبحث الثالث
في مكانته العلمية

تبوأ العلامة محمد محمود بن أحمد مرتبة علمية سامقة، وبدأ في التدريس والإفتاء في شبابه، بعد إتقانه للعلوم الشرعية، وذلك في أخريات أيام أخيه وشيخه العلامة محمد، الذي أجازه في الإفتاء، وذلك لما سأله قائلا: أنا أحيانا أكون مع أخوالي أهل بلبات، فيسألني الناس هل أجيبهم؟ قال: نعم أجبهم، ولا تعجل.

وكان يثني عليه كثيرا في وقت مبكر، ويفضله على جميع طلابه، فقد سألته زوجته خديجة بنت سيد عبدالله فقالت له: أي طلابك تراه أفضل؟ فقال لها: محمد محمود صاحبنا، إن كان هادئا متأملا لا يماثله منهم أحد [(١)]

وفعلا كان من العلماء البارزين، فقد كان له وزن كبير في الساحة العلمية في البلد، وكان إليه المرجع في الإفتاء والقضاء في ولاية تكَانت عامة وما جاورها، واشتهر عند العامة أن اسم القاضي إذا أطلق في تلك المناطق فالمراد به هو، -هذا- والعلماء إذ ذاك متوافرون، وكان لا يبارى في الفقه المالكي، وفتاواه الموجودة تدل على دقته وتمكنه وتبحره فيه، وكان أعجوبة في معرفته لمختصر خليل، حتى كان يقول: لا ترد علي مسألة من الحلال أو الحرام إلا أمكنني أخذ حكمها من مختصر خليل من منطوقه أو مفهومه. [(٢)]

(١) هي جدتنا من جهة الأم وقد أدركناها في مرحلة الشيخوخة وكانت من العابدات رحمها الله.

(٢) سمعت هذا من الوالد أحمد بن محمد محمود رحمهما الله تعالى.

وكان تلميذه وابن أخيه شيخنا العلامة محمد أبات معجبا به غاية الإعجاب ويبالغ في معرفته لمختصر خليل، وهو رحمه الله لبراعته وتمكنه في الفقه، لا يكاد يعجبه أحد.

وقد خدم العلوم الشرعية مدة طويلة قدم فيها عطاء متميزا، كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الرابع
في محظرته وعطائه العلمي

جلس العلامة محمد محمود للتدريس والإفتاء والقضاء بعد وفاة أخيه وشيخه العلامة محمد، بل في أخريات أيامه، واستمر على ذلك مدة تقارب نصف قرن تقريبا ، وقد تخرج على يديه أجيال من العلماء منهم من كانت له محاظر في حياته هو، رحمه الله، وكانت محظرته تدرس فيها العلوم الشرعية كلها، ولهذا نجد العلامة الأديب محمدو بن مود الجكني في مرثيته له يقول:

تصدر للتدريس مذ هو يافع ... فصار الإمام العدل يا حبذا العدل

إلى أن يقول:

ستبكيه وراد العلوم كأنها ... يتامى فلا أم لديهم ولا أصل
وتبكي أصول الفقه شجوا لفقده ... ويبكي عليه القيس والفرع والأصل
ويبكي عليه النحو نحو بكائها ... فيبكي عليه الحرف والإسم والفعل
ولا بدع أن يبكي البديع لموته ... ويبكي البيان الغض والمنطق الجزل
ونبكي لقبض العلم نزعا بقبضه ... ويبكي عليه الخصم أن فاته العدل

وهو يشير بهذا البيت الأخير إلى أن نزع العلم من الناس يكون بموت العلماء، وهو ماثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «إِنَّ الله لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه[1].

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٧١٢).

المبحث الخامس
في مؤلفاته

من المعروف أن أي عالم اشتغل بالتدريس والإفتاء والقضاء، وقضاء حوائج الناس سيؤثر ذلك سلبا على إنتاجه التأليفي، وإن كان قد صرف وقته لله تعالى، ولهذا نجد العلامة محمد محمود رحمه الله لم يترك مؤلفات كثيرة نظرا لكون وقته كان مليئا بالأعمال الكثيرة من التدريس والإفتاء والقضاء وحل مشاكل الناس، وأكثر ما ترك هو عدة رسائل وفتاوى كثيرة ومن مؤلفاته:

١. شرحه لأبيات شيخه وأخيه العلامة محمد بن أحمد في شأن معية الذات وهو شرح جيد يدل على تبحر الرجل في علوم الآلة عموما وكذلك علوم العقيدة والتفسير، وقد قمت بتحقيقه وطباعته طباعة أولية.
٢. رسالة في علم المنطق في الفرق بين الكل والكلية.
٣. رسالة في الوقف.
٤. وله فتاوى كثيرة وسنذكر نماذج منها في المبحثين الآتيين.

وسنحاول جمعها وطباعتها في مجموع يخصها بعنوان: مجموع رسائل وفتاوى العلامة محمد محمود بن أحمد إن شاء الله تعالى.

وقد كان رحمه الله مؤيدا من قبل الله عز وجل في الفتوى والقضاء فكان إليه المرجع فيهما في منطقة تكَانت عامة وما جاورها وسنشير إلى نماذج من فتاواه في المبحث الآتي:

المبحث السادس:
في اشتهاره بالقضاء وقوته فيه

اشتهر العلامة محمد محمود رحمه الله بالكفاءة العالية في القضاء لتبحره في فقه المعاملات، وإتقانه ونفوذه وقوته في الحق، ومن المعروف أن ذلك من الصفات المهمة في القاضي قال بن عاصم في التحفة:

وَاسْتُحْسِنَتْ فِي حَقِّهِ الجُزَالَةْ　　وَشَرْطُهُ التَّكْلِيفُ وَالْعَدَالَةْ

قال القاضي عياض: الجزالة الوقار والعقل والقطع، وفسرها بعضهم بالقوة والإحكام والإتقان[1].

ولا شك أن هذه الصفات تشتد الحاجة إليها أكثر إذا علمنا أن القضاة في عصره لم تكن وراءهم سلطة سياسية تحميهم أو تقوم بتنقيذ أحكامهم، وإنما كان أحدهم يستمد قوته ومصداقيته من شخصيته وعدالته وتنفيذه لأوامر الله عز وجل، فكان الجبابرة المدججون بالسلاح يجلس أحدهم أمام ذلك الشيخ الأعزل في الظاهر، المسلح بهيبة الحق وسلطان العدالة والتقى، فينفذ فيه ما أراد وهو في غاية الخضوع والهيبة، وما أحسن ماقيل في الامام مالك:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة　　والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى　　فهو المهيب وليس ذا سلطان[2]

(١) شرح ميارة = الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام (١/ ١٢).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢ / ٣٤).

وقد كان العلامة محمد محمود رحمه الله يتمتع بنصيب وافر من تلك الصفات، والحكايات عنه في ذلك لا تحصى، وسنذكر منها مثالين اثنين:

المثال الأول:

هو أن جماعة من أبناء سيد حيبلله قدموا عليه ولديهم نزاع حساس وقديم في أرض بينهم، وقدكتبت فيه كتابات كثيرة من الفقهاء والموثقين، وتشعب النزاع فيه فترة طويلة وكثرت الشحناء، فذهب معهم إلى عين المكان، ثم قال لهم ائتوني بوثائقكم جميعا، فأتوه بكم كبير من الوثائق والكتابات، فنظر فيها جميعا، ثم قال هل بقيت لأحد منكم وثيقة لم يحضرها؟ قالوا: لا، قالوا: فأخذ تلك الوثائق جميعا ووضعها في النار، فثار بعضهم واستعظموا الأمر جميعا، فقال لهم اسمعوا: هذه الوثائق لا تثبت شيئا لأحد منكم، وأنا سأصلح بينكم، وهذه الأرض لن يقع فيها نزاع بعد اليوم، وما كان بينكم من الشحناء سيزول، وستسود بينكم المودة والرحمة، وفعلا حصل ما قال لهم رحمه الله.

المثال الثاني:

أنه كان في إحدى الفترات يتفقد بعضا من ثروته الحيوانية ومعه بعض طلابه، فمر على حي من بني حسان، فتلقوه بالترحيب وجعلوا يسألونه عن بعض أمورهم، فرفع إليه شأن نساء قد استولى أخوهم على مالهم وحرمهم منه، بدعاوى ملتوية، وهو شاب قوي يضرب به المثل في القوة وضخامة البدن والبطش، فلما حضرعنده وسمع الحجج، قال ائتوني بدواة وقلم أكتب لهن حقهن، فاعترض الشاب وقال لا تكتب علي، فالتفت إليه وقال: هو الله الذي لا إله إلا هو إن لم تغيب عني وجهك لآمرن بك فتوثق يداك خلف ظهرك وتلقى على وجهك الآن حتى تعرف من أنت. فأخذه أبناء عمه وذهبوا به وقالوا له غيب وجهك عن القاضي فإنه لو أمرنا بشيء فيك فسنفعله أيا كان.[1]

(١) سمعنا هذه الحكايات من الثقات وبعضهم من طلابه وكان حاضرا.

وكان رحمه الله سريعا في حل المشاكل بين الخصوم، حتى إنه ربما قضى بينهم وهو يمشي أو يزاول بعض أعماله في الحيوانات، ومن الطُّرَف الشائعة عنه أنه في بعض الأيام جاءه خصوم وهو عند مرابض الحيوانات فقال لهم: قولوا حججكم، وكان العلامة محمد احمد بن الطلبه وهو من معاصريه وكان مناوئا له - يراقب المشهد فقال: سبحان الله ما أقضاك يابن أحمد بن أبات تقضي في مرابض البقر والحمير.

المبحث السابع
في قوته في الفتوى ونماذج من فتاواه

من المعروف أن الفتوى هي الإخبار بالحكم الشرعي لا على وجه الإلزام، أما القضاء فهو الإخبار به على وجه الإلزام، وقد كان العلامة محمد محمود رحمه الله مؤيدا من الله سبحانه وتعالى فيهما، ولذلك نجده يرد على غيره ولم يرو أنه نقض له حكم أو فتوى طيلة حياته، حتى شاع عند بني حسان قولهم «حكم القاضي محمد محمود ما ينفتك» أي لا ينقض.

قلت: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد وقعت بينه وبين بعض معاصريه معارضات في بعض المسائل، ثم رجعوا إلى قوله، واغلبهم يكون خارج منطقته أما علماء منطقته فكانوا إذا رأوا كتابته سلموها باحترام وإجلال لعلمهم بدقته وتبحره في العلم الشرعي.

ونشير هنا إلى ثلاث نماذج من فتاواه

النموذج الأول: فتوى في البيوع

ونصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد فإني سئلت عن رجل عليه طعام من بيع فغلا الطعام حتى صار كالمعدوم أي عز وجوده هل يجوز عنه أخذ العوض أم لا؟

فأجبت والله الموفق للصواب: أنه يجوز عنه أخذ العوض كما أفتى بذلك سيدي عبدالله بن محم بن القاضي ومحنض باب بن اعبيد هذا في الملد ونحوه،

وأما مسألتنا فيؤخذ من كلام مالك في المسائل الملقوطة، وهو من امتنع من أخذ طعامه مرارا حتى غلا، يقضى له بالقيمة مع أنه موجود، وهو دافع له عينه فأحرى إن كان يضيع على ربه بالكلية، وكذلك قالوا إن من منع الطعام حتى غلا يقضى عليه بالقيمة، وإن كان هذا الفرع الثاني فيه قولان لكن القول بأنه لا يعطى القيمة لم يمنعوه لأجل بيع الطعام قبل قبضه بل منعوه من وجه آخر، فمن أراد الوقوف عليه فلينظر الرهوني عند قوله: «أو عدمت»(١)

وكذلك قول النووي أن بيع الطعام قبل قبضه فيه قول بالجواز ونسبه لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالحاصل أن حفظ المال مقدم على الربا فمن ذلك قول خليل: «كسفتجة إلا أن يعم الخوف»(٢) وقوله: «بخلاف تبر يعطيه المسافر وأجرته دار الضرب» (٣) وقول الونشريسي أنه يجوز خلط الألبان والأخباز، وقول بن عيشون تجوز المعاملة الفاسدة إذا لم توجد مندوحة غيرها.

ولا يعارض هذا قول خليل: «وإن انقطع ماله إبان أو من قرية خير المشتري في الفسخ والإبقاء ولو كان رأس المال مقوما»(٤) لأن ذلك فيما له إبان كالرطب والبلح، وصاحبه داخل على ذلك كما يدل لذلك كلام المواق عند المحل المذكور، فجمع معه نظائر يطول تعدادها، وقال إنه داخل على ذلك وتعتبر القيمة يوم الأخذ لأن الزرع لم تنقطع سبله التي يأتي منها بل يحرث ويأتي من الأقطار، ولا يلزم التأخير لقابل، بل يدفع له الآن أو قيمته الآن.

محمد محمود بن أحمد بن أبات (٥).

---

(١) انظر حاشية الرهوني ٥ / ١٨- ١٢١.

(٢) مختصر خليل: (ص: ١٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٤٦).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٦٤).

(٥) نقلتها من خطه رحمه الله.

النموذج الثاني: فتوى في الشركة

ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، اللهم صل على من لا نبي بعده.

وبعد فقد سئلت عن أخوين بينهما شيء من العبيد والحيوان فاشتريا أرضا مواتا من عند رجل قطعها له النصارى فأحياها أحدهما واستعان بالعبيد المشتركين بينهما، وغرس وبنى فقام أخوه يطلب الشركة معه فيما أحياه.

فأجبت والله الموفق للصواب: أنه يختص بها ولا يكون شريكه فيما أحيا، بل يكون له باقي الأرض يحييه إن شاء، ويرجع بنصف أجرته من العبيد إن كان أخذ أكثر من نوبته، وبيان ذلك أن إقطاع النصارى لا تملك به الأرض، لأن الإمام الذي اشتدت وطأته إنما تمضي أعماله إن كان مسلما، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] على أن المواق أجرى الخلاف في المسلم الجائر ونصه عند قول خليل: «ومضى حكم قاضيه وحد أقامه»[١]: ابن شأس: إن ولَّى البغاة قاضيا وأخذوا زكاة وأقاموا حدا فقال الأخوان: ينفذ ذلك كله، وقال ابن القاسم لا يجوز انتهى منه بحروفه[٢].

وأما قول البناني عند قول خليل: الباغية: «أن من تغلب على الناس لا يشترط فيه شرط [٣] المراد به من شروط الإمام التي عد خليل [٤] فلا يدخل

---

(١) مختصر خليل باب الباغية: (ص: ٢٣٧).

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل (٨/ ٣٧٠).

(٣) شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (٨/ ١٠٣).

(٤) يشير إلى قول خليل في أول باب القضاء:
أهل القضاء: عدل ذكر فطن مجتهد إن وجد وإلا: فأمثل مقلد وزيد للإمام الأعظم قرشي.

فيه المشرك، ويدل عليه قول خليل: «واستعانة بمشرك[1]» بل قال كنون عند النص المذكور أنها ردة. [2]

وأما كونه تلزمه أجرة ما زاد على نوبته فلقول عبد الباقي عند قول خليل: «كمعتق بعضه يأبق»[3] أن أحد الشريكين إذا استعمل نصيب شريكه تكون عليه الأجرة. [4] ولقول خليل: «إلا أن ينتفع»[5] وإن ادعى أحدهما أنه اشتراها بالدين وأنها تكون له، فإن سلمنا بأنها تملك بإقطاع النصارى فإنها تكون بينهما لقول البناني وسلمه الرهوني عند قول خليل: «لا الشراء به» أنه يكون بينهما ولو اشتراه بالدين[6]، ولقول خليل: «وَلِلِاشْتِرَاكِ فِيمَا بِيَدِ أَحَدِهِمَا إلاَّ لِبَيِّنَةٍ عَلَى: كإرثه وإن قالت: لا نعلم تقدمه»[7]: ونص المدونة عند قول خليل: «لا الشراء به» على نقل البناني: وما ابتاع أحد المتفاوضين من بيع صحيح أو فاسد لزم الآخر ويتبع البائع بالثمن أو القيمة في فوت الفاسد أيهما شاء فهو يشمل الشراء بالنقد وبالدين انتهى منه بحروفه»[8].

وهذا إن لم يأذن له الشريك وأما إن أذن له في الشراء فباتفاق الأئمة على أنه يكون بينهما وإن لم يكونا شريكين كما ذكره البناني قبل هذا بل يدل له قول خليل: «واشتر لي ولك فوكالة»[9] وقال الرهوني عند قول خليل: «كانفراد

---

(١) مختصر خليل باب الجهاد (ص: ٨٨) وانظر منح الجليل شرح مختصر خليل (٣/ ١٥١).

(٢) حاشية كنون على الرهوني ٣/ ١٤٤.

(٣) مختصر خليل باب النكاح / فصل القسم للزوجات (ص: ١١١).

(٤) شرح الزرقاني لمختصر خليل: ٢ / ٥٧.

(٥) مختصر خليل، فصل الاستحقاق (ص: ١٩٢)

(٦) حاشية الرهوني على الزرقاني: ٦/ ٤٦.

(٧) المصدر السابق باب الشركة: (ص ١٧٨).

(٨) شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (٦/ ٨٢).

(٩) مختصر خليل باب الشركة (ص: ١٧٩).

أحدهما به»[١] ما نصه: وأن من كان مع والده أو ولده أو أخيه أو أخته أو أولاد أخيه على مائدة واحدة فإن ذلك يوجب لهم حكم المفاوضة ولا يختص أحد منهم بشيء إلا بموجبه مما ذكرنا. انتهى منه بحروفه. والمراد بما ذكرنا: «إلا لبينة على كإرثه»[٢].

وقولي إن عليه أجرة العبيد إن أخذهم على وجه التعدي وإلا فإن استعملهم على وجه الشركة مع أخيه فيكون له بحساب عمله أي يكون له هو مثلا ثلاثة أرباع، ولشريكه ربع سواء دخلا على التفاوت أم لا لأنهما إن دخلا على التفاوت يترادان الأكرية لأنها فاسدة. خليل: «وَجَازَتْ بِالْعَمَلِ إِنْ اتَّحَدَ أَوْ تَلَازَمَ وتساويا فيه أو تقاربا»[٣].

فالحاصل: أن أحد الأخوين إن اشترى شيئا بالدين وهما على مائدة واحدة يكون بينهما لأنهما بمنزلة المتفاوضين، والمتفاوضان إذا اشترى أحدهما بالدين يكون بينهما كما قدمنا عند قول خليل: «لا الشراء به» بل ولو كانت شركة ذمم فاسدة يكون بينهما، خليل: «وباشتراكهما في الذمم وهو بينهما»[٤] وهذا إذا لم يأذن له وإلا فيكون بينهما ولو لم يكونا شريكين، بل أجنبيين لقول خليل: «واشتر لي ولك فوكالة وجاز وانقد عني»[٥] وفي الرهوني عند النص المذكور أنه إن كان أحسن منه نفقة أو كسوة يحسب عليه وكذلك يحسب الصداق ونفقة العيال، فإن قيل إنه تبرع عليه ولا رجوع به عليه، قلنا: من وهب هبة على أمر لم يتم فله الرجوع بها، كالمرأة تهب لزوجها على دوام العشرة فلها أن

(١) المصدر السابق (ص: ١٧٩).
(٢) مختصر خليل المصدر السابق (ص: ١٧٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٧٩).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

ترجع فيه «ورجع لأب وذي قدر زوج غيره»[1] ووجه الدليل أنه وهبه على التزوج فلما لم يتم رجع فيه، والأخ إنما تبرع على أخيه لدوام الأخوة فإن لم يجد ما تبرع عليه فله الرجوع فيه.

محمد محمود بن أحمد بن أبات [2]

النموذج الثالث: فتوى في عدم طعمية أوراق الشاي

ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، اللهم صل على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد فلما رأيت أهل هذا الزمن اختلفوا في ورقة أتاي هل هي طعام أم لا؟ أردت أن أبين ما أظهر الله لي والله الموفق للصواب فأقول متبرئا من حولي وقوتي:

نَصُّ الحطاب: وأما الطعام الذي يحرم فيه ربا النساء فقط ولا يحرم فيه ربا التفاضل فهو كما قال ابن عرفة:

مَا غَلَبَ اتِّخَاذُهُ لِأَكْلِ آدَمِيٍّ أَوْ لِإِصْلَاحِهِ أَوْ لِشُرْبِهِ فَيَدْخُلُ الْمِلْحُ وَالْفُلْفُلُ وَنَحْوُهُمَا، واللبن لَا الزَّعْفَرَانُ، وَإِنْ أَصْلَحَ لِعَدَمِ اتِّخَاذِهِ لِإِصْلَاحِهِ. انتهى منه[3].

ونصُّ المواق: وفي ابن عرفة عازيا لعبد الوهاب: وَنَصَّ عَلَى الْمِلْحِ لِيُنَبِّهَ بِهِ عَلَى مَا أَصْلَحَ الْمُقْتَاتَ مِنْ الْمَأْكُولَاتِ كَالْأَبَازِيرِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا انتهى منه[4].

---

(١) مختصر خليل كتاب النكاح: (ص: ٩٩).

(٢) نقلت هذه الفتوى من خطه رحمه الله.

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤ / ٣٤٦).

(٤) التاج والإكليل لمختصر خليل (٦ / ١٩٧).

وقوله: لأكل آدمي أو لإصلاحه، ثم عطف على أكل آدمي: أو شربه، فمثل للمصلح بالملح والفلفل ونحوهما، والشرب باللبن، فهذا الكلام يدل على أن المصلح إنما يكون للمأكولات، وقول المواق: من المأكولات: لتبيين ما أصلح، يدل على ذلك أيضا. كأنه قيد لما أصلح، فظاهر هذه النصوص يدل على أن المصلح المراد به المأكولات، مع أن القياس الاستقرائي يدل على ذلك، قال سيد عبدالله عند قوله:

وهـو في البعض إلى الظن انتسب   يسمى لحوق الفرد باللذي غلب(١)

ما نصه: قال في الآيات البينات: وحينئذ يستشكل الأمر بمسائل استند الفقهاء فيها إلى الاستقراء، أي مع أنه لم يقع فيها استدلال بجميع الجزئيات ولا بأكثرها كما في كون أقل سن الحيض تسع سنين وأن أقله يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر، وغالبه ست أو سبع، فإنهم صرحوا بأن مستند الشافعي في جميع ذلك هو الاستقراء، ومعلوم أن الشافعي لم يستقرئ حال جميع نساء العالم في زمانه ولا حال أكثرهن، بل ولا حال نصفهن، ولا ما يقرب منه، فضلا عن نساء العالم على الإطلاق انتهى (٢)

فأنت تراه جعل الاستقراء حجة في أقل الجزئيات، فإنا تتبعنا المصلحات فلم نجد مصلحا لشراب صار طعاما والله تعالى أعلم. وإن سلمنا تسليما جدليا أن الورقة مصلحة للسكر وأن مصلح الشراب يكون كهو فلا تكون أيضا طعاما.

قال المحلي: السادس من مسالك العلة: الشبه، فقال الشافعي حجة، وأعلاه قياس غلبة الاشباه في الحكم والصفة وهو إلحاق فرع متردد بين أصلين

---

(١) نشر البنود ٢/ ٢٥١.

(٢) انظر المصدر السابق ٢ / ٢٥٢.

لأحدهما، الغالب شبهه به في الحكم والصفة على شبهه بالآخر فيهما. مثاله: إلحاق العبد بالمال في إيجاب القيمة بقتله بالغة ما بلغت لشبهه بالمال في الحكم والصفة أكثر من شبهه بالحر فيهما. انتهى منه[١].

قال البناني: بل في العضد أن شبهه بالحر فيهما أكثر يعني أنه يشابهه في الصفات البدنية والنفسانية وفي أكثر الأحكام التكليفية قاله العلامة[٢].

فتلحق الورقة بالزعفران لأن شبهه بها أشد من شبهها بالمصلحات الأخرى فهي مشابهة له بأنها لا تذاق إلا مع السكر ولا تذاق إلا على هذه الهيئة، والزعفران مصلح قطعا للمأكولات كما قدمناه فتشبيهها بالملح بعيد كما لا يخفى، وهذا الذي سلمناه تسليما جدليا من المحال، فهي ليست مصلحة له ولا هو مصلح لها ولا كل منهما مصلح للآخر، بل هي مرة والسكر تشتد طبيعته مع الحموضية كما يقع ذلك مع تجمخت واللبن الحامض. والله تعالى أعلم.

محمد محمود بن أحمد بن أبات [٣]

قلت: لا شك أن هذه الفتاوى تدل بوضوح على قوة الرجل ورسوخ قدمه في الفقه، وتمكنه من نصوص مختصر خليل،ووضوحها لديه وبراعته في أخذ الأدلة منها، فهي كلها ماثلة أمامه يأخذ منها كيف شاء لما شاء، ونراه يفرق بين متشابهاتها فروقا دقيقة، تدل بوضوح على علو كعبه وبعد غوره، وعلى أنه فعلا هو فارس الميدان في هذا الشأن، وذلك ما نلمسه بوضوح عند مجاراته لبعض معاصريه، فنراه في حلبة السباق هو حائز سبق الرهان، ومجلي السبق في الميدان،

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢ / ٣٣١- ٣٣٣).

(٢) وانظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢ / ٣٣٣).

(٣) نقلتها من خط تلميذه العلامة أحمد بن عبد الودود رحمه الله.

وقد أحسن الشاعر محمد سالم بن عبدي في رثائه له حيث يقول:

ونـازلـة دهـــت لأقـطـاب معشر   وأعيت لأذهـان الصدور الصحاح
بـديهـتـه أجـلـت غـيـاهـب غمها   كـما قـد جـلا لليل ضـوء الصباح

وقد كان رحمه الله يعيش في فترة يعاصره فيها فطاحل كبار، ومن الطبيعي أن تختلف وجهات نظرهم في بعض المسائل المستجدة، بحثا عن الحق لاعن الخلاف، مما يستدعي حصول كتابات فقهية وردود علمية، وذلك ما سنشير إليه في المبحث الآتي:

المبحث الثامن
في علاقته بعلماء عصره
والردود التي جرت بينه وبين بعضهم

وذكرمثالين لذلك:

لقد كان العلامة محمد محمود رحمه الله شخصية علمية كبيرة وكان معاصروه يعترفون له بذلك، وقد جرت بينه وبين بعضهم عدة مراسلات في مسائل علمية، وكان يرد عليهم ردودا علمية هادئة، بعيدة من التعصب ورؤية الذات، وإنما كانت ردودا علمية، يراد منها أن يتضح الحق، ويعلم حكم الله تعالى في تلك المسألة،

وسنورد هنا مثالين لذلك:

المثال الأول:

بينه وبين الشيخ أحمد أبي المعالي:

وملخص ما جرى بينهما أن محمد احمدُ بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات حبس قطيعا من الحيوان على ابني أخته: محمد احمد بن بادي [1] وأخته ميمونة بنت بادي (أهل الشيخ بن امني) فمات كل منهما وترك الرجل أبناء وتركت البنت ابنتين، ثم ماتت إحداهما فسألوا الشيخ أحمد أبي المعالي عنها فأفتى بأن نصيب البنت الهالكة يرجع إلى أبناء محمد احمدُ، وأفتى العلامة محمد محمود بأنه يرجع إلى أختها، وحصلت بينهما كتابات متعددة في هذه المسألة.

---

(١) محمد احمدُ هذا هو والد الشيخ الكبير سيد محمد بن بادي.

وأخيرا كتب العلامة محمد محمود في المسألة كتابة أدت إلى الحسم في الموضوع، واعتمد فيها على أن الحبس يعتبر فيه عرف الواقف ثم قال: والواقف منا، وعرفنا أن الطبقة العليا تحجب السفلى، ووطد ذلك ودعمه بالأمثلة الواقعية وبالأدلة الفقهية.

ولما أراد إرسالها إلى الشيخ احمد أبي المعالي، قال لطلابه وجلسائه إن كان هذا الرجل - يعني الشيخ أحمد - فقيها فسيتوقف عن الكتابة في هذا الموضوع بعد هذه الورقة.

وفعلا لما وصلت إلى الشيخ احمد أبي المعالي، قال لطلابه ارفعوا أقلامكم عن هذه المسألة فالصواب ما قاله العلامة محمد محمود فلا طمع فيها لفقيه بعد هذه الكتابة، فَسُرَّ العلامة محمد محمود بذلك. فرحمهم الله جميعا[1].

المثال الثاني:

ما وقع بينه وبين العلامة أحمد بن سيداحمد بن الهادي:

وملخص ما وقع بينهما أن الرجل الفاضل: خطار بن أحمد بن محمد الجكني كان له دين ثابت على رجل فتوفي ذلك الرجل فقسم العلامة أحمد بن سيد احمد تركته قبل قضاء الدين، فجاء خطار إلى العلامة محمد محمود وسأله فأفتاه ببطلان القسمة، فقال له اكتب لي الحكم الشرعي فكتب له سطورا قليلة يقول فيها:

أن قضاء الدين مقدم على الورثة واستدل بقول خليل «يخرج من تركة الميت حق تعلق بعين» إلى قوله: «ثم تقضى ديونه ثم وصاياه من ثلث الباقي ثم الباقي لوارثه»[2] وأن القسمة ما دامت حصلت فإن كلا من أهل الدين يتبع كلا من أهل التركة... إلى آخره.

(١) سمعت هذا غير مرة من الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله.

(٢) مختصر خليل باب التركة: مختصر خليل (ص: ٢٦٠).

فذهب بها خطار إلى بعض فقهاء المنطقة فسلموها ومن ضمنهم العلامة أحمدو بن مود الجكني، والعلامة صدف بن ديه، والعلامة أحمد ابن ابَّ وغيرهم.

ثم ذهب بتلك الفتوى إلى العلامة أحمد بن سيد احمد فلما وصلته أرسل إلى العلامة محمد محمود رسالة قوية اللهجة وتحمل بعض العبارات النابية، فمنها أنه قال إن هذا نص من التركة فلا يستدل به على مسائل القسمة، وأن هذا كتفلة الأعمى، وسفَّه تسليم أولئك العلماء ووصفهم بوصف غير لائق، فقال إن هؤلاء مثل الحمير يبول أحدهم فيتبعونه، وأشياء من هذا النمط.

ونحن في هذا الكتاب لا نحب أن نذكر مثل هذا، إلا ما كان متعلقا بمبحث علمي، لأن ما يقع بين المتعاصرين يطوى ولا يروى، فرحمهم الله جميعا.

ثم أرسل له أيضا أبياتا لمحمد عثمان بن اغشممت كان قد ألغز بها لأهل فاس لما قدم عليهم تحمل أسئلة فقهية ولغوية ونصها:

إلى مدارس أهل العلم أسئلة ... عيالم العلم أهل الحفظ والملكه[1]

عن حاضر قسم متروك لوالده ... صار البكاء له حظا من التركه

إلى آخرها وسنأتي بها كاملة مع الجواب قريبا إن شاء الله تعالى.

فارسل إليه العلامة محمد محمود برسالة يرد عليه بها ويجيبه يقول فيها:

الحمد لله وصلى الله على من نبي بعده.

أما بعد: فقد ورد علينا مكتوب من عند أحمد بن سيد احمد بن الهادي، شحنه من الكلام القبيح، ويحاول تغليطي في ألفاظ أولها أني غلطت في «كل الغرماء يتبع كل أهل الدين» ويقول إن الصواب حذف كل الثانية، واستدل

(١) أصل البيت: إلى مدارس فاس الغر أسئلة... انظر الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص ٣٥٤.

على ذلك أنه من باب الكلية، وذلك لشدة خبرته بعلم المنطق، وما درى أنه من باب الكل لا الكلية وذلك أني قلت كل يتبع كلا، أي مجموع الكلي يتبع مجموع الكلي، أي كل واحد يقابل صاحبه، قال قدوره عند قول الأخضري:

الكل حكمنا على المجموع.... إلخ:

يعني أن الكل عبارة عن الحكم على المجموع من حيث هو مجموع لا باعتبار كل فرد فرد سواء كان الحكم ثابتا لبعض دون بعض آخر أو لجميعهم، فالأول: نحو كل رجل يحمل الصخرة العظيمة مجموعهم لا جميعهم، وقد يكون فيهم من لا يقدر على الصخرة العظيمة، والثاني كأسماء العدد. انتهى منه بحروفه[١].

فأنت تراه جعل مصدوق الكل مجموع من حيث هو مجموع، وهو الذي عبر به خليل بقوله: «وأعطى كلا لكل»[٢] أي كلا من الأوراق لكل من أهل التركة، ولم يحذف كلا الثانية لفساده.

ثم واصل رحمه الله في ذكر الكلام الحاد الذي أرسل به العلامة أحمد بن سيد احمد وواصل كذلك ردوده هو عليه وكانت حادة أيضا ولهذا آثرنا عدم ذكرها في هذا الكتاب.

إلى أن قال: وهذا جواب أبياتك وأبيات محمد عثمان بن اغشممت قدم على فاس فأرسلها لأهله لاغزا بها لهم وأبياته هي: [٣]

إلى مدارس فاس الغر أسئلة ... عيالِم العلمِ أهلِ الحفظ والملكه

عن حاضر قسم متروك لوالده ... صار البكاء له حظا من التركه

---

(١) شرح قدوره للسلم: ص٩٥.

(٢) مختصر خليل باب القسمة: (ص: ١٩٧).

(٣) نقلت هذا من خطه رحمه الله تعالى

وما به مانع في القسم يمنعه حاز الأباعد عنه كل ما تركه
وابن إذا ماتوى يكون والده محروم إرث بلا منع له سلكه
وهل سمعتم بمال إبْل أوبقر ولا يرى مالك للمال قد ملكه
وعن طوامثَ لا يُمنعن أو جنب من مسجد وفروع الفقه مشتبكه
ووزن نكتل وآرام وأثفية وأينق وديار أطلب الفتكه
واسم وفي الإفراد والتذكير تذكره وجمع ذين بنوع واحد سلكه
أريد منكم جوابا رائقا حسنا نظما وإلا فما أعطتكم الشبكة

وقد أرسل إليه العلامة محمد محمود بقصيدة فيها جواب هذه الأبيات ثم سأله عن مسائل فقهية ولغوية، على لسان تلميذه أحمد بن جدام يقول فيها:

يا من حوى بالتقى كل الفخار ومن قاد الورى للهدى أيان ما سلكه
فانصت لما رمته فالشعر يوضحه لمن يرى في الأنام يبتغي دركه
إن كان من أحد عمرى ينال أب فالابن ما إن له في تلك من تركه
وإن يك بعد ما استلحاق انكره أبوه لم ينتفع من إرث ما ملكه
ودينه منه قد يقضى لطالبه ويوقف المال بعد الدين للهلكه
قد انتفى الملك عن ذا المال حينئذ وغيره قد يرى في الحكم قد شركه
والساكنون لبيت الله كان لهم أن يدخلوا مسجدا والطرق مشتبكه
والكل ويك بها ذكرت ملتبس وأينق أعفل ليست بمعتركه
نكتل كنفتل وآرام كأعفال وأثفية تأتي بلا شركه
إن خففت ياؤها تكن كأفعلة وإن تشدد لها ما كان من حركه
تكن كأفعيلة وذاك الأمر متضح لدى امرئ لم يكن ريب يرى شركه
ووزن ديار فيعال وعندهم يشتق من دوران كثرة الحركه
والمصدر اذكره في جمع وتثنية أوصاف ذاك مع الإفراد مشتركه

ولما أنهى الجواب بدأ يسأله فقال:

أجب سؤالا عداك الريب عن ألف   دلـت عـلى متكلم أخـا الملكه[1]
وعـن غريم يـرى مـال المديـن أتا   ه وارثــوه وكـل حـاز م الـتركـه[2]
فصد عنهم وما قد نال منه سوى   خفي حنين فنهج الحـزن قد سلكه
وأين فرض يرى قد صح مع حدث   طـار بـلا عمد وقيتم الهلكه[3]
وأيــن معرفة قـد عـد صاحبها   منكرا وفـروع النحو مشتبكه[4]

---

(١) يشير بهذا إلى ياء المتكلم التي تبدل ألفا كقوله تعالى: {يا أسفى على يوسف} (يوسف: ٨٤) وإليه يشير ابن مالك في الخلاصة بقوله:

واجعل منادى صح إن يضف ليا   كعبد عبدي عبد عبدا عبديا.

(٢) يشير بهذا إلى المال الذي أوقفه الشخص على أبنائه، فإنهم يرثونه انتفاعا لا ملكا، ولا يستفيد منه أهل الدين شيئا.

ويلاحظ في هذا البيت أنه قال: (م التركه) والأصل من التركة، فحذف نون «من» قبل حرف «أل» وذلك سائغ عند علماء العربية، وإلى جوازه أشار ابن بونا في احمراره (تكميل الخلاصة) بقوله:

وحذفت مظهرة مع أل وعن   تكسر مطلقا ومعها الضم عن.

(٣) يشير بهذا إلى مسألة الحدث الدائم وهو المعروف بالسلس فإن الصلاة تصح معه بلا خلاف عند العلماء. وقد أشار له خليل في المختصر بقوله:

(وبسلس فارق أكثر) أي وينتقض الوضوء بالسلس الذي يفارق أكثر الوقت، أما إن لازم نصف الوقت أوجله فلا ينقض. انظر الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١ / ١١٦).

(٤) يشير بهذا إلى علم الجنس، مثل أسامة، اسم للأسد، فإنه يعتبر معرفة من حيث اللفظ، ولهذا يصح الابتداء به ويأتي منه الحال، ولكنه من حيث المعنى نكرة، لأنه لا يعين واحدا بنفسه، فهو يصلح لكل أسد.

وإليه الإشارة بقول ابن مالك في الألفية:

ووضعوا لبعض الأجناس علم   كعلم الأشخاص لفظا وهو عم.

انظر شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ١١٦).

ووزن أشيـاء[١] وهـار[٢] وإمعة[٣] زبـردج[٤] ودلاص[٥] أطلب الفتكه

ولم يرد على هذا السؤال، وانتهت المراسلات بينهما على هذا فرحم الله الجميع.

(١) اختلف علماء اللغة في وزن هذه الكلمة اختلافا كثيرا وملخصه ثلاثة أقوال:
القول الأول قول الخليل وسيبويه وأتباعهما أن وزنها: لفعاء، وأصلها: شيئاء، على وزن: فعلاء، فمنع صرفه لألف التأنيث المدودة، ثم قلبت اللام إلى موضع الفاء، فصارت أشياء على وزن لفعاء.
القول الثاني للكسائي: وهو أن وزنها أفعال؛ لأن فَعْلا معتل العين يجمع أفعال، كقَيل وأقيال ومنعت من الصرف لتوهم أنها كحمراء.
القول الثالث للفراء: وهو أن وزنها: أَفْعَاء وأصله «أَشْيئاء» على وزن «أَفْعِلاء» فخفف بحذف الهمزة الأولى، ورأى أن شيئا أصله «شيئ» على وزن «فَيْعِل» ثم خفف كما خفف «ميت»، ثم جمع على «أشيئاء» كما جمع «نبي» على «أنبياء»، ثم حذفت الهمزة التي هي لام الفعل تخفيفا، كراهة اجتماع همزتين بينهما ألف فصار وزنه «أفعاء» ومذهب الخليل وسيبويه أرجح. انظر شرح الرضي لشافية ابن الحاجب (١/ ٢٩).

(٢) أصل هار: هائر فحذفت العين فعلى هذا يكون وزنها على (فال) وقيل حصل فيها قلب فصارت هاري ثم حذفت الياء فصارت هار مثل قاض وعليه فيكون وزنها على فاع.

(٣) ووزن إمعة فعَّلة والإمعة هو الذي يتابع كل أحد على رأيه.

(٤) الزبردج: مقلوب الزبرجد فوزنه: فعلَّلٌ.

(٥) دِلاص على وزن فِعال، وهي تستعمل للمفرد والجمع بلفظ واحد، فيقال: درع دِلاص ودروع دِلاص أي براقة ملساء.

المبحث التاسع
في علاقته بأمراء منطقته

(علاقته بإمارة إدوعيش):

كانت للعلامة محمد محمود رحمه علاقة وطيدة بإمارة إدوعيش كسلفه، تلك العلاقات التي ظلت وطيدة منذو أيام العلامة أبات،والأمير محمد بن امحمد شين، واستمرت في الأحفاد إلى اليوم، وقد أشرنا إليها في ترجمة كل من العلامة أبات وابنه العلامة أحمد وغيرهما عبر سائر الطبقات، وقد كان العلامة محمد محمود معاصرا لأول فترة الأمير الكبير عبد الرحمن بن بكار، وكانت بينهما علاقات ممتازة للغاية.

علاقته بالأمير عبد الرحمن بن بكار وما جرى بينهما:

وكان الأمير عبد الرحمن يتحدث عن بداية علاقاته بالعلامة محمد محمود، فيقول: جئت إلى القاضي محمد محمود بن أحمد، في نزاع بيني وبين آخرين، وأنا في عنفوان الشباب والقوة المفرطة، فلما سمع منا الحجج، بدأ في الحكم لصالح خصمي، فانزعجت لذلك ولم أكن أصدق أن ذلك يمكن أن يحصل وأظهرت له انزعاجي الشديد، وقلت له أتحكم علي؟

فالتفت إلي وكان رجلا مهابا وقال: «عبد الرحمن بن بكار انتبه أين عقلك؟». قال فلما سمعت كلمته هذه ألقى الله علي الخجل فسكت ورضيت بالحكم.[1]

قلت: فسبحان الذي بيده أزمة القلوب.

---

(١) سمعت هذا من الوالد أحمد بن محمد محمود وقد حدثه به الأمير عبد الرحمن.

وكان رحمه الله مع ماهو عليه من العلاقات الوطيدة مع الأمراء لا يقبل شيئا من هداياهم لورعه وتحفظه، فقد أرسل إليه الأمير عبد الرحمن حملا من الزرع، فرده إليه وقال للرسول: قل للأمير عبد الرحمن جزاه الله خيرا، نحن في سعة لله الحمد، ولا حاجة بنا لهذا فليعطه لمحتاج إليه.[١]

وكانت تربطه كذلك علاقات ممتازة مع شيوخ قبيلة كنتة كما سنرى فيما يلي:

علاقاته بشيوخ قبيلة كنتة:

وكانت له علاقات وطيدة بعيدة الجذور مع شيوخ قبيلة كنتة وخصوصا شيوخ أبناء (سيد حيبلله) تلك العلاقات التي بدأت من أيام العلامة أبات، والزعيمين: سيد احمد وأبوه: أحمد واستمرت عبر الأجيال ولا تزال كذلك حتى اليوم.

ونورد هنا حكاية جرت له في مجلس قيادة (أبناء سيد الوافي)الكنتيين، وهو أنه في سبعينات القرن الرابع عشر الهجري جرت حروب ومناوشات بين قبيلتي كنتة، وتجكانت، وكانت بعض الأسر الجكنية تسكن في قبيلة أهل أبات، لروابط أسرية، فتم اعتداء على بعض حيواناتهم، من بعض حواشي قبيلة كنتة، بل وتم اعتداء منهم على بعض الرعاة، فذهب قادة أهل ابات ومن ضمنهم العلامة محمد محمود، إلى قادة أبناء سيد الوافي (أهل امينوه) وكان ذلك بعد وفاة الزعيم اج بن محمد محمود، وكان في مجلسهم عدد كبير من مختلف أسر الوافيين، فتكلم رجل من أسرة غير معروفة بالقيادة وقال كلاما مثيرا قال فيه: «إن لنا سفهاء ولكم سفهاء، وقد أدخلتم علينا الأعداء..».

(١) سمعت هذا من العلامة محمد ابات رحمه الله.

فتدخل العلامة محمد محمود وقال له: أنت فلان ابن فلان! لما ذا تجلس في هذا المكان، مكان الحل والعقد، أهذا احتقار منك لأسرة أهل امينوه، أم احتقار لنا نحن، إن مكانك ومكان آبائك الإشراف على الحيوانات، وأنا أقول:

إن كان في الحضرة أحد من هذه الأسرة ولو طفلا فليبرز إلينا، وإلا فأتونا برواحلنا، لا نجلس هنا لحظة واحدة، فإننا نحترم أنفسنا ونحترم تاريخنا.

وكان في المجلس شيخ كبير من أسرة (أهل امينوه)، فصاح بأعلى صوته وكثر العويل، وأُمِر بإخراج الرجل من المجلس، والانتقال من ذلك المجلس إلى خيمة أخرى، وجيء بالشاب أحمد بن اج، – وهو الخليفة إذ ذاك بعد أبيه – وكان غائبا، فتفاوضوا معه في الموضوع، وحلت المشكلة، حيث التزم بما طلبه العلامة محمد محمود من رد تلك الاعتداءات، والالتزام بعدم تكررها، وأنشد في ذلك المجلس قول الشاعر:

أراك علقت تظلم من أجرنا وظلم الجار إذلال المجير

وهكذا كانت صرامة الرجل وقوته، وكان زعماء كنتة يجلونه ويحترمونه، غاية الإجلال والاحترام.

وكان رحمه الله مع هذا الجد والقوة والصرامة رجلا يباسط الناس ويمازحهم، وللناس في نوادره ومزحه حكايات كثيرة نشير إلى بعض منها في المبحث الآتي:

المبحث العاشر
في مزحه ونوادره

كان رحمه الله مع جلالة قدره وجده، يمازح الناس ويباسطهم ويضحكهم جميعا، والناس يعرفونه بذلك، ففيه رحمه الله - كما ترى - عدة شخصيات مختلفة.

ويحكى أن رجلا حكيما من زملائه ومعاصريه، جاءه يوما ولديه موضوع يريد أن يحدثه فيه، فقال له أنا اليوم أريد منك ذلك الرجل الصارم الجاد، فأنت تختزن في شخصيتك عدة رجال:

أحدهم: الرجل الفقيه البارع في الفقه والقضاء.

والثاني: الرجل السياسي القوي الذي لا يخضع لمخلوق.

والثالث: الرجل الناسك الورع الذي لا ينام في الليل.

والرابع: الرجل الهازل فيما يرى الناس الذي يضحك الناس بحديثه ويمازح هذا وذاك.

وأنا الآن أريد الرجل الثاني منك.

وهذا يشبه ما روي عن ابن سيرين رحمه الله أنه كان يمازح الناس في النهار ويضحك بينهم قَهْقَهَةً، وإذا خلا بالليل، فكأنه قتل أهل القرية، أي من كثرة البكاء.[1]

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص: ٨٠).

وكان رحمه الله يمزح مع بعض طلابه وجيرانه، فيحكى أنه كان في طلابه شاب ضعيف الذهن وهو يقرؤ باب الطهارة من مختصر خليل، فقال له يوما يا فلان: أرأيت لو أن روثة حمار بات عليها المطر يضربها الليل كله، فأصبحت بيضاء نقية أتطهر أم لا؟

فقال الشاب: نعم، الماء المطلق لا نجاسة بعده، فقال له: ما شاء الله، لله درك صرت فقيها، غدا أشيعك إلى أهلك إن شاء الله. فضحك الطلاب.

وسمعت شيخنا العلامة محمد ابات رحمه الله يقول: كنا ذات يوم في المسجد ونحن تلاميذ عنده وفي الحضور بعض رجال الحي وفيهم الرجل الفاضل: المصطفى بن محمد عبد الرحمن،الجكني، قال فسألته أنا هل يوجد في خيمتكم ماء للوضوء فقال: نعم أرسل إليهم، فالتفت إليه العلامة محمد محمود وقال له: «التلاميذ لا يريدون الماء، يريدون التمر»، فذهب الرجل إلى أهله مسرعا وقال لهم: لمرابط محمد محمود يريد التمر لطلابه، ثم أرسل للطلاب تمرا كثيرا، فارتاحوا لذلك ارتياحا كبيرا.

وكان رحمه الله متواضعا في مركبه وملبسه، وهو مع هذا من الأغنياء، فكان غالبا إذا سافر يركب على حمار ويسوقه به أحد الطلاب، وفي بعض الأيام وهو على حماره يزور حيا من قبيلته، إذ مرَّ على خيمة إحدى الأسر، وبجنبها خيمة أمة لهم، فنبحهم كلب صغير عندها، فناداهم قائلا: يا أهل فلان: أمسكوا عنا كلابكم، ثم لما نزل، وجاء الناس يسلمون عليه قال: نحن بخير لله الحمد، ولكن ظل اليوم آل فلان يوشوشون علينا كلابهم، فضحك الناس[1].

قلت: وكل هذه الحكايات مع أنها تأتي في قالب الفكاهة إلا أنها كلها تحمل رسائل مهمة تؤدي إلى مصلحة لا يستهان بها في المجتمع.

---

(١) سمعت هذه الحكاية من الرجل الفاضل الطالب محمد بن الحضرمي.

فمثلا في مسألة الطالب الذي يسأله ثم يقول له كلاما ظاهره السخرية، فهذا يريد به أن يشحذ همم الطلاب، فيهتمون ويجدون في الطلب، لأن أحدهم لا يدري متى يسأله الشيخ وإن فشل فقد يقال له مثل ما قيل لهذا.

وفي مسألة الطلاب والتمر: يريد أن ينبه الأغنياء على التبرع لطلبة العلم فإن المحظرة جامعة أهلية لا تقوم إلا على الجهود الخاصة.

وفي مسألة الكلب: يريد أن ينبه إلى أن هذا الوضع الذي فيه تربية الكلاب لا يعجبه، ومن المعلوم أن الشرع نهى عن تربية الكلاب، إلا كلبا لماشية أوحرث أو صيد، كما في حديث ابن عمر وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

(مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ، أَوْ صَيْدٍ، أَوْ زَرْعٍ، انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ) رواه البخاري ومسلم (١)

ويكفي في التنفير من اقتنائهم، أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي طلحة، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: (لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيل)متفق عليه (٢)

فكان رحمه الله يربي طلابه وجيرانه ويقوم سلوكهم بهذا المزح ويؤدبهم، وكان مع انشغاله بالفقه وتبحره فيه له اهتمام كبير باللغة العربية والأدب كما سنرى ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٢٣٢٢)وصحيح مسلم (الحديث: ١٥٧٥).

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٣٦٣).

المبحث الحادي عشر
في اهتمامه باللغة العربية وذوقه الأدبي

كان العلامة محمد محمود رحمه الله صاحب مواهب متعددة وكان متبحرا في علوم اللغة العربية بجميع أنواعها، وكان له ذوق أدبي رفيع، وهو أمر نادر في الفقهاء، ولهذا نجده في بعض ليال العطل يجلس بين طلابه، ويأمرهم بإنشاد الأشعار ويستعذبها، وكان يحفظ منها الكثير، فنجده في إحدى الليالي يقول للطلاب أيكم يحفظ قصيدة ذي الرمة: دنى البين من مي..

فينشدها أحدهم وهو تلميذه البارع: احماد بن عبدوالله الجكني – وكان أحد أبنائه يفخر بذلك – وهذه القصيدة من محاسن شعر ذي الرمة إذ يقول فيها:

دنى البين من مي فردت جمالها ... فهاج الهوى تقويضها واحتمالها
وقد كانت الحسناء مي كريمة ... علينا ومكروها إلينا زيالها

إلى أن يقول:

تداويت من مي بهجران أهلها ... فلم يشف من ذكرى طويل خبالها
تراجع منها أسود القلب خطرة ... بلاء ويجري في العظام امذلالها
لقد علقت مي بقلبي علاقة ... بطيئا على مر الشهور انحلالها
ولم ينسني ميا تراخي مزارها ... وصرف الليالي مرها وانفتالها

على أن أدنى العهد بيني وبينها تـقـادم إلا أن يــزور خـيـالها[1]

ثم يقول في وصف ناقته:

طواها إلى حيزومها وانطوت لها جيـوب الـفـيـافي حـزنها ورمـالها
دروج طـوت آطالها وانـطـوت لها بـلالـيـق أغـفـال قـلـيـل حلالها
فـهـذي طـواهـا بعد هـذي وهـذه طـواهـا لهـذي وخـدهـا وانسلالها

إلى آخرها.

وهذه معان كما ترى في غاية الجودة بأسلوب رائع جدا.

ومن محاسن شعره التي كان يستعذبها رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التي يقول فيها:

أراح فـريـق جـيـرتـك الجـمالا كـأنهـم يـريـدون احـتـمالا

إلى أن يقول:

وفي الأظـعـان مثل مهى رمـاح[2] علته الـشـمـس فـادرع الـظـلالا
تجـوف كـل أرطـاة ربـوض مـن الـدهـنـا تـفـرعـت الحـبـالا

---

(١) قلت ويزعم الأدباء أن في الشعر مواضع سجود وأن هذا البيت من مواضع السجود في شعر غيلان، والأصل في هذا ما روي أن الفرزدق سمع رجلا ينشد قول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنّها زبر تجد متونها أقلامها

فنزل وسجد فقيل له: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار، وهذا البيت موضع سجدة.

انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٦٣٣).

(٢) رماح: اسم موضع أضيفت له المها.

أولاك كأنهن أولاك إلا ... شوى لصواحب الأرطى ضئالا
وأن صواحب الأحداج جم ... وأن لهن أعجازا ثقالا[1]
وأعناق الظباء رأين شخصا ... نصبن له السوالف أوخيالا
رخيمات الكلام مبطنات ... جواعل في البرى قصبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص عتق ... وحسنا بعد ذلك واعتدالا
كأن جلودهن مموهات ... على أبشارها ذهبا زلالا
ومية في الظعائن وهي شكَّت ... سواد القلب فاقتتل اقتتالا
عشية طالعت لتكون داء ... جرى بين الجوانح أو سلالا
تريك بياض لبتها ووجها ... كقرن الشمس أفتق حين زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا ... كلا وانغل سائره انغلالا
وأشنب واضحا حسن الثنايا ... ترى من بين نبتته خلالا
كأن رضابه من ماء كرم ... ترقرق في الزجاج وقد أحالا
وأسحم كالأساود مسبكرا ... على المتنين منسدلا جفالا
ومية أحسن الثقلين خدا ... وسالفة وأحسنه قذالا
ولم أر مثلها نظرا وعينا ... ولا أم الغزال ولا الغزالا
هي السقم الذي لا برء منه ... وبرؤ السقم لو رضخت نوالا

وهذ الشعر كما ترى في غاية الجمال وعذوبة الأسلوب، وفي آخرها يمدح بلالا بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فيقول:

ولم أمدح لأرضيه بشعري ... لئيماً أن يكون أصاب مالا
ولكن الكرام لهم ثنائي ... فلا أخزى إذا ما قيل: قالا
وحق لمن أبو موسى أبوه ... يوفقه الذي نصب الجبالا

---

(١) وهذا الموضع أيضا يزعمون أنه من مواضع السجود في شعر ذي الرمة.

إلى أن يقول:

وأبـعـدهـم مـسـافـة غــور عقل   إذا مـا الأمـر ذو الشبهات عالا
تــبـوأ فــابـتــنـى وبــنـــى أبـــوه   فأعرض في المكـارم واستطالا[1]

إلى آخرها..

وقد أدركنا بعض طلابه الذين درسوا عليه اللغة العربية ولازموه فكانت لديهم نزعة أدبية وسعة أفق في اللغة العربية منعدمة النظير، فمن هؤلاء ابن بنته أحمدُ بن عبدالله بن أحمدُ، وقد درس عليه بعض الدواوين الشعرية، ولم يقرأ عليه من النحو إلا الأجرومية ونبذة قليلة من الألفية، لكن الرجل كان عملاقا في اللغة والأدب والإعراب لا يجارى في شيء من ذلك، وحتى إنه إذا جلس مع المتخصصين في اللغة العربية، يحسبون له كل حساب لبعد غوره واقتناصه للمعاني، وقد سمعت الوالد أحمدرحمه الله إذا ذكره يقول: بذر فيه الوالد محمد محمود بذورا لا يقاومها شيء.

ومنهم الرجل الفاضل: أحمد فال بن عبد المالك الجكني وقد لازمه وقرأ عليه علوم اللغة العربية ومختصر خليل، وكان في اللغة العربية لا يبارى فقد زارنا في إحدى السنوات فسمعته ينشد القصائد النادرة ذات المعاني الصعبة ولا يقف أمامه منها شيء، فسبحان القادر على ما يشاء.

وقد كان العلامة محمد محمود رحمه الله يستحسن كثيرا من أشعار امحمد بن الطلبه اليعقوبي مثل جيميته التي يحاكي بها الشماخ بن ضرار والتي يقول في أولها:

تــطــاول لــيــل الــنـــازح المتهيج   أمــا لضياء الصبح مــن متبلج
ولا لـظـلام الليل مـن متزحزح   وليس لنجم من ذهـاب ولا مجي

(١) ديوان ذي الرمة شرح الباهلي (٣/ ١٥٣٧).

وهي قصيدة رائعة فيذكر فيها رحيل قومه ثم نزولهم في مواضع متعددة بأسلوب جميل ثم يقول:

منازل قد كان السرور محالفي	بها هي عندي بين سلمى ومنعج
ألا ليت شعري هل إليهن عودة	وهل أنا من غم التنائي بمخرج
وهل لي في أودائها من معرس	وهل لي في أطلالها من معرج
فإما تريني خمر الشيب لمتي	وأصبحت نضوا عن شباب مبهج
فيارب يوم قد رصدت ظعائنا	بأبطح برث بين قوز وحشرج

فإذا بلغ المنشد: فيارب يوم.. إلخ يقول العلامة محمد محمود مستنكرا «أَخَّهْ» (وهي كلمة استنكار)، فهو ينتقد رجوعه إلى الغزل بعد تخلصه منه، إذ يرى أن الشاعر الإسلامي إذا تخلص من الغزل ينبغي أن يستمر في موضوعه الذي يريد من مديح أو وعظ أو ابتهال أو غير ذلك، ولا يريده أن يكر راجعا إلى الغزل كما يفعل الفتراء، ولكن امحمد بن الطلبه رحمه الله كان مولعا بأسلوب الفتراء، حتى قال عنه العلامة محمذ فال بن متالي: هذا عربي أخره الله [(١)].

فكان رحمه بدلا من ذلك يعجبه تخلص الشاعر محمدو بن محمدي في رائيته التي يقول في أولها:

أأن لاح من عهد الصبا منزل قفر	بكيت وفي بعض البكا وضح العذر
لعرفان رسم بالعجيماء ماثل	نزحت دموع العين إذ نزح الصبر
تذكرت حيا نازلين تحملوا	وعصرا تولى حبذا الحي والعصر
ليالي أسباب الوصال متينة	وأفنان دوح اللهو فينانة خضر
ليالي إذ ليل الشبيبة لم يلح	من الشيب في أرجاء ظلمته فجر
لئن صنت في تلك المعاهد أدمعي	لقد عهدت مني الخيانة والغدر
غنينا بها والدهر يسعف بالمنى	ولكن غرور ما يمتعك الدهر

---

(١) الوسيط مصدر سابق ٩١.

فما أنت واستقبالك اللهو والصبا وقد أدبرت عشرون من بعدها عشر
تنح عن الدنيا وداعـي غرورها فمن غـره مسلوب زخرفها غرُّ
فـلا خـسر إلا دون خـسر مسافر إلى الموت من زاد التقى كفه صفر
تمـنى عـلى الله الأمـاني ولم يكن بـمـن صـده نهـي ولا حـثه أمـر
يـرى ما يـرى في كل حين ولم يزل يزيد لجاجا كلما انتقص العمر
بـلى إن في فـضـل الإلـه وعـفـوه ذنـوبي وإن جلت جرائمها نـزر[1]

فكانت هذه الأبيات الوعظية تعجبه فيكررها ويعيش معها، ويكون ذلك هو ختام المجلس الأدبي، فهو وإن كان أديبا يستعذب الأشعار ويأمر بإنشادها في أوقات الاستجمام تدريبا لطلابه وتلبية لنزعته الأدبية، إلا أنه سرعان ما يتكشف ذلك الرداء الأدبي عن ذلك النسك الأصيل، الذي ترى من خلاله شخصية العالم الرباني، الذي لا يزال يلهج بتلك المعاني السامية التي يشير إليها هذا الشاعر:

تنح عن الدنيا وداعـي غرورها فمن غـره مسلوب زخرفها غرُّ
فـلا خـسر إلا دون خـسر مسافر إلى الموت من زاد التقى كفه صفر

فهي المعاني التي تأسر قلوب العلماء الربانيين بالكامل، وهي الحقائق التي يعيشون من أجلها، وهي الوقود الذي يحركهم، للتزود إلى ذلك المصير الحتمي، ولا ينخدعون بمظاهر الدنيا الفانية، فظواهرهم في الدنيا وبواطنهم في الآخرة.

فكان العلامة محمد محمود من هذا الصنف النادر في الدنيا، ومن ابتهالاته رحمه الله تعالى قوله:

أرجو الحليم الحليم الواهب الحلل رجـاء ذي سقم يـا شـافي العلل

وسنرى في المبحث الآتي شيئا من هديه وأخلاقه وعبادته رحمه الله تعالى:

---

(١) الشعر والشعراء في موريتانيا لمحمد المختار بن اباه ص ١٨١ – ١٨٢.

المبحث الثاني عشر
في هديه وعبادته

كان العلامة محمد محمود رحمه الله تعالى رجلا جادا كثير العمل لا يرى فارغا، لكثرة أعماله التي أناطها الله عز وجل به، فهو إما في تدريس الطلاب أو الفصل بين الخصوم أو مطالعة الكتب، أو الإشراف على أمور ثروته الحيوانية، وكان رحمه الله تعالى متمسكا بالسنة حريصا على الاتباع، شديدا على أهل الابتداع، لا يستطيعون البقاء معه في بيئة واحدة، وقد أشار تلميذه العلامة محمدو بن مود الجكني في رثائه له إلى ذلك في قوله:

لقد كان عضبا للتبدع قاطعا يشاد به حق يزاح به بُطْل

وكان رحمه الله مع ما هو فيه من مخالطة الناس ومزحهم، وتعليمهم والقضاء بينهم وحل مشاكلهم الكثيرة، ناسكا ورعا وكان لا ينام من الليل إلا قليلا، أخبرنا بذلك طلابه الذين كانوا يلازمونه، وكانت له مكاشفات ومرائي كثيرة صادقة، وكان قلما يموت أحد في زمانه إلا رآه في عالم البرزخ وتحدث معه، وكان يحدث ببعض تلك المرائي، ويكتم بعضها.

فمن ذلك رؤياه التي رأى فيها الرجل الصالح أحمد بن محمد عبد الدايم بن أبات، قال: رأيته في النوم فقلت له ما فعل الله بك، قال: فبسط يده وقال: أصابعي هذه الخمسة سئلت فتكلمت، فقلت: لا إله إلا الله، فقال: هنيئا لكم تستطيعون أن تقولوها، منعنا والله من قولها فلا نستطيع أن نتلفظ بها أبدا[1].

---

(١) سمعت هذه الحكاية من تلميذه الفاضل الذي كان ملازما له: سيد محمد بن جدو بن محمدٌّ بن الشيخ عبد الرحمن.

قلت: وهذه الرؤيا واضحة الصدق، فإن الله عز وجل قال: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

ويقول ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا» رواه مسلم(١).

وقوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» الحديث رواه مسلم(٢).

ولا شك أن قول: لا إله إلا الله من أفضل الأعمال.

لقوله ﷺ: «وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». رواه مالك في الموطإ(٣)

وأحمد بن محمد عبد الدايم هذا كان من الفضلاء الذين لا يفارقون المسجد، وقد رأت له المرأة الصالحة أم كلثوم بنت الداي رؤيا عجيبة، قالت إنها رأت في النوم سطرا مكتوبا بالذهب أو بشي منير فيه «هذه براءة من النار لأحمد بن محمد عبد الدايم» فهنيئا له.(٤)

وكان العلامة محمد محمود رحمه الله يقضي معظم وقته مع طلابه، حرصا على تحصيلهم، لا يدخر جهدا في ذلك، وقد أثمرت تلك الجهود بفضل الله تعالى فتخرج على يديه عدد كبير من العلماء والفضلاء، وسنشير إلى بعضهم في المبحث الآتي:

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٢٦٨٢).

(٢) صحيح مسلم (الحديث: ١٦٣١) .

(٣) موطأ مالك (الحديث ٧٢٦).

(٤) سمعت هذه الحكاية منها حفظها الله تعالى.

المبحث الثالث عشر
في طلابه

جلس العلامة محمد محمود للتعليم فترة طويلة تخرج على يديه عدد كبير من العلماء الأفذاذ أصحاب المحاظر الكبيرة في جميع أنحاء البلد، ونحن نذكر هنا بعضا من مشاهيرهم إذ لا سبيل إلى حصرهم، فمنهم:

١. ابن أخيه: محمد ابات بن محمد
٢. ابن أخته: محمد يسلم بن الداد
٣. ابنه أحمد بن محمد محمود [١]
٤. محمد محمود بن محمد يحظيه البوصادي
٥. محمد محمود بن تقي
٦. عبدالله بن الإمام الجكني
٧. أحمد سالم بن حين
٨. عبدالله بن الشيخ
٩. محمدو بن مود
١٠. أحمد بن عبد الودود (أهل ملاي اعلي)
١١. محمد أمانة الله بن جار الله (أهل الشيخ بن امني)
١٢. أحمد بن بادي

---

(١) وهؤلاء الثلاثة ستأتي ترجمتهم في الطبقة الخامسة إن شاء الله تعالى.

١٣. محمد عبد الرحمن بن جار الله

١٤. سيد عبدالله بن الزين العلوي [(١)]

١٥. أحمد فال بن عبد المالك الجكني

١٦. محمد محمود (امودِ) بن محمد ابات

١٧. الناج بن محمد ابات

١٨. سيد بن المصطفى

١٩. لقظف بن المصطفى

٢٠. سيد محمد (الدَّدَّ) بن المصطفى

٢١. محمد (بُدَّاتْ) بن صدافه بن محمد السالم

٢٢. محمد عبدالله بن محمد عبد الدائم القلقمي (أهل ابات)

٢٣. محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الدائم

٢٤. الشيخ بن سيد عبدالله

٢٥. محمد الخضير بن سيد

٢٦. أحمدو بن عبدالله بن أحمدُ

٢٧. سيد محمد بن جدو بن الشيخ عبد الرحمن

٢٨. محمد مر بن الحابوس (أولاد اعلي)

٢٩. سيد محمد بن الطالب سيد

٣٠. محمد بن سيد محمد بن سيداحمد

٣١. بادي بن سيد محمد (أهل الشيخ بن امني)

---

(١) وهؤلاء كلهم مفتون أو أصحاب محاظرمشهورة، ومن بعدهم كانوا على قدر كبير من المعرفة والدين.

٣٢. إسلم بن سيد حيبلله

٣٣. بادي بن سيد حيبلله

٣٤. سيد محمد بن عبد الجليل

٣٥. محفوظ بن عبد الجليل

٣٦. ديدي بن أحمد فال

٣٧. محمد الامين بن النُّوَّ

٣٨. سيد محمد بن العيل

٣٩. سيد يحي بن ابُّوَّ

٤٠. عبدالله بن المختار فال البوصادي

٤١. محمد عبدالله بن المصطفى

٤٢. محمد محمود بن أهل امام

٤٣. المصطفى بن سييدي

٤٤. محمد الامين بن ادِّي

٤٥. سيد محمد بن أحمد فال

٤٦. محمد الامين بن امَوْ

٤٧. محمد الامين بن محمد

وغير هؤلاء كثير.

المبحث الرابع عشر
في أبنائه

ترك رحمه الله ابنا واحدا وهو والدنا أحمد بن محمد محمود وعدة بنات فاضلات هن أمهات لأسر كريمات من حيهن، وهن:

- اكليثيم، وهي أم أبناء عبدالله بن أحمدو الكبار
- فاطمة وهي أم أبناء العلامة محمد يسلم بن الداد الكبار.
- أم كلثوم أم أبنائه الصغار.
- آمنة وهي أم أبناء العلامة محمد احمد بن الطلبه الحفيد.
- أم الخير، وهي أم أبناء محمد محمود بن يحي بن أحمد.
- زينب، وهي أم أبناء المقرئ محمد الأمين بن محمد احيد الصغار.
- عايشه وهي أم أبناء العلامة محمد ابات بن محمد.

المبحث الخامس عشر
في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

عاش رحمه الله حياة علمية جمع فيها بين العلم والعمل واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٨١ هجرية، عن خمس وسبعين سنة، وقد أرخ وفاته تلميذه شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد بقوله: [١]

في «شأسف»[١] إلهنا تغمدا ... محمدا محمود نجل أحمدا
وعمره إذ ذاك في الذي أظن ... خمس وسبعون بها الإله مَنّْ

ودفن جنب والده بمقبرة «أغلنبيت» في شمال تكَانت، وقد انهالت عليه المراثي من العلماء والشعراء، وسنذكر هنا مرثيتين:

الأولى مرثية العلامة الأديب محمدو بن مود الجكني[٢].

والثانية مرثية الأديب: محمد سالم بن سيد بن عبدي، ونبدؤ بالأولى وهي

---

(١) فالشين ألف والسين ثلاثمائة والفاء ثمانون والألف واحد.

(٢) هو العلامة الأديب محمدو بن أحمدو بن مود الجكني أخذ عن عدد من علماء عصره منهم والده العلامة أحمدو بن مود والنحوي الكبير أحمد الامين أبو الدين بن عبد الرحمن الرمضاني، ومحمد محمود بن أحمد بن أبات القلقمي (صاحب الترجمة) وغيرهم أخذ العلم في فترة وجيزة لذكائه وسيلان حفظه، له عد مؤلفات مهمة منها: نظمه لقطر الندى لابن هشام، ومنها: فصل النزاع، في أن مكة أفضل البقاع، ومنها: واضح البرهان والدليل، في أن الذبيح إسماعيل، وغير ذلك، تولى القضاء في موريتانيا فترة، ثم سافر إلى دولة قطر وعمل فيها إماما وخطيبا، ثم انتقل إلى مكة المكرمة واستمر بها حتى توفي سنة: ١٤٣٠ ودفن بمقبرة المعلاة رحمه الله تعالى.

قصيدة رائعة للغاية، ومطلعها:

هو الموت صاب ما يطاق وما يحل ... تدب إليه الناس ما دبت النمل
وبئر مرير واردون لعقرها ... ففارطهم يسقي وسائرهم يتلوا
تهافتت الأرواح طرا لحوضها ... وإن كان مرا ما تهافتت النحل
ولم ينج منه المرء سهم مسدد ... ولاالمارن[1] الماضي ولاالرعظ[2] والنصل[3]
ولا البضة[4] البلجاء[5] لدن[6] قوامها ... أظافرها حمر مدامعها كحل
ولاالهجمة[7] الأعكار[8] حول رباعها[9] ... ولا الربع[11] والأقلاع[1] والكرم والنخل
ولم ينج منه الرأسَ مرءوسُه الذي ... يبيت وما بالجفن من نومه كحل
وما صان منه الحبرَ كتبٌ عويصها ... عن الأهل والأحباب قدما بها يسلو
على أنه ما عيب من حل بابه ... بل الأولياءُ الشم من أجله تعلوا
وما عالم الله يخلص عاملا ... له عند رب العرش من دونه نُزْل
فما بالنا نأسى على موت سيدٍ ... محمد المحمودُ مَن قوله فصل
تصدر للتدريس مذ هو يافع ... فصار الإمام العدل ياحبذا العدل

---

(١) المارن الرمح الصلب.

(٢) الرعظ: مدخل السهم في النصل.

(٣) النصل حديدة السهم. والمعنى أن أنواع الأسلحة الفتاكة لا تقي صاحبها من الموت.

(٤) البضة المرأة الناعمة البدن.

(٥) البلج تباعد مابين الحاجبين، وقيل هو جمال الوجه.

(٦) اللدن: اللين، والقوام القامة يعني: أنها لينة البدن.

(٧) الهَجْمة من الإبل: ما بين التَّسعينَ إلى المائَةِ، فإذا بلغت مِائَةً فهي: هُنَيْدة.

(٨) الأعكار من الإبل نحو: الخمسمائة من الإبل.

(٩) رباع الإبل المكان الذي ترتع فيه وتظمأ فيه أربعة أيام ونحوها.

(١٠) الربع: جمعه رباع وهي الدور.

(١١) والقلاع:هي الحصون المنيعة، والكرم: هو شجر العنب، والنخل: معروف

لقد كان عضبا للتبدع قاطعا ... يشاد به حق يزاح به بُطل[1]
وقد جمع الأموال والعلم والندى ... وما المجد إلا العلم والمال والبذل
وما نال ذاك المجد إلا وراثة ... وكائن يفوق الأصلَ في إرثه النجلُ
«وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل»[2]
ستبكيه وراد العلوم كأنها ... يتامى فلا أم لديهم ولا أصل
وتبكي أصول الفقه شجوا لفقده ... ويبكي عليه القيس والفرع والأصل
ويبكي عليه النحوُ نحو بكائها ... فيبكي عليه الاسم والحرف والفعل
ولا بدع أن يبكي البديع لموته ... ويبكي البيان الغض والمنطق الجزل
ونبكي لقبض العلم نزعا بقبضه ... ويبكي عليه الخصم أن فاته العدل
وكم كان ذا أمر بعرف، ومنكرٌ ... غيره حتى استقام به الجل
فيا ربنا نور ضريحا به ثوى ... وأنسه بالولدان والحور يا عدل
وبرد ثراه ياكريم وجد له ... سحائب رضوان بأكنافها وبل
ولو أنني واف بحق رثائه ... لضاق بقولي النجد والوعث والسهل
ولكنني زخرفت منه بدائعا ... على أنها في جنب أوصافه قُلُّ
أشامت لا تشمت فما موت مثله ... بموت ولكن للجنان به النقل
فذو المجد ذو عمرين عمر حياته ... وعمر جميل الذكر ما حنت الإبل
على أننا نعتد أحمد نجلَه ... خليفتَه والأصل يخلفه النجل
فبارك رب العرش فيه وزاده ... علوما بها ينزاح عن جاره الجهل
صلاة وتسليم على خير واصل ... محمد المنصور ما انصرم الوصل

---

(١) البطل بضم الباء: الباطل.

(٢) ضمن هنا بيت زهير المشهور وهو من قصيدة يمدح بها هرم ابن سنان وأسرته وقبل البيت المذكور قوله:

وَما يَكُ مِن خَيرٍ أَتَوهُ فَإِنَّما ... تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِم قَبلُ
وَهَل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إِلّا وَشيجُهُ ... وَتُغرَسُ إِلّا في مَنابِتِها النَخلُ

تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي (ص: ٣١٠).

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة محمد احمد بن الطلبه «الحفيد»
وفيه عشرة مباحث

المبحث الأول: في اسمه وولادته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في اشتهاره بالحفظ والإتقان.

المبحث الرابع: في اشتهاره بالابتعاد عن الفتوى والقضاء.

المبحث الخامس: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث السادس: في ثروته التي جاءته دون تحرك أو تعب.

المبحث السابع: في هديه وعبادته.

المبحث الثامن: في أبنائه.

المبحث التاسع: في طلابه.

المبحث العاشر: في وفاته ومكان دفنه.

المرثية الثانية:

للشاعر والأديب: محمد سالم بن سيد بن عبدي يقول فيها:

أقــول وقــد أذري المـدامـع صاح فتسعدني وفي الـدمـع انـشراحـي
إذا ما قضى القطب ابن أحمد نحبه غــدا العلم واهــيــا مقص الجناح
ونــازلــة دهـــت لأقــطـاب معشر وأعيت لأذهـان الصدور الصحاح
بـديهتـه أجـلـت غـيـاهـب غمها كـما قـد جـلا لليل ضـوء الصباح
سـقــى الله تــربــا ضــمــه سحبا تحــل عــلى أنــجــادهــا والـبـطــاح
ويـشرب مما تشتهي النفس مشربا ويخـلـد في الـفـردوس يـوم نجاح

وبهذا تمت ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد وتليها ترجمة العلامة محمد احمد بن الطلبه الحفيد في الفصل الآتي:

المبحث الأول
في اسمه وولادته

هو العلامة الكبير المتقن للعلوم: محمد احمد بن الطلبة الصغير أو الحفيد، وذلك للفرق بينه وبين جده العلامة والشاعر الكبير الذي تقدمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الأول من تراجم طبقات الأحفاد،من هذا الكتاب. وأبوه العلامة الشاعر أحمد بن الطلبه الذي تقدمت ترجمته في الفصل الثالث من تراجم الطبقة الثانية، وأمه لَالَّ بنت الحضرمي.

وقد ولد رحمه الله في حدود سنة: ١٣٠١ هجرية، وقد بدأ في الدراسة في وقت متوسط من شبابه كما سنرى ذلك في البحث الآتي:

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ رحمه الله تعالى في طلب العلم بعد أن صار شابا كبيرا، وكان في بداية شبابه غير مكترث بالتعلم، فهو يذهب ويأتي مع زملائه ويقرأ بعض القراءة دون اهتمام كبير، وفي إحدى الليالي جاء في وقت متأخر من الليل إلى بيت خاله الرجل القانت: أحمد فال بن الحضرمي، فلما رأى ما هو فيه، قال له كلمة نصح وإرشاد، وَسَفَّه له ما هو فيه من البطالة والغي قائلا:

أنت لا تزال هكذا في البطالة والغي، والله لتندمن يابن أختي على ما أنت فيه.

وهذه الكلمة غيرت مجرى حياته إلى الأبد، قال ومن تلك الليلة جلست لطلب العلم. [١]

وفعلا جلس في طلب العلم حتى علاه المشيب، وقد أخذ العلم على العملاقين: العلامة أحمد بن الداد، والعلامة محمد بن أحمد، فأخذ على الأول علوم العربية وعلى الثاني بقية العلوم من فقه وأصول وقواعد وغيرها، وكان يحفظ معارفه كلها في صدره كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

(١) هذه الحكاية شائعة عنه سمعناها من الثقات.

المبحث الثالث
في اشتهاره بالحفظ والإتقان

اشتهر العلامة محمد احمد بن الطلبه الحفيد بسعة حفظه وإتقانه، وذلك لقوة همته وطول الفترة الزمنية التي قضاها في طلب العلم، ومن المعروف أن طول الزمن في طلب العلم هو أحد الشروط الستة المعروفة لتحصيله والتي أشار إليها إمام الحرمين الجويني بقوله:

أخـي لـن تـنـال العلم إلا بستة ... سأنبيك عـن تفصيلها ببيان
ذكـاء وحـرص واجـتـهـاد وبلغة ... وصحبة أسـتـاذ وطـول زمـان[1]

وقد جعلها بعضهم تسعة فقال:

بتسع ينال العلم قـوت وصحة ... وحـرص وفكر ثاقب في التعلم
ودرس وحـفـظ للعلوم وهـمـة ... وشرخ شباب واجتهاد معلم[2]

وقد كان العلامة محمد احمد رحمه الله ممن توفرت له هذه الشروط غير البلغة أي القوت، ولكنه كان ممن يصبر على الجوع لعلو همته، فقد حكي عنه أنه في فترة اشتد عليه الجوع وهو في طلب العلم، فكان يفاكه زملاءه ببيت من الشعر الشعبي (كَاف) يدعو الله فيه أن ييسر له شيئا يأكله فيقول فيه:

يـا رب وكـتـن محـرورْ ... والـــرزق اكـتـلـن شـوكُ
طـيـفـر لي يـا طـيـفـورْ ... بـاط اشـوي انـظـوكُ

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥ / ٢٠٨).
(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١ / ٢٣).

وقد كان الطلاب في فترتهم يصبرون على الجوع الشديد في فترات طويلة وبعضهم لا يستطيع أن يواصل فيذهب إلى أهله، ولكن أصحاب الهمم العالية لا تحركهم العواصف وقد قال بعض الشعراء في هذا المعنى بيتين رائعين وهما:

إذا حل شهر الصيف لابد من فتى ترحل خوف الجوع عن لوحه دهرا
ترى قاصر الهمات يشتاق أهله وذو الهمم العليا إذن يألفوا الصبرا[1]

وكان العلامة محمد احمد في فترة دراسته للعلم يتحرى الإتقان الشديد، وإذا صعبت عليه بعض الدروس يبدأ في الدعاء لتسهل عليه.

أخبرني شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد قال سمعت محمد احمد بن الطلبه يقول لما قرأت باب الإجارة من مختصر خليل ووصلت إلى الدرس المعروف ب «والقول للأجير..» صعب علي، فقلت:

يارب يا ميسر العسير هون لدي القول للأجير

ثم يقول العلامة محمد ابات فأضفت أنا إليه بيتا آخر فقلت:

من حفظ لفظه وما سواهُ من حل معنى صعب اقتضاهُ

وقد كان العلامة محمد احمد رحمه الله مع سعة حفظه وإتقانه يبتعد عن الفتوى والقضاء، ويتورع عنهما كما سنرى ذلك في المبحث الآتي:

(١) لم يحضرني قائل هذين البيتن، وقد حفظتهما من شيخنا العلامة محمد ابات.

المبحث الرابع
في اشتهاره بالابتعاد عن الفتوى والقضاء

كان رحمه الله مبتعدا عن الفتوى والقضاء، فكان إذا عرضت عليه نازلة ليفتي فيها، يقول رحمه الله كلمته المشهورة عنه: «لست بِنَزَّال»، أي لست من أصحاب النوازل، وكان مع ذلك معتزا بنفسه وله عبارة مشهورة عنه، إذا أراد أن يشيد بنفسه، أو ينبه على علو كعبه في العلوم يقول: «شَشْ بَعْدْ» (بشين تقرب من التاء) فهذه الكلمة يقولها غالبا في ميدان عرض العضلات العلمية، وقد كان معاصره العلامة محمد محمود بن أحمد، يوجه إليه بعض الكلمات على وجه المزاح، فيرد بهذه الكلمة، فمثلا في بعض الأيام قال العلامة محمد احمد: «لست بنزال»، فقال العلامة محمد محمود: بل أنت لا تستطيع فقط، ثم قال: قولوا لمحمد احمد إذا كان لا يستطيع الإجابة عن نوازل الناس، فعليه أن يسأل عن نوازله التي تنوبه في خاصة نفسه فإنهما من جنس واحد، فقال العلامة محمد احمد: شش بَعدْ[1].

وكان العلامة محمد احمد رحمه الله يرى تحريم الشاي لشبهه بالخمر مخالفا بذلك شيخه العلامة محمد بن أحمد، وفي يوم من الأيام قال: لدي مؤلف في صدري جاهز في تحريم الشاي، فقال له العلامة محمد محمود: لو كتبته أول النهار لنقضته لك في آخر ذلك اليوم، فقال العلامة محمد احمد: شش بعد. وفعلا لم يكتب هذا الكتاب حتى توفي رحمه الله[2].

---

(١) سمعت هذا غير مرة من شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله.

(٢) سمعت هذا من الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله.

المبحث الخامس
في محظرته وعطائه العلمي

إن عالما متقنا متفننا مثل العلامة محمد احمد سيجتمع حوله الطلاب ليأخذوا عنه، وفعلا فقد جلس للتدريس مدة طويلة ودرس عليه الكثير من الطلاب، وكان تدريسه هادئا مفصلا، بينما كان معاصره العلامة محمد محمود سريع التدريس ولا يطيق الأخذ عليه إلا البارعون من الطلاب، فكان محمد احمد رحمه الله وجهة لكثير من ضعفاء الطلاب ومتوسطيهم، والرجلان كانا لا يفترقان غالبا، فابنة العلامة محمد محمود، زوجة لمحمد احمد بن الطلبة كما تقدم.[1] فكان لكل منهما طلابه، وبعض الطلبة يأخذ عن كل منهما، وكان العلامة محمد احمد صاحب ثروة حيوانية كبيرة امتن الله عليه بها دون تعب كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) تقدم ذلك في ترجمة العلامة محمد محمود في مبحث ذكر أبنائه.

المبحث السادس
في ثروته التي جاءته دون تحرك أو تعب

لقد امتن الله عز وجل على العلامة محمد احمد بن الطلبة بثروة طائلة دون كد أو تعب، بل إن الله امتن عليه بها وهو جالس يدرس العلم ويدرسه، والسبب في بدايتها أنه أبضع مالا مع تجار فأتوه بقماش فخزنه في مكان معين، وفي تلك الفترة اندلعت الحرب العالمية الثانية، وتوقف استيراد القماش من الدول الغربية التي كان يستورد منها، فتضاعف ثمن القماش عدة مرات فكان كل ثوب يباع بجذعة من الإبل أو البقر، وفي فترة وجيزة اجتمعت لديه أعداد كبيرة من الإبل والبقرمن ذلك القماش، وتناسلت تلك الأعداد وانتشرت انتشارا سريعا على أيدي عماله وعبيده، وهو جالس لم يتحرك فيها، حتى إنه لم يبت خارج خيمته ليلة واحدة، وهذا أمر لم يتفق لأحد ممن عاش في بيئته ألبتة، فكان الناس يتعجبون من أمره، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

وقد أخذ على نفسه أنه سيعطي لكل فقير من محطيه جملا يركبه فكان يسأل عن الفقراء لينفذ ذلك رحمه الله تعالى.[1]

(١) سمعت هذا من الوالد أحمد بن محمد محمود.

المبحث السابع
في هديه وعبادته

كان العلامة محمد احمد رجلا جادا مقبلا على أموره الخاصة ولا يرى خارج خيمته إلا في المسجد، وكان مقبلا على الله تعالى ولم تشغله الدنيا التي فتح الله عليه أبوابها، بل كان صاحب استقامة وهدي وخلق رفيع.

وقد أخبرني الوالد أحمد رحمه الله بحكاية تدل على عظمة الرجل ويقظته وقوته في الدين، قال: سافرت في إحدى السنوات إلى جنوب البلاد وأنا شاب صغير، وقد كنت أودعت ساقين من السكر عند أختي آمنة وهي زوجة محمد احمد بن الطلبه، وفي إحدى الليالي وأنا في حي من رعاة الإبل نفد عندنا السكر الذي نعمل به الشاي، وإذا برجل كنتي يدعي أنه يجلب الأشياء بواسطة الجن، فقال: من عنده سكر في أي مكان فانا أستطيع أن أجلبه له الآن، فقلت له أنا عندي ساقان من السكر في بيت أختي بموضع كذا، وبعد لحظات أحضر لنا ساقين من السكر فأخذهما الرعاة، ثم لما قدمت على أهلي جلست يوما مع العلامة محمد احمد، فقالت لي الأخت آمنة: لعلك نسيت السكر الذي أودعتني، فقلت لها: إن رجلا كنتيا قد جلبهما لنا بواسطة الجن قبل فترة، وذكرت القصة، فقال العلامة محمد احمد: شَشْ بعد، لا يقدر على ذلك. يريد أن الشياطين لا تقدر على دخول بيته ألبتة وهو مطمئن لذلك.

قلت: وهذه درجة عالية من الإخلاص لله تعالى، فإن عباد الله المخلصين ليس للشيطان عليهم سلطان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحِجر:٤٢].

وقال تعالى حاكيا عن الشيطان: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[الحِجر:٤٠].

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المخلصين.

المبحث الثامن
في أبنائه

ترك رحمه الله ابنين وبنتا فأما الابنان فهما.

١. محمد الأمين بن الطلبه حفظه الله.

٢. محمد عبدالله الملقب «بناهي» وقد سافر إلى شرق البلاد في ولاية الحوض الشرقي وانقطع خبره، وكان حيا في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري.

٣. والبنت اسمها تسلم وقد توفيت رحمها الله تعالى.

المبحث التاسع
في طلابه

درس على العلامة محمد احمد بن الطلبه الكثير من الطلاب فمنهم:

١. أحمد بن محمد محمود

٢. أحمد سالم بن حين الجكني، وكان معتزا به، وقد زرت معه قبره بالدندان فلما وقفنا عليه، قال له: السلام عليك يا شيخي محمد احمد.

٣. محمد مر بن الحابوس.

٤. الأسياد بن أهل الاسياد (أهل الشيخ بن امني)

٥. محمد الامين بن النُّوَّ

٦. سيد ابراهيم بن محمد الطفل الإجيجبي

وغيرهم كثير.

المبحث العاشر
في وفاته ومكان دفنه

توفي العلامة محمد احمد بن الطلبه رحمه الله سنة: ١٣٨٣ هجرية، ودفن في شمال تكَانت بالواد الأبيض (الدندان) وحده وكانوا يريدون نقله إلى مقبرة (أغلنبيت) فأصر الرجل الفاضل: التقي بن سيدي الجكني على أن يدفن في الدندان، وقال لذويه: أعطونا هذا الشيخ الجليل لنجعله بداية مقبرة هنا أي عند قرية الدندان وتسمى مقبرة (الجريف)(١)

وفعلا دفن هناك وتتابع الناس على الدفن معه حتى صارت الآن مقبرة كبيرة، تضم عددا كبيرا من الصلحاء والفضلاء الجكنيين ومن بينهم: التقي بن سيدي نفسه، والرجل الورع: أحمد سالم بن حين، وقبلهما الشاب البارع أحمد محمود بن الطيب بن المعزوز (٢) رحمه الله، بل قيل إنه هو أول من دفن هناك، فرحم الله الجميع.

وبهذا تمت ترجمة العلامة محمد احمد بن الطلبه «الحفيد».

---

(١) سمعت هذا من شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله.

(٢) هو الشاب البارع الأديب أحمد محمود بن الطيب وجدَّتُه من الأب مريم بنت أحمد بن أبات، كان شاعرا قويا ومن شعره أبياته الرائعة التي يقول فيها:

أثــارت دمــوع العين دور بغلت ... أمـن صحيح القلب من غير علة

وذكــرنــه دهــرا تــولى شبابه ... بحيث بـروق المـزن لاحـت وألت

على مثلها سلم متى جئت منشدا ... مـقـالـة مـعـلـوق هـــواه بـعـزة

خليلي هــذا ربــع عــزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

الفصل الثالث

في تـرجمة العلامة: سيد محمد (سيديـن) بن الإمام

وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: في اسمه وولادتـه ونشأتـه.

المبحث الثاني: في دراستـه وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانتـه العلمية والسياسية.

المبحث الرابع: في محظرتـه وعطائه العلمي.

المبحث الخامس: في مؤلفاتـه.

المبحث السادس: علاقته بشيخه العلامة محمد بن أحمد.

المبحث السابع: في علاقته بأمراء منطقته.

المبحث الثامن:في هديه وورعه.

المبحث التاسع: في طلابه.

المبحث العاشر: في أبنائه.

الحادي عشر: في وفاتـه ومكان دفنه.

الفصل الثالث:

في ترجمة العلامة: سيد محمد (سيدين) بن الإمام

وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية والسياسية.

المبحث الرابع: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث الخامس: في مؤلفاته.

المبحث السادس: علاقته بشيخه العلامة محمد بن أحمد.

المبحث السابع: في علاقته بأمراء منطقته.

المبحث الثامن:في هديه وورعه.

المبحث التاسع: في طلابه.

المبحث العاشر: في أبنائه.

الحادي عشر: في وفاته ومكان دفنه.

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة سيد محمد بن الإمام وهذا هو الذي كان يكتب لنفسه، وقد اشتهر بلقبه: «لمرابط سيدين» وقد ولد رحمه الله في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، تقريبا، ووالده هو الإمام أحمد بن الداد بن أبات، واشتهر بالإمام، وأمه: خديجة السالمة بنت سيد عبدالله بن أبات، ونشأ في حجر والده رحمه الله تعالى، وكانوا يسكنون جنوب تكَانت، ولما بلغ الحلم بدأ في طلب العلم،فانتقل إلى عمه سيبويه زمانه أحمد بن الداد، الذي كان يسكن في القنيزر وسط تكَانت، وبدأ في طلب العلم عنده كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ في طلب العلم في وقت مبكر فسافر من عند أهله في جنوب تكَانت إلى عمه: سيبويه زمانه: أحمد بن الداد فبدأ في دراسة النحو عليه، فأتقن عنده جامع بن بونه، وقد أدركنا طلابه فكانوا يبالغون في معرفته للنحو واللغة، ولما استكمل دراسته اللغوية انتقل إلى العلامة محمد بن أحمد فبدأ في دراسة الفقه، فكان من طلابه المتميزين، ولهذا قيل إن العلامة محمد رحمه الله كان معجبا به، وكان يقدمه في التدريس على سائر طلابه، فقرأ عليه مختصر خليل قراءة متقنة، وكذا القواعد الفقهية، وأصول الفقه، وكان بارعا في كل ذلك، مما جعله يتبوأ مكانة علمية عالية في عصره مع توافر العلماء آنذاك وسنشير إلى مكانته العلمية في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية والسياسية

لقد كان العلامة: سيد محمد بن الإمام الذي اشتهر عند العامة والخاصة باسمه: (لمرابط سيدين) من بحور العلم والمعرفة بما في الكلمة من معنى، فكانت ترفع إليه النوازل من كل مكان، ولقد كان شيخنا الجليل، العلامة محمد ابات في شبابه ربما رفع إليه بعض الخصوم، وذلك بعد وفاة العلامة محمد محمود بن أحمد، وقد عاش بعده ست سنوات، كما أخبرني بذلك العلامة محمد ابات رحمه الله تعالى.

وكان العلامة: سيدين رحمه الله هو المرجع العلمي في جنوب تكَانت وما جاورها من منطقة آفطوط، وكان مع ذلك رجلا سياسيا بارعا، ولهذا لما اختلفت قبيلته فيمن يكون ممثلا أو سفيرا لها عند السلطات الفرنسية أيام الاستعمار الفرنسي وهو المعروف ب(شيخ القبيلة) وقع الإجماع عليه، وقد رشحه لذلك المنصب شيخه العلامة محمد بن أحمد لعلمه بمواهبه العلمية والسياسية، ولعلمه بفضله وورعه، وشغل ذلك المنصب سنة كاملة ثم استقال منه، وطلب من يخلفه فيه، فتم ترشيح العلامة محمد محمود بن الغوث (حميد) وشغل ذلك المنصب طول حياته، كما سنبين ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى في الفصل الآتي.

وقد كان للعلامة سيدين تقديرواحترام كبير في قلوب الخاصة والعامة، وقد أثنى عليه بعض الفضلاء وهو سيدي عالي بن اطوير الجنة الحاجي بقوله:

سقيا ورعيا تكرما لمن نزلا ... حول الحسينيه لا يبغي بها بدلا
فأهلا بمن قد حاز مرتبة ... ما حازها قط من ثوى ومن رحلا

و«الحسينية» هذه وادي معروف في جنوب تكَانت وهو مليئ بالنخيل وتمتلك بعض أسر أهل أبات فيه النخيل، كما يمتلكون النخيل في أودية أخرى في تلك لمنطقة، مثل، «لمزيلكه» و «عين أجمل» و «فوقات» التي يوجد بها مدفن كبيرمنهم يضم عددا كبيرا من العلماء والصلحاء.

كما يمتلكون المزارع في منطقة «كهميت» و«دابر» وغيرها، والسودان المنتمون للقبيلة يتواجدون في هذه المناطق بشكل مكثف، وهم يقومون باستغلال هذه الأراضي، وقد يتواجدون في منطقة واحدة مع السودان التابعين لقبيلة إدوعيش، لأن الحواجز بين القبيلتين شبه مزالة، لعمق العلاقات بينهما، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في غير موضع من هذا الكتاب.

وقد جلس العلامة: سيدين رحمه الله للتدريس فترة طويلة،في محظرته الكبيرة التي سنتحدث عنها في المبحث الآتي:

المبحث الرابع
في محظرته وعطائه العلمي

لما جلس العلامة سدين للتدريس وطار صيته ازدحمت عليه الطلاب فكانت محظرته تعج بمختلف القبائل، وكانت كل الفنون تدرس فيها، فهي محظرة نحوية لغوية وهي محظرة فقهية متخصصة، وهي قبل هذا كله محظرة قرآنية بامتياز، فهي محظرة تخرج المتخصصين في كل العلوم، ولورع صاحبها وزهده كانت كذلك تخرج أئمة الزهد والورع.

وقد تخرجت منها أعداد كثيرة لاسبيل لحصرها وسنذكر منها نماذج في المبحث التاسع إن شاء الله تعالى، وقد كان معظم عطائه العلمي في التدريس والإفتاء والقضاء، ومع ذلك له كتابات علمية نشير إليها في المبحث الآتي:

المبحث الخامس
في مؤلفاته

لقد كان العلامة سيدين بن الإمام رحمه الله ممن اشتغل بالتدريس والإفتاء فكان معظم وقته يقضيه بين طلابه، ومن المعروف أن من اشتغل من العلماء بالتدريس يؤثر ذلك سلبا على عطائه التأليفي، وإن كان في ذلك قد صرف وقته في مرضات الله تعالى، وقد كتب العلامة سيدين في بعض المواضيع وأهمها شرحه للمرشد المعين لابن عاشر، وإن كان لم يكمله حسب علمي، وقد وجدت منه نسخة عتيقة بخط المؤلف عند تلميذه العلامة الجليل سيد احمد بن عبد الدائم رحمه الله، وقد وصل في هذا الشرح إلى أواخر باب الاعتقاد يقول في أوله:

الحمد لله الذي شرح بفضله صدور المرشدين للعباد، وضيق بعدله قلوب الجهلة ذوي الفسق والعناد، وتصرف تعالى في خلقه كيف تصرف وأراد...

إلى أن يقول:

ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ، وعلى ءاله وأصحابه ذوي الكرم.

وبعد: فيقول الفقير المضطر إلى رحمة مولاه الكريم: سيد محمد بن الإمام المالكي مذهبا، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين: لما كان نظم ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، من أجل ما نظم في علم الدين، لأنه جمع فيه بين التوحيد والفقه والتصوف أردت أن أضع شرحا يبين معانيه، راجيا من الله العون على إتمامه، وأن يكون خالصا من شوائب العمل...

إلى أن يقول: وسميته: بالواضح المبين، في شرح المرشد المعين، نفع الله به المسلمين... إلى آخره .

والنسخة الوحيدة التي حصلت عليها تقع في ٣٥ صفحة من الورق المتوسط، وقد قارب المؤلف أن يكمل باب العقيدة، فقد وصل في شرحه إلى قوله في الرسل:

يجــوز في حــقــهــم كــل عــرض لــيــس مــؤديــا لنقص كــالمــرض

وآخر كلامه في شرح هذا البيت، قوله:

تنبيه: اعلم أن أفعال الأنبياء دائرة بين الوجوب والندب، وأما المباح فلا يصدر إلا على وجه يصير به في حقهم طاعة وقربة كقصد تشريعه أو التقوي به على طاعة الله تعالى وذلك مما يليق بمقاماتهم الرفيعة.

وهذا آخر ما كتب من هذا الشرح، وهو شرح جيد للغاية فلو اكتمل لكان من أهم شروح هذا النظم فرحمه الله تعالى وأثابه على ما قدم.

وله أبيات رائعة في شأن المعية التي أثيرت في تلك الفترة وجرت فيها ردود متبادلة بين العلماء، كما تقدم في ترجمة العلامة محمد بن أحمد، والأبيات هي:

مـعـيـة الإلـــه لـــلأكـــوان جل تـعـلـق الـعـلـم بهـا فـلا تمِـل
مــع اتــصــافــه بــه قــلــت ولا يـفـيـد ذا لـــدى الـــذي تـأمـلا
معية الـــذات الــتــي استحالتي ولا انفكاك الـذات عن ذي الصفة
وكــنــه الاتـــصـــاف والـتـعـلـق الـعـقـل عـنـه عـاجـز فحقق

وهي أبيات كما ترى واضحة ووافية بالمقصود.

المبحث السادس
في علاقته بشيخه العلامة محمد بن أحمد

كانت العلاقة بين العلامة سيدين وشيخه العلامة محمد من نوع خاص فكانت تربطهما علاقات وطيدة هي علاقة التلميذ بشيخه وأستاذه في العلم والدين والسياسة، وعلاقة الشيخ بتلميذه البارع الذي يرى فيه ما يتمناه لطلابه من الكفاءة العلمية والسياسية، والصفات القيادية بجميع أنواعها، وكان العلامة سيدين معجبا بشيخه العلامة محمد غاية الإعجاب، فيحكى أنه كان ذات يوم في مجلس فيه الرجل الفاضل: محمد بن عبد التار وهو يخوض في أحاديثه وملحه وحكاياته، ويضحك جلساءه، والعلامة سيدين ساكت، ثم جاء ذكر العلامة محمد، فقال العلامة سيدين بالحسانية «أراه الظحك بعد اوفَ»[1] (أي الضحك انتهى الآن) وهذه الكلمة لا تحتاج منا إلى تعليق، فهي كلمة تختزن في ضمنها الكثير.

وقد كانت تربطهما كذلك علاقة اجتماعية، فإن العلامة سيدين تزوج بابنة شيخه، واسمها أم كلثوم وتلقب (كلثامه) وتوفيت عنده رحمها الله، ويحكى أنه لما خطبها ذهب إلى أهله ليتجهز للزواج، فأصيب بمرض منعه من التحرك قرابة السنة حتى أشيع أنه أعرض عن الزواج بها، ووصل ذلك الخبر إلى شيخه العلامة محمد، فلما شعر بذلك كتب إليه رسالة يعتذر فيها ويقول إنه لا يزال على عهده، وإنما أخرته ظروفه الصحية، وكتب في رسالته هذه الأبيات:

(١) سمعت هذا من العلامة محمد ابات رحمه الله تعالى.

سلام ألذ للنفوس من الشهد ... وأطيب من روائح المسك والورد
يفوق لنا طعم السلافة ذوقه ... وتقصر عن رياه رائحة الرند
إلى من أدام الله بالعلم فضله ... أبي الحجا حلو المكارم والمجد
فموجبه أني على العهد ثابت ... وإن حاد بي صرف الزمان عن القصد
فلا تحسبوا أني لعهدي ناقض ... ولكن صروف الدهر ناقضة العهد
فسبحان من أنشا الأمور جميعها ... وما قد قضى لابد جار على العبد

وله أيضا يساجل بعض معاصريه:

وحوراء يشبه المدام رضابها ... وإن خوطبت فلا يمل خطابها
تجنبت من خوف العذاب لقاءها ... فكان تجنبي لنفسي عذابها

ثم نشير إلى علاقته بأمراء منطقته في المبحث الآتي:

المبحث السابع
في علاقته بأمراء منطقته

كان العلامة سيدين رحمه الله يسكن في منطقة إمارة إدوعيش وقد عاصر الأمير: عبد الرحمن بن بكار، فكان الأمير يجله ويحترمه ويعتمد عليه في كثير من الأمور، وقد رأيت في المخطوطات القديمة رسالة بخط الأمير عبد الرحمن، موجهة إلى العلامة سيدين، والخطاب فيها ينم عن احترام وإجلال وعلاقة وطيدة بين الرجلين، وهذا أمر غير مستغرب، فإن الأمير عبد الرحمن كان يجل علماء هذه الأسرة ويحترمهم وينزلهم منزلة عالية، ويستمع إلى نصائحهم، وإلى الأحكام الشرعية التي يصدرونها حتى ولو كانت ضد مصالحه الخاصة، ويتبين ذلك مما قدمنا في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد فلينظر هناك.

لاسيما وأن العلامة: سيدين رحمه الله كان عالما بارعا وورعا لا تأخذه في الله لومة لائم، بل كان من كمل الرجال، يتضح ذلك من وصف من عرفوه وعايشوه، ولا غرو في ذلك، فالرجل مع ما أعطاه الله من مواهب تؤهله لذلك هو أيضا ممن تربى على يد العلامة: محمد بن أحمد، رحمهم الله جميعا.

المبحث الثامن
في هديه وورعه

عرف عن العلامة سيدين بن الإمام ورع صادق وقديم، وقد كانت فتاواه تتسم بذلك، وهو واضح في جميع تصرفاته، فيحكى أنه أعاد صلاته كلها في السنة التي ولي فيها أمر قبيلته لأن الأمور التي كان يزاولها أدت إلى نقص في خشوعه في الصلاة(١).

ويحكى أن شيوخ القبائل في تلك الفترة إذا أتى أحدهم بعشر مال قبيلته إلى السلطات الفرنسية يعطونه نسبة من ذلك المال فيأخذها وهو أمر متعارف عليه، وهو عوض عما يجده من المشقة في ذلك العمل، ولكن العلامة سيدين في هذه السنة رد لكل شخص ما يخصه من ذلك المبلغ ولم يأخذ منه درهما واحدا فكان الناس يستغربون ذلك، وهذا هو الورع الصادق.

وبالجملة فالرجل كان على درجة عالية من اليقظة وعدم الاغترار بالدنيا الزائلة، وقد اشتهرت له أبيات وعظية صادقة، تترجم ذلك المعنى الذي يغفل عنه الكثير من أبناء الدنيا، فلنعش مع هذه الأبيات الرائعة التي يقول فيها:

وكل نعيم للزوال مآله ... فذاك حَرٍ أن لا يسر كماله
ومن سره في دار دنياه حادث ... تبدى له عما قريب زواله
فدع عنك تذكار الدنيا وأهلها ... وكن ذاكرا لله جل جلاله
لعلك إن ذكرت ربك مخلصا ... ينيلك غفرانا يسرك حاله

---

(١) هذه الحكاية متواترة عنه رحمه الله.

قلت فهذه الأبيات توقظ القلوب النائمة وتنبه الغافلة، لصدق لهجتها وبراعة معانيها وسلاسة ألفاظها، وصدق قائلها فيما نرى والله حسيبه، فإن القول إذا خرج من القلب دخل إلى القلوب من غير استئذان، وأما إن خرج من اللسان فقط، فإنه لا يجاوز الآذان، وهذا معنى معروف عند الواعظين،

ولهذا لما قال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب؟ فقال كلمته المشهورة: يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة(١).

قلت: فهذه الكلمة وأمثالها ذات تأثير بالغ على القلوب والأحوال.

وقد ذكر الغزالي في الإحياء: عن ابن السماك قال:

وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها،

قلت: وما هي رحمك الله؟ قال قولك: لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار.

ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد، فأتيته أعوده فقلت: يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك: «لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلو دين إما في الجنة أو في النار».

قال ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام، فقلت: يا أخي ما فعل الله بك، قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (ص: ٣٣٣)

قلت بماذا؟ قال: بالكلمة. [1]

أي بالكلمة التي تأثر بها، فكانت سببا في مرضه، وكانت سببا في موته، وسببا كذلك في دخوله الجنة. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم نعود لما كنا فيه من التنويه بهدي العلامة سيدين بن الإمام وخشوعه وعزوفه عن الدنيا وعدم الاغترار بها والعكوف على العبادة وبث العلم في صدور الرجال، حتى كون جيلا من العلماء واصلوا سيره وقاموا بمهمته من بعده، وسنشير إلى نماذج منهم في المبحث الآتي:

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ١٨٨).

المبحث التاسع
في طلابه

جلس العلامة سيدين للتدريس مدة طويلة وتخرج على يديه أعداد من الطلاب كثيرون لا سبيل إلى حصرهم وسأقتصر على ذكر بعض مشاهيرهم، فمنهم:

١. ابنه محمد بن سيدين بن الإمام
٢. أحمد بن محمد الأمين بن الغوث بن أبات
٣. محمد الحسن بن امود
٤. أحمد بن عبد الودود (أهل مولاي رشيد)
٥. يرب بن مولاي
٦. أحمد بن أهل اعلي القلقمي.
٧. أحمد فال ابن يعقوب السوباكي
٨. سيداحمد بن عبد الدايم (أولاد اعلي)
٩. محمد مر بن الحابوس
١٠. خطري بن الأديب
١١. القاضي بن ميلود (اتمدك)

وغيرهم كثير.

المبحث العاشر
في أبنائه

ترك رحمه الله أربعة أبناء وبنتا، فالأبناء هم:

١. محمد.

٢. أحمد.

٣. محمد عبد الرحمن.

٤. محمد الحسن حفظهم الله تعالى.

والبنت اسمها: مريم، وهي أم أبناء عبد الدايم بن سيد بن أحمد وقد توفيت رحمها الله، وأمهم آمنة بنت العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبدالرحمن رحمهم الله جميعا.

الفصل الرابع

في ترجمة العلامة: محمد محمود (حميد) بن الغوث بن أبات وفيه ثلاثة عشر مبحثا:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية والسياسية.

المبحث الرابع: في اشتهاره بالحلم والأناة.

المبحث الخامس: في عطائه العلمي.

المبحث السادس: في علاقته بأمراء منطقته.

المبحث السابع: في حكمته ودهائه.

المبحث الثامن: في هديه وعبادته.

المبحث التاسع: في زهده وورعه.

المبحث العاشر:. في مزحه ونوادره.

المبحث الحادي: عشر في طلابه.

المبحث الثاني عشر: في أبنائه.

المبحث الثالث عشر: في وفاته ومكان دفنه.

المبحث الحادي عشر
في وفاته ومكان دفنه

ظل العلامة: سيدين بن الإمام يزاول نشاطه العلمي من تدريس وإفتاء وعبادة إلى أن توفي سنة: ١٣٨٧ هجرية، ودفن مع شيخه العلامة محمد بن أحمد في مقبرة كلب الملح، وهي مقبرة كبيرة تضم عددا كبيرا من العلماء والصلحاء من قبيلتهما، فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

وبهذا تمت ترجمة العلامة سيد محمد (سيدسن) بن الإمام، وتليها ترجمة العلامة محمد محمود (حميد) بن الغوث بن أبات في الفصل الأتي:

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة الكبير: محمد محمود بن الغوث بن أبات وعرف بلقبه: (حميد) وهو الذي سنذكره به في هذا الكتاب للإيضاح، وأمه: امَّيْنَه بنت محمد احمد بن الطلبه الكبير، وهي أم إخوته الثلاثة الفضلاء وهم:

١. محمد احمدو بن الغوث وستتم ترجمته في القسم الثالث المخصص للقراء

٢. وعبدالله صاحب الكرامات والخوارق الكثيرة.[١]

٣. ومحمد الامين البطل العظيم الذي كان يحتل درجة عالية من الجرءة والقوة، وله مواقف مشرفة خلدت ذكره في عشيرته.

ولد العلامة حميد رحمه الله في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ونشأ في حضن والده سيد محمد الغوث، هذا هو اسمه الكامل، ولكن الشائع له المتداول هو الاقتصار على (الغوث) كما تقدم، ولما بلغ الحلم بدأ في طلب العلم كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) فمن كراماته أنه كان إذا أتى حيا عرف أسماء جميع الأشخاص فيه وحتى الأطفال، وكان مقعدا لا يستطيع التحرك، ومع هذا يأكل ويشرب ولا ترى له أي فضلات. فسبحان القادر على ما يشاء، وقد تزوج في قبيلة تركز وسكن فيهم وأحفاده لايزالون فيهم، فمنهم الرجل الفاضل: محمد عبدالله (الإغاثه) وإخوته حفظهم الله.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ العلامة حميد رحمه الله في طلب العلم مبكرا فجلس عند العلامة سيبويه زمانه ابن عمه أحمد بن الداد، وأخذ عليه جامع ابن بون حتى صار متخصصا في علم النحو، ثم انتقل إلى العلامة: محمد بن أحمد، فقرأ عليه الفقه وسائر العلوم الأخرى، حتى صار من أبرز طلابه، وكان من الأذكياء المشهورين، فكان سريع الحفظ بشكل غير عادي، فكان يقول: كنت أجلس في الرمضاء وأقرأ درسي فأحفظه، قبل أن تزعجني حرارتها، ومما يحكى عنه أنه كان يوقد قطعة من الحشيش ويحفظ عليها درسه قبل أن ينتهي اشتعالها. [1]

وهذه درجة من سرعة الحفظ قل نظيرها، فإن اشتعال قطعة الحشيش غالبا لا يستغرق أكثر من دقيقة واحدة، والدقيقة غالبا لا تمكن قراءة الدرس فيها إلا مرة واحدة أونحوها، وعلى هذا فإنه كان يحفظ درسه بقراءة واحدة أو اثنتين، وهذا أمر في غاية الندور، ولكن قدرة الله عز وجل مطلقة بدون حدود.

ولا شك أن من كان يحفظ بهذا القدر من السرعة سيأخذ العلم في فترة وجيزة، للموهبة التي امتن الله عليه بها، وتلك الموهبة هي التي جعلته يحتل درجة علمية كبيرة بين معاصريه، وذلك ما سنقف عليه في المبحث الآتي:

---

(١) سمعت هذا من الثقاة الذين سمعوا منه.

المبحث الثالث
في مكانته العلمية والسياسية

لقد احتل العلامة: حميد رحمه الله مكانة علمية مرموقة في عصره ورزقه الله القبول عند الناس والمحبة في قلوبهم، وكان مع ماهو عليه من العلم والعبادة والورع، سياسيا بارعا، بل كان معدودا من دهاة الرجال في أيامه، ولهذا لما قَدَّم العلامةُ سيدين ابن الأمام استقالته من زعامة قبيلته أيام المستعمر الفرنسي، تم اختياره هو رحمه الله تعالى بإجماع القبيلة لشغله هذا المنصب وظل يشغله إلى أن توفي بعد الاستقلال بست سنوات، في سنة ١٩٦٦ م وقد كان سفيرا وشِيخا بارعا رضي عنه الجميع، ومن المعروف أن رضى الناس غاية لاتدرك، وقد استطاع أن يجمع بين عدة أمور متناقضة، منها:

١. أنه كان يتعامل مع السلطات الفرنسية بحنكة فائقة فكانوا يحترمونه غاية الاحترام، بينما كان هو رحمه الله ملتزما أعلى ما يكون من الاحتياط والورع.

٢. ومنها: أنه كان يأخذ لهم العشر من الناس دون إكراه ولا قهر، فينال بذلك احترام الناس لأنه لا يكرههم على العطاء، وينال احترام الفرنسيين لعدم خلافه مع رعيته التي يدير شئونها.

٣. ومنها: أنه أقنع الفرنسيين بعدم إدخال الأطفال في مدارسهم فأعطوه استثناء خاصا به، فكان ذلك سببا في ارتياح قبيلته المتدينة لذلك، بل كان سببا في دخول كثير من قبائل الزوايا في كتابته، لئلا تؤخذ أبناؤهم إلى المدارس الأجنبية الكافرة، كل هذا وغيره كان باديا في نجاحه في مسيرته السياسية والاجتماعية، فرحمه الله تعالى، وأثابه على ما قدم.

المبحث الرابع
في اشتهاره بالحلم والأناة

كان العلامة حميد رحمه الله مشهورا بصفات حميدة من أهمها: الحلم والأناة، وهاتان الصفتان يحبهما الله تعالى كما قال النبي الله ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: (إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ) رواه مسلم [١]

فأما الحلم فهو العقل، وهو كذلك ترك العقوبة مع القدرة عليها، وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة، ولا يحمل هاتين الصفتين شخص إلا وساد في مجتمعه لا محالة، ونشير إلى مثال من حلمه وأناته وهو ما وقع له مع أسرة كانت في كتابته من غير قبيلته، وهي أسرة مؤلفة من أم وأبنائها، فلما قدم عليهم يريد عشر مالهم، تكلموا له، وأساءوا عليه الأدب، وكان الشيوخ في تلك الفترة تعطيهم السلطات الفرنسة عسكريين، يخيف ويقهر بهم من شاء، وعند أحدهم السلطة الكاملة في ذلك إن شاء، وقد بطش كثير منهم بأبناء عمه ورعيته، ولكن العلامة حميد لم يستخدم شيئا من ذلك ولا مرة واحدة، فلما تلقته تلك الأسرة بالإساءة، أعرض عنهم، وأخذ وضوءا وبدأ يصلي سنة الضحى كعادته، وكانت صلاته طويلة جدا، فلما رأت المرأة وأبناؤها حلمه وهدوءه ندموا على ما فعلوا، وجاءو يعتذرون إليه وبدأوا في ضيافته، وإكرامه، وأعطوه العشر بطيب أنفسهم، وكانوا بعد ذلك يحدثون بهذه الواقعة، ويثنون عليه ويحبونه غاية المحبة. [٢]

---

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٢٥).

(٢) هذه الحكاية مشهورة عنه سمعناها من الثقات.

ويحكى أنه كان في مثل هذه المواقف يقول: قد تبايعت مع الله عز وجل وعاهدته في هذا الشأن أن لا أوذي أحدا من الناس وأن أصبر على أذاهم، وسوف إن شاء الله أفي بما عاهدت الله عليه.

قلت: وقد وفقه الله للاستمرار في ذلك إلى أن قضى نحبه، فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياه ممن دخل في قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٣].

وكان العلامة حميد رحمه الله يثق بوعد الله في هذه الآيات،ويعلم كذلك علم اليقين، أن دعوة النبي صلى الله عليه مستجابة بلا شك، وذلك في دعائه الثابت في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت رَسُولِ الله ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: (اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ) [١].

وكان رحمه الله صاحب علاقات واسعة مع كافة شرائح المجتمع عموما، وله علاقاته الخاصة بالأمراء وشيوخ القبائل كما سنرى في المبحث الآتي:

(١) صحيح مسلم (الحديث: ١٨٢٨)

المبحث الخامس
في علاقته بأمراء منطقته

كان العلامة: حميد رحمه كشخصية علمية بارزة لا بد أن تكون له علاقات بأمراء منطقته، وهو كذلك، فقد كانت تربطه علاقات وطيدة بإمارة إدوعيش كأسلافه من علماء أهل ابات، فكانت تربطه علاقات خاصة بالأمير عبد الرحمن بن بكار، وكان كل منهما معجبا بالآخر، فكان الأمير عبد الرحمن ينوه بعقل العلامة حميد ودهائه وحكمته، ويذكر واقعة جرت بينهما فيقول:

«كانت بيني وبينه أرض مشتركة لأنها بين أسرة من العبيد أمة وعبد أحدهما لي والآخر له، واختلفنا في شأنها، وكل منا يريد حَلاًّ معينا غير ما يريد الآخر، ولم يظهر شيء من ذلك للعلن، ومكثنا فترة من الزمن، وهو يسوقني لما يريد وكنت رافضا، وفي الأخير لم أشعر إلا وقد ساقني إلى مراده وأنا راض بما وقع، مستخدما في ذلك حكمته ودهاءه الفائقين فرحمه الله تعالى»(١).

وكانت تربطه علاقات وطيدة كذلك بشيوخ قبيلة كنتة، مثل: أحمدبن سيد امحمد، وغيره، وكانت تربطه علاقات وطيدة كذلك بشيوخ قبيلة تجكانت، مثل: محمد الطيب بن المعزوز شيخ فخذ أهل أحمد بن عيسى، فكانا يتبادلان الزيارة دائما ويتشاوران في كثير من القضايا التي تهم كلا منهما، وكان كل منهما معجبا بالآخر. (٢)

---

(١) سمعت هذه الحكاية من الوالد أحمد، وهو سمعها من الأمير عبد الرحمن.

(٢) سمعت ذلك من أسرة محمد الطيب بن المعزوز هذا غير مرة.

المبحث السادس
في حكمته ودهائه

كان العلامة حميد رحمه الله من الدهاة الكبار، فكان باستطاعته أن يفعل ما أراد من غير أن يشعر به الغير لفطنته وعقله، ومع دهائه كان ورعا لا يستخدم ذلك الدهاء إلا في ما يرضي الله عز وجل، كما قال عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب قال: كان لا يخدع أحدا لفضله، ولا يخدعه أحد لفطنته. [1]

وأذكر هنا حكاية تدل على دهائه وقوته، سمعناها من صاحبها الذي فعلت له وهو الرجل المعمر القوي الجريئ: امحمد بن كطاي من قبيلة (أولاد بلحي) فقد كان العلامة حميد يطالبه بدين، ثم وكل على قضائه الرجل الفاضل: محمد عبد الرحمن بن امود، (حمَّن) فخدعه ابن كطاي وأعطاه أشياء زهيدة من ضمنها حمار وأشياء أخرى تافهة، وأعطاه وثيقة بالبراءة من الدين، فسكت حميد ولم يقل شيئا حتى قدم عليه ابن كطاي ذات يوم فطلب منه أن يريه الوثيقة، فلما أخذها حميد مزقها، ثم واصل التسبيح كعادته، فصرخ الرجل وكاد يُجَن، ثم مضى إلى أهله وهو يقسم أنه لن يعطي شيئا آخر، وبعد فترة لقي العلامة حميد: الأمير عبد الرحمن، فوكله على قضاء الدين من امحمد بن كطاي، ثم وكل على قضائه كذلك: أحمد بن سيد امحمد، شيخ (أولاد سيد حيبلله) ومضى ابن كطاي في أعماله، ومر يوما على الزعيم: أحمدبن سيد امحمد، فأمر بإمساكه، وقال له: لن تتحرك حتى تعطيني ما يطالبك به العلامة حميد، فقال قد قضيته ولا يطالبني بشيء، فقال له: لامجال للتحرك حتى تأتي بالمال كله، فدفع له

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١ / ٤١).

المال وانصرف وهو في غاية الحسرة، ثم بعد ذلك توجه إلى قرية المجرية، وفي تلك الفترة يتواجد فيها الأمير عبد الرحمن، فجاءه ليسلم عليه فلما رآه قال له: أنت امحمد بن كطاي؟ قال نعم، قال: إلي بدين العلامة حميد الذي يطالبك به، فجعل يصرخ ويقول: أخذه مني مرتين، فقال له الأمير عبد الرحمن بالعامية: «راد الله دنك اتجيب الدين ذا الوقت» فلم يكن له بد من ذلك، فأعطاه له ثم ركب إلى حميد، وقال له: يا حميد: أهلكتني، لم أدخل بلدا إلا ووجدت قادته وأقوياءه يطالبونني بدينك، أريدك أن توقف عني هذا المسلسل، وأنا أقر بأنك قهرتني تماما، فأخذ حميد قضاء دينه ورد له الباقي، وكان هذا الرجل يتندر بهذه الحكاية ويضحك بها الناس، ويُكِن الود العظيم للعلامة حميد ولأبنائه من بعده، فسبحان من بيده أزمة القلوب.

قلت: وإنما أخذ حميد منه الدين مرة أخرى ولم يعتبر ما أخذه وكيله لأن الوكيل لا يمضي من تصرفه إلا ما كان سدادا لقول خليل: «فيمضي النظر»[1] أي السداد، وأما غير النظر فلا يمضي. ولا شك أن العلامة حميد على دراية تامة بهذا، وقد كان رحمه الله صاحب هدي وعبادة قل نظيرها وسنشير إلى شيء من ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) مختصر خليل باب الوكالة: (ص: ١٨١).

المبحث السابع
في هديه وعبادته

كان العلامة حميد رحمه الله – مع ما هو فيه من الانشغال بأمور الناس، واللقاءات المستمرة مع قادة القبائل والأمراء، ومع السلطات الفرنسية كذلك – لا يشغله شيء من ذلك عن عبادته المستمرة طوال الليل والنهار، فكان لسانه لايفارق التسبيح، وخصوصا كلمتي: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وهما اللتان قال فيهما النبي ﷺ: (كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العَظِيمِ)متفق عليه. [١]

وكان رحمه الله معروفا بطول السجود لا يكاد أحد يطيق الصلاة معه، ويحكى في هذا أن زنجيا قدم عليه مع بعض الوفود وصلى خلفه في الصف، فلما طال عليه السجود رفع رأسه عدة مرات، وفي الأخير قام وتركه وقال: (حميدَ ابرْكِ فم) وكان يؤنث كل المخاطبين كما هو معروف عند الزنوج [٢]

وبالجملة فقد كان العلامة حميد رحمه ملازما لعبادة قل نظيره فيها من كثرة التسبيح الذي لا يفتر عنه الليل والنهار، وكثرة الصلاة والسجود الطويل الذي لا يطاق، وقد قال النبي ﷺ: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني. [٣]

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٧٢٧).

(٢) هذه حكاية مشهورة عند الناس ومتواترة عنه رحمه الله.

(٣) سنن الترمذي (الحديث: ٣٣٧٥) وصحيح الجامع (الحديث ٢٨١٢).

وقد رغب عليه الصلاة والسلام في كثرة السجود فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: (سَلْ) فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: (أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ) قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) رواه مسلم [(١)]

وكان رحمه الله صبورا على ما يصدر من الجهال من كلام أو تصرفات غير لائقة، ولا شك أن هذا هو هدي النبي ﷺ والأنبياء، فإنهم القدوة في ذلك، فقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: (يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) رواه البخاري ومسلم. [(٢)]

وهو كذلك هدي العلماء العاملين لأنهم ورثة الأنبياء، ولهذا يقال إن رجلا أساء على الإمام الأوزاعي فلم يرد عليه فقيل له: ألا ترد على الرجل؟ فقال كلمته العظيمة: «ولم تعلمنا العلم إذا».

وهكذا كان دأب العلامة حميد رحمه الله تعالى طيلة حياته، كل ذلك كان مع الزهد والورع الصادقين كما سيتضح لنا في المبحث الآتي:

---

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٤٨٩).

(٢) صحيح البخاري (الحديث: ٤٣٠٥) وصحيح مسلم (الحديث: ١٠٦٢).

المبحث الثامن
في زهده وورعه

كان العلامة حميد رحمه الله على درجة كبيرة من الزهد والورع، فإنه رحمه الله كان في منصب يتيح لأصحابه التمول السريع جدا وذلك للفرص الكثيرة المتاحة أمام شيوخ القبائل في تلك الفترة، ولكن العلامة حميد رحمه الله عاش فقيرا، بينما نجد كثيرا من زملائه شيوخ القبائل حصلوا على ثراء مفرط، وكان رحمه الله معروفا بالورع الصادق، ونورد لذلك مثالين اثنين:

الأول: أنه في إحدى السنوات قدم على الأمير عبد الرحمن في حلته، فوافق مجيئه حادثة ملخصها: أن حيا من أتباع قبيلة كنتة كثرت أغنامهم وأموالهم فبدأوا يعتدون على بعض من أحياء الزوايا في المنطقة فاشتكى المتضررون إلى الأمير عبدالرحمن، فبدأ في عقوبة أولئك المعتدين وأمر بنهب الأغنام التي أدت إلى طغيانهم واعتدائهم على الناس، فكثرت ذبائحها وانتشرت لحومها في المنطقة، وكان العلامة حميد ضيفا عند الأمير عبد الرحمن، ولكنه في هذه الفترة امتنع من أكل اللحم بتاتا، واعتذر بأن به مرضا في بطنه يضره أكل اللحم، فقال لهم الأمير عبد الرحمن – وكان عارفا بورع العلامة حميد – ليس به أي مرض إلا أنه سمع بخبر الأغنام فهو يخاف من لحومها.

وهذه الحكاية تُذَكرنا بما روي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله من تركه أكل لحم الغنم لما فقدت شاة ببغداد، حتى انتهت المدة التي يمكن أن تعيشها الشاة غالبا، وهذه درجة من الورع عالية، فنسأل الله التوفيق.

المثال الثاني: لما كان العلامة حميد رحمه الله ضمن وفد من الشيوخ في لقاء لهم مع المسئول الفرنسي ومعه زوجته وكانت تصافح الرجال، فلما وصلت إليه أشار إليها ولم يسلم عليها، وقد سلم عليها كثير من الشيوخ، خشية على أنفسهم أن يتضرروا إذا امتنعوا من مصافحتها.

وقد شاع في هذه الحكاية أنه قال لها: «من أرضعك يا مدام» وهذا كذب لا أصل له، بل هو من فكاهات محمد بن عبد التار عفا الله عنا وعنه، فقد سمعت العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله يقول: إنه سأل عنها حميد نفسه، فقال له: لم أقل لها شيئا، إنما ذلك من مختلقات محمد بن عبد التار يضحك بها عبد الرحمن بن بكار وجلساءه، وقد امتنعت من مصافحتها فعلا، وتابعني بعض الشيوخ وبعضهم صافحها وهكذا.

وكان العلامة حميد رحمه الله رجلا بشوشا يمازح الناس، ويضحك جلساءه، كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث التاسع
في مزحه ونوادره

كان رحمه الله رجلا اجتماعيا بكل ما في الكلمة من معنى وكان يخاطب كل شرائح المجتمع بما يفهمون، فإذا تكلم مع أصحاب الحيوانات ظنوا أنه كواحد منهم، وإذا تكلم مع التجار كلمهم بلغتهم، وإذا تكلم مع الفقهاء أو السياسيين أو النخبة بشكل عام فهو واحد منهم، وكان مليحا لا يمل الناس من مجالسته وكان يمزح أحيانا ولكنه لا يقول إلا حقا، لورعه وفضله، وتحكى عنه حكايات كثيرة في مزحه مع كل طبقات المجتمع وسنشير هنا إلى شيء من مزحه ونوادره:

فمن ذلك مزحه مع الأمير: عبد الرحمن بن بكار فيحكى أنهما كانا يوما جالسين في مكان واحد، وكان الأمير عبد الرحمن بيده مسباح يسبح فيه، وفي تلك الأيام كان قد أمر بذبح أغنام الحي الذي ذكرنا قضيته في المبحث السابق، فالتفت العلامة حميد مبتسما إلى الأمير عبد الرحمن وقال له: كنا نسمع بالمثل الذي يقول: «أيد اتسبح والأخرى تذبح» وما رأينا ذلك إلا الآن. فضحك الأمير عبد الرحمن، وقال يا حميد اتركنا عنك، وضحك الحاضرون.

ومن الحكايات عنه أنه سمع بأن بعض المشعوذين يأتي إلى العوام ويقول لهم: من أعطاني ناقة أعطيته مفتاح بيت في الجنة، فسمع حميد بذلك، فقال مازحا: قاتلهم الله يريدون أن يزلبحوا الجنة قبل أن تصل إليها الناس.[١]

وقوله: «يزلبحوا» هو من كلام العامة ومعناه بيع السفهاء الأشياء الكثيرة النفيسة بثمن بخس بسرعة.

وملحه ونوادره كثيرة رحمه الله تعالى

(١) سمعت هذه الحكاية من العلامة محمد ابات رحمه الله.

المبحث العاشر
في أبنائه

ترك رحمه الله ابنين وبنتين، أما الابنان فهما:

محمد الذي خلفه في منصبه كشيخ للقبيلة وظل في ذلك المنصب إلى الآن.

والثاني أحمد يحي الملقب: احمدناه

وأما البنتان فهما:

أم الخيري والدة أسرة أهل محمد عبدالله بن محمد عبد الدايم.

والثانية: مريم والدة أسرة الشاعر الكبير أحمد بن جدامٌّ رحمه الله.

الفصل الخامس

في ترجمة العلامة: أبات بن محمد عبد الدايم
وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية.

المبحث الرابع: في اشتهاره بالقضاء والفتوى ونماذج من فتاواه.

المبحث الخامس: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث السادس: في مؤلفاته.

المبحث السابع: في علاقته بأمراء منطقته ودوره السياسي.

المبحث الثامن: في هديه وعبادته.

المبحث التاسع: في طلابه.

المبحث العاشر: في أبنائه.

المبحث الحادي عشر: في وفاته ومكان دفنه ومراثيه.

المبحث الحادي عشر
في وفاته ومكان دفنه

ظل رحمه الله يواصل نشاطه كاملا من عبادة وإصلاح بين الناس وخدمة للمجتمع الذي يعيش فيه، إلى أن توفي رحمه الله سنة: ١٣٨٨هجرية

ودفن بمقبرة «أغلنبيت» رحمه الله تعالى.

وبهذا تمت ترجمة العلامة: حميد بن الغوث، وتليها ترجمة العلامة: أبات بن محمد عبد الدايم في الفصل الأتي:

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة: أبات بن محمد عبد الدايم بن أبات فهو سمي جده العلامة أبات رحمه الله تعالى، ووالده: محمد عبد الدائم، هو أصغر إخوته كما تقدم ذلك في المبحث الثاني والعشرين من ترجمة العلامة أبات الكبير عند ذكر أبنائه.

وأمه: فاطمة بنت محمد السقَيِّرْ[1] من فخذ أهل احمد ابن عيسى الجكني وقد ولد رحمه الله في حدود سنة: ١٣١١هجرية ، ونشأ في حجر والده فتربى تربية دينية وعلمية ممتازة ولما بلغ مبلغ الرجال بدأ في طلب العلم كما سنرى ذلك في المبحث الآتي:

(١) وهذه الأسرة للأسف قد انقطعت فلا يوجد منها الآن أحد.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ العلامة أبات بن محمد عبد الدائم رحمه الله في طلب العلم عندما تجاوز مرحلة البلوغ وذلك بعد أن حفظ القرآن وقرأ مبادئ العلوم الشرعية، فانتقل إلى سيبويه زمانه: العلامة أحمد بن الداد فقرأ عليه علم النحو والصرف، وبرع فيه جدا، ثم انتقل إلى العلامة: محمد بن أحمد فقرأ عليه الفقه وأصوله وقواعده وسائر العلوم الشرعية التي تدرس آنذاك في المحاظر، مما جعله يتبوأ مكانة مرموقة بين العلماء في عصره كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية واشتهاره بالقضاء والفتوى

لقد احتل العلامة أبات بن محمد عبد الدائم رحمه الله مكانة علمية كبيرة في عصره، فكان محل تقدير كبير في الأوساط العلمية، ولدى العامة كذلك، وكان يمارس الفتوى والقضاء في مناطق كثيرة من تكَانت مثل:

- واحة الرشيد، وذلك في أيام الأمير الكبير: اج بن محمد محمود شيخ الوافيين.
- وواحة (أغلنبيت) في أيام مؤسسها حرمة بن سيد اعمر البكري الكنتي.
- وواحة النبط في أيام الشيخ الكبير: الشيخ احمد بن آدبه.

الذي كانت تربطه به علاقات وطيدة، ولهذا نجده لما أنشد بيتين في الثناء على أهل ابات، أجابه العلامة أبات ببيتين يثني عليه بهما، فيقول الشيخ احمد المذكور:

لكم قَدَمٌ في العلم راسٍ[1] بلا نكر ... وحزتم لواء الفقه من سالف الدهر
وأبقاكم المولى لدين محمد ... تحيطونه من كل نذل[2] به يزر[3]

---

(١) أي ثابت.

(٢) النذل: الخسيس الحقير.

(٣) هذان البيتان يحملان ثناء كبيرا للغاية، والبيت الأخير يشير إلى قوله ﷺ: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ). الشريعة للآجري (١ / ٢٦٩).
وإذا قرئت بدايته «وأبقاكم المولى» بالواو كان خبرا، وإذا قرئت بالفاء، كان دعاء لهم بالاستمرار في حفظ الدين، فالبيتان رائعان جدا.

فأجابه العلامة أبات بقوله:

خلعت رداء الغَمْرِ[1] عن كل ذي غُمْرٍ[2] | وأحييت ما قد مات من سالف الشعر
نطقت به يا بحر مذ أنت يافع[3] | وجددت رسم الدين من بعد ذا العصر

وكان العلامة أبات رحمه الله يدعوه قادة هذه الواحات لقسم التركات وحل النزاعات فيها، فكان يقوم بتلك المهمات بكفاءة وجدارة لما رزقه الله من الفقه والأدب والحكمة، رحمه الله تعالى.

وقد كانت ترفع إليه المسائل المستعصية مثل نازلة المقرئ الفاضل: محمد الامين بن محمد احيد المعروفة، التي كتب فيها أغلب الفقهاء في تلك الفترة، وكاد رحمه الله أن يحسم النزاع فيها حسما نهائيا، ولكن الله غالب على أمره.

وصورة هذه النازلة: أن محمد الامين المذكور كان ممن تعلم القرآن وعلمه، وقد نشب نزاع بينه وبين إحدى الأسر من محيطه حيث آجروه على تحفيظ ابنهم ببقرة وادعى هو أنها معينة، وأنها تناسلت وصارت في عدة بقرات، وادعى أبو الطفل أنها غير معينة، وترافعا إلى العلامة أبات رحمه الله فكلف محمد الأمين بالبينة فعجز عنها، فكلف أبا الطفل باليمين، فنكل عنها وردها على محمد الامين، فلما تهيأ محمد الامين للحلف أسقطها عنه، فلما أراد العلامة أبات أن يحكم بالبقرة لمحمد الأمين، كثر اللغط عنده وقال أهل الطفل ارفعنا عنك، وتدخل أحد أبنائه وقال له: ارفعهم عنك، وذلك خشية الشحناء فقال:

---

(١) الغَمْرُ بالفتح: الماء الكثير، ورجل غَمْرُ الرداءِ: كثيرُ المَعْروفِ، سَخِيٌّ، ومنه قول كثير:

غَمْر الرِّداء، إذا تبَسَّمَ ضاحِكاً | غَلِقَتْ لِضَحْكَتِه رِقابُ المالِ

(٢) الغُمْرُ: الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(٣) أَيْفَعَ الغلامُ فَهُوَ يافِعٌ إذا شارَفَ الاحْتِلامَ.

رفعتكما عني إلى من شئتما بعد أن ظهر لي أن البقرة صارت لمحمد الامين بن محمد احيد.[1]

ولما وردت هذه النازلة على العلامة عبدالله بن الإمام كتب ما يلي:

أما بعد فقد سئلت عن رجل آجر آخر- وهو محمد الامين بن محمد احيد - على قراءة طفل ببقرة معينة وادعى أبو الطفل أنها غير معينة فترافعا إلى أبات بن محمد عبد الدايم فكلف محمد الأمين بالبينة فعجز عنها فكلف أبا الطفل باليمين فنكل عنها وردها على محمد الأمين المذكور، فلما تهيأ للحلف أسقطه عنه، وبمجرده استحقت البقرة، خليل: «وإن نكل في مال وحقه استحق به إن حقق»[2]... وكتب عبدالله بن الإمام[3]

وهذا يبين لنا أن العلامة أبات رحمه الله كان من القامات الشامخة في حقل العلم والقضاء، وسيتجلى ذلك أيضا في المبحث الآتي:

---

(١) إنما فعل العلامة أبات ذلك لأنه خشي من الشحناء بين ذوي الأرحام فلم ينفذ الحكم بينهما رجاء أن يصطلحا فيما بعد.

وقد قال ابن عاصم في التحفة:

والصلح يستدعى له إن أشكلا ... حكم وإن تعين الحكم فلا

ما لم يخف بنافذ الأحكام ... فتنة أو شحنا أولي الأرحام

(٢) مختصر خليل باب الشهادات ص: ٢٢٨.

(٣) نقلنا هذه الفتوى وغيرها من محمد الامين المذكور، وقد أدركناه شيخا كبيرا، ولديه هذه الفتاوى وربما قرأها على طلابه رحمه الله تعالى وكان معجبا بهذه الفتوى جدا، فكان إذا قرأها يقول: أَمَّكْ أَمَّكْ يابن الإمام.

المبحث الرابع
في محظرته ونموذج من فتاواه

جلس العلامة أبات بن محمد عبد الدايم للطلاب فترة طويلة، تخرج لديه عدد من طلاب العلم والفقهاء، سيأتي ذكر بعضهم في المبحث التاسع من هذه الترجمة، وله فتاوى مهمة وكتابات علمية تدل على علو كعبه في العلوم الشرعية عموما وسنورد هنا نموذجا من فتاواه:

نموذج من فتاواه:

وهي فتوى في مسألة من مسائل الاستلحاق ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

أما بعد: فإني سئلت عن نازلة صورتها: رجل عنده أمة ولا مانع له من وطئها لكونها تامة الرق وخالية من زوج وغير محرم له، وفي هذه الحالة صارت الناس تقول إنه تسرى بها ورؤي يخلوا بها وتكلم مع رجل على وجه المشاتمة فعابه بتسريها فلم يكذبه بل قال: هذا ليس بعيب، وشاع في الناس أن هذه الأمة سرية له، وبعد ذلك ظهر بها حمل وصارت الناس تقول إنه منه،وأقربه لمن لا تقبل شهادته، فولدت ذكرا وعاش إحدى عشرة سنة وفشى في الناس بنوة ابن الأمة لسيدها، وبعد هذه المدة مات السيد، وقام الورثة يريدون استرقاق الأم وابنها فهل هذا الإقرار المذكور قبل والسماع الفاشي يثبت بهما النسب أم لا؟

الجواب والله أعلم ومن نسب الأعلمية إليه ينجوا ويسلم: أن إقرار السيد

لمن لا تقبل شهادته له لغو، وأما شهادة السماع فلا تثبت بها أمومة الولد إلا إذا أفادت العلم، وذلك بأن يشهد عدلان فأكثر معتمدين في شهادتهما على السماع من الثقات وغيرهم، ولا يشهدان حينئذ إلا على القطع، بأن يقولا: لم نزالا نسمعا من الثقات وغيرهم أن هذه الأمة ولدت من فلان، وحينئذ يلحق به الولد، وتصير به أم ولد، وتعتق من رأس المال. انظر شروح خليل في الشهادات [١] والعتق [٢] والولاء [٣].

وأمومة أم الولد تثبت أيضا بأمرين إقرار السيد بالوطء للعدول وثبوت إلقاءعلقة ففوق، خليل: «إن أقر السيد بوطء.. إن ثبت إلقاء علقة.. عتقت من رأس المال» [٤] وفي البناني في هذا المحل ما نصه: قال ابن عاشر: مقتضى قول خليل كالمدونة وغيرها، إن أقر السيد إلخ أن الأمة لو حملت ولم يقر سيدها ولم ينكر لمعاجلة الموت لم يلحق به الولد انظر بقية كلامه. أبات بن محمد عبد الدايم بن أبات. [٥]

---

(١) قال في باب الشهادات في عد المسائل التي تثبت بشهادة السماع «وولادة» مختصر خليل (ص: ٢٢٥) قال الدردير: «وولادة «فَيثبت بها أنها أم ولد. انظر الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٤ / ١٩٨).

(٢) قال في باب العتق: «أَوْ اثْنَانِ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا يَسْمَعَانِ أنه مولاه أو وارثه وحلف وَإِنْ شَهِدَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ أَوْ أَقَرَّ أَنَّ أَبَاهُ أَعْتَقَ عَبْدًا لَمْ يَجُز «مختصر خليل (ص: ٢٤٩).

(٣) قال في باب الولاء: «وإن شهد واحد بالولاء أو اثنان بأنها لَمْ يَزَالَا يَسْمَعَانِ أَنَّهُ مَوْلَاهُ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ لَمْ يَثْبُتْ لَكِنَّهُ يَحْلِفُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ بعد الاستيناء» مختصر خليل (ص: ٢٥٥).

(٤) هذه نصوص ملخصة من المختصر وأصل النص الكامل ما يلي: «إن أقر السيد بوطء ولا يمين إن أنكر، كَأَنْ اسْتَبْرَأَ بِحَيْضَةٍ وَنَفَاهُ وَوَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وإلا لحق به ولو أتت لأكثره إن ثبت إلقاء علقة ففوق ولو بامرأتين، كادعائها سقطا رأين أثره: عتقت من رأس المال» مختصر خليل (ص: ٢٥٤).

(٥) نقلتها من خطه رحمه الله تعالى.

المبحث الخامس
في مؤلفاته وردوده العلمية

كان العلامة: أبات بن محمد عبد الدائم رحمه الله رجلا متمكنا في العلوم الشرعية تشهد لذلك كتاباته وفتاواه، وقد كتب عدة كتابات

منها: رسالته التي كتبها في شأن الصلاة في الطائرة ردا على العلامة محمد الامين بن محمد المختار (آبه).

ومنها: رسالته في الرد على منتقدي أبيات شيخه العلامة محمد بن أحمد في المعية.

وسنورد هنا نماذج من الرسالة الأولى لطولها، ونورد الثانية كاملة لقصرها، فنقول:

نماذج من رسالته في موضوع الصلاة في الطائرة والمواضيع التي طرقها فيها:

لما بدأ الناس يسافرون إلى الحج في الطائرة في الثلث الأخير – تقريبا – من القرن الرابع عشر الهجري، أثيرت مسألة أداء الصلاة في الطائرة، واختلفت فيها فتاوى العلماء، في بلاد موريتانيا – شأنها في ذلك شأن كل جديد – فمنهم من أجازها كالعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (آبه) فقد كتب فيها رسالة بالجواز وجلب لذلك أدلة متعددة.

ومنهم من منع الصلاة فيها، كالعلامة أبات رحمه الله الذي كتب فيها رسالة ورد فيها أدلة المجيزين، مبينا أن تلك الأدلة لا تصمد أمام التمحيص، وقد

تناول فيها عدة مواضيع يمكننا أن نلخصها في عشرة محاور أساسية، وهي كالتالي:

١. شروط الحج.

٢. تعريف السجود وكلام الفقهاء عليه كابن عرفة وغيره.

٣. عدم صحة قياس الطائرة على سفينة البحر للفرق الشاسع بينهما.

٤. أن الهواء ليس جرما بدليل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النحل:٧٩].

٥. أن الفلاسفة الذين يقولون بأن الهواء جرم لا يستدل بكلامهم في الشرع، ودعواهم باطلة، ومن حلي الدليل عاطلة.

٦. جواز ركوب الطائرة بشرط الأمن من التردي، والقدرة على إنزالها لأداء الصلاة في وقتها.

٧. الإشادة بعلم العلامة محمد الأمين بن محمد المختار وأنه انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بالعلل، إلا أنه لم يأت بدليل من الدلائل القطعية التي تقطع معارضة الخصم.

٨. المسائل الشرعية لا تثبت إلا بدليل نقلي، والدليل النقلي إما كتاب، أوسنة، أو إجماع، أو قياس جلي.

٩. لابد من الاحتياط لفريضة الصلاة إذ هي عماد الدين.

١٠. من استطاع الوصول إلى بيت الله الحرام على المراكب العادية التي نص عليها القرآن بقوله: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج:٢٧] وأمن على نفسه وماله فعليه أن يحج، وإلا سقط عنه الحج.

تلك هي المواضيع الأساسية، التي طرقها العلامة أبات في هذه الرسالة التي ابتدأها على لسان سائل فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم،

أما بعد: فقد طلب مني بعض الإخوان (١) أن أبين لهم ما ظهر لي من وجوب الحج وعدم وجوبه على أهل هذا البلد، وعلى وجوبه هل يجوز الركوب لمن أراده في الطائرة أم لا؟ وهل صلاته إن صلى فيها صحيحة أم لا؟

اعلم وفقني الله وإياك أن الحج من شروط وجوبه الاستطاعة لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧] وقيد بالاستطاعة دون غيره من أركان الدين....

إلى أن يقول: والذي أدين الله به وأعتقده أنه لا يجوز لأحد أن يصلي في الطائرة، ويجوز ركوبها - إن أمن من التردي - في غير أوقات الصلاة، أو في أوقاتها وكان متمكنا من رسنها وإنزالها ليصلي بالأرض.

ثم يقول: وقول محمد الامين في صحة الصلاة فيها لا أعرفه، وهو حجة حافظ وهو أحسن أهل عصرنا تصنيفا، وانتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل، إلا أنه لم يأت بدليل من الدلائل القطعية التي تقطع معارضة الخصم.

ثم يقول: وأما قوله أن من ادعى بطلان الصلاة في الطائرة فهو الذي عليه البيان ومدعي الصحة معه الأصل إلى آخر كلامه، محل هذا إن لم يغلب الفساد والمسألة تحتمل الصحة والفساد، وأما إن كانت لا تحتمل إلا الفساد، أو غلب فيها فيكون القول لمدعي الفساد، لتمسكه بالأصل، كمسألة الطائرة هذه، لأن الصلاة لا توصف بالصحة إلا إذا وقعت في الأرض أو بما اتصل بها، وإن

(١) وفي بعض النسخ أن السائل هو: الرجل الفاضل محمد المصطفى بن محمد عبد الرحمن الجكني، وهو ممن درس مع العلامة أبات على العلامة محمد بن أحمد رحم الله الجميع.

وقعت في غير ما ذكر فهي فاسدة، فبان بهذا أن محمد الامين هو الذي عليه البيان لعرو دعواه عن المرجحات، قال خليل:

«والقول لمدعي الصحة إلا أن يغلب الفساد»[1]

ثم يقول أيضا:

وأما قياس محمد الامين بن محمد المختار الطائرة على سفينة البحر فهو لا يفيد لأنه قياس مع وجود الفارق المقطوع به، الذي له أثر في الحكم، لأن السفينة السائرة في البحر تمشي على الماء وهو متصل بالأرض بدليل إضافته إلى الأرض في قوله تعالى: {يا أرض ابلعي ماءك}... (هود: ٤٤) إلى آخر كلامه.

وقد حشد العلامة أبات رحمه الله في هذه الرسالة كثيرا من كلام الفقهاء والأصوليين وعلماء التفسير، مما يدل على تبحره في العلوم الشرعية وسداد نظره.

وقد طبعت هذه الرسالة طباعة أولية تحت رعاية المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بتحقيق الأستاذ الفاضل: محمد يحي بن الطالب محمد، حفظه الله تعالى.

وقد ذكرنا سابقا أن للعلامة أبات رحمه الله رسالة في الرد على منتقدي أبيات شيخه العلامة محمد بن أحمد في المعية وسنوردها هنا كاملة وهي:

رسالته في الرد على منتقدي أبيات شيخه العلامة: محمد بن أحمد:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، اللهم صل على محمد وآله.

أما بعد فإن بعض أهل العصر انتقد على شيخنا محمد في قوله:

الذات والوصف لا بالكون قد جمعا...

بأنه أطلق الوصف على صفة الله تعالى وذلك لا يجوز في اصطلاح أهل

(١) مختصر خليل: (ص: ٢٠٣).

الكلام، وأنه أدخل لا النافية على الفعل الماضي، وهو لا يجوز في كلام النحويين، فأردت الذب عن جانب الشيخ وأن أبين أن ما قاله من إطلاق الوصف على صفة الله تعالى سائغ بليغ في مصطلح المتكلمين وغيرهم، لأن الصفة والوصف والنعت أسماء مترادفة كل واحد منها يطلق على الآخر نص على ذلك التصريح على التوضيح [(١)] وسلم محشيه يس[(٢)] إطلاق الوصف على الصفة والنعت، وخالفه الدنوشري [(٣)] في النعت.

قال المحشي ما نصه: قال الدنوشري: قال ابن إياز[(٤)]: في شرح الفصول: قال بعض المتأخرين: الوصف على ما لا يتغير وعلى غيره والنعت يطلق على ما يتغير فقط ولذا يقال صفاة الله ولا يقال نعوته. وأقول فيه - وإن أقره الدنوشري - نظر لأن إطلاق النعوت على صفات الله تعالى واقع في كلام الأئمة انتهى.

---

(١) شرح التصريح على التوضيح (١ / ١٠).

(٢) هو العلامة الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي، ولد بحمص وارتحل مع أبيه إلى مصر، فتلقى عن الشهاب الغنيمي والدنوشري وغيرهما، ثم برع في علوم متنوعة وألف فيها، ومن مصنفاته النحوية حاشية «قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام» وحاشية «مجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبل الصدى» للفاكهي، وحاشية على «التصريح» للشيخ خالد الأزهري. توفي بالقاهرة سنة ١٠٦١هـ. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك بتحقيق عبد الرحمن الأزهري (١ / ١٤٦).

(٣) هوعبدالله بن عبد الرَّحْمَن بن على بن مُحَمَّد الدنوشرى الشافعى كان من أئمة اللغة العربية له عدة مؤلفات، منها: حَاشِيَة على شرح التَّوْضِيح للشَّيْخ خَالِد الأزهري وَله رسائل وتعليقات ورحل الى الرّوم وَأَقَام بهَا مُدَّة ثمَّ عَاد الى الْقَاهِرَة وَرَأس بهَا وَبَلغت شهرته حد التَّوَاتُر. توفي سنة ١٠٢٥ هجرية. انظر: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٣ / ٥٦).

(٤) هو الحسين بن بدر بن إياز، من علماء بغداد، أخذ العربية عن أبي عثمان الجذامي والتاج الأرموي، له مؤلفات منها: المحصول في شرح الفصول، والخمسين في النحو، والمطارحة، والاسعاف في الخلاف. وغيرها توفي سنة: ٦٨١هـ انظر: بغية الوعاة ١/ ٥٣٢ و معجم المؤلفين (٣/ ٣١٦).

وأن أبين أنه لم يُدخل «لا» على الفعل الماضي، وإنما أدخلها على «بالكون «عاطفا بها على مقدر محذوف، تقديره: «الذات والوصف قد جمعا بأنفسهما لابالكون».

وهو جائز لقول العرب: «أعطيتك لا لتظلم» أي لتعدل لا لتظلم، وما قاله الزجاجي[1] من أن العامل يقدر بعد العاطف وذلك يؤدي إلى إلباس الخبر بالطلب، وهو ادعاء مردود والحق أنه لا يشترط تقدير العامل بعد العاطف بدليل جواز: «اختصم زيد وعمرو» والدليل على صحة ما قلناه: قول العرب: «جدك لا كدك»[2] قيل في تفسيره: نفعك جدك لاكدك، فالدليل بقولهم لا بنفس المثل، وقول امرئ القيس:

كَـــأَن دثـــارا حـلـقـت بلبونه ... عِقَابُ تنوفى لَا عِقَابُ القواعل[3]

فعطف عقاب القواعل على عقاب تنوفى، وهو فاعل فعل ماض وهو: «حلقت». [4]

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ويعرف بالزجّاجيّ، أصله من نهاوند، وانتقل إلى بغداذ، ولزم أبا إسحاق الزّجاج، وقرأ عليه النحو، وإليه كان ينسب لملازمته له ألف كتابه الجمل، قيل إِنَّهُ مَا بَيِّضَ منه مَسْأَلَةً إِلَّا وَهُوَ عَلَى وضوءٍ فلذَلِكَ بُورك فِيْه. توفي رحمه الله سنة: ٣٤٠ هـ سير أعلام النبلاء (١٢ / ٦٨).

(٢) جدك أي حظك.

(٣) انظر: ديوان امرئ القيس ص٩٤.

(٤) قال في التصريح: والحق أنه لا يشترط تقدير العامل بعد العاطف بدليل جواز: اختصم زيد وعمرو، ورأيت ابني زيد وعمرو، وإن زيدًا لا عمرًا قائمان. والدليل على صحة ما قلناه قول العرب: «جدك لا كدك» قيل في تفسيره: نفعك جدك. و«قوله»؛ وهو امرؤ القيس الكندي:

كأن دثارا حلقت بلبونه ... عقاب تنوفي لا عقاب القواعل

فعطف «عقاب القواعل» على «عقاب تنوفى» وهو فاعل فعل ماض، وهو «حلقت»
انظر: التصريح على التوضيح (٢ / ١٨٠).

ودثار: اسم راعي إبل امرئ القيس. واللبون: الإبل ذوات اللبن. وتنوفى: بفتح التاء المثناة فوق

والأدب مع الأشياخ عدم الإنكار عليهم، وسيد الأكياس، من صوب خطأ الناس، ومن اتسع علمه قل إنكاره.

وشيخنا محمد قد أعطي غاية الغايات، من كل علم وفضل، وإنصاف وعدل، ورأَيْنَا فيه ذكاء إياس وعدل عمر بن عبد العزيز وعلم مالك.

لَيْسَ عَلى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَن يَجْمعَ العالَمَ في واحِدِ[1]

ما أغنى مادحه عن الإكثار، والمفاخِر به عن الافتخار، على أنه أحق بالفخر المقبول، وأولى به ممن يقول:

أَولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتنا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ[2]

والفاء، كـ: جلولا، مقصور للضرورة: ثنية مشرفة قرب القواعل. قاله في القاموس. وقال في المغني: إنه جبل عال، والقواعل: الجبال الصغار. وقد كان امرؤ القيس نزل في طيئ، فأغير على إبله ونهبت، فهو يقول: كأنما اختطفتها عقاب الجبل العالي، فحلقت بها في الجو، فلا يرجى رجوعها.

وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٤/ ٤٧١.

(١) هذا البيت لأبي نواس، انظر شرح ديوان المتنبي للعكبري (١ / ٣٣٦).

(٢) البيت للفرزدق همام بن غالب من قصيدة يفاخر بها جريرا وهي من أحسن شعره وأروعه، يقول في أولها:

مِنَّا الَّذِي اختيرَ الرِّجالَ سماحَةً ... وَخيراً إِذَا هَبَّ الرِّياحُ الزعازع

وَمنا الَّذِي أَعْطَى الرَّسولُ عَطيَّةً ... أُسَارَى تَمِيم والعُيون دَوامِع

وَمنا الَّذِي يُعطي المِئِينَ وَيَشْتَري الـ ... غَوالي ويعْلوا فضْلهُ مَنْ يُدافِعُ

وَمنا خَطيبٌ لَا يعابُ وحاملٌ ... أَغَرُّ إِذا التفَّتْ عَلَيْهِ المجامِعُ

وَمنا الَّذِي أحْيا الوَئِيدَ وَغالِبٌ ... وَعَمْرو وَمنا حاجِبٌ والأقارع

وَمنا غَدَاة الروع فتيَان غَارة ... إِذا امْتنعت بعد الزّجاج الأشاجع

وَمنا الَّذِي قاد الجيَاد على الوجى ... لِنَجران حَتَّى صبَّحتْهُ الترائع

وَبعده الْبَيْت: أولئك آبائي....

انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١ / ١١٩).

واعلم أيها الناظر أن هذا قليل من كثير علمته من مناقب هذا الشيخ والسلام. أبات بن محمد عبد الدايم بن أبات[1].

قلت: لا شك أن هذه الكتابة تدل بوضوح على سعة أفق العلامة أبات وجلالة قدره وبعد غوره، ورسوخ قدمه في علوم الشريعة بدون استثناء، وتدل كذلك على ما يكنه لشيخه العلامة محمد من التقدير والإكبار، دلت على ذلك تلك العبارات الرائعة، وما تحمله من المعاني السامية العميقة التي تنوء عن حملها الألفاظ، وقد قيل: «إنما يعرف الفضل من الناس ذووه».

وقد كان العلامة أبات رحمه الله مع ما يحمله من العلم الشرعي معدودا من رجالات الدنيا والدين معا، وسيتضح لنا ذلك إن شاء الله في المبحث الآتي:

---

(١) نقلتها من خطه رحمه الله.

المبحث السادس
في حكمته ودوره السياسي

كان العلامة أبات بن محمد عبد الدايم رحمه الله رجلا يتمتع بالحكمة والسياسة الهادئة، وكان بصيرا بالأمور بعيد النظر، ولهذا كان محل إعجاب وتقدير ممن عاصروه، كشيخنا العلامة محمد ابات بن محمد، والوالد أحمد بن محمد محمود رحمهم الله تعالى.

ونشير هنا إلى موقف جرى له معهما، أخبرني به الوالد أحمد قال: لما توفي العلامة حميد واختلفت آراء الناس فيمن يخلفه، جلسنا مع العلامة أبات، وسألناه أن يأذن لنا في ترشيح ابنه الفاضل: محمد عبدالله، ليقوم بأمور الناس، فقال: لا أراه يصلح لذلك، إن الله قد نزع من قلبه حاسة الغضب، ومن كان كذلك لا يمكن أن يسوس الناس، فلما خرجنا من عنده قال العلامة محمد ابات: ما زاد على أن مدح ابنه جدا ثم ضنَّ به.

قلت: لا يخفى ما في هذا الموقف من براعة هؤلاء القوم، فإن العلامة أبات رحمه الله أقنعهم بأن الحلم وحده يُجَرِّئُ العامة على القائد لأمنهم من غضبه، وقد قال النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

وأما العلامة محمد ابات فرأى أن هذه صفة من الصفات المحمودة، وبها كان العلامة حميد يسوس الناس، وأن زميله: محمد عبدالله خليق بالقيادة لفضله وكرمه وصبره، - وهوطبعا كذلك - إلا أن والده يضن به عن ذلك المنصب الذي قلما يسلم أصحابه من سهام النقد بحق أو بغير حق.

وكان العلامة أبات رحمه الله صاحب مبادرات جريئة، وله مواقف مُشَرِّفة في أوقات الأزمات، يعرف ذلك من عاصروه وعاشوا معه. وكان رحمه الله يقول: «نحن عند الحق أسود»[1] وهذا صحيح.

وكان مع هذه القوة والجد، أحيانا يضحك جلساءه بنوادره ومزحه كما سنرى أمثلة من ذلك في المبحث الآتي:

(١) سمعت ذلك من الرجل الفاضل: محمدٌ بن الطالب محمد رحمه الله.

المبحث السابع
في مزحه ونوادره

كان العلامة أبات رحمه الله مع جده وفضله وجلالة قدره كثيرا ما يضحك جلساءه بمزحه الصادق، وكان رحمه الله شديد النفور من المجانين وأصحاب الأمراض المعدية.

فيحكى أن رجلا من محيطه أصيب بمرض نفسي أو جنون، فكان العلامة أبات يتحاشاه، فقال له: يا أبات: «أراك كأنك تخاف مني» فقال له: هذا صحيح، إن الإخوة إذا تغير أحدهم عما كنت أعهده عليه لا أحب أن أقترب منه كثيرا.

ويحكى أيضا أن رجلا من محيطه أصيبت زوجته بمرض جلدي فقيل إنه الحصباء - المعدية - فصار العلامة أبات يتحاشى الجلوس بقربه في المسجد، فقال له ياأبات لا تخشى، إن المرض الذي في فلانة ليس هو من مرض الحصباء، إنها قروح كبيرة، فقال العلامة أبات: «حسبنا الله، مَرَخْسِكْ يَهِيَ» أي (هذا أخطر وأعظم) فضحك الحاضرون.

ويحكى أيضا أن إحدى زوجاته أصيبت بمرض نفسي، فرقاها أحد الرقاة فأعطوه ناقة أجرة على تلك الرقيا، وفي أحد الأيام بعد ذلك سمعها تقول كلاما لم يعجبه، فقال: «حسبنا الله» «حَالِكْ يَانَاكَه مَرَّيْتِ» أي (تلك ناقة ضاعت للأسف). فصار هذا مثلا يضربه الناس.[1]

وكان رحمه الله صاحب هدي وزهد وعبادة كما سنرى ذلك في المبحث الآتي:

---

(١) هذه الحكايات متواترة عنه رحمه الله تعالى.

المبحث الثامن
في هديه وعبادته

كان العلامة أبات رحمه الله صاحب عبادة وهدي وورع، ومن رآه رآى عليه طابع العلماء العاملين، من صبر وحلم وقلة كلام وحسن خلق مع عامة الناس، وكان مع انشغاله بالعلم والتعليم والقيام على ثروته الحيوانية، والأمور العامة المنوطة به، لا يشغله شيء عن العبادة الدائمة، ويحكى أنه كان له جمل يسمى: (السبيعي) يركبه إلى المسجد في الليالي المظلمة حرصا على شهود الجماعة، فكان العلامة حميد - وهو معاصر له - يقول مازحا: «السبيعي من جمال الجنة». لكثرة تواجده عند المسجد.[1]

وهذا بلا شك هو الهدي السني الذي كان عليه النبي ﷺ وربى عليه أصحابه، فقد كان أحدهم يقوم بشئون ثروته وتجارته، وفي الوقت نفسه يقوم بنشر الدين، ولا يشغله ذلك عن العبادة الدائمة في خاصة نفسه، فكانوا رجالا للدين والدنيا، فرحم الله الجميع وأثابهم على ما قدموا.

وقد ظل العلامة أبات ينشر الدين ويعلم الناس، فتعلم على يديه عدد كبير من الطلاب نشير إلى بعضهم في المبحث الآتي:

(١) سمعنا هذه الحكاية من مشايخنا أكثر من مرة.

المبحث التاسع
عشر في طلابه

جلس العلامة أبات للتدريس ردحا من الزمن فتعلم عليه عدد كبير من الطلاب فمنهم:

١. الوالد أحمد بن محمد محمود

٢. أحمد بن محمد الامين بن الغوث

٣. أحمدُ بن الطالب بن اعبيدي الجكني

٤. محفوظ بن سيد حيبلله (أهل الشيخ بن امني)

٥. محمد عبد القادر بن أحمد فال

٦. اميميد بن العيل

٧. أحمد فال بن أحمد فال

٨. محمد المحفوظ بن محمد المصطفى البوصادي

٩. محمد الشيخ، أهل آب

١٠. محمد العربي بن ابَّابَّ أهل مولاي الزين.

وغيرهم.

المبحث العاشر
في أبنائه

ترك رحمه الله خمسة أبناء وبنتين من أمهات متعددة وهم:

١. محمد عبدالله.

٢. ومحمد.

٣. وآمنة.

وأمهم فاطمة بنت احمد فال بن الحضرمي.

٤. محمد المصطفى وأمه: ام الخير بنت سيد حيبلله «أهل الشيخ بن امني».

٥. ومحمد عبد الدائم.

٦. وأحمد.

٧. وخدجة.

وأمهم فاطمة بنت الناجي بن الطالب محمد.

حفظ الله الأحياء منهم، ورحم الأموات.

الباب الخامس

في تراجم الطبقة الخامسة وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: في انتقال هؤلاء العلماء وبعض حيهم من منطقة تـﮔانت وتقريهم خارجها وفيه أربعة فصول.

الفصل الأول: في انتقال هؤلاء العلماء وبعض حيهم من منطقة تـﮔانت وتقريهم خارجها وفيه عدة مباحث

الفصل الثاني: في ترجمة العلامة محمد يسلم بن أحمد بن الداد وفيه عدة مباحث.

الفصل الثالث: في ترجمة العلامة محمد اباث بن محمد وفيه عدة مباحث.

الفصل الرابع: في ترجمة الوالد أحمد بن محمد محمود وفيه عدة مباحث.

المبحث الحادي عشر
في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

ظل رحمه الله يمارس نشاطه العلمي والإصلاحي إلى أن توفي سنة: ١٣٩١ هجرية. ودفن في منطقة تسمى انوجهن بوسط تكَانت على الطريق الرابط بين مقاطعة المجرية ومدينة تججك عاصمة ولاية تكَانت، وقبره مشهور هناك، وقد رثاه الشاعر الأديب محمد سالم بن سيد بن عبدي بقطعة يقول فيها:

ما في الغطاريف من أبناء أبات ... مثل ابنه كامل الآداب أبات
فراج نازلة في الكتب معضلة ... من العلوم نأت ذا الذهن مخفاة
إني لأرجوا له سحبا تحل به ... روحا من الله رحمة هنيات
لا زال ينعم في قبر تضمنه ... شرق المتيمش[1] غربي المنارات
إلى القيام يقوم آنسا فرحا ... فينتحى بين أنهار وجنات
ياسائلا قد تريد الحبر زائره ... عن أيمن الصَّال من وادي وجنات[2]
يا خالق الكون قد تعطي بلا طلب ... طيات، محو الذنوب هو طياتي[3]
ثم الصلاة مع السلام دائمة ... على الشفيع غدا يوم الشفاعات

وإلى هنا انتهت ترجمة العلامة أبات بن محمد عبد الدايم، وبها نختم تراجم الطبقة الرابعة، وننتقل إلى تراجم الطبقة الخامسة في الباب الآتي:

---

(١) هضبة في وادي انوجهن يعلوها بياض تسمى (لمتيمش).

(٢) يعني أن موضع قبره يقع عن يمين الصالة، وهي الجسر الذي يمر معه الماء، عند مر الطريق الرابط بين النبيكة، ومدينة تججك عاصمة ولاية تكَانت، وذلك في الموضع المسمى (وادي انوجهنه).

(٣) الطيات جمع طية وهي الحاجة والوطر، ومنه قول الشنفرى في لامية العرب:

فقد حمت الْحَاجَات، وَاللَّيْل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل

إعراب لامية الشنفرى للعكبري (ص: ٥٩)

وكلمة «طيات» الأولى مفعول به لتعطي، والثانية خبر عن المبتدإ وهو الضمير الذي قبلها.

الفصل الأول

في انتقال هؤلاء العلماء وبعض حيهم من منطقة تكَانت وتفريهم خارجها وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: في الأسباب التي أدت إلى انتقالهم من تكَانت.

المبحث الثاني: في تفري حيهم في عدة مناطق.

المبحث الثالث: في قرية أم النوار والأشعار التي ذكرت فيها.

المبحث الأول
في الأسباب التي أدت إلى انتقالهم من تكَانت

في بداية القرن الخامس عشر الهجري ضربت ولاية تكَانت موجة عاتية من الجفاف والقحط أدت إلى هلاك الحيوانات والأشجار، مما أدى إلى نزوح معظم سكان هذه الولاية عنها إلى الولايات المجاورة أوإلى العاصمة انواكشوط، وبدأت ظاهرة البداوة والترحال تختفي تماما من هذه المناطق بل من معظم ولايات البلد كلها، وبدأ التقري والتحضر يفرض نفسه، رغم أنف الجميع، وتحضر معظم سكان تكَانت في مناطق متقاربة في ولاية لعصابة، وما يوازيها من ولاية تكَانت، كالمدن التالية:

كرو – كامور – الغائرة – أشرم. ونحوها من القرى المتعددة المنتشرة على طريق الأمل الرابط بين العاصمة وولايات لعصابة والحوضين.

ثم إن هذا الحي – أهل ابات – كغيره من سكان ولاية تكَانت نالهم نصيبهم من النزوح وحتمية التقري، فتقروا في مناطق مختلفة نذكرها في المبحث اللآتي:

المبحث الثاني
في تقري حيهم في عدة مناطق

لما بدأ التقري يفرض نفسه كانت بعض الأسر يناسبها التقري في مكان لا يناسب الأخرى لعوامل اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها، فأدى ذلك إلى توزعهم في عدة قرى وهي:

١. قرية القيروان، وهي قرية تجمع فيها من بقي منهم في تكَانت وهي تقع جنب وادي القنيزر (منطقة الأجداد) على الطريق الرابط بين تججك والنبيكه على بعد ٣٠ كيلومتر من هذه الأخيرة، وبنوا فيها جامعا ومحظرة.

وإنما سموا هذه القرية بهذا الاسم تيمنا بالمدينة العلمية التونسية المشهورة، التي زارها جدهم العلامة أبات – وجلب منها الكتب في رحلته التي تقدم ذكرها – وربطا بذلك بين الماضي والحاضر.

٢. قريتهم في مدينة أشرم التابع لولاية تكَانت، وقد بنوا بها مسجدا ومحظرة كذلك.

٣. قريتهم في عرفات بانواكشوط وقد بنوا بها مسجدا ومحظرة أيضا

٤. قريتهم في جنوب مدينة كرو ولديهم فيها مسجد كذلك.

٥. قريتهم في أم النوار بمدينة الغائرة، وستتكلم عنها في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في قرية أم النوار والأشعار التي ذكرت فيها

بما أن هذه القرية أسسها العلماء الثلاثة الذين ستتم ترجمتهم في هذا الباب أردت أن نسلط عليها الضوء في هذا المبحث، فقد تأسست في السنة السابعة من القرن الخامس عشر،وبنوا فيها مسجدا ومعه غرف للطلاب، واستمر هؤلاء العلماء ومن معهم من إخوتهم الفضلاء في نشر العلم والفضائل، ورحل إليها الطلاب من مناطق مختلفة فقد رأينا فيها الطلاب من مختلف أنحاء الوطن، بل من خارجه كالجزائر وليبيا، وظلت هذه المحظرة تزاول نشاطها وحتى بعد رحيل أولئك العلماء الكبارعنها. ومدرسها الآن الأخ: محمد محمود بن أحمد حفظه الله تعالى.

وقد سجل اسم هذه القرية في كتابات العلماء، كالعلامة بداه بن البوصيري الذي كتب يقول:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أمابعد:

فإن مدرسة أي محظرة ءال أبات من أمهات المحاظر المشهورة في موريتانيا، وقد انتفع فيها وتخرج كثير من أبناء موريتانيا، فينبغي أن يسجد البعدي لما فات من إعانتهم، ويعال لهم إن استغرقت الفروض فرضهم، وقد كانوا يسكنون في البدو وقد تحضروا في الموضع المسمى (أم النوار) بمنطقة جوك فليتنبه لذلك.

كتبه: الإمام بداه بن البوصيري.

وسجل اسمها كذلك في كتابات الأدباء والشعراء، ونذكرمثالين من ذلك، **المثال الأول**: ما قاله الأستاذ الفاضل سيد الامين بن هتار بن ابوه الرمضاني الجكني في رثائه للعلامة محمد ابات والوالد أحمد في قصيدته الرائعة حيث يقول:

هو الموت لا يخطي إذا أطلق السهما — فكم فجع القلب المحب وكم أدمى

وكم صحبة دامت لخلين برهة — فمزقها شملا وصرمها صرما

لبسنا له درعا من الصبر سابغا — وقسرا بأم النور ألبسنا همَّا

إلى أن يقول:

حللتم بأم النوْر فازدان نوْرها — وقد أفلت من بعد فقدكم نجما

ثم يقول أيضا:

رفعتم لأم النور ذكرا بذكركم — كما رفعت من قبل متبوعها نعما

المثال الثاني: ما قاله الشاعر الأديب الشيخ حمادي بن الدمين في شعره الحساني الذي يقول فيه:

فلحقيق يَلِّ تختيرْ — يصلح لك جمْع الزياراتْ

بلعَجْلَ غافس سيرْ — لهل ابات ازُورْ اهل ابَّاتْ

أخير مْن الناس الخِيارْ — أو نَّامسْ فَرْحَ بخبَارْ

بَنْ اهْلَ ابَّاتْ امّ النَوارْ — نزْلوهَ وَصلْ كطْ اغلاتْ

غَيْر ازْداد اغلاهَ بَطْوَارْ — بَاهل ابَّاتْ اقطابْ اقُضَاتْ

افْتَخْرَتْ رَمظانْ الكبَّارْ — بهْل ابَّاتْ إلَيْن الجَاتْ

ابْلخيامْ أُبَنَّاتْ اديَارْ — عادُ رمْظان افمَسرَّاتْ

من ذاكْ اشديد اهـذا سَارْ   هُـونْ اولادْ الـرَّمـظـانِـيَـاتْ
ولِّ بـبـَّـات وامَّـات   واصـلـحْ لُ مـولان لـبَّـاتْ
مَـنْ هُـومَ ذُوك اهْـلَ ابَّـاتْ
فـلـحـقـيـق يَـلِّ تخـتـيرْ   يـصـلـح لـك جمْـع الـزيـارات
بـلـعَـجْـلَ غـافـس سـيرْ   لهـل ابـات ازُورْ اهـل ابَّـاتْ

إلى آخرها، وسنأتي بها كاملة في ترجمة العلامة محمد ابات في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ولا ننسى أن نذكر أن قصيدة العلامة الطالب محمد بن لبريكني الرائعة قيلت لهم عند نزولهم هذه المنطقة، وهي التي يقول فيها:

سـلام لـذيـذٌ مـسـتـطـابٌ مهيأ   يصانُ لكم في القلب دهـرًا ويكلؤُ
يحـاطُ بـأسـوارٍ من الـودِّ حُصِّنتْ   فـلا خـلـلٌ فيها ولا هـو يـطْـرأُ
يـعـم جمـيـع المُـنـتـمـين لحيكمْ   عـلى أنـه أعْـلى سـلامٍ وأهْـنـأ
سـلام بـه كـلُّ الـرجـالِ مـتـوجٌ   وللنسوة الفُضلى نُـضـارٌ ولؤْلؤُ
سـلامٌ عـلى حـيٍّ لـه المـجـدُ شيمة   وبـالـفـضـلِ بـين الـعـالمـينَ مُهنَّأُ
تـبـوَّأ مـنْ أعْـلى المـكـارمِ غرفةً   كـما كـان آبـاءٌ لـه قـد تَـبـوَّأُ

إلى آخرها وسنأتي بهاكاملة في ترجمة الوالد أحمد بن محمد محمود في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة: محمد يسلم بن أحمد بن الداد وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية وتواضعه.

المبحث الرابع: في اشتهاره بعلم النحو وتسليم معاصريه له ذلك.

المبحث الخامس: في عبادته وهديه.

المبحث السادس: في عطائه العلمي وطلابه.

المبحث السابع: في ابنائه.

المبحث الثامن: في وفاته ومكان دفنه.

قلت ولعل في هذه المديح والثناء ما يعوض لهم ولقبيلتهم ما فاتهم من سكنى الأوطان التي كان فيها أجدادهم، بل إن المديح لا يعدله شيء عند أهل الفضل الذين يعرفون قيمته، وقد أحسن الشاعر الكبير محمد الامين بن ختار حيث يقول:

وخير الـذي يعطى الفتى في حياته   مديح به يجني المحامد في الدهر

ولا شك أن من مدحت قبيلته بسببه يستحق عليها أن ترفعه فوق الرؤوس إن كان حيا، وتدعوا له وتشيد بمآثره إن كان ميتا، فإن حقه عليها عظيم، وفي هذا الإطار حاولنا كتابة هذه التراجم وفاء ببعض حقوق هؤلاء الكبار رحمهم الله تعالى.

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو شيخنا العلامة والنحوي الكبير: محمد يسلم بن أحمد بن الداد، فأبوه هو العلامة سيبويه زمانه أحمد بن الداد، وأمه: القريشية بنت العلامة أحمد بن أبات، ولد رحمه الله في حدود ١٣٣٠ هجرية، وقد يكون قبلها أو بعدها بقليل، وقد استأنسنا لذلك بكونه توفي رحمه الله سنة: ١٤٢٦ هجرية وقد زاد رحمه الله على التسعين، بسنوات قليلة إما ثلاثة أو أربعة أو نحوها.

وقد نشأ رحمه الله في بيئة علمية ودينية من نوع خاص فأبوه العلامة أحمد بن الداد وجده العلامة أحمد بن أبات، وقد أصيبت أمه بمرض شديد أعجزها عن القيام عليه، وتوفيت فيما بعد، فكفلته جدته الفاضلة وهي: مريم بنت الداي، وكانت امرأة صالحة مكاشفة، فكانت تخبر بالمغيبات فتجيء كما أخبرت، فمن ذلك ما قيل إنه أي العلامة محمد يسلم مرض في صغره مرضا أشرف منه على الهلاك، فقالت: لا تحزنوا عليه، رأيت الشيب في مقدم رأسه، وفعلا شاب حتى جاوز التسعين رحمه الله تعالى. (١)

ولما بلغ الحلم بدأ في طلب العلم كما سنرى في المبحث الآتي:

---

(١) سمعت هذا من الوالد أحمد بن محمد محمود.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ في طلب العلم في وقت مبكر فبعد أن حفظ القرآن ومبادئ العلوم بدأ في دراسة النحو على والده العلامة والنحوي الكبير أحمد بن الداد، الذي تلتف حوله محظرة من أكبر المحاظر الموجودة في المنطقة، وأبعدها صيتا، وأكثرها طلابا كما تقدم ذلك في ترجمته، فقرأ النحو في تلك الجامعة قراءة متأنية عدة سنوات، وصار نحويا متمكنا بشهادة والده رحمه الله تعالى.

ثم بعد ذلك انتقل إلى محظرة خاله العلامة القاضي محمد محمود بن أحمد، فقرأ عليه الفقه وغيره من الفنون التي تقرأ في المحاظر حتى صار من خيرة طلابه، مما جعله يحتل مكانة علمية كبيرة كما سيأتي في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية وتواضعه

كان رحمه الله مع ما هو عليه من العلم والفضل والعبادة في غاية التواضع ونكران الذات، وحتى إنه قد ينتهي المجلس والناس يخوضون ولا تسجل له كلمة واحدة فيه، ولا يكاد يسمع منه أحد أن لديه معرفة بشيء إلا أنه إذا سمع خطئا لغويا لا يتمالك حتى يتكلم فيه ويصلح الخطأ بدون توقف، وقد أخبرني ابنه البارع الأديب محمد يحي بن الداد رحمه الله بحكاية نادرة وقعت له معه، قال قدم علينا في العاصمة انواكشوط، وكان لنا صديق ديماني أو بوحسني بارع في النحو ويظهر ذلك ويتبجح به، وذات يوم قدم علينا والعلامة محمد يسلم جالس لكنه لا يتكلم كعادته، فبدأ الرجل يتكلم ثم ذكر مسألة من غوامض النحو، فأنكر العلامة محمد يسلم مقالته ورد عليه، فاستغرب الرجل، وجرى بينهما جدال فقال الرجل يا شيخ هذا تخصصي فرد عليه العلامة محمد يسلم بقوة قائلا: «يا هذا على رأس الخبير سقطت»، ثم جعل يملي عليه والرجل مندهش، ثم قال: سبحان الله، والله أنت أعلم مني.

ثم كان بعد ذلك يأتي ويسأل عنه ويود لو لقيه مرة أخرى.

والمستغرب في هذه الحكاية لمن يعرفوه أنه يقول هذه الكلمة عن نفسه وهي: «على رأس الخبير سقطت»، وذلك لشدة بعده عن الادعاء ونكرانه لذاته رحمه الله، وقد عشنا معه فترة طويلة فما رأينا مثله في التواضع والعبادة الدائمة والإعراض عما لا يعنيه، فرحمه الله تعالى.

المبحث الرابع
في اشتهاره بعلم النحو وتسليم معاصريه له ذلك

كان رحمه الله مشهورا بعلم النحو وكان معاصروه يعترفون بذلك لجلالة قدره وبعد غوره في هذا العلم، فأذكر أني كنت في إحدى السنوات أدرس الألفية على شيخنا الجليل محمد أبات بن محمد وكان بارعا فيها، ونحن إذ ذاك في بادية جوك، فنزلت علينا خيام أهل الداد، فلما صلينا الظهر وبدأ في تدريس الطلاب جئت لأدرس فقال لي مازحا: «أنا اليوم مُمَرَّك» (يعني أخذت مني الصلاحية) محمد يسلم حضر فاذهب إليه، فأنا لا أقرئ النحو في مكان فيه محمد يسلم.

فمن ذلك اليوم بدأت أدرس على العلامة محمد يسلم رحمهم الله جميعا.

المبحث الخامس
في عبادته وهديه

كان رحمه الله رجلا ناسكا مقبلا على ما يعنيه متواضعا كثير العبادة وعمل الخير وكان لا ينام من الليل إلا قليلا حتى ولو كان في الأسفار الشاقة، هذا مع ما يزاوله من العمل بذاته، وكان لا يأمر أحدا أن يتولى عنه شيئا من أعماله، وكان رجلا قويا صبورا، فكان يسافر الأسفار البعيدة، ويقوم على ثروته الحيوانية أحسن قيام، فهو يقوم بأعمال شاقة ويجلس وكأن شيئا لم يكن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المبحث السادس
في عطائه العلمي وطلابه

قام رحمه الله بتدريس النحو فترة طويلة من الزمن تزيد عل نصف قرن، واستفاد منه الكثير من الطلاب فمنهم:

١. ابنه الأديب البارع: محمد يحي بن الداد

٢. وابنه الثاني: شامخ بن الداد

٣. والأستاذ سيد بن الحسين الجكني

٤. وكاتب هذه السطور

٥. والأخوان: محمد بن أحمد

٦. ومحمد محمود بن أحمد

٧. ومحمد الامين بن محمد

وغيرهم.

المبحث السابع
في ابنائه

له من الأبناء أربعة أبناء وبنتان وهم:

١. محمد يحي وتوفي شابا في حياة والده

٢. شامخ

وأمهما عمتنا فاطمة بنت محمد محمود بن أحمد وتوفيت في شبابها فتزوج رحمه الله أختها أم كلثوم وهي أم الباقين وهم:

٣. عبد الرحمن

٤. محمد عبدالله السالم

٥. مريم.

٦. زينب، وتوفيت في مقتبل عمرها.

فحفظ الله الأحياء منهم ورحم الأموات.

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة: محمد ابات بن محمد وفيه خمسة عشر مبحثا

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية ولقائه مع كبار العلماء.

لقاؤه مع الشيخ: بداه بن البوصيري في انواكشوط.

لقاؤه مع الشيخ:عبد العزيز ابن باز في مكة المكرمة.

المبحث الرابع: في اشتهاره بالقضاء والفتوى ونماذج من فتاواه وردوده على بعض معاصريه.

النموذج الأول: فتواه التي يرد بها على العلامة: محمد المصطفى بن عبد الصمد.

النموذج الثاني: فتواه التي يرد بها على العلامة: أحمد فال بن يعقوب.

النموذج الثالث: فتواه في مسألة من مسائل الوقف.

المبحث الخامس: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث السادس: في أمثلة من صرامته وقوته في الحق.

المبحث السابع: في الرسائل التي كانت ترد عليه من أهل تكَانت أملا في رجوعه إليهم.

المبحث الثامن: في علاقته بأمراء إدوعيش (علاقته بالأمير عبد الرحمن بن بكار وأبنائه).

المبحث التاسع: في علاقته بشيوخ قبيلة كنته.

المبحث العاشر: في علاقته بقبيلة تجكانت.

المبحث الحادي عشر: في علاقته ببعض القبائل الأخرى.

المبحث الثاني عشر: في أخلاقه وهديه وعبادته.

المبحث الثالث عشر: في طلابه.

المبحث الرابع عشر: في أبنائه.

المبحث الخامس عشر: في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة الجليل محمد أبات بن محمد بن أحمد بن أبات سماه والده على جده، وأمه المرأة الفاضلة خديجة بنت محمدو الملقب (دادي) بن سيد عبدالله بن أبات، ولد رحمه الله في حدود سنة: ١٣٤٤ هجرية ونشأ في حضانة والده فحفظ القرآن على تلميذ والده الحسن بن الحسين بن عمارو الجكني،(١) وتوفي والده عنه وهو لا يزال في التاسعة أو العاشرة من عمره، فنشأ في حضانة والدته وربته تربية من نوع خاص، ولما بلغ الحلم بدأ في طلب العلم كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

(١) وكان رجلا متقنا لكتاب الله تعالى ومن خيرة طلاب العلامة محمد رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

ولما بلغ الحلم جهزته أمه بما يحتاج إليه فتوجه إلى محظرة العلامة سيبويه زمانه أحمد بن الداد فبدأ في دراسة اللغة العربية، وذلك بعد أن حفظ القرآن وقرأ مبادئ العلوم الشرعية، ثم إنه واصل دراسته اللغوية حتى برع في علم النحو والصرف، ثم توجه إلى محظرة عمه العلامة محمد محمود بن أحمد لدراسة علم الفقه والأصول، فبدأ بدراسة الباب من مختصر خليل، وهو باب البيوع وما بعده من المعاملات إلى نهاية الكتاب، ثم لما انتهى من الباب وأراد أن يبدأ في بداية المختصر وجد زميله العلامة محمد محمود بن تقيُّ البصادي [1] بادئا في باب الأنكحة فبدأ معه فيه فكانا دولة فيه، ثم بعد ذلك بدأ في بداية الكتاب، ثم أعاد الباب مرة ثانية، مما جعله لا يبارى في هذا المختصر، ثم بعد ذلك بدأ في دراسة علم الأصول، فقرأ مراقي السعود، وغيره من المتون التي تقرأ في المحظرة، ولم يأخذ شيئا من العلم عن غير هذين الشيخين وهما العلامة أحمد ابن الداد والعلامة: محمد محمود بن أحمد.

وسمعته يقول: كنا في إحدى الفترات قرب منطقة انواشيد التي يسكنها الشيخ الجليل أحمد الامين (أبو الدين) بن عبد الرحمن، وكانت فترة رمضان

---

(١) هو العلامة الفقيه: محمد محمود بن تقيُّ البصادي (أهل الامام) درس على العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات، وكون محظرة في قرية «بومديد» درس الطلاب فيها فترة طويلة، وممن أخذ عنه ابنه: عبدالله (اعبيد) و محمد بن التار وغيرهما، له عدة مؤلفات، منها: «روضة التنزيه، لذات ربي عن التشبيه» نظم، ومنها: «درج السلام، إلى رضى الملك العلام» ومنها: «الروضة الغناء في متشابه القرآن» وله غيرذلك. توفي رحمه الله سنة: ١٤٠٥ هجرية ودفن بمقبرة الرياض بانواكشوط.

فكنت أذهب إليه غالبا وأجالسه، وكان هذا في أيام العلامة محمد محمود، فسألني: أتقرأ شيئا على الشيخ أبي الدين؟ قلت له لا، إنما أجالسه في هذه الأيام التي لا دراسة فيها ونحن صيام، فقال لي: ما هو تخصصه أفقيه هو؟ قلت له هو من أهل العربية، أما الفقه فأنتم أعلم به منه، لكنه أديب، فقال لي: أديب: معناها خبير بالحكايات والطرف، فقلت نعم. فضحك رحمه الله تعالى.

ثم إن العلامة محمد ابات لما أنهى دراسته في محظرة عمه جلس فترة طويلة يدرس التلاميذ ويطالع في المطولات ويحضر مجلس شيخه العلمي الذي يدرس فيه الطلاب ويقضي فيه بين الخصوم، حتى حصل على الدربة اللازمة للتدريس والقضاء، هذا مع ما كان يتمتع به رحمه الله من ذهن وقاد وذاكرة ضابطة بشكل لا نظير له، مما جعله يحتل رتبة عالية في الأوساط العلمية كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية ولقائه مع كبار العلماء

لما أنهى دراسته العلمية وأجازه شيخه العلامة محمد محمود في الإفتاء والقضاء، انتقل وتبعه كثير من طلاب محظرة عمه لأنهم تعودوا عليه وعلى تدريسه، وخصوصا الشباب منهم، وأما الطلاب الكبار فظلوا في محظرة الشيخ الكبير، وقد كان العلامة محمد أبات رحمه الله إماما في الفقه المالكي لا يبارى فيه، ولا نعلم له نظيرا فيه، وقد شهد له بذلك معاصروه، فهذا الشيخ الكبير محمد عبدالله ابن ابَّ الجكني الإمام البارع الرحالة المعروف يقول: الفقيه محمد ابات لانظير له في الفقه المالكي ما رأيت مثله في العالم الإسلامي إلا شاب واحد في دولة البحرين (١).

هذا مع العلم بأن هذا الرجل عاش فترة مع علماء كبار، مثل العلامة محمد الأمين بن محمد المختار (آبَّه) صاحب أضواء البيان، ومثل العلامتين محمدعبدالله بن الإمام وابن الصديق وأمثالهم رحمهم الله جميعا.

وقد التقيا في كيفة في إحدى زيارات العلامة محمد ابات للمستشفى، فتذاكرا في بعض المسائل الفقهية، وكان الشيخ محمد عبدالله بن ابَّ يقول أنا متخصص في التركة، فتذاكرا فيها فقال الشيخ محمد عبدالله: أنت أعلم مني بها قطعا، فقال العلامة محمد ابات: هذا صحيح.(٢)

---

(١) كان يردد هذا الكلام كثيرا وأنا سمعته من الزميل الفاضل محمد المصطفى بن أحمدو قال إنه سمعه منه غير مرة في مدينة كيفة.

(٢) سمعت هذه الحكاية من العلامة محمد ابات رحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله صريحا في مثل هذه الأمور.

وفي إحدى السنوات وأظنها سنة: ١٤٠٨ هجرية أثيرت في البلد نازلة فقهية في موضوع لحوق ولد برجل طلق زوجته ثم بعد مدة جاءت بذلك الولد، ووقع فيها تجاذب كبير في المحكمة العليا في نواكشوط، فأجمع رأي قضاة المحكمة على أن يرسلوا سؤالا بالموضوع إلى أربعة علماء بارزين من علماء البلد، وكان العلامة محمد ابات من ضمنهم، فأحدهم:

العلامة الجليل: لمرابط الحاج بن فحف المسومي [١]

والثاني: العلامة القاضي: عبد الدايم بن الشيخ أحمد أبي المعالي[٢].

والثالث: العلامة محمد ابات،

وأظن الرابع من علماء الحوض ونسيت اسمه.

فقدمت علينا بعثة من المحكمة بالسؤال وكتب لهم الجواب رحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله إذا حضر مجلسا فيه الفقهاء وعرضت فيه مسألة لا يتجاسر أحد منهم أن يتكلم فيها قبله لجلالته في أعينهم، فقد رأيته يوما بعد صلاة العصر وفي المجلس العلامة البارع أحمد بن عبد الودود[٣] والعلامة: سيد احمد

(١) تقدم التعريف به في بداية الكتاب.

(٢) هو العلامة القاضي الشيخ عبد الدايم بن الشيخ أحمد أبي المعالي التاكاطي حفظه الله، أخذ العلم عن والده وعن بعض العلماء في حضرة والده، وولي القضاء في بلده موريتانيا ثم في دولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في دولة قطر ومازال بها حتى الآن وهو يعتبر من الفقهاء البارزين، وله عدة مؤلفات منها: كتابه في وجوب زكاة الأوراق النقدية، ومنها شرحه لقرة الأبصار، في السيرة النبوية، وله غيرذلك، مد الله في عمره.

(٣) هو العلامة الجليل الشريف القاضي أحمد بن عبد الودود درس على العلامة: محمد محمود بن أحمد بن الهادي اللمتوني، وأخذ عن العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات، كان من أبرز القضاة في ولاية تكَانت توفي سنة ١٤١٩ هجرية ودفن في منطقة الفجحة ب(تامورت النعاج)جنب والده العلامة عبد الودود بن عبد الرحمن آل مولاي الرشيد.

بن عبد الدايم[١]، فقدم رجال كبار فضلاء من بعض الجيران،ولديهم مسألة مستعصية بينهم وحساسة فعرضوها في ذلك المجلس المهيب، فما تجاسر أحد أن يتكلم فيها قبله وجعلوا ينتظرونه، ثم لما تكلم فيها، فتح لهم الباب فشاركوه في الكلام في الموضوع، ومثل هذا كثير، وقد رأيت العلامة الجليل محمد شيخنا بن لمرابط اباه مع سعة علمه وجلالة قدره، إذا كان معه في مجلس لا يتكلم في مسألة فقهية أبدا، بل ينتظره حتى يقول فيها وكان معجبا به غاية الإعجاب فرحمهم الله جميعا، وقد لقي كثيرا من كبارالعلماء داخل البلد وخارجه فمن هؤلاء الشيخ بداه بن البوصيري:

لقاؤه مع الشيخ بداه بن البوصيري [٢]

التقى رحمه الله مع الشيخ بداه في مسجده،بانواكشوط واحتفي به كثيرا، وتذاكرا في بعض المسائل، ثم إنه سأل الشيخ بداه عن مسألة كان سئل عنها قبل ذلك ولم يكتب فيها شيئا، فلما أمعن فيها النظر وكلمه الشيخ محمد ابات في حيثيات المسألة وموضع الإشكال فيها، قال الشيخ بداه: هذه المسألة ردها عني إلى أهل ابات فسيحلونها، فقال له هي جاءتك من عندهم، فقال: حتى ولو... ثم داعبه لبعض الوقت، وخرجا لموضوع آخر.

---

(١) هو العلامة والنحوي الأديب سيداحمد بن سيد بن عبد الدايم من (قبيلة أولاد اعلي) درس العلم على العلامة سيدين بن الإمام وجلس للتدريس في محظرته بالغائرة مدة طويلة، وانتفع به كثير من طلاب العلم، توفي رحمه الله سنة ١٤٣٤ هـ.

(٢) هو العلامة الجليل: محمد بداه بن محمدن بن البوصيري التندغي (الحله) مفتي موريتانيا في أيامه، أخذ العلم عن عدة مشايخ منهم يحظيه بن عبد الودود، وأحمد محمود (مم) بن عبد الحميد الجكني، ومحمد سالم بن ألما اليدالي، وغيرهم، له عدة مؤلفات منها: أسنى المسالك في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب مالك، والقول السديد في الرد على أهل التقليد، وله غير ذلك.
توفي سنة: ١٤٣٠ هجرية. المجموعة الكبرى ص: ١٩٧.

لقاؤه مع الشيخ عبد العزيز ابن باز:

وفي سنة: ١٤٠٧ لما سافر للحج التقى بالعلامة عبد العزيز بن باز في مكة المكرمة، وكان معه العلامة أحمد بن عبد الودود، فشعر بهما العلامة ابن باز فدعاهما للغداء عنده في منزله الكائن بمكة المكرمة، فأكرمهما واحتفى بهما، ولما حان انصرافهما وودعهما، قال: «علموا الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم». [١]

وذلك لأنه يعلم أن الفقهاء الموريتانيين يعتنون بكتب الفقه أكثر مما يعتنون بكتب التفسير والحديث. فرحمهم الله جميعا وأثابهم على ما قدموا.

(١) هذه الحكاية والتي سبقتها سمعتها من العلامة محمد ابات غير مرة.

المبحث الرابع
في اشتهاره بالقضاء والفتوى ونماذج من فتاواه

اشتهر رحمه الله بالفتوى والقضاء في ولايتي تكَانت ولعصابة، فكانت النوازل تأتي إليه من معظم هاتين الولايتين وربما من خارجهما، وكان بارعا في الفتوى والقضاء موفقا فيهما، بل لا تقف أمامه مسألة كائنة ما كانت لدقته وسداد نظره وتبحره في الفقه المالكي عن طريق مختصر خليل وشروحه، وقد شاهدنا منه في ذلك ما يبهر العقول، ويجل عن الوصف والله يؤتي فضله من يشاء.

وكان رحمه الله موفقا في حل المشاكل المستعصية، فإذا جاءه الخصوم فتح الله قلوبهم لكل ما يريد منهم من الصلح أو التنازل، حتى ولو كانوا قد رفضوه قبل ذلك عند غيره من القضاة، وكان سريعا في كتابة الفتاوى لا تستغرق من وقته إلا القليل، وكان يعتمد كثيرا على شرح الزرقاني لمختصر خليل بحاشية البناني، وربما أخذ من غيرهما، وكان كثيرا ما يرد بعض الفتاوى التي تصدر من معاصريه فيردها بأدلة ناصعة ودقة فائقة، فيضطرون لتسليم ما كتب، وذلك هو السبب في توقف كثير من معاصريه عن الإفتاء في المسائل، حتى يعرضوها عليه ليعرفوا وجهة نظره فيها وسنذكر هنا ثلاثة نماذج من فتاواه:

النموذج الأول والثاني يرد بهما على بعض معاصريه، والنموذج الثالث جواب عن سؤال لم تتقدم فيه فتوى مكتوبة لأحد.

ونبدؤ بالنوذج الأول وهو رده لفتوى العلامة محمد المصطفى بن عبد الصمد الجكني في مسألة من مسائل الإجارة، ونصها أي فتوى ابن عبد الصمد:

فتوى العلامة محمد المصطفى بن عبد الصمد رحمه الله [1]:

الحمد لله رب العلمين، وبعد فإن من أخذ راعيا لإبل مثلا واتفق الراعي ورب الماشية على المحاسبة فلا كلام، وإن لم يحصل اتفاق فالحكم هو ما نظمه لمرابط بن أحمد زيدان ومضمونه أن رب الماشية إذا لم يكن عنده عذر في إخراج الراعي فعليه أن يعطيه جميع أجرته أو يتركه إلى انتهاء الأجل، وإن يك الراعي هو الذي خرج من غير عذر فيضرب على تمام عمله وإلا ذهب بلا أجرة، ونص الأبيات:

الراعي إن يَخْرُج أو يُخرَجْ فله ... على الشهير قدر ما قد عمله
محله إذا تراضيا معا ... فإن أبى صاحبه وامتنعا
فإن يك المخرج رب الإبل ... من غير عذر بل لأجل الملل
قيل له أبقه لانتهى الأجل ... أو اعطه الأجرة كلا عن عجل
وإن يك الراعي هو الذي خرج ... من غير عذر مسه بل من عوج
قيل له تمم وإلا ضربا ... فإن أبى فالأجر كلا ذهبا
ومثل ذا معلم الصبيان ... هذا الذي حرره البناني
وهو الذي هذبه الرهوني ... وحقه الكتب بها العيون
نظمه مخالف الشيطان ... محمد بن أحمد زيدان

محمد المصطفى بن عبد الصمد [2]

(١) هو العلامة الفقيه: محمد المصطفى (صدفه) بن الطالب محمد بن عبد الصمد الجكني الحاجي، أخذ العلم عدة شيوخ منهم: محمد الحسن (بيدر) بن الإمام وهو الذي أجازه في القرآن، ومنهم لمرابط الحاج بن فحف، وكان من أوائل طلابه الذين بدأ بهم محظرته، وسمعته يقول: بدأنا ندْرُس عند لمرابط الحاج ونحن سبعة طلاب، وكان في أول الأمر يجد مشقة في تدريسنا ونأخذ الكتب حتى يتأخر الليل، فيقول لنا «الوقت تأخر، هذا صار فيه تغرير بالفجر»، فلما انتهت السنة الأولى سهل الأمر لأنه تعود على التدريس.
كان الفقيه صدفه رحمه الله رجلا خيرا متواضعا، واستمر فترة من الزمن وهو يمارس القضاء والفتوى في منطقة الغائرة، إلى أن توفي سنة: ١٤٣٣ هجرية.

(٢) نقلت هذا من خطه رحمه الله.

فكتب العلامة محمد ابات رحمه الله ما يلي:

النموذج الأول: فتواه التي يرد بها على العلامة: محمد المصطفى بن عبد الصمد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من استأجر أجيرا على رعاية إبل أن لكل شهر أو كل سنة مبلغ كذا من الدراهم، فإن هذا العقد غير لازم للمستأجر بل لرب الإبل أن يخرج الراعي، وللراعي أن يخرج عن رعاية الإبل، ولا يتوقف إخراج رب الإبل ولا خروج الراعي على رضى الآخر، لأن المشاهرة والمسانأة عقد غير لازم، خليل: «ومشاهرة ولم يلزم لهما إلا بنقد فقدره»[1] والمشاهرة لقب لمدة من الزمن غير محصورة كقولهم: كل شهر بكذا أوكل سنة بكذا، ولكل منهما حل العقد متى شاء، ولا يكون للعامل إلا بحساب عمله، سواء خرج بنفسه أو أخرجه المكتري، وعبارة عبد الباقي عند النص المذكور آنفا:

وجاز كراء مشاهرة كقوله: كل شهر بكذا أو مسانأة أو مياومة ولم يلزم الكراء لهما أي للمتكاريين فلكل منهما الانحلال متى شاء انتهى منه بحروفه[2].

قال البناني هنا ما نصه: «ولم يلزم لهما «هذا قول ابن القاسم وهو أحد أقوال ثلاثة، قال ابن رشد في المقدمات في كراء الدور مشاهرة ثلاثة أقوال: أحدها قول ابن القاسم: لا يلزمه الشهر الأول ولا ما بعده، وأن له أن يخرج متى شاء، ويلزمه من الكراء بحسب ما سكن، إلى أن قال البناني: والقول الأول هو قول المدونة وعبارتها: وليس بعقد لازم. وسلمه الرهوني بالسكوت. [3]

---

(١) مختصر خليل باب الإجارة، فصل في كراء الحَمّام (ص: ٢٠٨).

(٢) شرح الزرقاني لمختصر خليل ٧ / ٤٦.

(٣) حاشية البناني على الزرقاني نفس المصدر السابق، وانظر حاشية الرهوني عليهما: ٧ / ٤٦.

وما نظمه لمرابط بن أحمد زيدان عازيا للبناني والرهوني وهو كذلك فيهما، وعندي أن محله في إجارة الوجيبة التي هي لقب لمدة من الزمن معينة محصورة، والعقد فيها لازم لكل منهما ولا ينحل العقد إلا برضاهما، ويؤخذ كذلك مما نسبه الرهوني لابن عات عند قول خليل: «أوخلف رب دابة في غير معين أو حج»[1] ونص الطرر: من استؤجر لسنة بعينها أو شهر بعينه لخدمة معروفة لم يكن لواحد منهما أن يحل الإجارة قبل تمام عملها إذا أبى الثاني إلا إذا تراضيا جميعا على ذلك، ثم قال: إلا أن يدعي كل منهما ضررا أو سرقة أو غيره، واستدل الرهوني على ذلك بما في المنتقى للباجي ونصه: عقد الإجارة لازم من الطرفين ليس لأحد من المتعاقدين فسخه خلافا لأبي حنيفة. [2]

فأنت تراه لم ينسب عدم لزوم الإجارة في هذا المبحث إلا لأبي حنيفة، مع علمه بقول خليل السابق وسكوته عنه، فوجب عندي حمل كلامهم على الوجيبة، ويكون صحيحا مسلما، وأما المشاهرة والمسانأة والمياومة فإن العقد في الجميع غير لازم لكل من المتعاقدين، وعدم اللزوم في الجميع هو الذي أدركنا عليه العمل أي عمل الناس في هذه البلاد منذو أن عقلنا إلى الآن والله تعالى أعلم.

تتمة لما سبق: في البناني عند قول خليل: «وعلى تعليم قرآن مشاهرة وعلى الحذاق»[3] مانصه عازيا لابن رشد: الإجارة على تعليم القرآن جائزة مشاهرة ومقاطعة على جميعه أو بعضه أو وجيبة لمدة معلومة، فالمشاهرة غير لازمة لواحد منهما، وأما الوجيبة والمقاطعة فلازمتان لكل منهما. انتهى[4]. وسلمه الرهوني بالسكوت عنه[5].

---

(١) مختصر خليل باب الإجارة (ص: ٢٠٦).

(٢) حاشية الرهوني: ٧/ ٤٤- ٤٥.

(٣) مختصر خليل باب الإجارة: (ص: ٢٠٥).

(٤) حاشية البناني على الزرقاني:٧/ ١٨.

(٥) حاشية الرهوني: ٧/ ١٤.

فنقل هذين الشيخين لهذا مسلمين له في عدم لزوم المشاهرة في إجارة المعلم مع جعل الراعي عندهم بمنزلة المعلم في لزوم الإجارة يتعين به حمل مسألتهم التي نظم لمرابط على إجارة الوجيبة. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمئاب.

محمد ابات بن محمد [1]

النموذج الثاني:

رده لفتوى الفقيه أحمد فال بن يعقوب في مسألة اضطربت فيها أقوال الفقهاء، وصورتها:

طفل يتيم في كفالة جده من الأم وهو ينفق عليه، واسم الجد اعلي بن التوتاي، وللطفل غنم تحت يد عمه المسمى الشيخ بن حبيب وهو ينفق عليها ويرعاها، والسؤال هنا: هل يتحاصصان في هذه الغنم، أم يختص بها العم الذي يرعاها أم كيف الحال؟، وسنرى الجواب عن هذا السؤال، ونبدأ بجواب الفقيه أحمد فال بن يعقوب ونصه:

فتوى العلامة: أحمد فال بن يعقوب [2]:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا وإن أجرة الشيخ بن حبيب التي استحقها بسبب الرعي والعلف والحراسة لثلة الغنم الكائنة تحت يده منذو أخذها إلى الآن لا يتحاصص فيها

---

(١) ومن خطه رحمه الله تعالى نقلت.

(٢) هو الفقيه أحمدفال بن يعقوب السوباكي نشأ في ضواحي مقطع لحجار من ولاية لبراكنة ثم انتقل في طلب العلم إلى العلامة سيد محمد (سيدين) بن الامام في جنوب تكَانت ومكث في محظرته عدة سنوات، حتى تخرج على يديه، وترك العودة إلى أهله وتوطن في أهل ابات، وكان فقيها ومهتما بنقل الفتاوى واقتنائها، وخصوصا فتاوى فقهاء أهل ابات وكان يعتمد عليها كثيرا في فتاواه، له رسالة في مسألة تاويل الصفات ينتصر فيها لمذهب الأشاعرة، وله فتاوى كثيرة، توفي رحمه الله سنة ١٤٢٤ هجرية.

مع اعلي بن التوتاي لأنه مقدم على سائر الغرماء، ففي المواق: قال مالك: الأجير على سقي زرع أو نخل أو أصل فهو أحق بها في الفلس حتى يستوفي حقه، فالأجير مبدؤ على سائر الغرماء، إلى أن قال: إن الأجير مقدم على المرتهن فإن فضل شيء عن المرتهن فهو للغرماء، وروى ابن القاسم أن الأجير مقدم على سائر الغرماء انتهى [١]

وفي عبد الباقي عند قول خليل: «كأجير رعي ونحوه»[٢] أي أجير علف أو رعي أو حراسة أن الغنم إذا كانت بيد الأجير بأن كانت تبيت عنده فهو أحق بها فالمال نما عن عمله، فكان أخص بالحوز فهو أحق بما بيده حتى يستوفي أجرته منه لأن كونه تحت يده فهو أحق به فلسا أو موتا، لأن المقرر أن الشيء الذي لم يخرج عن اليد يقدم من هو في يده في الموت والفلس [٣]، وأما ما ذكره عبد الباقي عند قول خليل: «ولو أديرت»[٤] عن ابن يونس من التفرقة بين كون الراعي ليس أحق بالغنم بأن الراعي لم يتعلق له حق بعين الدواب بل بذمة المكتري، ومكتري الدابة تعلق حقه بقبضها بركوب أو حمل.. إلخ [٥]

فقد فصل فيه عبد الباقي عند قول خليل: «كأجير رعي» بقوله: ثم محل كلام المصنف في الأجير إذا كان يرد ما استؤجر عليه لبيت ربه عند الليل، فإن بقي بيده فهو أحق به، والظاهر إذا بات ما يرعاه من نحو غنم عند ربه تارة

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل للمواق (٦ / ٦٢٥).

(٢) مختصر خليل باب الفلس (ص: ١٧١).

(٣) شرح الزرقاني لمختصر خليل:: ٥ / ٢٨٣.

(٤) مختصر خليل باب الفلس (ص: ١٧١).

(٥) شرح الزرقاني لمختصر خليل: ٥ / ٢٨٨.

وعنده أخرى فالحكم للغالب إن كان، ونظر إذا كانت تبيت بمحل مشترك بينهما انتهى منه[١].

وعضده صاحب النصيحة بما نصه: إن كان يرده لربه ليبيت عنده ليلا وإلا فهو أحق به انتهى منه بلفظه[٢].

المغني: ما نصه عند النص المذكور: كأجير حراسة أو علف أو رعي فلا يكون كل أحق بما استؤجر عليه في أجرته، حيث كان يبيت عند ربه دائما أو غالبا وإلا فهو أحق به انتهى بلفظه[٣].

الدسوقي: هذا النص مقيد بما إذا كانت المواشي تبيت دائما أو غالبا عند ربها وإلا فإنه يختص بها في أجرته. انتهى منه بلفظه[٤].

فتح الجليل ما نصه عند: «كأجير رعي ونحوه» هذا إذا كان يرده لربه ليبيت عنده، فإن كان يبقى بيده فهو أحق به كالصانع، ومثل أجير الرعي أجير علف وحراسة. انتهى منه بلفظه[٥].

وكون أجير الرعي كالصانع جعله الرهوني وكنون هو المذهب، ولا يخفى أنهم جعلوا الأجير مثل الصانع الذي قال فيه خليل: «والصانع أحق ولو بموت بما بيده».[٦]

---

(١) المصدر السابق: ٥ / ٢٨٣.

(٢) نصيحة الضعفاء على مختصر أبي الضياء للعلامة لمرابط بن أحمد زيدان الجكني.

(٣) مغني قراء المختصر عن التعب في تصحيح الطرر، للعلامة أحمد بن محمد عينين بن أحمد بن الهادي اللمتوني.

(٤) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٣/ ٢٨٤).

(٥) فتح الجليل على مختصر خليل للعلامة محمد عبدالله بن يحظيه القناني مخطوط.

(٦) مختصر خليل باب الفلس: (ص: ١٧١).

فتحصل مما قدمناه أن اعلي (وهو جد الطفل الذي أنفق عليه) لا يرى شيئا من الغنم إلا بعد غسل الشيخ يديه ورجليه منها. فإن كان هذا حقا فمن الله، وإن كان خطئا فمن محله.

أحمد فال بن يعقوب

وأجاب العلامة محمد أبات بما يلي:

النموذج الثاني: رده على فتوى العلامة أحمد فال بن يعقوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن مسألة غنم الصبي بالنسبة للعم تنحصر:

في النظر في كون العم له الرجوع على الصبي بادعاء إنفاقه على الغنم،

ثم في النظر في كونه إذا استحق الرجوع يرجع في ذمة الصبي أو في رقاب الغنم.

ثم في أن الصبي يترك له ما ينفقه ويكسوه منها إلى زمن بلوغه قادرا على الكسب.

ثم النظر بعد أن يثبت له الرجوع، وبعد أن يترك للصبي ما يترك للمفلس في كون العم إذا بقيت من الغنم بقية عما ذكر، هل يقدم في ثمنها أو يتحاصص مع المنفق على الصبي؟

فأقول والله الموفق للصواب: أن العم يتوقف رجوعه على وجود بينة أنه أنفق على ذات غنم الطفل أي على جميعها أو على عدد محصور منها، ثم إذا وجدت تلك البينة لابد من حلفه أنه إنما أنفق ليرجع لا للشفقة ولا الصلة، وأنه لم ينفق على الغنم من ذواتها، وإنما أنفق عليها من ماله الخاص به.

أما دليل وجوب البينة عليه فإنه ادعى غرما من مال نفسه على هذا الصبي يريد الرجوع به عليه، والأصل عدمه، لأن الأصل في الناس براءة ذممها، ولا

يلزم من ذلك إلا ما شهدت به بينة مفصلة الشهادة، وبينة العم المذكور لقيت منها محمد محمود بن سيد، وقال: إنهم رأوه ينفق على ضعاف ما عنده من الغنم، ولا يميزون غنمه من غنم الصبي، فهي بهذا شهادة مجملة يطلب تفصيلها.

وأما دليل لزوم اليمين له فهو قول خليل: «وعلى الصغير إن كان له مال علمه المنفق وحلف أنه أنفق ليرجع»[1] وقوله في باب الوصايا: «والقول له في قدر النفقة»[2] قال عبد الباقي: إن أشبه وحلف[3].

وأما كون العم يرجع حيث استحق الرجوع بعد ما ذكر من البينة المفصلة واليمين في ذمة الطفل ولا رجوع له في رقاب الغنم لقول خليل: في باب الرهن: «ورجع مرتهنه بالنفقة في الذمة ولو لم يأذن وليس رهنا به»[4] .

قال شروحه لأنه قام عنه بواجب، ولو هلك الحيوان كله لكان دينا في ذمته، بخلاف من أنفق على ضالة لا يعلم ربها فإن نفقته عليها لا يرجع بها في ذمة مالكها لأنه لم يقم عنه بواجب لعدم علم ربها بموضعها.[5]

وأما كون الصبي يترك له من ماله قبل وفاء ديونه ما ينفقه ويكسوه إلى بلوغه قادرا على الكسب يتناوله قول خليل: «وترك له قوته والنفقة الواجبة عليه لظن يسرته»[6]

ثم إذا ثبت للعم الرجوع في ذمة الصبي بعد بينته ويمينه وبقيت من الغنم بقية بعد ما يترك للصبي في نفقته وكسوته إلى بلوغه قادرا على الكسب، يبقى

(١) مختصر خليل باب النفقات (ص: ١٣٧).

(٢) مختصر خليل باب الوصايا (ص: ٢٥٩).

(٣) شرح الزرقاني على مختصر خليل: ٨/ ٣٠٢.

(٤) مختصر خليل باب الرهن (ص: ١٦٧).

(٥) انظر الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٣/ ٢٥٢).

(٦) مختصر خليل باب الفلس: (ص: ١٧٠).

النظر في كون المنفق على الصبي والمنفق على الغنم يتحاصصان أو يختص بها المنفق على الغنم، إذا كانت تحت يده وفي حوزه، فمقتضى قول خليل أنهما يتحاصان، قال مشبها على عدم الاختصاص: «كأجير رعي ونحوه»[(١)]

ولكن قيده بعض الشروح بما إذا لم تكن تحت يد الراعي، فيكون كالصانع أي يختص بما بيده، وقال بعضهم إنه خلاف، وبالغ الرهوني في الانتصار لهذا القيد، وعندي أنه أولى بالاتباع، وأما كون الجد المنفق على الصبي له طرف من النزاع مع العم المنفق على الغنم، فأقول إن له طرفا فيه لأن كل ما يستحقه العم يدخل به نقص على الجد المذكور، لأن غرماء المفلس كل واحد منهم وجود دينه يدخل به نقص على الآخرين، كما قال شروح خليل عند قوله: «وقبل إقراره بالمجلس أو قربه إن ثبت دينه بإقرار لا ببينة»[(٢)] قال عبد الباقي: فلا يقبل إقراره لغيرهم لإدخاله به نقصا على من دينه ثابت ببينة. [(٣)]

هذا ما حصل عندنا الآن في هذه المسألة.

محمد ابات بن محمد [(٤)]

النموذج الثالث: فيه أربع فتاوى:

١. الأولى في الوقف

٢. والثانية في الوصية

٣. والثالثة تتعلق بنزاع بين رجل وأعمامه في نصيبه من تركة أبيه من جده.

---

(١) مختصر خليل باب الفلس (ص: ١٧١).

(٢) مختصر خليل (ص: ١٦٩).

(٣) شرح الزرقاني لمختصر خليل: ٥ / ٢٦٨.

(٤) هذه الفتوى أملاها علي من مسودة عنده، ونحن في مسجدنا بأم النوار، بعد صلاة الظهر، فكتبت منها نسختين إحداهما دفعتها لصاحب السؤال، والثانية بقيت عندي.

٤ . والرابعة في إرث دية العمد.

وسنأتي بها على هذا الترتيب تباعا.

الفتوى الأولى في الوقف: ونصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: سئلت عن شخص حبس حيوانا على اثنين ولم يحفظ عنه إلا أنه قال: حبس عليكما، وسكت، وحازه المحبس عليهما باسم الحبس إلى أن مات أحدهما ولم يترك عقبا أي هل هذا الحبس بحيازتهما له بهذا اللفظ يكون معقبا أو عمرى أو مؤبدا غير معقب، ولمن يرجع نصيب هذا الميت الذي لم يترك عقبا؟

الجواب عندي والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب: أن هذا الحيوان يكون حبسا معقبا لأن التعقيب هو الغالب في أحباس بلادنا بل المعقب هو الذي يصدق عليه اسم الحبس بلا قيد، وأما العمرى فيعبرون عنها بعمرى أو حبس عمرى ولا يطلق عليها في عرفهم اسم الحبس بدون زيادة لفظ يدل عليها، قال في التحفة:

يجري على الغالب في الحبس العمل ... إذا لتعقيب وغيره احتمل[1]

وإذا كان الحبس المذكور معقبا رجع نصيب الميت منهما بلا عقب لأقرب فقراء عصبة المحبس لأن نصيب هذا الميت على حدته فصار بمنزلة حبس معقب انقطع، لأن المعقب لم يكن فيه حق بعد المحبس عليه إلا لعقبه وهو غير موجود، ولا يعارض هذا قول شروح خليل عند قوله: في الهبة، «وهو لآخركما»[2] أنه إذا سكت عن قوله وهو لآخركما، رجع نصيب الميت منهما

---

(١) هذا سبق قلم، فالبيت ليس من التحفة بل هو من نظم الشيخ محمد العاقب بن مايابى لنوازل العلامة سيد عبدالله العلوي.

انظر فتاوى العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم، بتحقيق محمد الامين بن محمد بيب ص ٤٣٧.

(٢) مختصر خليل باب الهبة: (ص: ٢١٤).

للآخر ثم بعد موت الآخر يرجع مراجع الأحباس أو إلى المحبِّس على الخلاف في ذلك [1] لأن هذا يظهر أنه في الحبس المؤبد غير المعقب لأنه هو الذي ينتظر به أعيان المحبس عليهم، ويرجع بعد انقراضهم وإن بقي العقب، ولو كانوا قائلين أنه يشمل المعقب لعلقوا رجوعه على عدم وجود العقب لكنهم لم يعلقوه بل أطلقوا رجوعه بموت الآخر، وإسقاط القيد يؤذن بالعموم، مع أن رجوعه مراجع الأحباس، أو إلى المحبِّس أو إلى ورثته مع وجود العقب في الحبس المعقب لا قائل به. والله أعلم. محمد ابات بن محمد [2]

الفتوى الثانية في الوصية:

ونصها:

بسم الله الرحمن الرحمن

سئلت عن نازلة صورتها رجل وجد خطه بعد موته،أنه أوصى لقوم بشئ معين من ماله، ولم يشهد على ذلك،فهل تصح هذه الوصية وتنفذ أم لا؟

الجواب والله تعالى الموفق للصواب أنها لاتصح ولا تنفذ على ما يقتضيه مذهب إمامنا مالك رحمه الله تعالى، والذى هو مذهب الموصي والموصى لهم أنفسهم.

ففي المواق شارح مختصر خليل عند قول خليل في باب الوصايا (وإن ثبت أن عقدها خطه أوقرأها ولم يشهد لم تنفذ) [3] مانصه عن الباجي: من كتب

(١) قال الدسوقي: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الصُّوَرَ ثَلَاثٌ: الْأُولَى: صُورَةُ الْمُصَنِّفِ وَهِيَ حُبْسٌ عَلَيْكُمَا وَهُوَ لِآخِرِكُمَا الثَّانِيَةُ: حُبْسٌ عَلَيْكُمَا وَيَسْقُطُ قَوْلُهُ: وَهُوَ لِآخِرِكُمَا، الثَّالِثَةُ: حُبْسٌ عَلَيْكُمَا حَيَاتَكُمَا وَهُوَ لِآخِرِكُمَا فَفِي الْأُولَى إذَا مَاتَ أَحَدُهُمَا رَجَعَتْ لِلثَّانِي مِلْكًا وَفِي كُلٍّ مِنْ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ إذَا مَاتَ الْأَوَّلُ رَجَعَتْ لِلثَّانِي حُبْسًا فَإِذَا مَاتَ الثَّانِي فَهَلْ تَرْجِعُ مَرَاجِعَ الْأَحْبَاسِ، أَوْ تَرْجِعُ مِلْكًا لِلْمُحَبِّسِ قَوْلَانِ وَهُمَا مَنْصُوصَانِ فِي الثَّانِيَةِ وَمُخَرَّجَانِ فِي الثَّالِثَةِ. حاشية الدسوقي (٤ / ١٠٩).

(٢) نقلتها من خطه رحمه الله.

(٣) والنص بكامله هو (و إن ثبت أن عقدها خطه أوأقرها ولم يشهد أو يقل أنفذوها لم تنفذ) مختصر خليل (ص: ٢٥٩).

وصيته بخط يده أووجدت في تركته وعرف أنها خطه بشهادة عدلين لا يثبت شئ منها حتى يشهد عليها وقد يكتب ولايعزم رواه ابن القاسم عن مالك انتهى بحروفه[1].

وفي شرح الكفاف عند قول الناظم:

وانعقدت بقول أوبرمز

مانصه: ومجرد الكتب بلا إشهاد لغو انتهى بلفظه [2]

وفي التسولي في شرح التحفة الصفحة ٣١٥ مانصه: فرع لو قال الموصي الذى كتب وصيته بخطه فليشهد على خطى من وقف عليه فإنها تنفذ ولو لم يشهد عليها قاله اللخمي ونقله في المجالس ومثله لعياض قائلا:

وأما لو كتبها بخطه وقال إذا مت فلينفذ ما كتب بخطي فإ نها تنفذ إذا عرف أنه خطه انتهى. [3]

فقوله: وقال.. إلى آخره. يعني: كتب ذلك، ليوافق كلام اللخمي لا أنه قال ذلك للناس لأنه بمعنى الإشهاد عليها، ولاخلاف حينئذ في تنفيذها، وهو معنى قول خليل: (وإن ثبت أن عقدها خطه أو قرأها ولم يشهد أويقل أنفذوها لم تنفذ) فمفهومه أنه لو كتب بخطه: أنفذوها، تنفذ، ونحوه قول صاحب العمل:[4]

وكاتب بخطه لم يشهدي   عليه أويقل تنفذ اردد

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل (٨/ ٥٥٢).

(٢) شرح الكفاف للشيخ محمد الحسن الخديم: ٢/ ٥٢٣.

(٣) البهجة في شرح التحفة (٢/ ٥١٩).

(٤) هو البيت: ١٦ من باب مسائل من الوصايا وأحكام الأوصياء والمحاجير، من عمليات فاس للعلامة عبد الرحمن الفاسي.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمئاب.

محمد ابات بن محمد [1]

الفتوى الثالثة تتعلق بنزاع بين رجل وأعمامه في نصيبه من تركة أبيه من جده ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الجواب والله الموفق للصواب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت:

أن دعوى إسلم على أبناء الشيخ يطلب تركة أبيه من جده مما تحت أيديهم من الإبل، مع قول أبناء الشيخ أن ما تحت أيديهم لم يكن فيه شئ مما ورث عن جدهم، وأنه من كسبهم أنفسهم، ومما كان الشيخ يملكه قبل موت أبيه لا يتعين بمجرد دعواه هذه أن ما بأيديهم هو موروث عن جدهم، لأنه من المعلوم عند من يعرفهم أعنى أبناء محمد محمود ابن متار، أن عند كل واحد منهم في حياة أبيهم أملاكا ينفرد بها ويتصرف فيها بأنواع التصرف والتفويت، لأن زمن موت أبيهم أعمارهم إذ ذاك تتراوح بين الستين والثمانين حسبما يقضيه الحدس والتخمين.

ودعواه أيضا أن تركة محمد محمود لم يجر فيها قسم باطلة، إذا كان كل من الأبناء أخذ منها جزءا وبان به، وإن لم يحضرها قاض، ولا ضربت عليها سهام القرعة إذ لا يشترط في القسمة القرعة ولا حضور القاضي، حيث لم يكن في الورثة صغير قاصر ولا محجور.

---

(١) ومن خطه رحمه الله نقلت.

مع أن دعواه هذه بجملتها لاتسمع، بل ولا بينته لحضور أبيه فى البلد مع الشيخ في حياته، ومع أبنائه بعد موته وسكوته في حال عقله ورشده، وعدم مانع يمنعه من القيام عليه، مع تصرف الشيخ فيها بالبيع والتفويت، وجميع أنواع التصرف، وشراء الدور وبنائها من ذات الإبل التى النزاع فيها، ومحمد الامين وأبناؤه في البلد مدة تناهز ثلاثين سنة، ومنزلة محمد الأمين وأبنائه مع الشيخ وأبنائه كمنزلة الأباعد ولا المسامحة بينهم.

ففي التسولي عند قول التحفة:

وذو تشاجر كالأبعدينا

والمراد بالتشاجر: التشاح وعدم المساحة بينهم انتهى.[1]

وفى المواق عند قول خليل: «وفي الشريك القريب معهما قولان» [2]: مانصه:

ونقل البرزلي عن الباجي أن العشر سنين لا تقطع حق القرابة إلا أن يثبت أن بين القائم والمقوم عليه من عدم المسامحة والتشاح ما لا يترك الحق به هذه المدة. [3]

وفي المواق أيضا مانصه: إنما يفرق بين القرابات والأ جنبيين في البلاد التي يعرف من أهلها أنهم يتوسعون بذالك لقرابتهم انتهى [4] وإذا تمهد مما وصفنا أن الطرفين مزلتهما منزلة الأجانب تكون منزلة إسلم على دعواه منزلة أجنبي شريك، تبطل دعواه وبينته بحضور أبيه مع الشيخ في حياته ومع أبنائه بعد

(١) التسولي البهجة في شرح التحفة (٢ / ٤٢٧).

(٢) مختصر خليل باب الشهادات (ص: ٢٢٨).

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل (٨ / ٢٨٣).

(٤) التاج والإكليل المصدر السابق.

موته وسكوته وعدم مانع يمنعه من القيام عليهم مدة تناهز ثلاثين سنة، مع تصرف الشيخ في عين الإبل التى النزاع فيها بالتفويت بالبيع والهبة، مع نسبته لنفسه ونسبة الناس له كذلك.

قال خليل مشبها على ما تفيته الحيازة عشرة أعوام: «كشريك أجنبي حاز فيها إن هدم أوبنى»[1] انتهى.

وقال في التحفة:

والأجنبي الشريك إن تصرفا في الذات حكم الأجنبي الماضى اقتفى

والا صل في اعتبار هذه المدة قوله ﷺ: «من حاز شيئا عشر سنين فهو له»انتهى[2].

مع أنا إذا سلمنا تسليما جدليا أنهم شركاء أقارب، فإن حيازة القريب الشريك - إذا كانت مع التفويت كالبيع والهبة - تكون كحيازة الاجنبي.

فقد نقل الحطاب عن ابن رشد أن الاقارب الشركاء لاخلاف أن الحيازة بينهم لا تكون بالسكنى والازدراع، ولاخلاف أنها تكون بالتفويت.[3]

---

(١) مختصر خليل (ص: ٢٢٨).

(٢) رواه أبو داوود في المراسيل بتحقيق عبد العزيز السيروان ص: ٢٠٢
وأخرجه ابن القاسم في المدونة (٥ / ١٩٢ - نشر دار صادر) من حديث سعيد بن المسيب مرسلا، وفي إسناده «عبد الجبار بن عمر الأيلي» وهو ضعيف كما في ترجمته من التهذيب لابن حجر (٦ / ١٠٣ - ١٠٤ - ط دائرة المعارف العثمانية) وأخرجه عبدالله بن وهب في «موطئه»: عن عبد الجبار بن عمر الأيلي عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب يرفع الحديث إلى رسول الله - ﷺ. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ٤٨٥٣ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٠ / ٤٣٠).

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٦ / ٢٢٨).

وفي المنتقى للباجي بواسطة نقل الرهوني: أن حيازة الوارث على ورثته على ثلاثة أقسام:

إما بالتفويت فهم كأجانب.

وإما بالسكنى والازدراع ونحوهما، فلا تكون حيازة حتى تزيد على أربعين سنة.

وإما بالهدم والبنيان وعقد الكراء وقبضه لنفسه بحضرة الورثة وعلمهم فكالذي قبله، على ما ما رجح ابن القاسم انتهى.

فانظر قوله: «إما بالتفويت فهم كأجانب» هذا كله حيث لم نعتبر أن البيع والهبة يفيتان على الحاضر بانقضاء المجلس، وعلى الغائب إذا بلغه ذلك ولم يغير، كما عقده في التحفة بقوله: [1]

وحاضر بيع عليه ماله ... بمجلس فيه السكوت حاله[1]

وقوله:

وحاضر لواهب من ماله ... ولم يغير ما رأى من حاله
الحكم منعه القيام بانقضا ... مجلسه إذ صمته عين الرضا[2]
وغائب تبلغه معامله ... وقام بعد مدة لا شئ له[3]

ويجب على القاضي إن اراد النجاة غدا أن ينظر في كل نازلة إلى قرائن أحوالها.

والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمئاب

محمد أبات بن محمد بن أحمد.

---

(١) شرح ميارة لتحفة الحكام (٢ / ٨).

(٢) التحفة ص ٦٧ البيت رقم ٨١٩ - ٨٢٠.

(٣) التحفة ص ٦٦ البيت رقم ٨١٤.

٤ – والفتوى الرابعة في إرث دية العمد.

ونصها:

الحمد لله والصلاة والسلام على سول الله، وبعد فقد سئلت عن رجل مات مقتولا وأخذ له أولاده الأربعة دية عمد، وله مع البنين ابنة وزوجة، فأقسم البنون الدية المأخوذة دون البنت والزوجة، اتكالا منهم على أن دية العمد تختص بالذكور دون الإناث.

فأجبت والله الموفق للصواب أن دية العمد تورث عن المقتول،

على حسب فرائض الله تعالى، فيكون للزوجة في هذه المسألة ثمن الدية التي أخذ الأبناء، ويكون للبنت تسع ما بقي بعد الثمن، وللأبناء الأربعة ثمانية أسهم – لكل منهم سهمان – فيستوفيها العاصب وصاحب الفرض.

وإنما يختص الأبناء الذكور بالكلام بالنسبة للقصاص والعفو مجانا أو أخذ الدية، ولا كلام للبنات ولا للزوجة في ذلك.

وإذا أخذ الأبناء مالا دخل البنات والزوجة فيه على حسب الفرائض كما قال خليل وشروحه عند قوله: «ومهما أسقط البعض فلمن بقي نصيبه من الدية كإرثه»[١] أي دية عمد وكذا لو عفا من له التكلم مرتبا فلمن بقي ممن لا تكلم له نصيبه من الدية بخلاف ما لو عفوا في فور واحد، فلا شيء لمن لا تكلم له. انتهى من الدردير.[٢]

---

(١) مختصر خليل باب الجنايات ص ٣١٤.

(٢) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٤/ ٢٦٢).

وفي الدسوقي في هذا المحل ما نصه: واعلم أنما ذكره الشارح من التفصيل محمول على ما إذا وقع الإسقاط مجانا، أما إذا وقع على مال فلمن بقي من الورثة نصيبه من الدية وإن لم يكن له تكلم. انتهى [١].

والله تعالى أعلم.

محمد ابات بن محمد[٢].

قلت: ولا شك أن هذه الفتاوى التي رأيناها لها قيمة فقهية كبيرة جدا، حيث إن هذه المسائل المطروحة تتجاذبها النصوص الفقهية تجاذبا قويا، كما رأينا، مما يجعل عملية الحسم فيها بالغة الصعوبة، لأن هذا النوع من النوازل يحتاج:

أوَّلاً إلى استيعاب النصوص الفقهية في الموضوع،

وثانيا إلى الدقة في فهم النص الفقهي،

وثالثا إلى تنزيله على المسألة المطروحة للبحث تنزيلا سليما، وقد رأينا هذه العناصر كلها قد أحكمت هنا بعناية فائقة، من قبل العلامة محمد ابات في هذه الفتاوى، وهو كذلك كما عهدناه دائما في فتاواه رحمه الله تعالى.

وهذه الفتاوى تعتبر جزءا مهما من عطائه العلمي والذي سنشير إليه في المبحث الآتي:

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نقلتها من خطه رحمه الله.

المبحث الخامس
في محظرته وعطائه العلمي

جلس العلامة محمد ابات رحمه الله للتدريس وهو شاب في حياة شيخه وعمه العلامة محمد محمود وازدحم عليه الطلاب عشرات السنين، وقد بدأ محظرته في تكَانت في البادية أيام الترحال في حدود سنة ١٣٧٥ واستمر في تكَانت إلى نهاية القرن، وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري، وفي خضم نزوح الناس من تكَانت نزح إلى ولاية لعصابة واستمر في البادية عدة سنوات وطلابه تحت أخصاص من الحطب والحشيش وفي الخيم، وقد عشنا بعض هذه المدة في محظرته إبان دراستنا لمختصر خليل، ثم بعد ذلك جلس في حاضرة أم النوار بجوك، وبنى مسجدا وحجرات للطلاب، واستمر على ذلك ما يقارب ربع قرن من الزمن، وتخرج عليه في هذه الفترات عدد كبير من الفقهاء وطلاب العلم، وكانت محظرته متخصصة في الفقه والأصول بيد أن المتون المحظرية تدرس كلها فيها، وذلك كعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة ومنطق ومصطلح وغير ذلك.

وكان متخصصا في الفقه لا يبارى فيه، فكان يدرس مختصر خليل من بدايته إلى نهايته لا يحتاج لأخذ كتاب، سواء في ذلك عنده المواضع السهلة أو المعقدة الصعبة، لا يقف في شيء من ذلك، فنصوص هذا الكتاب بين يديه بأكملها يأخذ منها ما شاء، ولا أشك أنه كان يستطيع أن يكتب شرحا لهذا المختصر دون الرجوع إلى الكتب، إلا في حالات نادرة، لأنه يحفظ خلاصة ما في الشروح، ولكنه لم يشأ ذلك فكان يرى أن الشروح الموجودة

وافية بالمطلوب، فكان عطاؤه العلمي مقتصرا على تدريس الطلاب الذين يفدون إليه من كل مكان، هذا بالإضافة إلى ما يصدره من فتاوى مكتوبة أو شفوية، وفتاواه كثيرة ضاع الكثير منها، حيث إنه كان يحرر الفتوى، ثم يناولها السائل دون أن تبقى لديه نسخة منها، هكذا كان دأبه رحمه الله، وفي أيام دراستنا عليه كنا نحرص على أخذ نسخ من فتاواه رحمه الله، وسنحاول جمع ما اطلعنا عليه منها في كتاب بعنوان: مجموع فتاوى العلامة محمد ابات إن شاء الله تعالى.

وكانت كتاباته في الأغلب نثرية، وله عدة أنظام منها نظمه لأحكام الوقف على كلمة: «كلا» في القرآن العظيم يقول في أوله:

في لفظ كلا اختلف النحاةُ — لستة وصحح الثقاتُ
لكونها للزجر والذكرُ وردْ — فيه ثلاث وثلاثون تعدْ
وقد حوى الجميع سفر مريما — والوقف فيها لثلاثٍ قسما
فخيرن في مريم والشعرا — وسبإ فهذه خمس ترى

وهو في هذا النظم اعتمد على تلخيص الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين لهذه المسألة.

وله نظم في اصطلاح فقهاء المالكية في قولهم القاضيان والأخوان والمحمدان ونحوذلك يقول فيه:

فالقاضيان عبد وهاب فعي — كذاك إسماعيل حبر لوذعي

وله بعض الشواهد الفقهية منها قوله:

رد يمين تهمة للمدَّعي — قد سوغوا من مودِعٍ لمودَع

وسمعت الوالد أحمد رحمه الله يقول إنه كان ذات يوم في مجلس هو والعلامة محمد ابات فتذاكرا فيه إعراض الناس عن العلم، فأنشد العلامة محمد ابات بيتا وقال إنه يريده أن يصحب له معه آخر فقال:

هو العِلْمُ إن يذهبْ فليس بئائبِ ... وعزَّ لهُ في الناسِ ذا الحينُ من طالبِ

فقال الوالد أحمد:

وتـلـك مصيبةٌ وحــقَّ لباكيها ... وليس يعابُ الدهرَ باكي المصائبِ

وكان العلامة محمد ابات رحمه الله قويا في القضاء أمام الأقوياء، لا تأخذه في الله لومة لائم، وله مواقف صارمة معروفة في هذا الميدان نشير إلى بعض منها في المبحث الآتي:

المبحث السادس
في أمثلة من صرامته وقوته في الحق

كان رحمه الله يتمتع بقوة وصرامة في الحق لا نظير لها، فكان يسجل أحكامه على الرءوس الكبار، وعلى أصحاب الرقاب الغليظة حتى تنحني أمام الحق، فله رحمه الله مواقف معروفة من هذا النوع، ونشير هنا إلى مثالين من ذلك:

المثال الأول:

ما وقع بينه وبين أحد شيوخ قبيلة كنتة – في منطقة الزويره – وهو إذ ذاك شاب في حياة عمه وشيخه العلامة محمد محمود، وكان هذا الرجل الكنتي مطاعا وجريئا والناس يخافون من بطشه، فدعا العلامة محمد ابات إلى بيته ذات يوم وبعد أن أكرمه وباسطه، طلب منه أن يكتب له كلاما ستقوله زوجته، وهي في جانب البيت، والتي بينه وبينها نزاع، قال: فلما تكلمت شعرت بأنها مكرهة على ما تقول، فحاولت أن أصرفه عما يريد، وأن أصلح بينهما، فألح علي أن أكتب ما سمعت، ورفع بذلك صوته، فقلت له: أما أنا فلن أكتب لك حرفا واحدا، ثم قمت عنه. فغضب جدا وبدأ في مضايقة رعاتنا في المنطقة، ثم بعد ذلك جئت بعمال لأحفر بئرا لسقي الحيوان فعلم بي، فجاء ومعه عماله وجاء بالذبائح وأقسم أنه سيتولى الأعمال كلها وأكرمنا إكراما جزيلا جزاه الله خيرا، وبدأت بيننا علاقات ممتازة بعد ذلك. ولله الحمد[1].

(١) سمعت هذه الحكاية منه رحمه الله تعالى.

المثال الثاني:

ما وقع بينه وبين الشيخ حدمين بن الشيخ محمد فاضل، وكان هذا الرجل يذكر كرامات تقع له ويخيف الناس بذلك، وكان سكان منطقة «جوك» يخافونه ولا يستطيع أحد أن يصطدم به أيا كان، وكان زميلا للعلامة محمد ابات، ويحترمه غاية الاحترام، ويأتيه دائما ويكرمه ويمازحه، ويقول له يابن عمي: فعلت مع فلان كذا وكذا ويحكي له بطولاته وكراماته الكثيرة، وكانا يتبادلان الزيارة.

وفي إحدى السنوات قال الشيخ حد امين هذا إنه استحق سبعين من الغنم على مولى لأهل احمد مزيد الجكنيين، وأرسل إلى السلطات في «كرو» فجاءه عسكريان من هناك، ثم أحضر المولى هذا، ثم أرسل إلى العلامة محمد ابات ليوثق له ما يطالب به ذلك المولى، فلما قدم العلامة محمد ابات ورأى المشهد، قال للعسكريين: «لو سمحتم أريد أن أسأل هذا المولى» فقالوا تفضل، فقال للمولى: أنت حر أم عبد؟ فأخبره بأنه لا يزال عبدا فقال: العلامة محمد ابات للشيخ حدمين: لا أستطيع أن أوثق لك ما تريد، قال: وكيف هذا؟ واشتد غضبه، قال هو ذاك لن أكتب لك حرفا واحدا في هذا الموضوع، ثم قام عنه، فنقلوا ذلك الخبر إلى السلطات وشنعوه، فلما كان من الغد جاءه وفد من مقاطعة «كرو» وقالوا:

جئناك اليوم من هذه المقاطعة التي لم تنم سلطاتها كلها البارحة، للخبر الذي بلغنا عنكم، فإن الدولة ألغت الرق وأنتم ما زلتم تحكمون به ! فتحدث معهم في الموضوع حتى أقنعهم بما أراد، فطلبوا منه الدعاء الصالح وذهبوا.

وقد اصطدم ثانية بالشيخ حدامين هذا في نزاع بينه وبين عني بن عني المسومي، حتى أخذ له منه حقه بعد شد وجذب شديدين، وحتى إنه أتى بوسائط لعلها تجعل العلامة محمد ابات يتنازل عن موقفه، فرفض ذلك

واستمر على ما أراد حتى أخذ للمسومي حقه كاملا على الوجه المطلوب شرعا. (1)

وكانت هذه العواصف لا تؤثر على العلاقة بين الرجلين وقد حضرت معهما مجلسا فقيل للشيخ حدمين - وكان له نزاع مع جيرانه ألا تأتي إلى القاضي محمد ابات، فالتفت إليه ممازحا وقال: لا، سأذهب إلى قاضي الحكومة، القاضي محمد ابات قضاؤه شديد، فضحك العلامة محمد ابات وقال: هذا صحيح.

ومواقفه الصارمة العادلة لا تحصى رحمه الله تعالى وأثابه على ما قدم.

وكا رحمه الله في جميع مناطق تكَانت يرجع إليه في المسائل العلمية والاجتماعية، فلما انتقل عنها إلى ولاية الاعصابه عظم ذلك على من بقي فيها من قبيلته ومعارفه فكانت تأتيه الرسائل من هناك كما سنرى في المبحث الآتي:

(1) هذه المواقف شهدناها معه رحمه الله.

المبحث السابع
في الرسائل التي كانت ترد عليه من أهل تكَانت أملا في رجوعه إليهم

لما كانت سنة: ١٤٠١ هجرية أصيبت ولاية تكَانت بجفاف رهيب مما أدى إلى نزوح الكثير من سكانها إلى ولاية لعصابة المجاورة لها، وخصوصا من كان يعتمد على الثروة الحيوانية، واستمر ذلك الجفاف عدة سنوات مما جعل الرجوع لها شبه مستحيل على مثل العلامة محمد أبات الذي كانت له ثروة حيوانية يحافظ عليها وينميها، ويسخرها للمحتاجين من محيطه وطلابه، وكان إذ ذاك قد نزل منطقة جوك، وفي هذه الفترة بدأت الرسائل تنثال عليه من أقاربه وأصدقائه الذين يتمنون رجوعه إليهم، لسده الثغرة التي بقيت مفتوحة بعد ذهابه عنهم، فمن هؤلاء السيد الأديب شيخ القبيلة ابن شيخها: محمد بن حميد حفظه الله فقد أرسل له رسالة تحمل أبياتا شعرية رائعة يقول فيها:

إلى الذكي سمي الجد مألكة ... تُبدي - وإن كان أدرى - أقوم السنن
ما ذا المقام بجوك بل بأبعد من ... جوك كأن الذي قد كان لم يكن
إقامة لم تكن يوما تبررها ... رأيا إذ تنافي مقتضى الزمن
إذن إلى من وكلتم أمر حيكمُ ... حلا وعقدا ودفعا عن حمى الوطن
فاذكروا روابط تلك النائبات بكم ... تذكرْ بذلك قول الحاذق الفطن
إن يغنيا عني المستوطنا عدن ... فإنني لست يوما عنهما بغني[1]

(١) هذا البيت المضمن لا يعرف قائله وهو من الشواهد التي تذكر في باب الإضافة عند قول بن مالك:

وكونها في الوصف كاف، إن وقع ... مثنى أو جمعًا سبيله اتبع.

انظر: شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٢ / ١٣٣).

فأجابه الوالد رحمه الله بأبيات يُطمئنه فيها بأنهم سيعودون إلى تكَانت يقول فيها:

أمــا وعــزتـكــم والمـنـهــج الحسن	وذكر دور مضت تشفي من الحزن
وزورة مــن أحــبــة عــلى فــرح	مـا بـين ذي فـكـرة وحــاذق فطن
لهـــذه دونـــكـــم تـلـبـيـة بهجت	في طيها رونــق أن ليس بالسكن
بــشراك سائس أمــر الناس قاطبة	فنحن في طوعكم صرفا مدى الزمن
لا تحسـبـن المـقــام هـكــذا أبــدا	إن المـقـام بعيد مـا سـوى الوطن
تلك المـنــازل لا أبـغـي بهـا بدلا	ولست عن أهلها وإن نـأوا بغني

ثم يراسلهم كذلك الشاعر الكبير صاحب الخط الجميل الشيخ ابن سيد عبدالله بقصائد متعددة في هذا الاتجاه يقول في بعضها:

أشهى سلام يحاكي الشهد ثم على	الخمر والـشـاي والمـدام والعسلا

إلى أن يقول:

إن الـتـغـرب لـلأعـيـان منقصة	ولم يلق في الــورى إلا لمـن سفلا

وكان ابن بنتهم الأديب البارع: محمد ابن المعزوز رحمه الله يجالس الوالد أحمد مجالس أدبية، ويلتمس منه الرد على هذه الأشعار من باب المفاكهة والترف الأدبي، ويكون ذلك أحيانا بحضور العلامة محمد ابات، وأحيانا بدونه، فمن هذه الأجوبة قوله أي الوالد أحمد رحمه الله تعالى:

فــإن أجــدادكــم أيـامـهــم سلفت	فـلا يحـط مقيمهم ومــن رحــلا
تـسـمـيـت ثــووا بهــا ودارهـــم	ما ضرهـم ذا ولا ألبسهم خجلا

إلى أن يقول مفاكهة وإنعاشا للمجلس:

والــرأي عندي رحيل القوم قاطبة	على جمـال تصيل الوخد والذملا
فنحن في ثـوب عيش باسق رغد	نرفل في دوحــه والـدهـر قد غفلا
تمـيـد نسوتنا في ميسها مرحا	وتلبس الــدر مــن بهائها الخجلا

ولم تكن هذه الردود ترسل إلى الشيخ رحمه الله تعلى تأدبا معه، وإنما كانت للاستهلاك المحلي، وكان العلامة محمد ابات إذا سمعهم ينشدون هذه الأشعار يبتسم ولا يقول شيئا رحمهم الله جميعا.

وكان العلامة محمد ابات رحمه الله - غالبا يذهب إلى منطقة تكَانت في موسم الكيطانه فيصلح بين الناس ويحل النزاعات، ويقسم التركات، ويتنقل من مكان إلى مكان، ويجد في ذلك مشقة فادحة ويقول: إن لهذه البلاد علينا حقوقا، ويلتقي في تلك الرحلات بوجهاء تكَانت ومسئوليها، وقد كانت له علاقات ممتازة بأمرائها ووجائها كما سيتضح لنا في المبحث الآتي وفي المبحث الذي يليه فنبدؤ بالحديث عن علاقاته بإمارة إدوعيش:

المبحث الثامن
في علاقته بأمراء إدوعيش

(علاقته بالأمير عبد الرحمن بن بكار وأبنائه)

عاش رحمه الله فترة من الزمن مع عدة أمراء وشيوخ، ومن أبرزهم الأمير عبد الرحمن بن بكار وأبناؤه، وقد كانت تربطه بهم علاقات وطيدة متوارثة عن الأجداد، وكان الأمير عبد الرحمن معجبا به سياسيا وعلميا ويجله غاية الإجلال، وكان رحمه الله جريئا على الأمير عبد الرحمن للعلاقة الوطيدة بينهما ونحن نشير هنا إلى مثالين من ذلك:

المثال الأول: لما أَخَذَت السلطاتُ العلامة أحمد بن عبد الودود ووضعته في السجن إثر الحادثة التي وقعت له، وهي أنه كان ذات يوم يصطاد ببندقية له، فانطلقت منها رصاصة بالخطإ فقتلت امرأة من حي كان ضيفا عندهم، فشعرت السلطات بذلك فأخذوه ووضعوه في غياهب السجن في «ألاك»، وكان هذا بعد الاستقلال بقليل، وفي فترة تجرم فيها السلطات على مجرد حمل السلاح فقط، وكان العلامة محمد ابات إذ ذاك في «المجرية»، فأرسل رسالة بالخبر إلى الأمير عبد الرحمن في جنوب تكَانت، فلما وصلته تحرك بسرعة إلى المجرية، وكان ينزل دائما عند أهل العابد الأسرة العلوية المعروفة، وفور وصوله جاءه العلامة محمد ابات، وقال له: تأخر عنك الخبر نسبيا لأني شغلت بتوفير بندقية تحمل ترخيصا لنسهل عليكم المسألة بعض الشيء، فقال الأمير عبد الرحمن: أنا لا أعرف الأمور السهلة إنما أعرف الصعاب فأقتحمها.

يقول العلامة محمد ابات فالتفت فإذاهم بدأوا يعملون الشاي، فقلت للأمير عبد الرحمن: أنا أظن أنك لم يأت بك هنا (آتري) - وهو محبة الشاي والاهتمام بشرابه - وأحمد بن عبد الودود منذو ليلتين وهو في السجن، فقال الأمير عبد الرحمن: «نعم هذا صحيح، يا فلان شغل السيارة، أنا ارحيلي ارحيل كلب» ثم انطلق في مهمته، فلما قدم على السلطات قالوا أتضمنه، قال لهم: هذا كلام معكوس، إن العلامة أحمد بن عبد الودود هو الذي يضمنني أنا، وفي آخر المطاف أطلقوه له وجاء به، وإلى ذلك يشير العلامة أحمد بن عبد الودود في رثائه للأمير عبد الرحمن حيث يقول:

فكم أسير عسير الفكِّ ذي بعد — وكم كسير مهيضٍ عظمه العار
يمناه فك بها ذاك الأسيروبالْ — يسرى غدا الكسر من ذا حلف إجبار

المثال الثاني: قال العلامة محمد ابات كنت يوما مع الأمير عبد الرحمن في مجلسه، فشعرنا بأن امرأة علوية من أحفاد العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم لديها شكوى من شخص في المنطقة قد ظلمها في أرض لها تحدُّه، قال فالتفتُّ إلى الأميرعبد الرحمن، وقلت له: هذه المرأة يجب أن تنصف من هذا الشخص، بل ينبغي أن تزاد على حقها، فأخذ ورقة وكتب فيها: إنه إلى فلان بن فلان: أقدم علي الآن لأنظر في وجهك. الكاتب عبد الرحمن بن بكار.

ثم ناولني الورقة فقرأتها وقلت له: نعم هذا جيد، فأرسلها إليه.

قلت وهذه الكلمة من عبد الرحمن وحدها تكفي، قال الشاعر:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني — ولا قرار على زأر من الأسد

وبالجملة فقد كانت علاقته به وبأبنائه ممتازة للغاية، وخصوصا الأمير عثمان رحمه الله، فقد كان يجله ويحترمه غاية الاحترام، وقد حضرت معه في مجلسه يوما وكان الأمير عثمان رجلا صريحا جدا، وكان في المجلس فقيه محترم،

ولعله قد استلف مالا من الأمير عثمان منذو مدة، فلما قام هذا الرجل من المجلس، قال الأمير عثمان: إن هذا السيد أخذ مني مالا على وجه السلف ولم يكلمني فيه منذو زمن، قم يا فلان قل له كذا وكذا، فقال له العلامة محمد ابات: لا تفعل، لا تزعجه بهذا مادمنا نحن معكم، فقال الأمير عثمان: اتركه، منعه منا الشيخ محمد ابات.

وكذلك الأمير محمد حفظه الله كانت علاقته به وطيدة وكان كل منهما معجبا بالآخر.

وكانت علاقته كذلك ممتازة مع شيوخ قبيلة كنتة كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

المبحث التاسع
في علاقته بشيوخ قبيلة كنتة

عاش رحمه الله معظم حياته في تكَانت، وكانت له علاقات وطيدة مع زعماء قبيلة كنتة، وهي علاقات متوارثة عن الأجداد، نبهنا عليها في أكثر من موضع من هذه التراجم المباركة، وقد عاش رحمه الله مع شيوخ أبناء سيد حيبلله وبالأخص زعيمهم المعروف: محمد بن أحمد بن سيد امحمد، الذي قال فيه الشاعر الكبير محمد الأمين بن ختار الجكني:

أما ولقا أسما على النأي والهجر ... وما هيجت أسماء من لوعة الصدر
وما صين في أثوابها من محاسن ... وما لاح من حسن الجمان على النحر
لأولى الذي يرجى لكل ملمة ... محمدٌ المحمود في الخير والشر

إلى أن يقول:

وأنت فتى كُنتَ المخاطب عنهم ... وأنت ذا فَخْرٍ ولا زلت ذا فخرِ
تسير إليك الناس من كل بلدة ... لأنك من بيت المكارم والبرِّ
هززناك بالشعر المجود حوكه ... ومن حل بالعلياء يهتز للشعر

وقد كان الزعيم محمد رحمه الله يولي تلك العلاقات اهتماما كبيرا، وحتى في الظروف الحالكة، ففي واقعة المريفق المعروفة بين (أهل ابات) وأسرة أهل باب احمد، لم يتنكر لعلاقته بالعلامة محمد ابات، فمن ذلك مثلا: لما وقف الناس في ذلك اليوم لوضع الحدود في وادي المريفق بإشراف الزعيم محمد هذا وعدد كبير من قادة كنته في يوم مشهود، فقال رجل من الحاضرين متزلفا للزعيم محمد: الحدود ههنا، فالتفت إليه العلامة محمد ابات وزجره قائلا:

«يحدر درجتك» أي (أنزل الله درجتك)، فقال الزعيم محمد: اسكتوا جميعا، فإن الشيخ محمد ابات الآن في لحظة غضب، فإلى الأمام حتى نقف على الحدود المعروفة عند الجميع.

وقد حضرته أي الزعيم محمد لما قدم علينا في «أم النوار» قبل وفاته بسنوات قليلة، وكان رجلا خيِّرا متواضعا مع ما هو فيه سمو المكانة والرفعة المعنوية، وقال: «جئت مسلما وزائرا» فرحمه الله تعالى.

وكانت علاقات العلامة محمد ابات كذلك وطيدة بجميع عشائر قبيلة كنتة، مثل أولاد البح فكانوا لايحلون مشكلة لهم إلا عنده.

وكذلك أهل الأزرك، فقد رأيته حل مشكلة كانت مستعصية بين أسرتين من قادتهم وهما: أسرة أهل الشيخ بن انَّ وأهل امحمد بن انَّ، فتوجه إليهم وأصلح الله بينهم بسببه، وقسم النخيل الذي كان يدور حوله النزاع وأصبح كل شيء على ما يرام، وكنت معه في تلك الرحلة فرأيت فيهم من تقديره وإجلاله ما تعجز عن وصفه الكلمات، فسبحان من بيده أزمة القلوب.

وكذلك فخذ الوافين بقيادة أبناء اجَّ وخصوصا سيد احمد، فإنه في إحدى السنوات لما قدم هو والوالد أحمد على واحة الرشيد تلقاهما بحفاوة بالغة وقد أشرنا إلى تلك الزيارة سابقا في ترجمة العلامة: محمد بن أحمد رحمه الله تعلى.

وقد رأيت سيد احمد بن اج هذا قدم على العلامة محمد ابات في أم النوار في حدود ١٤١٥ هجريه في شأن رجل كنتي ضربته سيارة لشخص جكني بالخطإ في منطقة الغائرة وتعقدت قضيته، فجلس معه لبعض الوقت، وأظنه وكله على أن يقوم عنه بحل المسألة مع الطرف الآخر، مما يشعر بعمق العلاقة الكائنة بين الرجلين، وقد حلت المشكلة على ما يرام، فكان العلامة محمد ابات همزة وصل بين الفريقين وذلك لعمق علاقته كذلك بقبيلة تجكانت والتي سنلقي عليها الضوء في المبحث الآتي:

المبحث العاشر
في علاقته بقبيلة تجكانت

وأماقبيلة تجكانت فكانت عنده في منزلة خاصة، فهي بالنسبة له شعار والناس دثار، كما قال النبي ﷺ عن الأنصار،[1] والشعار هو اللباس الذي يباشر الجسد، والدثار الذي يكون فوق ذلك، وهم كذلك يعتبرونه ابنا لهم ووالدا ومصلحا وقاضيا وشيخا، بل هو عندهم كل شيء،هذا عام في القبيلة كلها ولا سيما الفصائل التالية وهم:

أهل احمد بن عيسى (أخوال أبيه) وأشفقات، والرماظين، وأولادطالب، وأهل احمد مزيد، والزلامطة، ولكواليل، وأهل ايَّه، ولاسيما أسرة أهل مايابى العلمية المعروفة، ولهذا نجد أحد أبناء هذه الأسرة، وهو الزميل الدكتور أحمد سالم بن محمد الخضير حفظه الله يمدحه بقطعة شعرية رائعة يقول فيها:

ركوبا لنجب السير تخدي نهاره ... نزولا بزهو العلم تجني ثماره
بذاك محمد ابات يعفوا خياره ... ويختار في زهو المعارف داره
ألا فاغبطن في الناس من كان جاره ... ألا فاحسدن في الخلق من هو زاره
على جاره يحنوا ويخفيه عاره ... يداوم فيه النفع يحمي ضراره
لزائره يحلوا الحديث نهاره ... على هيبة نعم الوقار وقاره
ولا غرو فالنحرير إن مداره ... ولا بدعة - يحكي ويتلوا نجاره[2]

---

(١) الأنصار شعار والناس دثار جزء من حديث طويل متفق عليه. انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ٦٣٦).

(٢) النجار: الأصل.

تجمع فيه العلم أعني كباره ... بأشكاله الجلى فأحرى صغاره
وأعلن عن فعل الفخار ظهاره ... على أن منه السر يتلوا جهاره
وعن كل ما يزري يصون اعتباره ... بكامل حسن الوصف يبني افتخاره
لذاك محمد ابات ينمي نزاره ... كذلك نجل العلم يعلوا مناره

وهذه قطعة كما ترى رائعة بلا شك وقد التزم فيها صاحبها لزوم ما لا يلزم، وهو من المحسنات اللفظية التي تدل على اقتدار الشاعر، وعدم تعسفه.

وفي هذا الإطار نشير إلى قصيدة الأديب الكبير: حمادي بن الدمين، الرجل الأديب المليح، وقد كنت حاضرا لما زارنا وبيده هذه القصيدة وهي من الشعر الحساني، فقد قدم علينا أظنها سنة: ١٤١١هجرية بعد صلاة العصر ومعه الشيخ الفاضل التراد بن محمود الرمضاني، وكان ضيفا عنده ذلك الأسبوع، فدخلوا على الوالد رحمه الله وكان صديقا حميما لهما، فلما جلس بدأ يحكي القصيدة حكاية هادئة ويقول: هذا لم يسمع أحد أحسن منه إلا قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢] وكلّ ما حكى بيتا منها أمر أن تطلق من البندقية عدة طلقات، وجرت بينهما مداعبات ممتعة لبعض الوقت، ثم قال: قوموا بنا إلى العلامة محمد ابات، فلما دخلوا، ورحب به العلامة محمد ابات وجلس، نظر إلى ثوبه وأكمامه، وكان رجلا كبيرا حسن الهيئة فقال: «أنا لست عالما، ولكني مصبوب صبة عالم» فضحك العلامة محمد ابات، ثم إنه بدأ في حكاية القصيدة وكان يخللها بقوله: لاشيء أحسن من هذا إلا قول الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ:٢] وكلما حكى بيتا أطلقت طلقات من البندقية، وحضر الطلاب والشباب، وجاءت الصانعة المشهورة ارويقيه بنت الحاج، وقامت بجانب البيت تطلق الزغاريد، فتحرك الشيخ حمادي بشكل غير عادي، فكانت أمسية أدبية رائعة جدا، لكن تطبعها سكينة العلم ووقاره.

والقصيدة الشعبية المذكورة هي قوله:

فـلـحـقـيـق يَــــلِّ تخـتـيرْ يصـلـح لـك جمْـع الـزيـاراتْ
بـلـعَـجْـلَ غـافـس سـيرْ لهـل ابـات ازُورْ اهـل ابَّـاتْ
أخـير مْـن الـنـاس الخِـيـازْ أو نَّـامـسْ فَـرْحَ بـخـبَـارْ
بَـنْ اهْـلَ ابَّـاتْ امّ الـنَـوارْ نـزْلـوهَ وَصـلْ كـطْ اغـلاتْ
غَـيْر ازْداد اغـلاهَ بَـطْـوَارْ بَـاهـل ابَّـاتْ اقـطـابْ اقُـضَـاتْ
افْـتَـخْـرَتْ رَمـظـانْ الـكـبَّـارْ بهْـل ابَّـاتْ إلَـيْن الجَـاتْ
ابْـلـخـيـامْ أُبَـنَّـاتْ اديَـارْ عـادُ رمْـظـان افـمَـسرَّاتْ
مـن ذاكْ اشـديـد اهـذا سَـارْ هُـونْ اولادْ الـرَّمـظـانِـيَـاتْ
ولِّ بـبَّـات وامَّـاتْ واصـلـحْ لُ مـولان لـبَّـاتْ
مَـنْ هُـومَ ذُوك اهْـلَ ابَّـاتْ

فـلـحـقـيـق يَــــلِّ تخـتـيرْ يصـلـح لـك جمْـع الـزيـاراتْ
بـلـعَـجْـلَ غـافـس سـيرْ لهـل ابـات ازُورْ اهـل ابَّـاتْ
ازْوَاي بـسْـتَـزْوِ عجيـبْ واشْرافْ بـشَـرَف مـاهُ اكـذيـبْ
شَرَفْـهُـم مَّـا فـيـهْ اتـعَـاكـيـبْ مـصـحَّـحْ فـاكـتـوبْ الـرُّواتْ
وِدَوْرُوه الاَّ لـلـمجِـيـبْ مُـول المـلـك الـواحـدْ فَـالـذَّاتْ
مـا كَـبْـظُـوه ابْـذاك اتـنـيريـب لامْـر الـطَّـلْـبَ وَالهَـدِيَـاتْ
شرفْـهُـم مَّـا جـرْهُـمْ عَـيـبْ مَخَـلَّاهُـم شرفَ وسَـادَاتْ
فـلـحـقـيـق يَــــلِّ تخـتـيرْ يصـلـح لـك جمْـع الـزيـاراتْ
بـلـعَـجْـلَ غـافـس سـيرْ لهـل ابـات ازُورْ اهـل ابَّـاتْ

ولا شك أنها قصيدة رائعة جدا.

وأما قصيدة شيخنا الطالب محمد بن لبريكني رحمه الله الرائعة فستأتي في ترجمة الوالد أحمد رحمه الله، لمناسبة نذكرها هناك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فمظاهر العلاقة بين العلامة محمد ابات وبين أفراد هذه القبيلة بادية للعيان، وحكايات المودة والتقدير بينه وبين وجهائها وشيوخها أكثر من

أن تكتب أو تحصى، ونشير هنا إلى حكاية جرت له مع الرجل الصالح الفائض المعروف: (حمتي بن الشيخ) وهذا كعادته إذا أتى إلى أحد العلماء يطلب منه أن يكتب له رأيه فيه، وتأييده له، فكتب له العلامة محمد ابات أسطرا رائعة تحمل ثناء كبيرا على قبيلة تجكانت – وهي قبيلة تستحق ذلك – مستشهدا بشعر العلامة باب بن الشيخ سيدي الذي يقول فيه:

عيد الوفود لـدى الـلأواء جاكان   وليس ذك حديث العهد بل كانوا
وحيث يكون المجد كان معشرهم   ولـو يكون مكان المجد شوكان

ثم كتب له في آخرها: فعلى من جاءه منهم أن يعينه حسيا ومعنويا... فأعجب بهذه الكلمات وبهذه الكتابة إعجابا كبيرا، وكان يقرؤها في الأسواق والناس يشترون منه نسخها، فكان يبيع النسخة بألف وبخمسمائة، وذلك لاهتمامهم بذلك الثناء الصادر من مثل العلامة محمد ابات، وقد قيل: (إنما يعرف الفضل من الناس ذووه)، وقد كانت تربطه علاقات ودية بكثير من القبائل الأخرى كما سنرى في الفصل الآتي:

المبحث الحادي عشر
في علاقته ببعض القبائل الأخرى

ونشير في هذا المبحث إلى علاقاته المميزة ببعض القبائل الأخرى المحترمة كذلك، فمن هذه القبائل قبيلة (إديبسات) وخصوصا فصيلة أهل الإمام فقد تتلمذ على يديه الكثير من أبنائها،كما سترى في مبحث طلابه، كما تخرج الكثير من العلماء منهم معه من محظرة عمه العلامة محمد محمود، وقبل ذلك من محظرة العلامة محمد، ثم من محظرة والده العلامة أحمد بن أبات فالعلاقة كماترى ضاربة الجذور.

ومن هذه القبائل كذلك: قبيلة (إدوعلي) وخصوصا أسرة أهل البح وأهل العابد، وقبل ذلك أسرة أهل الزين، فإن العلامة سيدي عبدالله بن الزين تخرج معه من محظرة العلامة محمد محمود وهو صاحب القصيدة الرائعة في مدح أشياخه التي مطلعها:

ألا عد عن ذكرى أميم ودارها ... ودع عنك تيلك الهموم ودارها

إلى أن يقول:

ونكب إلى أهل الفضائل والنهى ... خيار أولاء الناس أبنا خيارها
فيمناكم في يمنها سبب لها ... ويسراكم أسبابها ليسارها
تعدكم ذخرا لها عن سواكمُ ... إذا هي يوما ألجئت لادخارها
متى تختبركم في العلوم تجدكمُ ... لذلكم أهلا أوان اختبارها

إلى أن يقول:

فلولا المدارس التي قد أقمتم ... لأمست دوارسا رسوم ديارها

ومن هذه القبائل كذلك قبيلة (مسومة) وخصوصا أهل المختار بن الحبيب فإن لمرابط الحاج بن فحف تلميذ لوالده العلامة محمد، وكان معجبا به، وكذلك أهل حمادي بن اعلي فإن العلامة أحمد فال بن أحمدن تلميذ للمرابط الحاج، وكذلك (أهل باب المصطف) فإن العلامة محمد احيد تلميذ للعلامة أحمد بن أبات، وأبوه العلامة: سيدي عبد الرحمن تلميذ للعلامة أبات كما تقدم في ترجمته في مبحث طلابه.

فالعلاقة إذا بين هذه الأسر العلمية ليست وليدة اللحظة بل هي علاقة وطيدة ورثها الأحفاد عن الأجداد.

ومن هذه القبائل كذلك قبيلة (تاكاط) فعلاقته بها أيضا وطيدة متوارثة عن الأجداد وخصوصا الشيوخ والعلماء أبناء الشيخ أحمد أبي المعالي، كالشيخ محمد المصطفى، فقد سمعته يقول إنه التقى به قديما، وأعجب بهديه، وكالشيخ عثمان والشيخ عبد الدايم حفظهما الله تعالى.

ومن هذه القبائل بل من أولها قبيلة (أولاد اعلي) فإن علاقته بها كانت من نوع خاص ولا نستطيع أن نخص في أسرهم فإنهم كانوا جميعا له في درجة – من المودة والصداقة والقرب – لا نستطيع أن نصفها، بل كانوا كذلك لسائر القبيلة فهذا شاعرهم وعالمهم: محمد مر بن الحابوس يقول:

ألا ياقضاة الناس في كل نازل ... إذا اعتاص فرق بين حق وباطل
هداة قديما بالعلوم وحادثا ... وأنزلتمُ بالنور أعلى المنازل

إل أن يقول:

بني الشيخ أبات المربي مريده ... وأبنائه الغر الكرام الأفاضل

ثم يقول:

صغيركم سنا على الشيب كلهم ... كبير بما يمليه وسط المحافل

ومن هذه القبائل بل من أولها أيضا (أولاد بلحي) فقد كان لهم شيخا وقاضيا ومفتيا ومصلحا، وهم كانوا له تلامذة أوفياء، وليست بينه وبينهم حواجز إطلاقا، وهذه العلاقة كذلك ضاربة في الجذور، ولما توفي رحمه الله وجاءو في العزاء قال قائلهم: إن العلامة محمد ابات رزؤه عظيم على كل الناس، لكن أولاد بلحي بعده أصبحوا أيتاما بما في الكلمة من معنى. إلى غير ذلك من الكلمات المعبرة عن عمق العلاقة بينه وبينهم، وهي عبارة قالها كل من يعرفه.

فقد كان رحمه الله محبوبا عند الجميع فقد وضع الله له القبول في الأرض وذلك إن شاء الله مصداق حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ» متفق عليه[1].

ولا شك أن ذلك القبول والمحبة الذين يجدهما العبد في قلوب الناس جميعا هو أولا: عطاء وفتح إلهي يمن به الله عز وجل على المقبولين عنده من عباده، وثانيا بسبب إقبال العبد على الله تعالى، وكثرة الأعمال الصالحة، والصدق فيها والإخلاص، وهو رحمه الله قد كان يحتل درجة عالية من كل ذلك كما سيتضح لنا في المبحث الآتي:

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (الحديث: ١٦٩٢).

المبحث الثاني عشر
في أخلاقه وهديه وعبادته

كان العلامة محمد ابات رحمه الله رجلا جادا، بعيدا من التصنع والرياء وكان يعجبه الأقوياء الجادون، ويكره الخاملين والدراويش، وكان معجبا بوالده العلامة محمد، وبعمه العلامة محمد محمود، وسمعته يقول: لقيت ذات يوم الرجل الفاضل: مجود بن مجود الجكني، وكان من حكماء الرجال وأنا إذ ذاك شاب، فقال لي إن آباءكم وأجدادكم كانوا رجال دنيا وآخرة ولم يكووا دراويش، وإنما سادوا بقوتهم وعطائهم ونشاطهم، فلم يسودوا بالعلم وحده، فالعلم في الناس كثير.

ثم قال لي: لا تكن ممن يحب الأرض لذاتها حتى ولو كانت قاحلة، واعلم أن المقام في المنطقة القاحلة يزري بالأسر المحترمة، ثم قال: وأعطيك مثالا:

تأتي ضيفا على الرجل الذي يملك أعدادا كبيرة من الحيوانات، وهو في أرض قاحلة فيريد أن يسقيك حليبا فلا يجده، ويريد أن يذبح لك ويكرمك فلا يستطيع، فيبيت أضيافه على غير قرى، وهذا أمر لا يليق، وأحرى بالفضلاء ومن يشار إليهم بالبنان، ثم تأتي لآخر وهو لا يملك إلا ثلة من الغنم قليلة، لكنه في أرض خصبة، فتجد الحليب كثيرا، وإذا أراد أن يذبح شاة وجدها سمينة، فيستطيع أن يكرم أضيافه دون عناء. وهكذا.

وكان رحمه الله يقول: سمعت الرجل الفاضل: المصطفى بن محمد عبد الرحمن الجكني – وكان من طلاب العلامة محمد وعاش مع العلامة محمد محمود – يقول: إن أشياخنا أهل احمد بن أبات لم نتعلم منهم من أمور الدين أكثر مما تعلمنا من أمور الدنيا، فعلمونا الدين والدنيا معا.

وكان رحمه الله يتمثل بالأشعار الجادة ويوظفها عمليا وسمعته يقول: كنت في إحدى السنوات وأنا شاب، أزمعت سفرا إلى الإبل وهي في أرض نائية من شمال البلاد، ومعي أحد الرعاة، وصليت الفجر مع الشيخ أبي الدين بن عبد الرحمن، فعرض علينا الفطور والشاي، فقلت له إننا متوجهون إلى أرض نائية ودونها مهامه وفيافي واسعة فنريد أن نتحرك مع الفجر لنقطع بعض المسافات قبل أن يشتد الحر، فاستحسن ذلك وتمثل بقول الشاعر:

أبكر بكور غراب في شبا نمر ... في باس ليث كمي في دها ثعل

ثم قال أي الشيخ أبو الدين: إن الإبل إذا توجهت بجِدٍّ إلى مكان ستأتيه بإذن الله تعالى يقول الشاعر:

البعد بعدان: بعدٌ لا دواء له ... وبعدٌ إن كنت ذا جدٍّ تداويه
بُعْدُ الحبيب إذا ما ازْوَرَّ جانبُه ... فما ترى أنه يدنيه يُنْئيه
وبعد من شطت عنك الديار به ... إن تعمل العيس في لقياه تاتيه

وكان العلامة محمد ابات رحمه الله تعجبه أبيات عامر بن الطفيل العامري ويتمثل بها أحيانا، وهي قوله:

فإنّي وإن كنت ابن سيّد عامر ... وفارسها المشهور في كلّ موكب
فما سوّدتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنّني أحمي حماها وأتّقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكبي(١)

وقد كان رحمه الله كسلفه رجل الدنيا والآخرة، فقد كان صاحب ثروة حيوانية يقوم عليها، وقد سخرها للضعفاء من محيطه، وطلابه، وكان رجلا متواضعا يذهب لقضاء حوائجه بنفسه وحوائج الناس، ويزور جيرانه ويجلس عندهم ويسأل عن أحوال الناس، وينبههم على الأخطاء إن رآها، ويسدد

(١) لباب الآداب للثعالبي (ص: ١٢٨).

ويقوم ما يرى من عوج، وكان يتمتع بفطنة وذكاء خارقين فلا يكاد يخفى عليه شيء في منطقة دخلها.

ومع هذا كله فقد كان صاحب عبادة يخضع لها، فكان يقوم كثيرا من الليل فيصلي بكثير من كتاب الله تعالى وكان كثير البكاء عند قراءته للقرآن، يعرف ذلك من لازمه.

وإذا أردنا أن نتعرف على عمله في اليوم والليلة تقريبا، فيمكننا أن نلخصه فيما يلي:

كان يستيقظ في الثلث الأخير من الليل ويقوم بالقرآن، وسواء كان مسافرا أو حاضرا، ثم يؤذن عند الفجر ثم يصلي بالناس، وكانت صلاته متوسطة ليست بالطويلة ولا بالسريعة ثم يبدؤ في الأذكار، ثم يجيب عن بعض الأسئلة إن سئل، ويستمر في ذلك بعض الوقت، ثم يذهب فيتحرك في شئون الحلائب، ويقول إن توفير الحليب لمحتاجيه في هذا الوقت أفضل عنده من جلسة الشروق، ثم يتناول الفطور والشاي فإذا انتهى من ذلك وأشرقت الشمس صلى الضحى، وبعد ذلك إما أن يشتغل بالخصوم إن جاءوه أو بالتدريس أو بقضاء حوائج الناس، وقد يتحرك إلى السوق لقضاء بعض مهماته التي تتعلق بأهل بيته، أو بحوائج بعض الجيران، ثم يعود ويجلس لمطالعة بعض الكتب أولتحرير بعض الفتاوى، وقد يزور في هذا الوقت بعض الجيران فيتفقد أحوالهم ويجلس معهم، ثم يعود فيتغدى وينام قليلا قبل الظهر، ثم يؤذن للظهر، وكان مراقبا على الأوقات لا يؤذن أحد في المسجد قبله غالبا، إلا إذا كان الرجل الفاضل القارئ: محمدو بن الطالب محمد، فإن هذا إن كان موجودا لا يسبقه أحد للأذان، ثم يصلى الظهر بالناس، ثم يعود إلى بيته، ثم يجلس للخصوم، أو لأصحاب الحاجات، ثم يصلي العصر ويجلس لتدريس الطلاب إلى الغروب فيصلي المغرب ثم يعود إلى بيته فيصلي فيه سنة المغرب

ثم يتحرك في أمور الحلائب وإصلاح شئونها فيأمر العمال بذلك ويشرف عليها بنفسه غالبا،ثم يتعشى، فإذا غاب الشفق أذن للعشاء وصلى تحية المسجد وجلس وقتا طويلا يحدث الناس ويفيدهم، ويجيب عن الأسئلة، وربما درس بعض الطلاب، ثم يسأل عن أحوال البلد، وترفع إليه المشاكل التي تحتاج إلى حل، ثم يصلي العشاء، ثم ينطلق إلى بيته، فيتهيأ للنوم، إن لم يكن معه ضيوف، وإلا جلس معهم قليلا، ثم يذهب فينام وهكذا.

وبالجملة فالرجل كان هديه هدي الصحابة من المحافظة على أمور الدين والدنيا جميعا، وهذا هو هدي النبي ﷺ. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

المبحث الثالث عشر
في طلابه

جلس العلامة محمد ابات لتدريس الطلاب مدة تقرب من نصف قرن من الزمن، فتخرج على يديه وانتفع الكثير من الناس من شتى القبائل، وحتى من خارج الوطن فقد رأينا في محظرته بعض الطلاب من ليبيا والجزائر، إلى غير ذلك. ونشير هنا إلى بعض من أسماء طلابه فحصرهم لا سبيل إليه فمنهم:

١. المصطفى بن أحمد فال (البوصادي)
٢. محمد عبد الرحمن بن الديه
٣. محمد محمود بن أهل الإمام
٤. محمد الأمين بن الطالب
٥. سعدن بن عبد الودود (أهل مولاي اعلي)
٦. محمد محمود (حود) بن عبد الودود
٧. سيداحمد بن احمدناه
٨. محمد ينج بن محمد يحي بن (بيب) (أولاد اعلي)
٩. أخوه عبد الباقي
١٠. محمد بن التار (البوصادي)
١١. عبدالله بن محمد محمود بن تقي
١٢. التراد بن محمود بن اعمر الجكني
١٣. الصح بن الطيب

١٤. أحمد بن محمد المامي
١٥. أحمدو بن عبدالله بن امود (أهل ابات)
١٦. أحمد بن العيل
١٧. محمد عبدالله بن حرمة
١٨. سيد بن أحمدو
١٩. محمداحمد بن إسلم
٢٠. محمد يسلم بن أحمدو
٢١. محمد عبدالله بن أحمد (كاتب هذه السطور)
٢٢. محمد بن أحمد
٢٣. محفوظ بن محمد احيد
٢٤. محمد محمود بن أحمد
٢٥. وابنه محي الدين بن محمد ابات
٢٦. محمداحمد بن عبد التار
٢٧. محمد عبدالله بن أحمدو
٢٨. محمد عبدالله بن الداد
٢٩. أبو صهيب الليبي
٣٠. فريد الجزائري
٣١. محمد يسلم بن محفوظ (أهل محمد خين)
٣٢. محمد عبدالله بن سيد بن عبدي
٣٣. أحمد بن الدين البوحسني

وغيرهم كثير.

المبحث الرابع عشر
في أبنائه

له من الأبناء أربعة وبنتان

فأما أبناؤه فهم:

محمد

ومحمد محمود

ومحمد الامين

وهؤلاء كلهم توفوا في حياته رحمهم الله.

ومحي الدين

وفاطمة

وتحيى

وأمهم كلهم عمتنا الفاضلة: عائشه بنت محمد محمود بن أحمد

حفظ الله الأحياء منهم ورحم الأموات.

المبحث الخامس عشر
في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

أصيب رحمه الله في السنوات الأخيرة من عمره بمرض الحرارة (ارتفاع الضغط) وأثر على أعضائه فكان يصعب عليه التحرك بنفسه، واستمر كذلك عدة سنوات، وأخيرا أصيب بحمى وإغماء، فنقل إلى العاصمة انواكشوط للعلاج، وفور وصوله إلى المستشفى توفي رحمه الله تعالى، وكان ذلك بعد صلاة المغرب ليلة الأحد بتاريخ: ٢٢ من محرم سنة: ١٤٣٣ وعمره إذ ذاك ٨٩ سنة تقريبا، وكان قد أوصى قديما أن أصلي عليه أنا أو الأخ محمد، وأن يدفن مع والده في مقبرة كَلب الملح في وسط تكَانت، فتوفي وأنا في دولة قطر، فصلى عليه الأخ محمد، لأنه في تلك الفترة كان في إجازة من عمله في دولة قطر، ونقل تلك الليلة ودفن بعد صلاة الصبح إلى جانب والده العلامة محمد بن أحمد بن أبات رحمهم الله جميعا، وقد كنت أرَّخْتُ وفاته في أبيات فقلت:

تـوفي الـشـيـخ محمـد ابـاتُ ... مـن لم تـلـدْ كـمثـلـه أُمَّـاتُ
في الـثـاني والـعـشريـن مـن محرم ... عام ثلاث وثـلاثين اعلم
مـن بـعـد ألـف ثـم أربـعـمائـه ... مـن هجرة الـذي هـدى كـلَّ فئهْ
في لـيـلـة الأحـد بـعـد المـغـربِ ... فـاجـعـةٌ كـبرى بـقـطـرِ المـغـرب
وفـاتـه كـانـت إذاً بالعاصمهْ ... أرجـوا لـنـا ولـه حسـن الخـاتمهْ
وتـم دفـنـه بـعـيـد الـصُّـبـحِ ... جـنـب أبـيـه عـنـد قـلـب المـلـحِ
عـاش ثـمانـين تـلـيـهـا تـاسـعـهْ ... عـلـيـه رحمـة الإلـه الـواسـعـهْ
أتحـفـه الله بـجـنـات الـنـعـيـمْ ... فـيـالـه مـن قـدوة ومـن زعـيـمْ

وفور وفاته جاءت الوفود من كل مكان للتعزية فيه، بما في ذلك وفد من

رئاسة الجمهورية في أيام الرئيس الحالي: محمد بن عبد العزيز، وقد رثاه الشعراء والأدباء بقصائد متعددة نذكر منها ثلاث قصائد:

الأولى: قصيدة الشاعر الكبير: محمد الحافظ بن احمدُّ التندغي وهي:

لعمرك ما الدنيا بدار مُقامِ ... ولو نلت في الدنيا أعز مَقامِ
ومهمى يطل عمر الفتى فمآله ... إلى هرم يفضي لفرط سقام
فما العيش إلا مثل أحلام نائم ... وقل غناء عنك طيف منام
ولو نال خلدا في الحياة مخلدٌ ... لكان رسول الله بين الأنام
ومن أعظم الرزء الذي يجلب الأسى ... رحيل حنيف قانت وهُمام
جدير بحل المشكلات إذا الْتوت ... بعيد مغاص في الفهوم إمامِ
محمد أبات الإمام رحيلُه ... على ملة الهادي كوقع حُسامِ
وموت الهداة الراسخين بعلمهم ... أجل رزايا في الحياة جسام
فما هو إلا عالم وابن عالمٍ ... ومن بيت علم في الورى متسام
نماه إلى أبات أكرم محتدٍ ... لآباء صدق في الفخار عظام
إذا جال في كتب الشريعة أشرقت ... خواطرُه من لؤلؤ بنظام
فأزلفت الفردوس نزلا لروحه ... وعلل في عدن بكأس مُدام
ونادمه الأبرار في روض جنة ... مع الشهدا الأطهار خير ندام
وطافت به الحور الحسان نواعما ... وحُيِيَ في فردوسه بسلام
وطافت بكاسات الشراب ولائدٌ ... وجنب تثريبا ووقع ملام
بما كان أيام السمائم صائما ... وأحيا الليالي في الشتا بقيام
وخاف مقام الله في كل شأنه ... وما هام بالتقوى أشد هيام
أيا أشرف الأشراف صبراً وسلوةً ... وإن هُدَّ ركنا يذبل وشَمامِ[1]

---

(١) يذبل وشمام: جبلان معروفان، قال مزاحم العقيلي:

تَظَلُّ نسورٌ من شَمامٍ عليهم ... عُكُوباً من العقبان عقبان يذبل.

وقوله عكوبا أي عكوفا، وهي لغة الخفجِّيين،انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: (١ / ٢٠٦) واللسان: (١/ ٦٢٦).

سقى قبرَه المعمورَ بالبر والتقى … من العفو وكافٌ بقدس غمام
وبورك في النجل الكريم ولم يزل … يُرَقَّى من العليا بكل مقام
بجاه رسول الله أكرم مرسل … عليه صلاة الله بعد سلام

والقصيد الثانية: للشاعر الكبير:

محمد محمود السالم بن شمس الدين الجكني

يقول فيها:

صبرا فإن الدهر غير مسالم … والمرء ليس من المنون بسالم
لاتحسَب الدهر الخؤون لأهله … في نومة فالدهر ليس بنائم
طورا يجيء بمايسروتارة … يرمي إلينا الضدضربة لازم
فلارزءإلا دون فقدمحمد … أبات ذي القدر المنيف العالم
من حازمادون النبوّة فارتقى … في الأفق فوق سماكه ونعائم
من كان يسقي الوافدين لعلمه … من بحر علم زاخر متلاطم
في الفقه مثل الشافعي ومالك … ولدى العطاء فلا يقاس بحاتم
والأشعري بعقده متمسك … يحمي حماه بكل أبيض صارم
وقدارتقى نحوالأصول مراقيا … فغدا يجدد كل نهج طاسم
وبسلم نال الوصول لمنطق … يحمي الحجا من كل غي قادم
بكت الخلاصة حسرة لمغيبه … وبكى البيان بوبل دمع ساجم
وجد الشريعة قدتهدم ركنها … فبنى لها البنيان فوق الدعائم
لن تلفه إن جئت غيرمعلم … أوقائم بتلاوة أو صائم
برٌ تقيٌ خاشعٌ متواضعٌ … لايختشي في الله لومة لائم
ولى المعارضُ بالخسارةحاملا … خفي حنين خاضعا لهزائم
حُلوُ الشمائل لايمل جليسه … منه الفكاهة دون أي مآثم
يكفيه فخرا أن أحمدجده … وبإرثه قد فاز دون مزاحم
لا عيب يذكرفيه إلاأنه … متميز بفضائل ومكارم
يارب فاجعله لديك منَعّما … يمسي ويصبح في نعيم دائم

الفصل الرابع

في ترجمة الوالد العلامة: أحمد بن محمد محمود وفيه أربعة عشر مبحثا

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في مكانته العلمية عند العامة والخاصة.

المبحث الرابع: في محبته للكتب واهتمامه بتحصيلها، وحزنه على ضياع بعضها

المبحث الخامس: في محظرته وعطائه العلمي.

المبحث السادس: في اشتهاره بمعرفة علم التاريخ.

المبحث السابع: في مؤلفاته.

المبحث الثامن: في علاقته بعلماءِ وأدباءِ عصره ومساجلته لبعضهم.

علاقته بالعلامة: الطالب محمد بن لبريكني الجكني (الرماظين).

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو العلامة أحمد بن محمد محمود بن أحمد بن أبات

وأمه المرأة الفاضلة: مريم بنت محمد عبدالله الملقب «ابَّيده» (بتفخيم الباء) الجكني، «أهل بلبات»[1].

ولد رحمه الله بموضع يسمى أقلنبيت في شمال تكَانت في حدود سنة: ١٣٤٨ هجرية، ونشأ في بيت والده، وربما كان يأخذه أخواله فترة، ونشأ مدللا لأنه الابن الوحيد عند أبويه، وله عدة أخوات، ونشأ ذكيا سريع الحفظ، فحفظ القرآن وهو صغير جدا، فقد كان يحفظ الكثير من السور بمجرد سماعها عند الطلاب، سمعته يقول إنه حفظ سورة البقرة بمجرد سماعها عند ابنة خالته: اخويرة بنت الطالب عبد الرحمن، التي كانت تكتب كل يوم درسا وتقرؤه وهو يسمع، ثم لما أتقن حفظ القرآن وقرأ المتون الصغيرة في الفقه والعقيدة والنحو أمره والده أن يكتب أشعار العرب ليحفظها فحفظ المعلقات وعدة دواوين، ولما كانت سنته التي بلغ فيها الحلم، جهزه أبوه لدراسة النحو عند سيبويه زمانه أحمد بن الداد رحمه الله كما سيتضح لنا ذلك في المبحث الآتي:

(١) تقدم التعريف بهم في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد في الفصل الأول من الطبقة الرابعة.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

لم يبلغ رحمه الله الحلم حتى حفظ القرآن ومبادئ العلوم من المتون الصغيرة التي تقرؤ في الفقه والعقيدة والنحو ثم حفظ بعض الدواوين الشعرية كما أسلفنا، كل ذلك كان في محظرة والده وبإشراف منه، وبعد ذلك جهزه للذهاب إلى العلامة سيبويه زمانه أحمد بن الداد، ليقرأ عليه النحو، قال فأرسلني الوالد وأرسل معي عبدا لنا بجمل أحمل عليه متاعي وبقرة حلوبا،اسمها: (الكرعه) بكاف معقودة، فأوصلني إليهم ثم عاد بالجمل، وبدأت في دراسة الألفية، وفي المحظرة عدد كبير من الطلاب، قال: وفي هذه الفترة بدأت أنظم الشعر في كل مناسبة، وأذكر أني لما كانت فترة الشتاء وكنا قرب موضع في تكَانت اسمه: فَوْ (بفتح الفاء وسكون الواو) كانت بقرتي أحيانا تبيت فيه، كما تفعل الحلائب إذا قل لبنها، فكنت أنظم في ذلك الشعر فأقول:

خليلي ما الذي يحبس القرعا	**بمورد فوٍّ لا تريد لنا رجعى**
فلا هي أودعته ابنا فيحبسها	**لديه إذا ولا هو ذا مرعا**

وفي هذه الفترة يقول نزلنا وادي المريفق ومكثنا فيه فترة طويلة، كنا نستظل فيها بشجرة ضخمة من الغضا، وبعد ذلك بزمن طويل مررت عليها فوجدتها قد أحرقت وجعلت فحما، فتذكرت عهد استظلالنا بها أيام الدراسة، فأنشأت أقول:

لدى عدوتي وادي المريفق ما بقي بعينيك من دمـع تصون ولا تقي
وفي ملتقى الأسـيـال ربـع عهدته سبيخة ذي الأراك جنب المريفق
ودار بالغضاة أعجب بذكرها نحوت بها نحوي بياني ومنطقي

وكان يقول: هي قطعة أكثر من هذا ولكنها ضاعت من حفظي.

ولما انتهى من دراسة النحو وعاد إلى أهله أرسله والده العلامة محمد محمود إلى الإبل ليقوم ببعض الإصلاحات فيها، قال: واقتضى الحال أن أذهب فيها مع الرعاة إلى أرض تيرس في أقصى الشمال وكانت في سنة خصبة للغاية، فكانت أرضا خلابة وساحرة، والتقيت فيها مع بعض زملائي فكانت فترة ذهبية لا توصف، ثم بعد ذلك عدت وقد ندمت على تلك الفترة التي ضاعت من عمري، فبدأت في دراسة المختصر باهتمام بالغ جدا في محظرة الوالد، حتى إني مكثت سنة كاملة لم أدخل خيمة أهلي وأنا في المحظرة التي بجنبها، فبدأت بدراسة المختصر من الباب، وهو النصف الثاني من المختصر كما هي العادة المتبعة في محظرتنا، حتى أكملته، ثم درست غيره من المتون كعلم البلاغة والمنطق وغير ذلك، ودرست علم العروض بعد ذلك على الشيخ: عبد الودود بن مولاي رشيد رحمه الله وكان متخصصا فيه.

وقد نال العلامة الوالد أحمد رحمه الله مكانة مرموقة عند العلماء وكذا عند العامة نشير إليها في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في مكانته العلمية
عند العامة والخاصة وثناء الأدباء عليه

احتل رحمه الله مكانة علمية عالية عند العلماء والوجهاء والأدباء، فنجد الفقهاء يثنون عليه، وعلى كتاباته الفقهية، فهذا العلامة أحمد فال بن يعقوب يقول في مسألة أفتى فيها الوالد رحمه الله:

الحمد لله وحده، اللهم صل وسلم على من لانبي بعده، وبعد: فإنما أفتى به، وحيد عصره وفريد دهره: أحمد بن محمد محمود بن أحمد – من عدم حنث من حلف لا يزني خوفا من الإثم، مستندا على فتوى مفت قال له إنه إن عقد على رشيدة وأمهرها دون إشهاد عند العقد وعند الدخول، فيكون نكاحه صحيحا، ففعل ذلك وبنى بها بلا إشهاد – صحيح عندي والله أعلم، ويؤيد فتواه، جعل الله الجنة مأوانا ومأواه، ما قاله ناظم نوازل سيد عبدالله:

ومن عن الوطء الحرام أقسما ثم بنى بعرسه على الدما
لم يحنث إن بحيضها لم يعلم لجهله بالسبب المحرم

إلى آخر كلامه...

---

(١) فتاوى العلامة سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم / جمع وتحقيق الشيخ محمد الامين بن محمد بيب ص: ١٧٣.

وهذا العلامة الأديب: محمد الامين بن أحمدُّ فال التندغي يثني عليه في أرجوزة رائعة فيقول:

لأحمد السميذع المفضَّلِ تحيةٌ في النشر كالقرنفلِ
أطيبُ من راح بماءِ العسلِ نسيبُها نسيج حوك الغزلِ
يصغي لها بمسمع ومُقَلِ من يدْرِ تركيبَ وإنشا الجُمَلِ
إلى بيوت الأكرمين الكُمَّل الحائزين فخرَ كلِّ محفلِ
لولاكم لم يُرَ فرقٌ ينجلي بينَ ضمير الفصل والمتَّصل
لا زلتمُ بالحفظ والتجمُّلِ تمشُون في رأد[1] الضحى والطفل[2]
والفخر شأوه بعيد المنزلِ وقد سبقتم في الرعيل الأول
المعتلين فوق كل معتلِ على السُّها وفوق نجم زحلِ
رسالة تضمنت في أملي نجاح ما يكون من مؤملي.

وهذا زميله الشاعر الأديب محمد سالم بن عبدي يخاطبه بقوله:

سلام كضوء الشمس حاوي المكارم إلى شمس هذا العصر أنف الأكارم
ومنبع كل المجد راع لجمعه إذا نام عنه الناس ليس بنائم
أخي أحمد ابنه ولا عجب إذا رعى المجد ندب من سلالة فاطم

(١) رأد الضحى: ارتفاعه، أي وسطه. وقيل انبساط الشمس وارتفاع النهار قال الشاعر:

وبلدة قالصة أمواؤها ماصحة رأد الضحا أفياؤها

انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني:(١ / ١١٢) واللسان: (٣/ ١٥٣٢).

(٢) الطَّفَلُ: آخر النهار إذا كانت الشمس قرب الغروب. القاموس: مادة «طفل».

وهذا الشاعر أحمدو بن حرمه يخاطبه بقوله:

مـنـي إلـيـك محـاطـا بالمحبات	أشهى السلام وأطيب التحيات
يا من حظيت اسم راية العلوم أيا	سـمـي جـدك أحمـد بـن أبـات
يا حائز الـشرف المحفوظ نسبته	جـدا لجـد إلى خـير الـبريـات
لنعم جـدك أحمـد جـدٌ مـن شرف	ونـعـم نـجـل محـمـد بـلـبـات
ونعم حي بـذات النور قد قطنوا	وأسـسـوا ثـم بيت الله لا الـلات
أيـا حمـاة وبـيـت العلم مـذ قدم	وفـاتحـين الـصـعـاب المـدلهـمات
والعاملين بـما أتـى الـرسـول به	والسالكي ما اصطفى من المحجات
فـالله أسـأل واثقـا لنا ولكم	مُـنـىً وأمـنـا وعيشا ذا مـسرات
وأن تـظـل بـحـولـه بحيرتكم	معنى وطعـما كـماء مُرجحنَّات
على الرسول صلاة الله ما صدحت	ورق ومـا هيجت شـوقـا بأنات

وهذا العلامة محمدو بن أحمد مود في رثائه لوالده العلامة محمد محمود رحمه الله يقول:

عـلى أنـنـا نـعـتـد أحمـد نجله	خليفته والأصـل يخلفه النجلُ

وهذا الأستاذ البارع سيد الامين بن هتار بن ابوه الجكني يقول في رثائه له:

بأحمد صرح الدين ذي العلم والتقى	ومن حاز بين الناس مرتبة عظمى

إلى أن يقول:

أأبكي كما تبكي المحاريب فقدكم	أأبـكـي كـما تبكي تـلامـذة جما
أأبكي كما تبكي الـنـوازل فقدكم	فقد أصبحت تشكوا لفقدكم اليتما
أأبكي بكاء النحو والصرف فقدكم	أأبكي كما تبكي المصادر والأسما

إلى أن يقول:

فمن بعدكم يرجى لحل عويصة ... ومن يرشد الأعمى ومن يصدر الحكما

ومن لغريب الدار من بعد فقدكم ... إذا حل ضيفا يطلب الجود والعلما

رفعتم لأم النور ذكرا بذكركم ... كما رفعت من قبل متبوعها نعما

وكان رحمه الله لفرط ذكائه يقرأ الكتاب فتجده قد حفظ من مادته كثيرا فيؤديها بلفظها كلما أراد، وكانت فوائده العلمية تتناثر في كل مكان جلس فيه، وكان رحمه الله محبا للكتب كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث الرابع
في محبته للكتب واهتمامه بتحصيلها، وحزنه على ضياع بعضها

كان رحمه الله تربطه علاقة حميمة بالكتب، وإذا حصل على كتاب لم يكن عنده فرح به فرحا شديدا.

وله يفاكه بعض أصدقائه في فترة الشباب في شأن نسخة من كتاب «زاد المسلم على ما اتفق عليه البخاري ومسلم» يود الحصول عليها فيقول:

إذا كان المنى بين الورى متفاوت — فمناك يا نفس زاد المسلم
ولقد كلفت به سنين عديدة — فعسى تجود به أنامل مسلم.

وسمعته يقول إنه كان يوما مع زميله: الشاعر الكبيرمحمد الامين بن ختار ورأى عنده كتاب مقصورة ابن حازم وهو نادر الوجود، وكان يضن به كثيرا، قال فمازحته بقولي:

سألتك بالإله رب المكارم — أعرني إذاً مقصورة الحبر حازم.

قال: فدفعه إلي رحمه الله.

وكان يدفع في الكتب الأثمان الباهضة، فلقد رأيت عنده كتاب فتح الودود للشيخ سيد المختار الكنتي على المقصور والممدود لابن مالك، وقد نسخه له أحد زملائه فأعطاه جملا.

وكان إذا ضاع عليه كتاب حزن عليه وتأسف أسفا بالغا، ففي إحدى

السنوات كان مسافرا في سيارة أجرة، ومعه أحد طلابه فأنزل الطالب الحقائب وبقيت حقيبة فيها كتاب تبصرة بن فرحون، وفي حواشيه كثير من النقول والفوائد التي كان يقيدها، والرسائل العلمية التي كان يؤلفها، فكانت مصيبة فادحة بالنسبة له، وظل يتأسف عليه زمنا طويلا، حتى إنه كان يدعوا الله عزوجل – في أبيات– أن يرده عليه فمن ذلك قوله:

أدعوك ربي باسمك المكنون ... رد لنا تبصرة الفرحون.

حزن بعض العلماء على الكتب:

قلت: وحزن العلماء على فراق كتبهم أمر معروف مشهور، يقول عبد العزيز بن عبد الرحيم:

أجلُّ مصائب الرجل العليم ... مصائبه بأسفار العلوم
إذا فُقدالكتاب فذاك خطب ... عظيم قد يجل عن العظيم
وكم قد مات من أسف عليها ... أناس في الحديث وفي القديم[1]

ويقول الشريف ابن طباطبا [2]

إذا فجع الدهر امرأ بخليله ... تسلّى ولا يسلو لفجع الدّفاتر[3]

وربما يصاب أحدهم بالحزن الفادح عليها حتى يكون ذلك سببا في ذهاب عقله، كما وقع للعلامة سراج الدين بن الملقن في آخر عمره لما احترقت كتبه، قال عنه تلميذه بن حجر العسقلاني: كان عنده من الكتب مالا يدخل تحت

---

(١) عشاق الكتب مصدر سابق ص: ١١٦.

(٢) طَبَاطَبَاهو: إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحَسَنِ بنِ الحسن بنِ عَليٍّ، لُقِّبَ به لأَنَّهُ كان يُبْدِلُ القافَ طاءً، أو لأنه أُعْطِيَ قَبَاءً فقال: طَبَاطَبَا يُريدُ قَبَاقَبَا. القاموس المحيط (ص: ١٠٩).

(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١ / ١٥٣).

حصر، ومؤلفاته وصلت إلى ثلاثمائة مؤلف، ثم إن مكتبته احترقت في آخر عمره فحزن عليها، وتغير عقله واختلط، فحجبه ولده إلى أن مات سنة ٨٠٤هـ.

فكان تلميذه بن حجر هذا يعزيه فيها بقوله:

لا يزعجنك يا سراج الدين إن — لعبت بكتبك ألسن النيران
لله قد قربتها فتقبلت — والنار مسرعة إلى القربان(١)

وكان الوالد رحمه الله يستعذب أبيات الأديب أبي الحسن الفالي المشهورة في تأسفه على نسخة من الجمهرة باعها لضيق حاله.

قال الصفدي: قَالَ التبريزي رَأَيْت نُسْخَة لكتاب الجمهرة لِابْنِ دُرَيْد بَاعهَا أَبُو الْحسن الفالي بِخَمْسَة دَنَانِير من القَاضِي أبي بكر بن بديل التبريزي وَحملهَا إِلَى تبريز وَنسخت أَنا مِنْهَا نُسْخَة فَوجدت فِي بعض المجلدات رقْعَة بِخَط الفالي فِيهَا:

أنست بهَا عشْرين عاما وبعتها — وقد طَال وجدي بعدها وحنيني
وَمَا كَانَ ظَنِّي أنني سأبيعها — وَلَو خلدتني فِي السجون ديوني
وَلَكِن لضعف وافتقار وصبية — صغَار عَلَيْهِم تستهل شئوني
فَقلت وَلم أملك سوابق عبْرَة — مقَالَة مشوي الْفُؤَاد حَزِين
وَقد تخرج الْحَاجَات يَا أم مَالك — كرائم من رب بِهن ضنين

فَأريت القَاضِي أَبَا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وَقَالَ لَو رَأَيْتهَا قبل هَذَا لرددتها عَلَيْهِ، وَكَانَ الفالي قد مَاتَ.

(١) الضوء اللامع للسخاوي (٦/ ١٠٥).

قَالَ ياقوت الحموي: وَالْبَيْت الْأَخير من هَذِه الأبيات تضمين قَالَه أَعْرَابِي فِيمَا ذكره الزبير بن بكار عَن يُوسُف بن عَيَّاش قَالَ ابْتَاعَ حَمْزَة بن عبدالله بن الزبير جملا من أَعْرَابِي بِخَمْسِينَ دِينَارا ثمَّ نقد ثمنه فَنظر الْأَعْرَابِي إِلَى الْجمل وَقَالَ:

وَقد تخرج الْحَاجَات يَا أم مَالك كرائم من رب بِهن ضنين

فَقَالَ حَمْزَة خُذ جملك وَالدَّنَانِير لَك فَانْصَرف بجمله وبالدنانير [1]

والحكايات في هذا المجال الشيق تطول، فلنرجع إلى موضوعنا فنقول:

إن العلامة أحمد رحمه الله كان محبا للكتب، وكان عطاؤه المعرفي مستمرا، وفوائده العلمية يبثها في كل مكان وزمان، وسنشير إلى شيء من ذلك في المبحث الآتي:

(١) الوافي بالوفيات (٢٠ / ٨٨).

المبحث الخامس
في محظرته وعطائه العلمي

كان العلامة أحمد رحمه الله صاحب محظرة ورثها عن أبيه فكان يدرس طلابه سائر العلوم، بدءا بالقرآن الكريم، وعلوم اللغة العربية من نحو وبلاغة وشعر وأدب، ثم علم الفقه والنوازل، ثم علم المنطق والتاريخ، وغير ذلك، وكان رحمه الله بارعا في طرق التدريس، فكان يقول لطلاب النحو الجدد: من درسته الأجرومية ولم يفهمها أعطيته كذا وكذا، فكان يدرس بأسلوب سهل في متناول الجميع، وانتفع بأسلوبه هذا خلق كثير، ممن درس في محاظر متعددة ولم يستفد فيها، وكانت له اليد الطولى في علم تزكية النفس، فكان إذا تحدث فيه أتى بالعجب العجاب، وجلس يوما في مجلس فيه الشيخ الكبير محمد الخضير بن الدمين وتحدث في هذا الميدان، فصرخ الرجل قائلا والله ما قرأت هذا، ولكنه فتح رباني، وما وطئ هذا المكان في عصرنا الذي نعيش فيه أحد.

وأما علم التاريخ فكان لا يبارى فيه كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث السادس
في اشتهاره بمعرفة علم التاريخ

كان رحمه الله مشهورا بمعرفة علم التاريخ ونعني به تاريخ القبائل الشنقيطية، كأنسابها وحروبها، وأشعارها، فكان يسرد الوقائع كلها بجزئياتها الدقيقة، ويعرف تضاريس القبائل الكبيرة، فيقول مثلا: هذه الأسرة الفلانية أصلها من كذا وهذه من كذا، وحتى إنه لا يبارى في معرفة أنساب النساء والخئولات المتفرعة في غابر الأزمان، فسبحان من أعطاه تلك الموهبة النادرة، وكان العلامة محمد ابات، إذا سمعه يخوض في أمور تاريخية غامضة، وتفاريع من الأنساب معقدة، يقول له سبحن الله كيف ضبطت هذا، فيقول له سألت عنه أهله المختصين فيه فأخبروني به فحفظته.

وسمعته يقول مكثت مع الشيخ الكبير: محمد الأمين بن سيد ابراهيم (ميمين) وهو شيخ عامة تجكانت - ثلاث ليال أسأله عن تاريخ تجكانت فلما رآني أعرف خبايا التاريخ كلها ناولني كتاب التاريخ الذي لا يسمح لأحد أن يراه ولا أن يكتب منه شيئا، فاطلعت عليه اطلاعا تاما.

ولا شك أنه كان على دراية تامة بتاريخ كثير من القبائل وخصوصا قبيلة تجكانت لاهتمامه بتاريخها، واعتزازه بخئولته منها الضاربة الجذور، فكان يسرد عددا كثيرا من الجدات من قبل أمه، ومن قبل أم أبيه، ومن قبل أم جده وهكذا، وقد كتب بعض ذلك في كتابه: مشكاة المهاد على مناقب الأجداد، الذي سنتحدث عنه ضمن الحديث عن مؤلفاته في المبحث الآتي:

المبحث السابع
في مؤلفاته

كتب رحمه في مواضيع مختلفة بالنظم والنثر فمن ذلك مثلا:

١. نظمه أسانيد الفقه المالكي الذي ذكره الحطاب في مقدمة كتابه مواهب الجليل على مختصر خليل يقول في أوله:

هـذا وقـد نظمت نـظـما رائـقـا ... مـرونـقـا مـوافـقـا مـطـابـقـا
سـلـسـلـة إلى الإمـــام مـالـكِ ... مسلكها مـن أحـسـن المسالك

٢. مشكاة المهاد في مناقب الأجداد، وهو كتاب يذكر فيه مناقب العلامة أبات وأخيه الطالب عبد الدايم وأبنائهما، وقد كتب فيه عن العلامة أبات، وعن ابنه الشيخ عبد الرحمن، وعن أحمد بن أبات ومحمد احمد بن الطلبه ومحمد محمود ابن أحمد، وكان ينوي الكتابة عن الباقين، وتوفي رحمه الله قبل أن يتم ذلك، وقد حفظنا منه كثيرا من مناقبهم، رحمهم الله جميعا.

٣. له عدة تقاريظ لبعض الكتب التي تعجبه وهي كالتالي:

أ – **تقريظه** لنظم جده العلامة أحمد بن أبات في العقيدة يقول فيه:

لقد أتـيـت بتأليف مـن العجب ... يحـور فيه الحجا للبارع الأرب
لمـا هممت بـه إذ غصت في لجج ... فجئت إذ ذاك بالياقوت والذهب
علم الـكـلام مهيب ليس يسبره ... إلا الذي غاص للأعماق في الكتب

أوضحت فيه معان جد رائعة	على سلاسة صوب ألسن العرب
لله يابحر ما كشفت من ظلم	من العلوم وما فرجت من كرب
جزاك مولاك ربي كل مرتبة	من حيث أولاك ماتحب من أرب
صلى الإله على الهادي وشيعته	محمد المصطفى من خيرة العرب

ب - **تقريظه** لكتاب عمه العلامة محمد بن أحمد في إباحة الشاي يقول فيه:

أراك نطقت بالكلم الفصيح	وقد أبرزت بالفهم الصحيح
مخدرة شفت ما من عليل	وذا ظمإ بمنطقها المليح
وقد برهنت يا بحر العلوم	لها بالآي والنص الصريح
جزاك جزاك مولاك الرحيـ	ـم بتوفيق وتنوير الضريح
سقى الرحمن قبرك صوب مزن	غزير السكب سحساح[1] دلوح[2]

ج- **تقريظه** لكتاب زميله العلامة محمدُّو بن أحمد مود في جواز تعدد المساجد في المدن والقرى، يقول في أوله:

غوامض أعيت كل شهم مجيد	لنا الحبر أبداها بفهم سديد
مطرَّزةً تزهوا بكل تبرجٍ	ولكن تبرجت بعقد فريد
محمدو نجل الحبر مود	حفيد النبي ياله من حفيد

(١) المطر السحْساح: الذي يَسُحُّ شديداً، ومنه قول امرئ القيس في معلقته:

فأضحى يَسُحُّ المَاء من كلّ فِيْقَة يَكُبُّ على الأذقان دَوحَ الكَنَهْبَلِ.

(٢) السحابة الدلوح: المثقلة بِالْمَاءِ.

(٣) ووصفه له بأنه حفيد النبي لأن أمه بنت محمد رار التنواجيوي.

د – **تقريظه** لكتاب العلامة عبدالله بن الشيخ الجكني في جواز قراءة الهمزة المسهلة بين بين بالهاء الخالصة كما هو الشائع في القطر الشنقيطي[1] يقول فيه:

شفيت بالحق قلبا كان قد مرضا … لما أبنت من العلوم ما غمضا
وما أتيت به في الهاء خالصة … هو الذي صح عمن في العصور مضى
رواية عن أجلاء جهابذة … والعلمَ راضوهُ مندوبا ومفترضًا
فرجتها ياسليل الشيخ معضلةً … من لم يسلم صحيحا جُرِّع الجَرَضا[2]

---

(١) قراءة الهمزة المسهلة هاء اشتهرت في قطر شنقيط، كما هو الحال في بلاد المغرب، ومن المعلوم أن الكلمة القرآنية يجب أن تتوفر فيها ثلاثة شروط وهي: موافقة خط المصحف ٢ وموافقتها للغة العربية ٣ وصحة إسنادها إلى النبي ﷺ، ولا شك أن الهاء يتوفر فيها الشرطان الأولان وأما الثالث وهو صحة الإسناد إلى النبي ﷺ فلا يوجد، وهذا موضع الإشكال، فالإسناد الموجود بها عند علماء الشناقطة لا يوجد له أثر في كتب القراءات المعتمدة التي بين أيديهم، لأن القراءة بالهاء إنما شاعت من أيام الامام عبد الرحمن بن القاضي مقتفيا فيها ابن حدادة رحمهم الله جميعا ثم جرى بها العرف وانتشرت في كثير من بلاد المغرب ووصلت إلى شنفيط ثم انتشرت في البلد عموما، ولا زال المحققون من العلماء يحذرون منها ويضعفونها.

(٢) الجَرَضُ والجَرِيضُ: غَصَصُ المَوْتِ. لسان العرب (٧/ ١٢٩).

المبحث الثامن
في علاقته بعلماء وأدباء عصره ومساجلته لبعضهم

لقد كان رحمه الله واسع العلاقات جدا، وكانت تربطه علاقات مميزة بعلماء وأدباء عصره، ونشير في هذا المبحث إلى نماذج من تلك العلاقات وما كان يجري فيها من أحاديث علمية وأدبية ممتعة فنبدأ بشيخنا العلامة الجليل الطالب محمد بن لبريكني الجكني:

علاقته بالعلامة: الطالب محمد بن لبريكني:

وكان هذا الرجل كما عرفناه من الأجلاء المتقنين للعلوم الشرعية كلها، وقد قرأت عليه سورة البقرة بالسَّلْكةِ، وبعضا من نظم الغزوات للبدوي، وهو من رجال الأسرة المحترمة ذات التاريخ المشرق، وهي أسرة أهل لبريكني، وهم أخوال الوالد أحمد رحمه الله، فجدته من الأم بنتهم، وكان يعتز بهم غاية الاعتزاز، - وهم أهل لذلك - وكان قديما إذا سافر إلى الإبل في الجنوب قدم عليهم ووصلهم، فلما نزلنا في بداية القرن الخامس عشر الهجري منطقة جوك التي يسكنونها جاءهم وجلس مع العلامة الطالب محمد، فلما استشعر بأنه أصبح قريبا منهم يستطيع أن يصلهم كلما أراد، تحركت ذاكرته فكتب بيتين، وذكرهما للعلامة الطالب محمد، وهما:

أقـول ومصباح المـودة ساطع ... وما تشتهيه النفس بالوصل واقع

إذا دبـرانُ الوجد كان يلفُّنا ... فهذا لنا سعد المسرة طالع.

فاستحسنهما العلامة الطالب محمد جدا، وفي اليوم التالي التقيا، فقال العلامة الطالب محمد للوالد أحمد: يابن أختي لقد حرَّكْتَنِي ببيتيك هذين، فقلت في نفسي: هذه الجماعة (جماعة أهل ابات) لا أعلم أحدا أحبَّ إلينا ولا أجلَّ في قلوبنا منهم، ولحسن حظنا نزلوا في منطقتنا، وأنا لا مال لدي، وهم لا يريدونه أصلا، إنما قراهم هو سلام يليق بمكانتهم السامية، ويعبر لهم عما نكنه لهم من التقدير والإكبار، وقد قلت هذه الأبيات، فأوصلها إليك وإليهم وهي:

سلام لذيذٌ مستطابٌ مهيأ ... يصانُ لكم في القلب دهرًا ويكلؤُ
يحاطُ بأسوارٍ من الودِّ حُصِّنتْ ... فلا خللٌ فيها ولا هو يطْرأُ
يعم جميع المُنتمين لحيكمْ ... على أنه أعْلى سلامٍ وأهْنأ
سلام به كلُّ الرجالِ متوجٌ ... وللنسوة الفُضلى نُضارٌ ولؤْلؤُ
سلامٌ على حيٍّ له المجدُ شيمةٌ ... وبالفضلِ بين العالمينَ مُهنَّأُ
تبوَّأ منْ أعْلى المكارمِ غرفةً ... كما كان آباءٌ له قد تَبوَّأُ
بنُو القطبِ أباتِ الأباةِ شعارُهمْ ... حديثُ الرَّسُولِ والكتابُ المُبَرَّأ[1]
بحورُ علومٍ عُوِّدَ الخلقُ وِردَها ... فواردُها في الناسِ لم يكُ يظمَأُ
لئن كنتُ قد أنسأتُ عنكم تحيتِي ... لفي الصدر وِدٌّ ثابتٌ ليس يُنسَأ
صلاة وتسليمٌ على القمر الذي ... به يختم الذكر الجميل ويُبْدَأ

وقد ذكرنا هذه القصيدة استطرادا في ترجمة العلامة أبات في الكلام عن أحفاده وما قيل فيهم من الثناء، وهذه القطعة كما ترى من عيون الشعر وروائعه، ولما وصلت إلى الجماعة في ورقة بخط العلامة الطالب محمد الجميل، وقرأها العلامة محمد ابات استحسنها جدا وجعل يرددها، ثم كتب في رأس الورقة: (إنشاءً وخطاًّ: الطالب محمد بن لبريكني).

---

(١) هذا البيت زاده أحد الطلاب للتعريف بالممدوحين، وهو ليس من أصل الأبيات.

واستحسنها كذلك النحوي الكبير محمد يسلم بن الداد، وسمعت الوالد أحمد رحمه الله يقول: قلت للعلامة الطالب محمد: رأيتك في هذه القصيدة الرائعة كتبت كلمة (الفُضلى) وشكلت الفاء فوضعت عليها الضَّمَّة، فلما رأيت ذلك شعرت بالفخر والاعتزاز بخال كهذا، لا سيما والقصيدة واردة على هذين العملاقين: محمد ابات ومحمد يسلم، طلاب سيبويه زمانه أحمد بن الدَّادَ، فقال العلامة: الطالب محمد، لقد قرأت النحو وما شعرت له بقيمة قبل اليوم، ثم قال: يالها من فتاة ربطت بيننا وبينكم، إني لأفخر بها وأعتز بها غاية الاعتزاز. وهو يعني بذلك جدة الوالد من قبل أهل لبريكني [1] فرحمهم الله جميعا.

علاقته بالعلامة: محمد بن بيدر بن الإمام الجكني:

كانت له علاقة وطيدة كذلك بهذا الرجل فإنه ممن تخرج على عمه العلامة محمد بن أحمد، كما قدمنا ذلك في ترجمته، وذكرنا أنه ممن رثاه، وهو كذلك صاحب القصيدة الرائعة التي يمدح بها أشياخه فيقول فيها:

نزلت بكم لله التمس العلما ... وألتمس الآداب والدين والحلما

إلى أن يقول:

فلا علم إلا من نفائس علمكم ... ولا مجد في الآفاق إلا لكم ينمى

وظلت العلاقة بين الوالد والعلامة محمد بن الإمام ممتازة وكان كل منهما يتمتع بذوق أدبي رفيع، فكانا ربما تبادلا التحية والسلام بأبيات جميلة تنم عن درجة عالية من المحبة والتقدير، فنجد العلامة ابن بيدر في إحدى

---

(١) وهي آمنة بنت السالم بن لبريكني، وهي جدة الوالد من أمه مباشرة فهي أم والدته مريم الملقبة «مَيّ» بتفخيم الميم بنت محمد عبدالله «ابيدَ».

السنوات يقوم بزيارة لأشياخه وينزل ضيفا عند الوالد ويسلم عليهم بأبيات يقول فيها:

على حي أشياخي كثير سلام   على كل شيخ كابر وغلام
ونسوتهم إني عليها مسلم   وقلَّ لأشياخي كثير سلامي
همُ ورثوا همدان في كل رتبة   وهمدان عندي وصفها بتمام
لهمدان أخلاق ونور يزينها   وبشر إذ لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة   لقلت لأشياخي ادخلوا بسلام

فيرد عليه الوالد بأبيات يقول فيها:

إلى السيد الحبر المجيد الهمام   إمام جميع العصر وابن الإمام
بذا اليوم أسقي الروح كاس مدام   وأحيي بقرب الخل ميت عظام

وفي تلك الزيارة أو زيارة أخرى أنشد العلامة ابن بيدر أبياتا يقول فيها:

إن العهود التي بيني وبينكمُ   ما زلت أذكرها عنكم وأبتسم
كتبتموها قديم الدهر في كبدي   فخَطَّها بعدكم في أعظمي قلمُ

فيأمر الوالد رحمه الله ابن أخته الشاب البارع المرحوم: محمد يحي بن الداد أن يرد عليه، فيقول:

جاء المجيد لزورة لها الهممُ   تجود شعرا عزيزا ما له قدم
هو الإمام ابنه شمس قبيلته   محمد العيلم السميذع العلم
فالود منا قديما دائم لكم   وإن مجدكمُ تليده الكرمُ
وإن تذاكرت الأقوام محتدها   تقاصرت أبداعن مجدكم الامم
أنتم بنو جكن قوم عيالة   تبدوا مئاثرهم بين الورى علم

وسمعت الوالد يقول: قلت للعلامة محمد بن بيدر: لم تذهبُ إلى أهل ابات لطلب العلم وأبوك العلامة بيدر إمام جليل ومحظرته تدرس فيها كل العلوم؟ فقال: كانت محظرة أهل ابات تحتل شهرة لا نظير لها، وكنت إذا لقيت من درس فيها أجد عنده من الإتقان والبراعة ما لا أجده عندنا في الجنوب، فقررت الذهاب إليها، وقد وجدتها فعلا كذلك بل وفوق ما كنت أحسب، فرحمهم الله جميعا رحمة واسعة.

علاقتـه بالعلامـة: أحمـد الاميـن (أبـي الديـن) بن عبدالرحمن الجكني:

كانت للوالد: أحمد رحمه الله علاقات وطيدة كذلك بالعلامة الأديب أحمد الامين أبي الدين بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ الجكني الرمضاني نشأ في منطقة الكبلة ودرس فيها على العلامة يحظيه بن عبد الودود وكان من خيرة طلابه، ثم جرت في حيه بعض المشاكل أدت إلى مضايقته، فقرر الهجرة إلى منطقة تكَانت ونزل في مكان يسمى (انواشيد) في شمال تكَانت، وأنشأ محظرة كانت تعج بالطلاب، وكان رحمه الله متخصصا في علوم العربية والأدب، وكان يجيد الشعر بالحسانية وبالفصحى، وكان الوالد رحمه الله إذا تقاربت منازلهم زاره وجالسه، وسمعته يقول إنه في إحدى زياراته له سلم عليه بأبيات ضاعت من حفظ الوالد غير ما يلي:

....   أبـا الـديـن سائسا مقيم عـماده

إلى أن يقول:

فــإني وربــــاتِ الحـجـال وعـــزِّه   مقيم عـلى صميم حفظ وداده

فاستحسنها العلامة أبوالدين، وجعل يكرر قوله: مقيم عماده ثم يقول: إن لضمير الاستخدام عند أهل الأدب لشأنا كبيرا(١).

وقد توفي العلامة أبو الدين رحمه الله سنة ١٤٠٢ هجرية.

علاقته بالعلامة محمد سالم بن عبد الودود (عدود) .

في إحدى السنوات في بداية القرن الخامس عشر الهجري كانت لديه مهمة عند أحد القضاة، وقد أزعجته كثيرا لتعنت ذلك القاضي - سامحه الله - وخروجه بالقضية إلى تصفية حسابات، وأشياء من ذلك القبيل، وكان العلامة محمدسالم آنذك هو قاضي القضاة، فأرسل له الوالد رسالة بالموضوع، وفي آخرها أبيات يقول فيها:

إلى إمــام الـــورى أعــز مـوجـود ... قـاضي القضاة سليل الحبر عدود
هـــذا نـزيـلـكـم شـط المـــزار به ... نبى المـكـان بـه يـا خـير موعود
فـقـد شـهـدت بـالمـجـد سيرتكم ... والعدل يشهد يوم شاهد ومشهود

... إلى آخرها.

فلما قرأ الرسالة خرج مسرعا وبيده الورقة، وأدخل الوالد معه واحتفى به، وكان ذلك بداية علاقة بين الرجلين رحمهما الله تعالى.

---

(١) ضمير الاستخدام عند علماء البديع هو: إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم تعيد عليه ضميرًا تريد به المعنى الآخر كقول الشاعر:

(فَسقَى ٱلغَضَا والساكِنِيهِ وَإِن هُمُ ... شبُّوهُ بينَ جوانِحي وضلوعي.

فالغضى اسم لواد بالجزيرة العربية، وهو المراد بالاسم الظاهر، وهو اسم أيضا لشجر معروف ونارحطبه قوية وهو المراد في ضمير: (شبوه) أي أوقدوه. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢ / ٢٦٩) و خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (١ / ١١٩) وفي بيت الوالد رحمه الله، أراد بقوله: أبا الدين: اسم الشيخ، وبقوله مقيم عماده: أي مقيم عماد الدين الإسلامي.

علاقته بالشاعر الكبير: محمد الامين بن ختار الجكني: [1]

وكانت له علاقات وطيدة كذلك بالشاعر والأديب الكبير محمد الامين بن ختار، وهو من أخوال الوالد رحمه الله وكانت بينهما علاقات ودية من نوع خاص، وكان يزور الوالد ويجلس معه عدة أيام، وسمعت الوالد يقول كان معنا فترة في إحدى زياراته لنا فذهبت أنا وهو يوما في زيارة مقبرة «أغلنبيت» فلما كنا في الطريق رآني لا أتكلم – وكان يتمتع بفطنة وذكاء خارقين – قال لي إذا كنت قلت بيتا فقله لأصحب لك معه آخر، فقلت:

أزور أضرحة الأقطاب الاسياد حماةِ دين النبي المصطفى الهادي

فقال في نفس الوقت:

بجاهه وبهم أرجوا المنى فلكم نال المنى بهم من مر بالوادي

وكانت بينهما علاقات متجذرة جدا لأسباب متعددة وكانا متحابين جدا، ولما توفي ابن ختار سنة ١٤٠٣ هجرية رثاه الوالد بقطعة جيدة سنذكرها في مبحث مراثيه لبعض زملائه. رحمهم الله جميعا.

وللوالد أيضا بيتان قالهما في إحدى زياراته لمقبرة أغلنبيت وهما:

توسلت ضارعا بكم ملجأ الحاجي هداة الورى سنى كل منهاج
فأنتم مصابيح إذا أظلم الورى تشب لكل مدلج ليله داج

---

(١) هو الشاعر والأديب الكبير محمد الامين بن ختار الجكني الأشفغي (أهل بلبات) أخذ العلم عن مشايخ منهم القارئ واللغوي سيد المختار بن عبد المالك الجكني والعلامة أحمد بن الداد ويعتبر من الشخصيات النادرة لما يتمتع به من القوة والبراعة، وكان شاعرا قويا مهابا، وقد وصفه الوالد رحمه في رثائه له بأوصاف كبيرة وهو يستحقها، ولم أطلع على كتابة تخصه وتكشف عن تاريخه وأهمية دوره لقبيلته، وإنه لجدير بذلك. توفي رحمه الله سنة ١٤٠٣ هـ.

علاقته بالشيخ:أحمد بن بادي (أهل الشيخ بن امني) [١]

كانت للوالد رحمه الله كذلك علاقة ممتازة بالشيخ أحمد بن بادي، رحمه الله تعالى، بل بقبيلة أهل الشيخ ابن امني كلهم، ولهذا نجده يرسل لهم تحية في أبيات يقول فيها:

إلى ساداتنا أهل الكمال ... وأهل الذوق في نور الجلال
سلام رائق الأرواق تسقى ... به أرواحنا عذب الزلال

فرد عليه الشيخ أحمد بن بادي وكان في تلك الفترة قد بلغ من الكبر عتيا بأبيات يقول فيها:

عاق القضاء وعاق الضعف والكبرُ ... عن وصلكم والحجا تعتاده العبرُ
يردد الفكر في تصريف خالقه ... في خلقه والذي يجري به القدر
يبكي زمانا به قد كان يألفكم ... والحال صاف وليل الوصل مزدهر
والفقه والنحو بل والعلم أجمعُه ... في حيكم دائم التدريس منتشر

إلى أن يقول:

إني بحق الذي أولاكم شرفا ... أرجو نوالا به يقضى لنا الوطر
وأن يصلي ماغنى الحمام على ... من فضله شرفت من أجله مضر

علاقته بابن عمه الرجل الفاضل الأديب: الشيخ بن محمد عبد القادر:

كان الشيخ رحمه الله رجلا فاضلا وأديبا كبيرا فكان يجيد الشعر الفصيح، واالشعبي، وكانت تربطه بالوالد أحمد علاقة وثيقة وصداقة عميقة، وتزداد تلك

(١) قبيلة أهل الشيخ ابن امني: هم أبناء القطب الكبير الشيخ سيد محمد ابن امني، الذي اشتهر بالكرامات والفضائل، واشتهر بذلك أبناؤه وأحفاده، وكثر مديحهم على ألسنة العلماء والفضلاء، فمن ذلك قول محمذ فال بن بي الجكني في قصيدته الرائعة:

فدع ما مضى وانشر مآثر سادة ... لهم في مقامات الكمال صعودُ
على طارف المجد احتووا وتليده ... وما المجد إلا طارف وتليد

العلاقة إذا علمنا أن الشيخ هذا من أحفاد العلامة: الشيخ عبد الرحمن بن أبات وسميه، والشيخ عبد الرحمن هو شيخ العلامة أحمد بن أبات كما قدمنا ذلك في ترجمة كل منهما، وسيشير الوالد رحمه إلى ذلك في الأبيات الآتية، وفي إحدى السنوات وبعد نزولنا لقرية أم النوار أرسل الوالد رسالة إلى زميله الفاضل الشيخ هذا يدعوه فيها للتقري معهم، وذلك لعمق العلاقة بينهما، وفي الرسالة هذه الأبيات:

إلى الندب الأديب بن الأديب ... سمي العارف القطب النجيب
سمي الشيخ قطب رحى المعالي ... ومصباح الهدى عجب العجيب
تحية واله أشهى لديه ... من الغزل المهذب والنسيب
ومن لقيا خليل بعد صد ... وأشهى من محاضرة اللبيب
فموجبه جعلت أنا وأنتم ... إذاً في المنزل الرحب الخصيب
على أن الجماعة من قديم ... تلاميذ لوالدك الأريب
فلسنا نسلموكم جار حي ... سوانا في البعيد ولا القريب
صلاة الله يتبعها سلام ... على خير الورى الهادي الحبيب

فأجابه زميله الفاضل الأديب الشيخ بن محمد عبد القادر بقوله:

إلى الحبر النجيب بن النجيب ... سمي القطب ذي العطن الرحيب
سليل سراتنا والناس طُرًّا ... ونجم الأفق في النسب النسيب
سلام لا يماثله سلام ... ويكسوا الأرض بالطيب الرطيب
فإن كنا أصول الفضل أنتم ... لنا قلم الهدى ويد الطبيب
ومفتاح النوائب والمعالي ... وتقويم المعاوج في الصليب
وإنقاذ الضعيف إذا تردى ... وإنعاش السقيم من المصيب
وبعد فلا جواب لدي إلا ... بتلبية النداء مع الرقيب
وعفوا ثم عذرا في القريض ... وأحوال الموازن والنسيب
فإني لو رزقت علوم هذا ... فما ينجوا النسيج من المعيب
صلاة الله يتبعها سلام ... على المبعوث بالدين العجيب

المبحث التاسع
في نماذج من شعره في مناسبات مختلفة

كان رحمه الله يقول الشعر ويجيده ولكنه لم يكن يهتم بنظم القصائد الطويلة، وإنما كان يكتب بعض الأبيات الجيدة في بعض المناسبات، وقد قدمنا في المبحث السابق بعضا من ذلك، ونشير في هذا المبحث إلى بعض من أشعاره في مناسبات مختلفة غير ما تقدم، فمن ذلك:

شعره في النسيب:

يقول رحمه الله أنه لما مر بمنازلهم التي كانوا ينزلون فيها في شمال تكَانت، ومن بين هذه المواضع «أكدرنيت» بكاف معقودة، «وتندمك» وقد تغيرت أعلامها وطال عهده بها، قال فلما وقفت فيها وقد أقفرت بعدنا فلم أسمع فيها إلا سجع الحمام وأصوات الرياح جاش صدري فأنشأت أقول:

فما ذا عليك أيها القلب لو تبكي ... على الأربع اللائي عرفت بـ«تَنَدَمْكِ»
وأخرى بـ«أكْدَرْنيت» أقوت رسومها ... فلم يبق فيها غير ساجعة تبكي
ودور لدى الرشيد طالت عهودها ... فسبحان خالق الورى مالك الملك

ومن شعره في النسيب أيضا أبياته في ذكر وادي المريفق التي يقول فيها:

لدى عدوتي وادي المريفق ما بقي ... بعينيك من دمع تصون ولا تقي
وفي ملتقى الأسيال ربع عهدته ... سبيخة ذي الأراك جنب المريفق
ودار بالغضاة أعجب بذكرها ... نحوت بها نحوي بياني ومنطقي.

وقد قد ذكرناها من قبل في مبحث دراسته رحمه الله تعالى.

شعره في الاستسقاء:

يقول رحمه الله في استسقائه في جفاف سنة: ١٩٧٣ للميلاد:

سقى الله ربُّ العرش معمور ذا القطر بغيث مغيث ممرع دائم القطر
يعم بلاد الله شرقا ومغربا جميعا وكل مربع دارس قفر
فتصبح الأرض ذات خصب كأنها قلائد مرجان يفصل بالدُّرِّ
وصل على المختار ما ذر شارق وما هطلت مزن على مربع قفر

وله في الاستسقاء أيضا وأظنها سنة ١٣٩٩ هجرية:

أدعوك أدعوك حقا باسمك الهادي ارحم سريعا إلهي أمة الهادي
بواكف مسبل بعاع ريقه يلقيه سبتا على النخيل والوادي

شعره في الرثاء:

كان رحمه الله ربما رثا بعض زملائه من العلماء والأدباء ونشير هنا إلى نموذجين من ذلك:

النوذج الأول: رثاؤه للعلامة الجليل الطالب محمد بن لبريكني الذي يقول فيه:

أصاب الورى خطب عظيم فأوجعا وحيث بهم حل ادلهم فأصرعا
فقيد بأحشاء البسيطة مسهد ألمَّ بزلزال فأذهل أفظعا
فأعظم به من نكبة دهت الورى فعمته منزعا وخصته موقعا
لفقدان علام أديب مهذب تبدر فوق كل قطر مشرعا
هو الطالب الذكي سمي محمد خليفته من أظهر الدين أجمعا

فكم جاهل قد تاه ثم اهتدى به ... وكم من بليد جاءه فتضلعا
فنارت به بلاده وتأطرت ... وفاحت شذى كأنه الغيث أمرعا
إذا ازورَّ أهلُ العلم عن صوب قصدهم ... تراه بميثاءِ الشريعة أجرعا
إذا الترب واراه في القبور ملحدا ... بذا أصبح الدين الحنيف مزعزعا
إلهي اسقه تفضلا عذب كوثر ... لكي يشرب الرحيق والكأس مترعا

النموذج الثاني:

مرثيته للأديب الكبير محمد الامين بن ختار والتي يقول فيها:

لئن غاب بدر الدهر والعارف القطب ... خطيب الزمان البَحْرُ والقادة الندب
مجن قبيله مهز رعيله ... هزبر ترى الكمي من زيره يحب
يهاب الرجال لو دريت نضاله ... وخرسا حواليه كأن نابهم رعب
على أنه شمس الضحى يوم صحوها ... وملجأ قومنا إذا الحادث الصعب
إذا كان دهر حاملا رزء غيره ... فهذا الزمان اليوم عن رزئه يكبوا
تعزوا فإن الدهر عادة أمره ... يدور كذاك السيف عادته ينبوا
فأنتم هداة الناس في كل بلدة ... ولا سيما إن كان قد عظم الخطب
إذا مات سرب من دهاتكم إذا ... تخلفه من الدهاة لكم سرب
أرى العلم حيث كان نسبته لكم ... كذلك أبطال إذا فجأ الحرب
فحاسدكم لا زال مخجول حيلة ... ومكبوت هيئة ونيرانه تخب
وبارِكْ لنا في الداه لابن خليفة ... فيصبح خاضعا له الشرق والغرب
فلله رب العرش جل اختراعه ... تبارك ربنا ونحن لنا الكسب

شعره في الاعتزاز بأسرته:

ويقول رحمه الله في الاعتزاز بأسرته ردا على رجل تساءل عنه في موقف معين قائلا: ممن هذا الرجل؟ فقال رحمه الله:

إن لنا سلفا من بعده خلف ... أجلة علما نسبتهم شرف
تصدر الناس كلا من محاظرهم ... إذهم على سنة الرسول قد عكفوا
ألاك أبناء أبات قلاقمة ... قد شيدت لهمُ من مجدهم غرف
هذا وما كان شأني ذا ولا حسبي ... ولا أباهي به وما هو الهدف
لكن دعتني دواع ألجأت صدرت ... ممن تخمر في قلوبهم دنف
ولاأفاكه من في طبعه مضض ... ولا أنادم من في عقله سخف.

وفي هذا الإطار نورد أبياتا له أرسلها إلى أبناء عمه النزاريين الموجودين في منطقة آكويليل، وقد كانوا يعانون من بعض المضايقات من جيرانهم، محاولة لإدخالهم فيما لاينبغي لهم الدخول فيه، فأرسل إليهم هذه الأبيات عن طريق ابنهم البار الأخ والإطار الفاضل: أملين فال رحمه الله تعالى والأبيات هي:

حي الأبيتير أهله ومن نزلا ... والمنتمين لهم والسالكي السبلا
بني نزار لكم مجد يخصكم ... لأنكم سادة وقادة فضلا
لا تدخلوا في اندراج غيركم أبدا ... فأنتم الأصل أما الغير قد أفلا
هذا وما قلته في السر مكتتما ... يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا
إذ جدكم سيد الكونين من مضر ... قد خصه بالعلى مولاكم فعلا
عليه أزكى صلاة الله ما طلعت ... شمس وما كوكب من ضوئها خجلا

شعره في الإشادة بقبيلة تجكانت وما كان يكنه لها من محبة وإكبار:

كان رحمه الله يعتز بخئولته من قبيلة تجكانت اعتزازا كبيرا وكان كثيرا ما يعبر عن الجكنيين بالأهل، وله معرفة واسعة بتاريخ هذه القبيلة وأيام حروبها وسلمها، وسير علمائها وشيوخها ووجهائها، ويعرف ذلك بالتفاصيل، وإذا تحدث في ذلك يجد سعادة غامرة لمحبته لهذه القبيلة، وكان يقول: لا توجد لي أم ولا جدة من الجهتين فيما بيني وبين الجد العلامة أبات إلا من هذه القبيلة، وكان يذكر بعض هذه الجدات، ويذكر حياتهن بالتفاصيل وما لهن من علم وفضل وتضحية. (١)

وسمعته غير مرة يقول إنه كان يتحدث يوما مع أحد أصدقائه – وهو غير جكني طبعا – فكان رحمه الله – كعادته – يذكر أمجاد قبيلة تجكانت ويعتز بخئولته منها، إذ فاجئه هذا الصديق بقوله: لا ينبغي لمثلك أن يعتز بهذه الخئولة بل أنا أغبطك في كل شيء إلا في هذه الخئولة فإنها تنقصك عندي، قال فغضبت وأظلمت الدنيا في عيني ولم أتمالك حتى قلت هذه الأبيات:

إذا الفتى لم تلده من بني جكن ... نسيبة أو يك ينسب للحسن
ولم يك وارثا جدا إمارتَه ... فذاك قد لعبتْ به يد الزَّمن
هذا وإن لنا من منجباتكمُ ... تليد مجد سما في السر والعلن

وسمعته يقول: كنت يوما أجالس العلامة الأديب أبا الدين بن عبد الرحمن، فذكرت له هذه الأبيات فاستحسنها، وجعل يكررها، وخصوصا البيت الأخير:

هذا وإن لنا من منجباتكم ... تليد مجد سما في السر والعلن.

---

(١) فمن هذه الجدات من جهة أمه: آمنة بنت السالم بن لبريكني، وأمها: فاطمة بنت محمد بن ابوه، وأمها: خيرَ بنت السالم بن بيه وكانت فقيهة، وأمها المكبوله بنت ألمين بن سيداحمد، وأمها خديجة بنت الشيخ سيد المين بن الحبيب.

فجعل يردده ويعيده فقلت له: يقولون إن المنجبة من ولدت من فاق أقرانه، وأنا إنما عنيت الوالد محمد محمود والجد أحمد بن أبات فإنهما اللذان يصدق عليهما ذلك، فقال الشيخ أبوا الدين – باللهجة الحسانية – «خيين ذاك كاع ما غاد فيه» يعني: (أننا لسنا بحاجة إلى التفصيل في ذلك) وكان الوالد رحمه يستحسن هذا الرد ويستعذبه من العلامة أبي الدين، ويقول هذا من أدبه وبراعته.

ومن شعره في الثناء عليهم الأبيات المتقدمة فريبا في رثائه لابن ختار التي يقول فيها:

فأنتم هداة الناس في كل بلدة ... ولا سيما إن كان قد عظم الخطب
إذا مات سرب من دهاتكم إذا ... تخلفه من الدهاة لكم سرب
أرى العلم حيث كان نسبته لكم ... كذلك أبطال إذا فجأ الحرب

وهو يشير في هذا إلى المثل الشائع (العلم جكني) وكان رحمه الله يحكي في هذا الإطار حكايات كثيرة ممتعة.

وكان يستعذب الشعر الذي يعنى بالفخر بهذه القبيلة وينشده في المجالس، كأبيات الشاعر: الإمام بن ماناه التي يقول فيها:

ونحن قضاة الناس إن عز مشكل ... وإن عنت الشهباء للمال بذل
ونحن مناخ الضيف أيام لا قرى ... وإن شمرت عن سوقها الحرب بسل
ونحن الألى نحنوا على الدين والعلى ... فلا المال يطغينا ولا الفقر يهزل

وهي أبيات تعتبر من أجمل أبيات الفخر وأروعها.

وكان رحمه الله مع هذا الأدب الممتع والذوق الأدبي الرفيع يتمتع بهدي رباني، وسلوك سني قل نظيره، وسنشير إلى ذلك في المبحث الآتي:

المبحث العاشر
في هديه وعبادته

كان رحمه الله صاحب هدي رباني لا نظير له فيمن رأينا من الفضلاء، وكان معجبا بالعلماء الربانيين المهتمين بتزكية النفس وكان إذا تكلم بكلامهم أتى بالعجب العجاب، وتراه يعيش تلك المعاني التي يعبر عنها ذلك الكلام، وقد التقى بكثير من علماء التصوف، وراسل بعضهم، فقد أرسل رسالة وهو شاب إلى الشيخ أحمد أبي المعالي بالسلام، فرد عليه الشيخ أحمد بأخرى، وقد التقى بالشيخ محمد المصطفى بن الشيخ أحمد أبي المعالي وبغيره كالشيخ الحسين بن آدُّو، وبغيرهما من مشائخ التصوف، وكان يسألهم عن أورادهم وينظر في هديهم، وكان يثني عليهم، ولكنه يقول: ما وجدت للقلوب أنفع من تلاوة القرآن الكريم.، وكان رحمه الله عفيف اللسان ما سمعته يغتاب أحدا أبدا، فإذا لم يرض عن شخص يقول: ما عرفته، أو لم أعرفه جيدا، ولا يسمع بأحد إلا وتجده يثني عليه، حتى ولو كان مليئا بالعيوب، لكنه لم يكن يحسن إلا الثناء.

وكان رحمه الله مع ما رزقه الله من علم وذكاء وشهرة بين الناس مجبولا على التواضع ونكران الذات، والابتعاد عن الأضواء، فكان أحيانا تأتيه النازلة، فيرسلها إلى العلامة محمد ابات، وربما يكلف بعض طلابه، ويرى أنه أولى منه بذلك تواضعا منه ونكرانا لذاته رحمه الله تعالى، فأذكر يوما أنه جاءته مولاة لأهل الداد بيدها وثيقة فيها شرط قد اشترطته على زوجها وأنه إن فعل فأمرها بيدها، ووثيقة أخرى تثبت أنه فعل ذلك الشرط، وتريد أن تأخذ شرطها وتطلق نفسها، فناولني الورقة وقال لي اكتب لها المطلوب فأنت أولى مني بهذا.

وهذاكان تواضعا منه رحمه الله تعالى.

وفي إحدى السنوات لتعلقه بالحج سافر في السيارات عبردول إفريقيا - حرصا منه على أن لا يضيع عليه وقت صلاة في الطائرة التي اختلفت فتاوى العلماء في جواز الصلاة فيها، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمة العلامة أبات بن محمد عبد الدايم - فلما وصل إلى النيجرأصيب بمرض شديد منعه من الاستمرار في السفر، فعاد إلى البلاد ثم بعد ذلك بسنوات سافر في الطائرة صحبة الرجل الفاضل محمدٌّ بن الطالب محمد، فأديا فريضة الحج معا، وأظن أن ذلك في سنة ١٤١٤هجرية، تقبل الله منا ومنهما.

وكان رحمه الله يقوم بالقرآن أول الليل وآخره وكان كثير التلاوة للقرآن لا تكاد تجده إلا وهو يقرؤه وخصوصا في الليل وأول النهار وآخره، وكذلك إذا سافرأو تحرك في الحيوانات لا تفارق لسانه قراءة القرآن، وكان رحمه الله مجبولا على الكرم والسخاء كما سنذكر في المبحث الآتي:

المبحث الحادي عشر
في كرمه وسخائه

كان الوالد رحمه الله كريما كرما مفرطا، جبله الله عز وجل عليه، وكانت له ثروة حيوانية كبيرة لكنه ظل يوزعها هنا وهناك، حتى انتهت، وكانت تأتيه الهدايا من كل مكان فيوزعها على الناس، فكانت يده لا تمسك شيئا وكان يأخذ الديون ويهبها حتى إن أهل محيطه ليرمونه بالسفه، كما روي عن الإمام الزهري أنه كان يدَّان ويهب، فإذا قضيت عنه الديون عاد لمثلها، ويقول: وَجَدْنَا السَّخِيَّ لاَ تَنفَعُه التَّجَارِبُ.(١)

وكان رحمه يجد سرورا عظيما عندما يهب لغيره حتى كأنه هو المُعطَى، فترى فيه مصداق قول زهير:

تراه إذا ما جئته متهللا   كأنك تعطيه الذي أنت سائله(٢)

وقد سمعته غير مرة يقول في ثنائه على الشيخ أحمد بن بادي (أهل الشيخ ابن امني): لا أنسى له أنه أرسل إلي في إحدى السنوات رسالة بأبيات يريد بعيرا ويشير إليه بالحروف فيقول فيها:

بباء بهجتكم وعين علمكم ويا   ء يمنكم وراء رحمتكم من لغزي الحسن

فأعطيته جملا برحله، ولا أنسى له أنه خصني بهذه الرسالة ولم يسأل فلانا ولا فلانا.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥ / ٣٤٠).

(٢) ديوان زهير: ص: ١٤٢ و الشعر والشعراء (١ / ١٣٩).

وهذا المعنى معروف عند الكرماء، يقول أسماء بن خارجة في أبياته المشهورة وتنسب أيضا لابن عباس:[1]

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى ... وأعمل فيه الفكر والليلُ عاكرُ
وباكرني إذ لم يجد ملجأ له ... سواي ولا من شدة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامه ... وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل علي لظنه ... بي الخير إني للذي ظن شاكر

وقال سعيد بن العاص وكان من الكرماء: ما أدري كيف أكافىء رجلا بات يقسم فطنته فلا يقع الا علي فأصبح يتخطى الناس والمجالس من الأحياء والأموات حتى يكرمني بنفسه ويؤنسني بحديثه، غدا التجار إلى تجاراتهم وغدا إلي فإن كنت أبخس بحظه أبخس الله تبارك وتعالى بحظي يوم القيامة.[2]

وكان رحمه الله معروفا بذلك فكان الناس الذين يعيشون معه يأخذون من ماله ما شاءوا وبدون استئذان لعلمهم بأن ذلك يسره، والحكايات في كرمه لا تكاد تنتهي.

وأذكر أني في السنة التي قبل وفاته قدمت من دولة قطر فكان الأقرباء والجيران يرسلون إلي الكباش وشياه الذبائح جزاهم الله خيرا، وفي أحد الأيام جاءه كبش هدية من أحد طلابه، فقال لي يا فلان: هذا كبش جاءني هدية وأنا أريد أن أرسله إليك، فقلت له: نعم، هو والله أحب الكباش إلي، فنظر إلي وقال: هذا والله البرور التام.

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد (ص: ١٦١) العقد الفريد (١ / ١٩٢).

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص: ٣٥٠).

قلت: وهي كلمة لا أنساها أبدا، وعند ما أردت كتابتها تذكرت ذلك الموقف فخنقتني عبرة أوقفتني عن الكتابة عدة دقائق. فرحمه الله رحمة واسعة.

وكان كرمه مضاعفا لطلاب العلم فكان يحسن إليهم كثيرا ويوصي بهم، ويتحفهم بالهدايا العزيزة الغالية، وكانت تربطه بهم علاقات وثيقة حتى ولو بعد انفصالهم عن الدراسة، وارتباطهم بالأعمال والأشغال لمودته لهم وقربه منهم، وكان يخص الغرباء بعناية كبيرة، وسنشير إلى بعض من طلابه في المبحث الآتي:

المبحث الثاني عشر
في طلابه

كان رحمه الله لايجلس معه أحد إلا وبدأ يفيده بالفوائد العلمية المتنوعة، وكان محببا إلى الطلاب لما يجدونه عنده من أنواع المعارف المتعددة وقد استفاد من علمه الكثير من الطلاب فمنهم:

١. محمد يحي بن الداد (أهل ابات)
٢. شامخ بن الداد
٣. محمد الامين بن الطلبه
٤. محمد المصطفى بن الحسن
٥. محمد عبدالله بن أحمد (كاتب هذه السطور)
٦. الأخوان محمد بن أحمد
٧. محمد محمود
٨. عبد الرحمن بن الداد
٩. شيخنَّ بن بدادي الجكني (أهل الحاج المختار)
١٠. محمد سالم بن مرحبه
١١. محمد الامين بن أحمد بن دحان الجكني (أشفقات)

وغيرهم.

المبحث الثالث عشر
في أبنائه

ترك من الأبناء ثلاثة وهم:

١. محمد عبدالله (كاتب هذه السطور)

٢. و محمد

٣. ومحمد محمود

٤. ومن البنات خمسة وهن:

٥. رقية

٦. ومريم تسلم

٧. وآمنة

٨. وخدجة

٩. وأم المومنين (القله)

ووالدتنا أم كلثوم (اكليشيم) بنت يحي بن الحضرمي

حفظنا الله جميعا بعينه التي لا تنام، وفي كنفه الذي لا يضام.

المبحث الرابع عشر
في وفاته ومكان دفنه ومراثيه

أصيب رحمه الله بحمى شديدة أضعفته عن التحرك فنقل من الحاضرة التي يسكنها وهي قرية أم النوار في الغائرة، إلى العاصمة نواكشوط، ثم منها إلى «دكار» للعلاج وظل الضعف متماديا عليه عدة أيام، واحتضر مساء الجمعة وتوفي رحمه الله وقت صلاة العشاء، لعشرة بقين من ذي القعدة سنة: ١٤٣٣هـجرية، ونقل آخر تلك الليلة وصباح الغد في سيارة إسعاف إلى انواكشوط وكان معه في تلك الرحلة العلاجية من أبنائه: محمد ومحمد محمود ورقية،وأنا كنت إذ ذاك في دولة قطر، ودفن صلاة الظهر في مقبرة الرياض بالعاصمة انواكشوط.

وقد أرخت وفاته فقلت:

توفي الوالد دون مريةِ ... لعشرةٍ بقين من ذي القعدةِ
عام ثلاث وثلاثين التي ... بُعيد شين ثم تا للهجرة[١]
وقت عشا السبت وأثناء الصلاه ... عليه رحمة الإله ورضاه
والعمر خمس وثمانون قضى ... أو نحوها وذا به الله قضى
وموضع الوفاة كان بدكار ... فكان نقله بأول النهار
وتم ظهرا دفنه بالعاصمه ... أدخله الله الجنان الناعمه
جنات عدن عاليات الدرجاتْ ... منعَّمًا وآمنا في الغُرُفاتْ

(١) أي بعد ألف وأربعمائة، لأن الشين ألف، والتاء أربعمائة.

وقد جاءت الوفود والتعازي فيه من كل مكان، ونقل خبر وفاته في صحف متعددة، وجاءتنا الاتصالات من كثير من دول العالم للتعزية فيه رحمه الله تعالى.

المراثي:

وقد وصلتنا بعد وفاته ثلاث مراث:

الأولى مرثية الشاعر والأديب الأستاذ: سيد الامين بن هتاربن ابوه الجكني،

والثانية: للشاعر والأديب محمد يحي بن الطالب محمد.

والثالثة والثالثة للشاعر الشاب إدوم بن دحمود.

وسنبدأ بقصيدة الأستاذ سيدالامين، وهي تعتبر رثاء لكل من العلامة محمد ابات والوالد أحمد، لأنها توفيا في سنة واحدة، رحمهما الله تعالى، وهي مرثية رائعة جدا يقول فيها:

المرثية الأولى مرثية الشاعر والأديب الأستاذ: سيد الامين بن هتاربن ابوه الجكني.

هو الموت لا يخطي إذا أطلق السهما ... فكم فجع القلب المحب وكم أدمى
وكم صحبة دامت لخلين برهة ... فمزقها شملا وصرمها صرما
لبسنا له درعا من الصبر سابغا ... وقسرا بأم النور ألبسنا همَّا
سقانا بفقد الشيخ بالأمس حنظلا ... وقبل اندمال الجرح جرعنا سُمّا
بأحمد صرح الدين ذي العلم والتقى ... ومن حاز بين الناس مرتبة عظمى
أشيخَيَّ هل أبكي السماحة والوفى ... أأبكي لفقد العلم والأدب الأسمى
أأبكي كما تبكي المحاريب فقدكم ... أأبكي كما تبكي تلامذة جمَّا
أأبكي كما تبكي النوازل فقدكم ... فقد أصبحت تشكوا لفقدكم اليتما

أأبكي بكاء النحو والصرف فقدكم … أأبكي كما تبكي المصادر والأسما
حللتم بـأم الـنـوْر فـازدان نوْرها … وقـد أفلت من بعد فقدكم نجما
فمن بعدكم يرجى لحل عويصة … ومن يرشد الأعمى ومن يصدر الحكما
ومن لغريب الـدار من بعد فقدكم … إذا حل ضيفا يطلب الجود والعلمَا
رفعتم لأم النور ذكـرا بذكركم … كما رفعت من قبل متبوعها نعما
فديتكما لـو يقبل المـوت فدية … ولكنها الأقـدار ماضية حكما
سقت غـاديـات المـزن قـبرا حللتما … ورحمـى بتلك الـدار تتبعها رحمى

المرثية الثانية:

للأستاذ والشاعر الأديب: محمد يحي بن الطالب محمد،

يقول فيها:

ألا فـقـدت أم الـنـوار الـكـبـارا … غـدت خلعت دثـارهـا والشعارا
غـدت أفلت أقـمارهـا وتساقطت … فأعظم بـه رزءا أصـاب نـزارا
ألا يسلم أبـات فيها ولا الذيـ … ـن كانوا منارا ليلها والنهارا
وحامي ذمـارالـقـوم أحمـد قد غدا … ألا فابكين من كان يحمي الذمارا
سخي أولاك القوم كالئ مجدهم … ومـنـقـذهـم في الـنـائـبـات مـرارا
عـسـى رحمـة الـرحمـن تملـؤ قـبره … ويـــرزقــه والمـسـلـمـين الجـــوارا
جــوار شفيع المذنبين محمـــد … إذا اعتذر الرسل الكرام اعتذارا

القسم الثالث

في القراء

وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول: في ترجمة المقرئ الشيخ المختار بن أحمد، وفيه عدة مباحث.

الباب الثاني: في ترجمة المقرئ: سيدي بن عبد الدايم وفيه عدة مباحث.

الباب الثالث: في ترجمة المقرئ: محمداحمدٌ بن الغوث وفيه عدة مباحث.

المبحث الرابع: في ترجمة المقرئ: محمد الامين بن محمداحيد وفيه عدة مباحث.

المبحث الخامس: في ترجمة المقرئ: دحمود بن دحمود وفيه عدة مباحث

المرثية الثالثة:

للشاعر الشاب إدوم بن دحمود يقول فيها:

ضاقت نفوس الورى من خطبها الجلل	**وذي ثريا السما يشكوا لها زحل**
ووابل الأرض أضحى عابسا نكدا	**وذي بـروج السما من وجدها تفل**
أشكو إلى الله ما في النفس من حزن	**عـلى فقيد الــورى لله مـن رحلوا**
ومـــن بــه رحمــة لـلـنـاس كلهم	**إذا تـراءى الأسى والضيق والعول**
بـكـى الـبـيـان لـه بمنطق وعـلى	**إثـر البيان بكت خلاصة فسلوا**
فـــذاك أحمــد بـالـكـرام خـيرٌ أبـا	**إذ الكرام بـذي الأحساب تحتفل**

وبهذا تمت ترجمة الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله تعالى.

ثم ننتقل إلى القسم الثالث فنقول:

الباب الأول

في ترجمة المقرئ الشيخ المختار بن أحمد

وفيه وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول

في اسمه وولادته ونشأته

المبحث الثاني

في دراسته وطلبه للعلم

المبحث الثالث

في استقراره مع أشياخه ورفضه الرجوع إلى قبيلته

المبحث الرابع

في جلوسه للتدريس وعطائه العلمي

المبحث الخامس:

في طلابه

المبحث السادس

في أبنائه

المبحث السابع

في وفاته ومكان دفنه

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو المقرئ الكبير الشيخ المختار بن أحمد الجماني نسبا الأباتي وطنا، ولد في ثلاثينات القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، ونشأ في بيت كرم وسؤدد وقيادة، ولما بلغ مبلغ الرجال حبب إليه طلب العلم والاهتمام بالدين، فسافر في طلب العلم كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ المقرئ الشيخ المختار في بداية شبابه في طلب العلم، ومن الممكن أن يكون درس في بعض المحاظر قبل قدومه على أهل ابات، وقد أدرك أواخر أيام العلامة أبات فقرأ عليه القرآن وأجازه فيه، ويقال إنه كان معجبا بقراءته، فكان إذا قرأ يقول له:«هكذا أنزل» ولما توفي العلامة أبات واصل دراسته على الشيخ عبد الرحمن بن أبات، ثم لما انتهت دراسته قرر أن يسكن مع أشياخه ورفض الرجوع إلى قبيلته كما سنرى في المبحث الآتي

المبحث الثالث
في استقراره مع أشياخه
ورفضه الرجوع إلى قبيلته

كان الشيخ المختار رحمه الله ينحدر من أسرة القيادة والزعامة في قبيلته، «إجمان» ولما توفي أبوه الذي كان زعيما لقبيلته آن ذاك، جاءه رجال من عشيرته وقالوا له: والدك توفي والقبيلة بحاجة ماسة إلى وجودك، وأموالكم وخيولكم بحاجة إلى من يقوم عليها، فرفض ذلك وقال لهم: لا أفارق هذه الجماعة أبدا، فحاولوا أن يثنوه عن قراره وأنشدوه قول الشاعر:

وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورًا ... سوى حيه إلا كآخر هالك[1]

فقال لهم: هذا هو حيي، وهذا البيت أبلغ عندي منه قول الله عز وجل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف:٢٨] الآية. فرجعوا وتركوه، فاستقر مع أشياخه، وبدأ في نشاطه العلمي كما سنرى في المبحث الآتي:

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري أنظر: ديوان طرفة بن العبد (ص: ٥٩).

المبحث الرابع
في جلوسه للتدريس وعطائه العلمي

ثم لما استقر مع أشياخه الذين اعتبرهم حيه ومحيطه الأول، أنزله شيخه الشيخ عبد الرحمن هو الآخر منزلة ابن أخيه، وزوجه إحدى بناته الفاضلات وهي بنته فاطمة الملقبة «توتَّ» التي ولدت له عدة بنات كن مضربا للمثل في علو الشأن والفخر، قالوا: وما دخلت واحدة منهن بيتا إلا ارتفع شأنه وعلا صيت أبنائه.

ثم إنه رحمه الله جلس لتدريس القرآن فدرَّس عدة أجيال، ونفع الله به،وكان من خيرة الناس الذين جلسوا لتعليم القرآن رجاء وعد النبي ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه عَنْ إمام القراء أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) [1] قال أبو عبد الرحمن السلمي: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا [2] قيل إنه جلس في جامع الكوفة أربعين سنة يقرئ الناس القرآن [3] فهنيئا له رحمه الله تعالى.

وقد استمرالمقرئ الشيخ المختار فترة طويلة يدرس الناس، فحفظ عليه القرآن عدد كبير من الطلاب نذكر بعضهم في المبحث الآتي:

---

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٥٠٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٩٢).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٥/ ١٥٣).

المبحث الخامس
في طلابه

درست عليه أعداد كثيرة من الطلاب فمنهم:

١. سيد بن عبد الدايم.

٢. أخوه: الشيخ بن عبد الدايم.

٣. النعمه بن الطالب احمد بن الشواف.

٤. أخوه أباتي بن الطالب احمد....

٥. محمد عبد القادر بن محمدو

٦. محمد احيد بن عبدالله.

٧. أخوه امود بن عبدالله.

٨. . سيد بن أحمد بلحاج.

٩. محمد السالم بن أحمد بلحاج.

١٠. سيد بن حرمه.

١١. ألمين بن الداد.

١٢. محمد الامين بن أحمد بلحاج.

١٣. محمد حرمه بن حرمه.

١٤. عبد الرحمن بن الطالب بن أعمر [١]

وغيرهم كثير.

(١) المصدر الذي أخذنا منه هذه الأسماء: عبد الرحمن بن عبد الدايم، وسيد محمد بن الشيخ.

المبحث السادس
في أبنائه

ترك رحمه الله عدة بنات فاضلات هن:

١. مريم، وهي أم أحمد والشيخ ابني سيد عبدالله.

٢. رقية، وهي أم الداي ويحي ابني الحضرمي.

٣. زينب، وهي أم النوّ بن محفوظ وأحمد محمود بن بادي(أهل الشيخ بن امني)

٤. آمنة، وهي أم دحان ولمرابط ابني سيد.

٥. خدجة أم المؤمنين، وهي أم أحمد ومحمدنوح ابني جدامٌّ .

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

توفي المقرئ الشيخ المختار رحمه الله في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ودفن في مقبرة خيران مع العلامة ابات رحمهم الله جميعا. وبهذا تنتهي ترجمة الشيخ المختار رحمه الله تعالى.

ثم ننتقل إلى الباب الثاني في ترجمة المقرئ سيد بن عبد الدايم

الباب الثاني

في ترجمة المقرئ: سيد بن عبد الدايم

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم

المبحث الثالث: في عطائه العلمي وإقرائه للقرآن الكريم

المبحث الرابع: في أخلاقه وبره

المبحث الخامس: في طلابه

المبحث السادس : في أبنائه

المبحث السابع: في وفاته ومكان دفنه

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو المقرئ الكبير: سيد بن عبد الدايم بن محمد خين ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأبوه الرجل الصالح الزاهد الشيخ عبد الدايم بن محمد خين الذي تربى على يد العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أبات، وكان صاحب كرامات وخوارق مشهورة، وأمه أم المؤمنين بنت الداد بن أبات، وقد تربى رحمه الله في بيت علم ودين وورع، ودرس في محيطه الذي ترعرع فيه كما سنرى في المبحث الآتي.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

درس المقرئ سيد بن عبد الدايم رحمه الله القرآن على المقرئ الكبير الشيخ المختار الذي تقدمت ترجمته قريبا، وتلقى رحمه الله تعليمه في تلك البيئة العلمية التي كان يعيش فيها، وذلك في فترة كل من العلامة عبد القادر (الداد) بن أبات الذي هو جده من الأم، والعلامة أحمد ابن أبات، تلك البيئة التي كانت تعج بالعلماء والفضلاء والمخلصين، والبيئة العلمية الصالحة هي المصنع الذي ينتج الرجال ويكونهم في كل العصور، فهي بمثابة الغيث للأرض، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا رائعا لذلك، كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٧٩) وصحيح مسلم (الحديث: ٦٠٩٣).

المبحث الثالث
في عطائه العلمي وإقرائه للقرآن الكريم

جلس المقرئ سيد بن عبد الدائم لتعليم القرآن مدة طويلة، وحمل عنه القرآن الكريم، فحفظ عليه القرآن عدة أجيال من القبيلة ومن خارجها وكان متفرغا لذلك، وهو شغله الليل والنهار، وتحكى عنه في ذلك حكايات منها: أنه كان يقول: من أراد أن يعلم الصبيان فعليه أن يبتعد من الناس، ليستطيع أن يضبطهم، ويعلمهم، ويضرب لذلك مثلا فيقول:

من كلف برعاية الزواحف فليبتعد من الجبل، أي لئلا تتفرق عليه في جحور الجبل وتضاريسه.

وكان رحمه الله مهابا، والأطفال يخافونه دون أن يضربهم، وتحكى عنه في هذا بعض الحكايات والنكت مع الأطفال، منها:

أن غلاما صغيرا جاءه لأول مرة، فنظر إليه ووضع يده عليه، ففزع الغلام وبَالَ فَجْئةً، فلما رجع إلى أهله قال له أبوه: يافلان لم تبول على شيخك؟

فقال ياأبت أنا لم أبل عليه، بل هوالذي بَوَّلني.

وقد استمر في نشر كتاب الله وتعليمه فترة طويلة من الزمن فرحمه الله تعالى.

المبحث الرابع
في أخلاقه وبره

كان المقرئ سيد بن عبد الدائم رحمه الله رجلا فاضلا، وعرف ببره لوالده واللطف به، وخصوصا لما تقدم به العمر وأصبح مقعدا، فكان يلاطفه ويحمله أحيانا على ظهره، وتحكى عنه في ذلك حكايات تدل على درجة عالية من البر والفضل.

وقد ذكرنا في ترجمة العلامة أحمد بن أبات حكاية عن الشيخ عبد الدايم – والد المترجم – لها علاقة بهذا الموضوع، وسنعيدهنا ما كتبناه هناك وهو ما يلي:

وقد كان الشيخ: عبد الدايم بن محمد خين على درجة عالية من الفضل والزهد في الدنيا، وفي آخر عمره أصبح مقعدا فكان ابنه البار المقرئ لكتاب الله تعالى: سيد يحمله ويقوم بشئونه كلها، فقال الشيخ عبد الدايم: لو كان الله يحبني لأخذ عني سيد هذا، وذلك لعظم مصيبته عليه، إمعانا في طلب الأجر والثواب على المصيبة الفادحة.

فبلغ ذلك العلامة أحمد بن أبات فقال: «هذه أمنية لا تنبغي، هلا سأل الله أن يسعده في الدنيا والآخرة، فإن الله قادر على ذلك».

وصدق العلامة أحمد فإن السنة دالة على هذا المعنى فقد قال النبي ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ لاَتَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا) متفق عليه [1]

قال ابن بطال: وفيه من الفقه النهى عن تمنى المكروهات، والتصدى للمحذورات، ولذلك سأل السلف العافية من الفتن والمحن؛ لأن الناس مختلفون فى الصبر على البلاء، ألا ترى الرجل الذى آذته الجراح فى بعض

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: (ا لحديث ١١٣٧).

المغازى مع رسول الله ﷺ فقتل نفسه، أي فدخل النار، وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه «لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر»[١].

وثبت في صحيح مسلم عن أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ) قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ[٢].

والخلاصة أن المسلم لاينبغي أن يسأل الله المصائب من أجل الحصول على الأجر، بل يسأله العافية فإن أصيب بمصيبة صبر فنال الأجر بذلك، فالله سبحانه وتعالى يعطي العطية التي تسر في الدنيا، فإذا أخذها أثاب عليها، وفي هذا المعنى يقول أحد العلماء وأظنه محمذا فال بن متالي رحمه الله:

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فأي النعمتين أعم فضلا ... وأعظم في عواقبها اكتسابا
أنعمته التي جلبت سرورا ... أم الأخرى التي جلبت ثوابا
بل الأخرى وإن جاءت بكره ... أعاجل هذه يزن الثوابا؟[١]

قلت: وهذه الحكاية المتقدمة عن الشيخ عبد الدئم، تدل على تجرد الرجل من الدنيا وعدم مبالاته بنعيمها، ومن نظر في هدي حفيديه: عبد الرحمن والداي وأختهما أم المؤمنين علم أن القوم من منبت طيب.

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥ / ١٨٥).

(٢) صحيح مسلم (الحديث: ٢٦٨٨).

(٣) سمعت هذه الأبيات من شيخنا الجليل أحمد سالم بن حين رحمه الله.

المبحث الخامس
في طلابه

جلس رحمه الله لتدريس القرآن فترة طويلة فحفظ عنه القرآن جم غفير منهم:

١. ابناه عبد الرحمن
٢. والداي
٣. محمدو بن الطالب محمد
٤. محمد الامين بن محمد احيد
٥. يحي بن سيد عبدالله
٦. يحي بن الحضرمي
٧. الداي بن الحضرمي
٨. محمد محمود بن الداد
٩. ومحمدٌّ بن سيد الملقب (وَدُّ)
١٠. محفوظ بن خين
١١. محمد محمود بن الطالب بن أحمادُ

وغيرهم كثير.

المبحث السادس
في أبنائه

ترك رحمه الله ابنين وبنتا

أما الابنان فهما

١. عبد الرحمن حفظه الله

٢. عبد الدايم الملقب الداي رحمه الله

٣. والبنت هي أم المؤمنين رحمها الله، وهي والدة أسرة أهل حرمه.

الباب الثالث

في ترجمة المقرئ محمد احمدُ بن الغوث

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم.

المبحث الثالث: في عطائه وجلوسه للتعليم.

المبحث الرابع: في طلابه.

المبحث الخامس: في أبنائه.

المبحث السادس: في وفاته ومكان دفنه.

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

توفي المقرئ سيد بن عبد الدايم في حدود ١٣٦٦ هـ ودفن في مقبرة كصر البركه رحمه الله تعالى.

ثم ننتقل إلى الباب الثالث في ترجمة المقرئ محمد احمدُ بن الغوث:

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو المقرئ الكبير: محمداحمدُ بن الغوث بن أبات

وأمه آمنة الملقبة امينه بنت الشاعر الكبير: محمداحمد بن الطلبه الذي تقدمت ترجمته في الطبقة الأولى.

ولد رحمه الله في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ونشأ في بيئة متعلمة متدينة، فأبوه الرجل الفاضل سيد محمد الغوث وجده من الأب العلامة أبات، وجده من الأم العلامة الشاعر محمد احمد بن الطلبه رحم الله الجميع.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ رحمه الله في طلب العلم بعد أن صار شابا كبيرا، حيث إنه تجاوز البلوغ وهو لم يعتن بالتعليم، ثم سافر للتعليم ولم يعد حتى صار متقنا لكتاب الله تعالى.

ويحكى أن سبب تغربه للتعلم أنه جاء ضيفا على أناس، فعرفوا أنه من أسرة أهل ابات المشهورة بالعلم، فأكرموه، وكان في الخيمة رجل يعلم أطفالا فقال لهم أنا ذاهب إلى مهمة كذا وكذا.. وهذا ابن أبات يعلمكم حتى آتيكم، فأصيب محمد احمدُ بإحراج شديد، فقام عنهم كأنه يريد أن يتوضأ، ثم من ذلك الحين قرر الذهاب إلى محظرة أهل محمود بن احبيب الجكنيين (إدابيج) تلك المحظرة المشهورة بالتخصص في علوم القرآن فمكث فيها عدة سنوات ولم يعد إلى أهله حتى صار من القراء المتقنين [1]

وتوجه بعد ذلك إلى شيخ شيوخنا المقرئ الكبير سيد المختار بن عبد المالك الجكني فأخذ عنه الإجازة في قراءة نافع، وهذه الإجازة موجودة الآن في حوزة أبنائه.

---

(١) هذه الحكاية مشهورة عنه.

المبحث الثالث
في عطائه وجلوسه للتعليم

لما جلس للتدريس طار صيته فأتته الطلاب من كل مكان، وحتى كان من بينهم طلاب زنوج .

وكان رحمه الله صاحب صوت ندي وقراءة جميلة، فكان إذا قرأ القرآن أنصت له كل شيء حتى الحيوانات، فكانت الإبل تجتر فإذا قرأ ليدرب طلابه توقفت عن الاجترار تماما.

سمعت هذا من الوالد رحمه الله وهو ومن طلابه، وسمعته كذلك من الرجل المعروف بمحمد بن الإبل وهو أحد رعاة إبله، سمعته وهو في فترة شيخوخته يحدث بذلك أيضا.

واستمرفي تعليم القرآن فترة طويلة رحمه الله.

المبحث الرابع
في طلابه

أخذ عنه القرآن بالتجويد عدد كبير من الطلاب فمنهم:

١. يحي بن الحضرمي .

٢. محمد الامين بن ختار الجكني

٣. محمد المصطفى بن محمد بن عبد الرحمن

٤. الوالد أحمد بن محمد محمود

٥. محمد محمود بن محمد عبد الدايم (دحمودي)

٦. أخوه محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الدايم

٧. محفوظ بن خين

٨. الداي بن اميميد

٩. ومحمدو الكوري.

وغيرهم كثير.

المبحث الخامس
في أبنائه

ترك رحمه ابنين وابنتين وهم:

١. محمد يسلم رحمه الله

٢. والناجي، الراوية الأديب

٣. وفاطمة السالمة رحمها الله وهي والدة أسرة أهل محمدو بن الطالب محمد

٤. وزينب وهي والدة أسرة أهل محمد الباقر بن عبد التار.

وأمهم مريم بنت الطالب بن أحمادُ الجكني (أشفقات)

الباب الرابع

في ترجمة المقرئ: محمد الامين بن محمداحيد

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم .

المبحث الثالث: في عطائه وجلوسه للتعليم .

المبحث الرابع في طلابه .

المبحث الخامس في أبنائه .

المبحث السادس في وفاته ومكان دفنه.

المبحث السادس
في وفاته ومكان دفنه

توفي رحمه الله في حدود سنة: ١٣٩٦ هـجرية

ودفن في مقبرة قلب الملح.

وبهذا تمت ترجمة المقرئ: محمد احمدُ بن الغوث، وتليها ترجمة المقرئ محمد الامين بن محمد احيد.

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو المقرئ الكبير: محمد الامين بن محمداحيد بن عبدالله بن أبات

وأمه: فاطمة بنت أحمدُ بن السالم الكلالي الجكني (الشواوفه)

ولد رحمه الله في حدود ١٣١٠ هـ ونشأ في بيئة دينية وعلمية

فوالده محمد احيد كان من الفضلاء الربانيين وتذكرله يعض الكرامات.

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

بدأ رحمه الله الدراسة في بيئته التي نشأ فيها فحفظ القرآن أو بعضه على المقرئ سيد بن عبد الدايم، ثم سافر إلى أهل محمود بن احبيب (الأسرة المعروفة بإتقان القرآن).

فأتقن عليهم القرآن ثم عاد إلى أهله فجلس لتدريس القرآن كما سنرى في المبحث الآتي:

المبحث الثالث
في عطائه وجلوسه للتعليم

جلس رحمه الله لتعليم كتاب الله تعالى فترة طويلة تزيد على نصف قرن من الزمن، فحفظ عليه القرآن عدة أجيال عديدة من القبيلة ومن غيرها، وكانت عادة الناس في تلك الأيام أن الشيخ إذا أتقن نصف القرآن للغلام يعطى جذعة من البقر، فحصلت له من ذلك ثروة كبيرة مباركة، استمرت بعده، وذلك شأن المال الذي أخذ من مصدر حلال.

فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ» رواه البخاري[1].

(١) صحيح البخاري (الحديث: ٥٧٣٧)

المبحث الرابع
في طلابه

حفظ على يديه القرآن أعداد كبيرة فمنهم:

١. ابناه: محمداحيد

٢. ومحمد المختار

٣. أحمدُ بن أبات بن امود

٤. محمد عبدالله بن جدام وقد ورثه في تدريس القرآن الكريم.

٥. إسلم بن اعلي بن أحمد (أولاد اعلي)

٦. سيد بن أحمدُ

٧. سيد محمد (سيدي) بن جدّامٌ

٨. محمديحي بن الداد

٩. محمد محمود بن الحضرمي

١٠. شامخ بن الداد

وغيرهم كثير.

المبحث الخامس
في أبنائه

له رحمه الله عدة أبناء وبنات وهم:

١. محمداحيد

٢. محمد المختار

٣. سيد محمد الكبير وتوفي في شبابه

٤. زينب

٥. رقية

٦. آمنة

٧. وأمهم مريم بنت أحمدو

٨. سيد محمد الصغير

٩. محفوظ

وأمهما عمتنا زينب بنت محمد محمود بن أحمد

الباب الخامس

في ترجمة المقرئ: محمود بن محمود

المبحث الأول: في اسمه وولادته ونشأته

المبحث الثاني: في دراسته وطلبه للعلم

المبحث الثالث: في عطائه وجلوسه للتعليم

المبحث الرابع: في هديه وكرمه

المبحث الخامس: في طلابه

المبحث السادس: في أبنائه

المبحث السابع: في وفاته ومكان دفنه ورثائه

المبحث السادس
في وفاته ومكان دفنه

عاش رحمه الله عمرا زاد على التسعين وتوفي سنة ١٤٠٣ هـ ودفن في مقبرة المجرية.

وبهذا تمت ترجمة المقرئ محمد الامين بن محمداحيد رحمه الله.

وتليها ترجمة المقرئ دحمود بن دحمود في الباب الخامس.

المبحث الأول
في اسمه وولادته ونشأته

هو المقرئ الكبير محمد محمود (الملقب دحمود)

وأبوه: محمد الامين بن دحمود بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات

وأمه: الناجيه بنت سيد محمد بن الطالب باب «بتفخيم الباءين» من فخذ أولاد طالب الجكنيين.

نشأ في بيئة دينية وعلمية ساهمت في تكوينه المعرفي والديني كما سنرى في المبحث الآتي

المبحث الثاني
في دراسته وطلبه للعلم

نشأ رحمه الله كما قلنا في بيئة علمية ودينية، في أخواله أولاد طالب الجكنيين، فقرأ القرآن واهتم بعلومه، حتى أصبح من القراء المتقنين، وقد أخذ الإجازة في قراءة الإمام نافع، عن شيخه سيد محمد بن المصطفى عن شيخه: محمد محمود بن سيد محمود،... إلى آخر سنده

المبحث الثالث
في عطائه وجلوسه للتعليم

جلس رحمه الله لتدريس القرآن مدة تزيد على نصف قرن من الزمن، وتخرج على يديه بالإجازة أعداد من الطلاب لا يحصون كثرة، وكانت محظرته - في قرية كامور- تعتبر من أشهر محاظر القرآن في ولاية لعصابة عامة وما جاورها، وكان الطلاب يأتونه من منطقة تكَانت وآفطوط والركيبة وغيرها، وكان طلابه يحفظون القرآن بإتقان دون عناء وكبير مشقة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المبحث الرابع
في هديه وكرمه

كان المقرئ الكبير دحمود رحمه الله صاحب هدي واستقامة قل نظيرها، بعيدا من التصنع والرياء، بل إن معظم عبادته لا يطلع عليها الناس، وقد جالسته عدة مرات، فرأيت فيه سمة الربانيين الذين إذا جالسهم الشخص استفاد منهم من حيث لا يشعر في أمور كثيرة وخصوصا في جانب الإخلاص وحضور النية وتفويض الأمور لله والتوكل عليه بصدق.

وكان معروفا بالكرم وسعة الصدر، ومن كراماته أنه لم يكن لديه مال يُرى ولا مرتب يأتيه من أي جهة، وهو مع هذا ينفق على الطلاب وعلى الضيوف نفقات هائلة لا يستطيعها أصحاب الثروات الطائلة.

وسمعت بعض طلابه يقول إنه أخبره سرا بأنه يقرأ الفاتحة عدة مرات في صندوقه الذي يضع فيه النقود والأشياء المهمة عنده، فلذلك لا ينفد ما فيه، فسبحان من قال ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦].

المبحث الخامس
في طلابه

تخرج على يديه أعداد من الطلاب لا يحصون كثرة، فمنهم:

١. محمد الامين بن محمد ابات، أهل ابات
٢. أحمد يحي بن عبد التار
٣. محمد بن أحمد
٤. محمد الامين بن محمد احمد (دحمد) بن الطالب محمد
٥. يحي بن محمد محمود بن سيد
٦. عبد الدايم بن محمد عبد الرحمن
٧. محي الدين بن محمدابات
٨. الناجي بن سيد عبدالله
٩. سعدن بن الصديق الجكني
١٠. عبد الرحمن بن سيد فال بن الرويحه
١١. أخوه محمد بن سيد فال
١٢. يبَّ بن يسلم بن محمد عبد الرحمن
١٣. محمد الامين بن احماده بن عبدُالله
١٤. محمد بن الناجي بن محمد عبد الفتاح

١٥. سيد محمد بن سيد مولود

١٦. محمد بن الطاهر

١٧. الشيخ بن باب

١٨. أخيار الناس بن أحمد جدو

١٩. منَّ بن شيخنا

٢٠. محمد الامين بن سيد الحاج

٢١. إبراهيم بن حمادي

٢٢. أخوه الشيخ بوي بن حمادي

٢٣. إطول عمرو بن الحسين بن أعبودَ

٢٤. سيد الامين بن هتار

٢٥. أخيارهم بن محمد

٢٦. الحسن بن جدار

٢٧. إطول عمرو بن يعقوب

٢٨. يحي بن ابو

٢٩. ممين بن اعلي

٣٠. عبدالله بن الطالب احمد

٣١. سلَّام بن عبدالله

٣٢. باي بن الرويحه

٣٣. تباهي بن أعبودَ

٣٤. الطالب اعمر بن الرويجه

٣٥. محمد بن المحمد

٣٦. محمدو بن الشيخ

٣٧. منَّ بن فاضل

٣٨. محمد بن عالي بن بكار إدوعيش

٣٩. أخوه إبراهيم بن عالي

٤٠. محمد بن اجيد الكنتي

٤١. أخوه أباي بن اجيد

٤٢. بنب بن احميدي «أهل احميدي»

٤٣. شيخاني بن البخاري العلوي

٤٤. محمدو بن الدين بن الحابوس «أولاداعلي»

وغيرهم كثير، وقد أخبرني بعض طلابه أنه كان يجيز في كل شهر شخصا أو أشخاصا، وأن طلابه سيكونون بالمئات.

المبحث السادس
في أبنائه

ترك رحمه الله عدة أبناء وبنات من أمهات متعددة وهم:

١. محمد عبدالله

٢. وشقيقته فاطمة

وأمهما رقيه بنت يحظيه (تاكنانت)

٣. محمد احمد

٤. وشقيقته خدجة الملقبة (قبطه)

وأمهما مكفوله بنت التقي

٥. محمد

٦. وشقيقته أم الخيري

وأمهما مريم بنت ختاري (أولاد طالب)

٧. الشيخ وأمه: زينب بنت دحان بن سيد (أولاد طالب)... وتوفي في حياة أبيه.

٨. واسلامه. وأمه مريم بنت الصغير (أولاد طالب)

المبحث السابع
في وفاته ومكان دفنه

عاش المقرئ دحمود رحمه الله عمرا يزيد على الثمانين، وتوفي سنة: ١٤٢٧ هجرية ودفن في مقبرة الرياض بانواكشوط، وقبره مشهور مزور رحمه الله تعالى.

وبهذا تمت ترجمة المقرئ: دحمود بن دحمود.

وبها تم ما أردنا وضعه الآن من تراجم علماء أهل ابات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[1].

ثم ننتقل إلى القسم الرابع من الكتاب وهو قسم الأشعار.

---

(١) ورد عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ) سنن ابن ماجه (٢ / ١٢٥٠) وحسنه الألباني.

القسم الرابع

في الأشعار

وفيه بابان:

الباب الأول: في الأشعار التي قيلت في مدح قبيلة أهل اباث، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في مدح القبيلة بالشعر الفصيح.

الفصل الثاني: في مدح القبيلة بالشعر الحساني.

الفصل الثالث: في مدح أفراد من القبيلة - وهوفي الوقت نفسه - يشتمل على ثناء عام على القبيلة.

الباب الثاني: فيما قالوه من الأشعار وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: في شعر العلامة: محمد احمد بن الطلبه.

الفصل الثاني: في شعر العلامة أحمد بن الطلبه.

الفصل الثالث: في شعر الشاعر: أحمد بن جدام

الفصل الرابع: في شعر الشاعر: يحي بن دحمود

الفصل الخامس في شعر الشاعر أحمد بن سيد عبدالله

الفصل السادس: في شعر الشاعر: الشيخ بن سيد عبدالله

الفصل السابع: في شعر العلامة أحمد بن محمد محمود

الفصل الثامن: في شعر الشاعر محمد يحي بن الطالب محمد.

الفصل التاسع: في شعر الشاعر إدوم بن دحمود

الفصل العاشر: في أشعار عدة أفراد من القبيلة.

الباب الأول

في الأشعار التي قيلت في مدح قبيلة أهل ابات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في مدح القبيلة بالشعر الفصيح.

الفصل الثاني: في مدح القبيلة بالشعر الحساني.

الفصل الثالث: في مدح أفراد من القبيلة - وهوفي الوقت نفسه - يشتمل على ثناء عام على القبيلة

يلومونني قومي بإدمان مدحهم فقلت لهم بَلْهَ[1] الملامة لُوَّمِي

همُ أهل دين الله لا زال منهم كثير العطايا عيلم نجل عيلم[2]

يجود بشعر كالنضار مرونقٍ وكف تري وكف الحيا كيف ينهمي

وعلم جدير بالمنافع لم يدع لعمري لآي الجهل من متردم[3]

كريم مشوق بالمعالي متيم سليل مشوق بالمعالي متيم

فتى من فتى طلق اليدين مكرم تخير من طلق اليدين مكرم

فقدمت مدحي لأهديه نحوهم وحق لهم إهداء ذاك المقدم

وأزكى صلاة الله كالسحب تنهمي على جدهم في كل بدء ومختم.

ويقول تلميذهم العلامة سيدي عبدالله بن الزين العلوي (٤)

في قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

ألا عد عن ذكرى أميم ودارها ودع عنك تيلك الهموم ودارها

وكفكف دموع العين آنا ووارها وإلا تعالت منك فوق أُوارها

بلى فلتماري النفس عن ذا وجارها لعلك تنجو من أميم وجارها

وإياك والتسئال عن ذي منارها ونؤي خبائها وموقد نارها

والاعجاب مما ذقت وقت انبهارها وليلها العالي فويق نهارها

ونكب إلى أهل الفضائل والنهى خيار ألاء الناس أبنا خيارها

---

(١) بله: هنا مصدر بمعنى الترك، أي اتركوا الملامة، وقد تأتي لمعان أخرى.

(٢) العيلم: البئر الكثيرة الماء، ويستعار للرجل الكريم.

(٣) المتردم: المكان الذي يرقع، ومنه قول عنترة:

هل غادرَ الشُعراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أم هَل عرفتَ الدار بعد توهم.

(٤) هو العلامة الأديب سيدي عبدالله بن أحمد بن الزين العلوي (تميله)القاطنين بتكَانت، أخذ العلم على العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات، وكان فقيها وأديبا ومؤرخا، له كتاب في أنساب قبائل آفطوط، وله فتاوى فقهية. توفي رحمه الله سنة ١٤٢٥ هجرية.

بنو القطب أبات حلى هامة الورى
تحلت بهم بدرها ونضارها

معالمها هديا كواكبها سنى
وأحنفها حلما حماة ذمارها

ومعطي الذي يرجوه حوجا كبارها
إذا ما أتى يرجو صغار صغارها

أما والمطايا والذي مطيت له
تزف إلى البطحاء وقت انحدارها

تباري الصبا في هبها بهبابها
وتعدوا الصبا تهاب أن تبارها

لقد حزتم أشياخنا زدتم علا
على ذي البرايا زيدها وضرارها

فلستم بمُقْصِرين عن نفعها كلاًّ
ولستم بسائرين نحو ضرارها

فيمناكم في يمنها سبب لها
ويسراكم أسبابها ليسارها

تعدكم ذخرا لها عن سواكمُ
إذا هي يوما ألجئت لادخارها

متى تختبركم في العلوم تجدكمُ
لذلكمُ أهلا أوان اختبارها

إذا ما طلبتم جنى ذات ثمرة
علوما جنيتم ألذ ثمارها

خيار العلوم تلتهون بدرسها
على حين ألهى الناس درس شرارها

إقامتكم بيضاء سنة أحمد
دليل لذا في بدئها واقتصارها

فلولا المدارس التي قد أقمتم
لأمست دوارسا رسوم ديارها

ويقول أحد الشعراء الكبار من شرفاء المقدمين (مقدمين الأغلال)

يمدحهم بهذه القطعة الرائعة وذلك في أيام العلامة محمد بن أحمد بن أبات:

عواملُ الرفع من بين البريات
والجر لا الخفض آلُ القطب أبات

عليكم الدهر ما دامت بسوحكمُ
أبناء علات أشرف التحيات

ضموا لسيبكم من زار بابكمُ
ضما يقيه من ابواب النيابات

فأنتم الضم وهو الأصل فكم بكم
قد استغيث وفي دفع الملمات

ما كان مضغة هاج العرض عرضكمُ
لكن يؤمكم هاج العويصات

ويقول تلميذهم العلامة محمد بن بيدر بن الإمام الجكني أيام دراسته على العلامة محمد بن أحمد بن أبات:

نـزلـت بـكـم لله ألـتـمـس العلما   وألتمس الآداب والدين والحلما
تركت على ذا الأهل والوطن الذي   ألفت بـه العيدان والـرشـأ الألـما
يحـاول كفي لمـس فـرقـد علمكم   لكي أبلغ الجــوزاء منه أو النجما
نزلت إليكم في انخفاض فعوضوا   نزيلكم من خفضه الرفع والجزما
تعربتمُ والـنـاس عجم زمانكم   ففقتم بما فاقت به العرب العجما
وطبتم نفوسا بالتعلم دونهـا   فطيبتم الألــوان والـريـح والطعما
أقــول لأعمى قلب أنكر حقكم   أيبصر نور الشمس والقمر الأعمى
فـلا علم إلا مـن نفائس علمكم   ولا مجـد في الآفــاق إلا لكم ينما
وبــعــد فـصــلى الله بـــدءا وختما   على من ببدء النور قد منح الختما

ويقول رحمه الله لما زار أشياخه في فترة شيخوخته:

عـلى حـي أشياخي كثير سلامي   عــلى كــل شـيـخ كـابـر وغـــلام
ونـسـوتهـم إني عـلـيـهـا مسلم   وقـــلَّ لأشـيـاخـي كـثـير سلامي
هـمُ ورثـــوا همــدان في كــل رتبة   وهمـــدان عـنـدي وصـفـهـا بتمام
لهـمـدان أخــلاق ونـــور يزينها   وبـشر إذ لاقـــوا وحـسـن كـلام
فلو كنت بـوابـا عـلى بـاب جنة   لقلت لأشياخي ادخـلـوا بسلام

ويقول في هذه الفترة أيضا:

إن العهود الـتـي بيني وبينكمُ   مـا زلـت أذكـرهـا عنكم وابتسم
كتبتموها قديم الدهر في كبدي   فخَطَّها بعدكم في أعظمي قلمُ

ويقول تلميذهم الأديب: **محمد عبد الرحمن بن جار الله (أهل الشيخ بن امني)** أيام دراسته على العلامة **محمد محمود بن أحمد بن أبات**:

إليكم أتيت اليوم أرجوا لبانة ... وأنتم لذي الحاجات دهرا منازل
فما خاب من قد سار قصدا لبابكم ... ولا زلتمُ تنمى إليكم فضائل
وبالعلم تمتازون عن كل فاضل ... وإني مقيم للوداد وواصل
بني القطب أبات توارثتم ذرى ... من المجد شادتها كرام أفاضل
فحزتم لواها صرتم كمنارة ... لتهدوا سبيل الحق من هو ذاهل
فكم جاهل إن زاركم نال حكمة ... وكم صادر من حوضكم وهو ناهل
وما حاجتي من ذي الدنا غير سبقة ... على كل تلميذ وإني لسائل
وياحسنها من حاجة إن وجدتها ... وما كل ما يهوى امرؤ هو نائل.

ويخاطبهم العلامة الشاعر الكبير تلميذهم وابن بنتهم:

العلامة الأديب محمد عبد الرحمن الملقب: محمد مر بن الحابوس(١) **من قبيلة (أولاد اعلي) بقوله:**

ألا يا قضاة الناس في كل نازل ... إذا اعتاص فرق بين حق وباطل
هداة قديما بالعلوم وحادثا ... وأنزلتم بالنور أعلى المنازل
أدلة سار في دياجي دياجر(٢) ... وللنور سر في هدى كل جاهل

---

(١) هو العلامة والشاعر الأديب محمد عبد الرحمن الملقب (محمد مر) بن الحابوس (أولاد اعلي) أخذ العلم في محاظر أهل ابات فدر س على كل من العلامة محمد بن أحمد، وعلى سيبويه زمانه العلامة أحمد بن الداد، وعلى بعض طلابها كالعلامة: محمد محمود بن أحمد، والعلامة محمداحمد بن الطلبه، والعلامة سيدين بن الإمام، وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ أحمد أبي المعالي وكان من الشخصيات العلمية المرموقة في عصره، وله طلاب ومريدون، وله فتاوى علمية وديوان شعر. توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩ هجرية.

(٢) الدياجر جمع ديجور وهو شدة الظلام، وقد يطلق ويراد به الحيرة والالتباس. مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٩).

بني الشيخ أبـات المـربي مريده وأبـنـائـه الـغـر الـكـرام الأفـاضـل
صغيركم سنا على الشيب كلهم كبير بـما يمليه وسـط المحافل
على بابكم خصمان أنتم قضاتنا دليلكم في الـشرع أقـوى الدلائل
فقولوا لنا حكما سـديـدا مسلما وإني لـراض أهـل حـلِّ المسائل
وإن لم تقولوا بيننا شطر كلمة فـدلـوا عـلى مفت لنا في الـنـوازل
عليكم سـلام مـن محـب مفارق وأشـيـاخـه أربـــاب حـل المسائل

ويقول تلميذهم وابن بنتهم الشيخ الكبير أحمد بن بادي (أهل الشيخ بن امني)

عاق القضاء وعاق الضعف والكبرُ عن وصلكم والحجا تعتاده العبرُ
يــردد الفكر في تـصريـف خالقه في خلقه والــذي يجـري بـه القدر
يبكي زمـانـا بـه قـد كـان يألفكم والحال صاف وليل الوصل مزدهر
والفقه والنحو بل والعلم أجمعُه في حيكم دائـم التدريس منتشر
يحلوا بنطقكم تدقيق منطقكم وقـد يلذ بـذاك السمع والبصر
إني بـحـق الــذي أولاكـم شرفـا أرجـو نـوالا بـه يقضى لنا الوطر
وأن يـصـلي مـاغـنـى الحـمـام على من فضله شرفت من أجله مضر.

وهذه قصيدة شيخنا الجليل العلامة الطالب محمد بن لبريكني الجكني

التي أرسل بها كتحية على حينا حين نزلنا أرض جوك سنة: ١٩٨٢م، وهي من أروع الشعروأجوده، فهي تستحق التقديم، وقد قال الشاعر:

إن كـنـت قـد أخـرتهـا ذكـرا فكم مـن آخـر في رتـبـة التقديم

يقول رحمه الله تعالى:

سلام لذيذ مستطاب مهيأ يصان لكم في القلب دهرا ويكلأ
يحاط بأسوار من الود حصنت فلا خلل فيها ولا هو يطرأ
يعم جميع المنتمين لحيكم على أنه أعلى سلام وأهنأ
سلام به كل الرجال متوج وللنسوة الفضلى نضار ولؤلؤ
سلام على حي له المجد شيمة وبالفضل بين العالمين مهنأ
تبوأ من أعلى المكارم غرفة كما كان آباء له قد تبوأ
بحور علوم عود الخلق وردها فواردها في الناس لم يك يظمأ
لئن كنت قد أنسأت عنكم تحيتي لفي الصدر ود ثابت ليس ينسأ
صلاة وتسليم على القمر الذي به يختم الذكر الجميل ويبدأ

ويقول الشاعر الأديب: عبد الرحمن بن الحاج

في قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

حي المنازل ويك بالتحيات فهي منارات إدمان الصبابات
عرج بها حيها لكي تسائلها عما ألفت بها من الفتيات
وعن مناشدة الأشعار آونة وعن تراجع قينات برنات
وعن مضي زمان كنت تعهده على نعيم به أهل العهودات
وحي ويك وعج وحي ثانية المنتمين لآل القطب أبات
فيا بني الحسن السبط بن فاطمة بنقل ذا من روايات صحيحات
كم المسرات نِيلَتْ عند رؤْيتكم وكم برؤيتكم دفع المضرات
وكم سلكتم طريق الحق منتهجا وكم قد أقمتم للهُدى من منارات
وكم طردتم عن أهل الجهل جهلهم وكم فتحتم بيوتا للمروءات

فـبـارك الله في مـقـامـكـم أبـدا ... وفي تحـركـكـم وفي المـقـامـات
بعد الـسـلام بأعلى مـا يناسبكم ... مــن الـثـنـاء وأبـلـغ التحيات
لنيل فضلكم في الحـال مفتقرا ... وردت بابكم بـاب الفتوحات
أريـد نيل الـدعـا منكم وصالحه ... وبـعـد صـالحِـه قـضـاءَ حـاجـاتي
يـارب صـل عـلى المختار سيدنا ... واغـفـر لنا ربنا كـل الخطيئات.

ويقول الشيخ محمدو بن محمد الإمام من (قبيلة أهل الشيخ بن امني) في الثناء عليهم:

بشرى لأرض لها الأشراف قد رحلوا ... يـا مـرحـبـا بهــمُ لَمَّــا بهـا نـزلـوا
ومـرحـبـا بهــمُ مــن قبل منزلهم ... طوبى لما سكنوا من قبل ما ارتحلوا
إن القلوب لتحيى عند ذكركم ... كـما تـسر لــدى مـرآكـم المـقـل
إني بفضل الــذي أولاكـم شرفا ... أرجـوا نـوالا به يقضى لنا الأمـل.

ويقول الشيخ أحمد بن آدب الكنتي رحمه الله:

لكم قَدَمٌ في العلم راسٍ[1] بلا نكر ... وحزتم لواء الفقه من سالف الدهر
وأبـقـاكـم المــولى لــديـن محمد ... تحيطونه من كل نـذل[2] به يـزر[3]

(١) أي ثابت.

(٢) النذل: الخسيس الحقير.

(٣) هذان البيتان يحملان ثناء كبيرا للغاية، والبيت الأخير يشير إلى قوله ﷺ: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ). الشريعة للآجري (١ / ٢٦٩).

وإذا قرئت بدايته «وأبقاكم المولى» بالواو كان خبرا، وإذا قرئت بالفاء، كان دعاء لهم بالاستمرار في حفظ الدين، فالبيتان رائعان جدا.

ويقول الشيخ الكبير الأديب سيد محمد بن بادي وأجاد:

سقى القنيزر مغنى الشم الاسياد	كل ملث غزير رائح غاد
وانٍ يجر فويق الأرض هيدبه	فراج هموم اللائح الصادي
جون الغمامة تمتد الشعاب به	من كل نبت بهي ناعم نادي
يكسي القليبات وشيا من مناسجه	يلقي البرود على المنفوش والوادي
يعطي الزميميل من مرعى مثاربها	حتى يسر بذك الراتع البادي
يلقي البعاع بفرع الرِّجل ريقه	وتيزواز وهادها والانجاد
تلك الأريضة لا أهوى المقام بها	لولا الأجلة أهل خارق العادي
حماة دين النبي أهل ملته	يا حبذا أهل ذاك الخاتم الهادي
إن صدَّ وارد علم أم غيرهم	فواردوا علمهم ليسوا بصداد
ياآل أبات لا زال يسعدكم	رب العباد بإسعاد فإسعاد
وقاكم من شرور الساكنات بها	وكل حي مضر ساكن عادي.

ويقول الشاعر أحمدُ بن حرمه في الثناء عليهم وذكر كثير من المواضع التي سكنوا فيها:

تحية الود مني والمحبات	دورَ العشيرة آل القطب أبات
حيث القنيزر والمريفق اتسما	بدور حي العلوم والأُخوات
وتيزواز وهادُها وأنجدها	للحي دور ودور بالثنيات
ووادَيِ البوج واحمرتلْمَ كم عهدوا	دورا ومرتفعات السيل تارات
وملتقاها وذات الرجل مشرقها	منازل الحي ظلت مستمرات
لهم منازل بالظهرين آونة	والخط أخرى وأفواه الوديات

ورب صيف بتيفركَكَّ مشربُه | من كيمل رغم تلكم الصعوبات
قضوا بذا عشرات الدهر تسعدهم | يد الزمان لدى شتى المجالات
فكم أنيخت مطايا الطالبين بهم | من كل فج تجي أبناء علات
تؤم أهل التقى والعلم واثقة | بنيل ما صح عن خير البريات
فيَمنحوا ورعا وحكمة وتقى | محضا وعلما صحيح الأصل من ياتي
أبقى المهيمن عوضُ العلم حيث هم | فيهم وفيما استطابوا من محلات
ثم الصلاة على المختار ما طلعت | شمش وما لاح بدر في دجنات.

وله أيضا في الموضوع نفسه وأجاد:

تحية الود بالمسرة انطلق | نحو الأحبة إدلاجا إلى الفلق
وباكري الحي بالترحيب فهو حرٍ | بما من الود والترحيب منك لقي
وبادري الدور بعد الحي إن بها | غير التحية والترحيب لم يلق
بتيزواز قفي وربعها الخلق | فالدخن فالزرق فالمنفوش واتسقي
فالصخرتين فذات الدوم وانطلقي | عبر الثني لما من الديار بقي
فتلك دور التقى والعلم مذ قدم | لما توطنها من عالم وتقي
فكم وكم يمم الطلاب ساحتها | بحور علم بها كل الورى تثق
يرضى بها الطالبون العلم منطلقا | للعلم يالك من علم ومنطلق
لله ما اعترفت لها العصور به | من ساميات الهدى والدين والخلق
لا زال من أهلها فتى سليل فتى | وحوله حدّق الطلاب كالحلق
ثم الصلاة على المختار ما اعتنقت | م الوابل الهتن الأغصان بالورَق

ويقول الشاعر يحي بن دحمود يفتخر بقومه بعد ذكره منازلهم:

بـلى فـبـنـوا أبـــات أكـــرم معشر ... تعاطوا بها حكما صحيحا مرجعا

متى تأتنا تسمع حديثا وآيـة ... وتـبـصر شيبا سـاجـديـن وركعا

ترى بهن شبابا معربين تراجعوا[1] ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا[2]

فحزنا معالي المجد مذ هو أمرد ... وليدا وكهلا حين شاب ويافعا[3]

تـــورث مـــن آبـــاء صـــدق أجلة ... عـلى حـين مجـد الأكـرمـين تصدعا

---

(١) يعني ترى الشباب الذين يقرؤون ويراجعون هذا البيت الذي هو من شواهد الألفية في فصل أما ولولا ولوما عند قول بن مالك:

وقد يليها أسم بفعل مضمر ... علق أو بظاهر مؤخر

وهذا الشاهد به يؤتى في آخر الكلام في هذا الفصل، وفيه إشارة إلى أن هؤلاء الشباب دخلوا في عمق الألفية لأنهم أصبحوا في ربعها الثالث كما هو معروف.

(٢) هذا عجز بيت لجرير وهو قوله:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وهو من قصيدة له يهجو بها الفرزدق

العقر: ضرب قوائم الناقة بالسيف، النيب: الناقة المسنة.

بني ضوطري: ذم وسب والضوطري: الرجل الضخم اللئيم الذي لا غناء فيه.

الكمي: الشجاع المتكمى في سلاحه أو الجريء الشجاع المقدام.

المقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر.

والمعنى: لولا عددتم أو عقرتم الكميَّ يعرض بالفرزدق الذي افتخر بعقر جده للنوق، وإنهابها للناس.

(٣) هذا البيت مأخوذ من قول الأعشى المشهور:

فما زلت أبغي الخير مذ أنا يافع ... وليدًا وكهلًا حين شبت، وأمردا

ويقول الشاعر محمد يحي بن الطالب محمد في نفس السياق:

دعني فخيران منه الترب قد سترت ... أس المعارف شمس العلم ذا الرشد
أبو مصابيح تلك الأرض من مضر ... أشـيـاخ أبنائها والـنـازح البلد
أبـات منـقـذهـا بـإذن خالقها ... ممـا يـدنـسـهـا وشر ذي حسد
إذكان والشيخ عبد الدائم اجتمعا ... ونخبة من ذرى الأشراف ذات يد
عـلى حـراسـتـهـا مـن كـل شائبة ... وحـل معضلها ونـصرة الصمد
هـم النهاية للأمثال إن ضربت ... في العلم والحلم والتقى بلا فند
وفي السخا والندى وكـل مكرمة ... وفي تـراحمـهـم وأزرة العضد
لا يطمحون إلى الأهـواء مكسبهم ... درس العويص وحفظ المتن والسند
أبطال حق إذا الطرق التوت وهمُ ... يـوم الـترافـع أهـل الحـل في البلد.

الفصل الثاني
في مدح القبيلة بالشعر الحساني

للشعر الحساني حضور وتاريخ كبير في المجتمع الموريتاني، فينشدونه في جميع الأغراض الشعرية من غزل، ونسيب، ومديح، وهجاء، وحِكَم، ومواعظ، وغير ذلك، وقد تؤدى به معان رائعة جدا، قد لا تؤدى إلا به، وسنورد هنا بعض القصائد التي مدحت بها قبيلة أهل ابات،

وسنبدؤها بهذه القصيدة الرائعة،

يقول الشاعر الحساني المفوه: أحمد بن آبكه: [١]

حـد اسـمـعْ بـاهْـل ابَّــاتْ أكــالْ   وَخْـــيَرْت ألَّ جـــبْرتْ مقصودْ
بـاهـل ابَّــات اتْـنَــجَّ مــنْ حَــالْ   وخْـــيَرْت أرَاتْ امْـنـيْن اتْـعـوُدْ
بـيـهـمْ فــات الـحــي الـكــسَّـامْ   مــن فـضـل عــلَّاهُــم بــاتمـامْ
مــن فـضــل واعْــطَــاهــم مَـقــامْ   فَــوك الــنــاسْ اولاهُ مجْـحُـودْ
مــن فـضــل واعــطــاهــم تـكْـدامْ   لَّـــلالـــواحْ مــع يــاسر محـمـودْ
فـيـهُـم مَـــاهُ شـكْـر ابْـلـفَّـامْ   سَــاكــنْ حَـــوْظُ مَــاهُ مــهْــرُودْ
حـد اسـمـعْ بـاهْـل ابَّــاتْ أكــالْ   وَخْـــيَرْت ألَّ جـــبْرتْ مقصودْ
بــاهـل ابَّـــات اتْـنــَجَّ مــنْ حَــالْ   وخْـــيَرْت أرَاتْ امْـنـيْن اتْـعـوُدْ
شَفن فِيهُمْ صِيفَتْ الَاشْرَافْ   الِّ الجِـيـبُ لَـكْـتُـوب اوتَـعْـرافْ
لـكـتُـوب ابْــلــشْرَاف أوتـــشْراف   الأنْــفــاس أُوذَ فيهم مــوْجُــودْ

---

(١) أهل آبكه أسرة من قبيلة إديشلي المعروفة.

أَشْراف أُولاَ فيهُم الاطْـرَافْ		أجْــوادْ أولاَ فـيهُـم مْحْـسُـودْ
لــلـنَّــاسْ ألا فِـيـهـم خِــلافْ		الْــسُــنــتْ سِــيــدْ الــوُجــودْ.
حـد اسـمـعْ بـاهْـل ابَّـــاتْ أكــالْ		وَخْـــيَـرْت ألّ جــبْرتْ مقصودْ
بـاهـل ابَّــات اتْـنَــجَّ مــنْ حَــالْ		وخْـــيَرْت أرَاتْ امْـنـيْن اتْـعـوُدْ
أهـل ابَّــات اشْراف وْزَيْـنِـينْ		وسَّـــاهَ ذَا الْحــي المَـتِـينْ
وَدِيـــبِــــينْ مْــــعَ صـلاَّيــنْ		لـلْـمـعـبُـودْ الْـعُـبَّـاد ارْكُــودْ
بَــلّ افْـتـيـحْ الــشَّـكْـلَ فـمْـنَـيْنْ		تـعـسر واتــعــودْ الـشـكْـلَ كُــودْ
هــذا بَــعْــد أرَاهُ شِ زَيْـــنْ		حَــدّ إفَـاصــلْ شِ زَيْــن اعــودْ.
حـد اسـمـعْ بـاهْـل ابَّـــاتْ أكــالْ		وَخْـــيَـرْت ألّ جــبْرتْ مقصودْ
بـاهـل ابَّــات اتْـنَــجَّ مــنْ حَــالْ		وخْـــيَرْت أرَاتْ امْـنـيْن اتْـعـوُدْ
أهـــل ابَّـــات ابـلــد عــادُ فـيـهْ		ألَّا حـــدٌ اتـــم اجـيــهْ
زايـــرْ يــتـبركْ بـيــهْ الـفـيــهْ		الـــبركَ وابــلــد لــلــسُّـجـودْ
فـــالجُــدُود أذاك ال فـيـهْ		الجُـــدود الاَّ فــالمَــوجُـودْ
أعَـــاكَـــبْ ذَ مــا يـطـر فِـيـهْ		نــاقَـص عــن كَــان الاَّ مَــزْيُـودْ
حـد اسـمـعْ بـاهْـل ابَّـــاتْ أكــالْ		وَخْـــيَـرْت ألّ جــبْرتْ مقصودْ
بـاهـل ابَّــات اتْـنَــجَّ مــنْ حَــالْ		وخْـــيَرْت أرَاتْ امْـنـيْن اتْـعـوُدْ

ويقول الشاعر الأديب الشيخ حمادي بن الدمين الرمضاني الجكني

في شعره الحساني الجميل الذي يسلم به على الجماعة لما نزلوا قرية أم النوار:

فـلـحـقـيـق يَـــلِّ تخـتـيرْ		يـصـلـح لــك جمْــع الــزيـاراتْ
بــلــعَـجْـلَ غــافــس سيرْ		لهَـل ابــات ازُورْ اهــل ابَّــاتْ
أخـير مْــن الــنــاس الخِـيــارْ		أو تَّــامــسْ فَـــرْحَ بـخـبَـارْ
بَـــنْ اهْـــلَ ابَّـــاتْ امّ الـنَــوارْ		نــزْلــوهَ وَصـــلْ كــطْ اغــلاتْ

غَـــيْر ازْداد اغـــــلاهَ بَـــطْــوَارْ بَـاهـل ابَّـــاتْ اقـطـابْ اقُـضَـاتْ
فــلــحــقــيــق يَـــــــلِّ تحْـتــيرْ يـصـلـح لــك جمْـع الــزيــارات
بــلـــعَـــجْـــلَ غـــافـــس ســيرْ لهـل ابــات ازُورْ اهــل ابَّـــاتْ
افْـتَــخْـرَتْ رَمــظــانْ الــكـبَّـارْ بهْـــل ابَّـــــاتْ إلَـــيْن الجَـــاتْ
ابْــلــخــيــامْ اُبَـــنَّــــاتْ اديَـــارْ عـــادُ رمْــظـــان افـــمَـــسرَّاتْ
مـــن ذاكْ اشــديــد اهـــذا سَـــارْ هُـــونْ اولادْ الــرَّمــظــانِــيَــاتْ
ولِّ بـــبَّـــات وامَّـــــــاتْ واصـــلـــحْ لُ مـــولان لـــبَّـــاتْ
مَـــنْ هُـــومَ ذُوك اهْـــلَ ابَّـــاتْ
فــلــحــقــيــق يَـــــــلِّ تحْـتــيرْ يـصـلـح لــك جمْـع الــزيــارات
بــلـــعَـــجْـــلَ غـــافـــس ســيرْ لهـل ابــات ازُورْ اهــل ابَّـــاتْ
ازْوَاي بـــسْـــتَـــزْوِ عـجـيـبْ واشْراف بـــشَـرَف مـــاهُ اكــذيــبْ
شَرَفْــهُــم مَّـــا فــيــهْ اتـعَـاكـيــبْ مـصـحَّـحْ فـاكـتـوبْ الـــرُّواتْ
وِدَوْرُوه الاَّ لـلـمجِـيـبْ مُـول المـلـك الــواحــدْ فَــالــذَّاتْ
مــا كَـــبْــظُـــوه ابْـــذاك اتـنـيريـب لامْـــر الــطَّـــلْــبَ وَالهَـــدِيَـــاتْ
شرفْـــهُـــم مَّـــا جـــرْلهُـــمْ عَـيـبْ مَحْـــلَّاهُـــم شرفَ وسَـــــادَاتْ
فــلــحــقــيــق يَـــــــلِّ تحْـتــيرْ يـصـلـح لــك جمْـع الــزيــارات
بــلـــعَـــجْـــلَ غـــافـــس ســيرْ لهـل ابــات ازُورْ اهــل ابَّـــاتْ

ويقول الشاعر والفنان الكبير: اب فال بن محمادو

صـــالحـــين الـــديـــن الـــقـــويـــم إريـــــج فـــوقـــات أهــــل ابـــات
يـــــارب تـــكـــرم بـــالـــنـــعـــيـــمْ صـــالحـــين إريـــــج فـــوقـــاتْ
عـفـاكـم يـا الـزعـم الاقـطـاب لَـــولـــيـــاي الـعــلــمَ الانـــجـــابْ
يـــلي درســـــت كـــل اكـــتـــاب أيـــلي مـنـكـم رواتْ الـــرواتْ

أيـــلي فـنـيـت شرخ الـشـبـاب	فـالحـديـث الـزيـن والآيـــاتْ
مـنـهـج سـنـة سـيـد الاعـــراب	فـيـديـكـم مـــاه بـالـتـنـعـاتْ
ألاه بـالــبـدع والـتـكـلاب	ألاه بـجْـمـيـع الـفـنـيـاتْ

ويقول الفنان الكبير: محمد محمود ابن ابَّيْسيف بن انجرتو:

عـفـاكـم يخـيـمـت الاجــــوادْ	يـاهـل ابـــات انـتـوم الاسـيـادْ
يـالــشرف حـك ابـلــد مـيـعـاد	لـلـطــماع او يـابـلـد عــترتْ
لمـــرو والـــديـــن اولمــكـــاد	يمنكع الاحـســـان اومـــدرتْ
خـــير امـــعـــرم فـيـكـم يــتراد	مـــن درج مـــا كـــط انـحــدرتْ
يـمـعـدن الاشراف الـتـلاد	الافـاضــل الاقــلاظ انـخـترتْ
جـيـت امـعـيـنـكـم مـــان كـاد	نـوعـد خـاطـيـكـم مـا عـمـرتْ
بـيـه اخـــلاك مـــان مـعـتـاد	بي عـــزتـــكـــم يـــســـدرتْ
كـبر المــد الـفـيـه اخـترتُ	يـم اكـبـير امـشـال نـدرتْ
مـــن فـعـل مـــا كـــط افـــترتُ	والـنـاس ال خـاطـيـكـم فـترتْ

ويقول أيضاً:

وخـيرت ال سـادر مـن كـل باب	مـــن الـشـان امـوكـف شـانْـهَ
عند اهل ابات الاشراف الاقطاب	اعـــمارت الــســن وازمـــانْـــهَ
واعــمارت الجـود امنـين ينصاب	اوذي الام شـانـه واعـوانْـهَ
الـنـجـع الِّ مـــا كـــط انـثـل	نـجـع لَـكْـلاكـمَ اوهـــذا كـدو
اولا كـط انـثـل بـيـه ال كُـلْ	جـايـبـه مـــن بـــوه اوجـــدو

ويقول محمد عبدالله ولد اكليب:

أهــل ابـات الــنـاس التنكاس	أهـــل لمـــرو واهـــل المـعــروف
واهــل الـعـلـم أعـنـد القياس	في الأصــل ونـص مـاه مـعـروف

الفصل الثالث
في مدح أفراد من القبيلة
وهو يشتمل على ثناء عام عليها

ونذكر في هذا الفصل قصائد قيلت في أفراد من القبيلة، وتم الثناء فيها على القبيلة عموما، فمن ذلك:

قصيدة الشاعر الدكتور أحمد سالم بن محمد الخضير بن ما يابى الجكني، التي يمدح بها شيخنا العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله التي يقول فيها:

ركوبا لنجب السير تحدي نهارَه	نـزولا بـزهـو العلم تَجنِـي ثـمارَه
بـذاك محمد ابـات يعفوا خيارَه	ويختـار في زهـو المـعـارف دارَه
ألا فاغبطن في الناس من كان جارَه	ألا فاحسدن في الخلق من هو زارَه
عـلى جـاره يحنـوا ويخفيه عـارَه	يـداوم فيه النفع يحمي ضرارَه
لـزائـره يحـلـوا الحـديـث نهـارَه	عـلى هيبة نـعـم الـوقـار وقـارَه
ولا غـرو فالنحرير إن مـدارَه	ولا بدعة - يحكي ويتلوا نجارَه
تجمع فيه العلم أعـنـي كـبـارَه	بأشكاله الجـلى فـأحـرى صغارَه
وأعـلـن عـن فعل الفخار ظهاره	عـلى أن منه الـسر يتلوا جـهـارَه
وعن كل ما يـزري يصون اعتبارَه	بكامل حسن الوصف يبني افتخارَه
لـذاك محمد ابـات ينمي نـزارَه	كذلك نجل العلم يعلوا منارَه.

ففي البيت السادس والبيت الأخير من هذه القصيد إشادة واضحة بأسلاف العلامة محمد ابات رحمهم الله تعالى.

ويقول الشاعر الكبير محمد الأمين بن أحمدٌّ فال التندغي

في قطعة رائعة من مشطور الرجز يخاطب بها الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله يقول فيها:

لأحمد السميذع المفضل ... تحية في النشر كالقرنفل
أطيب من راح بماء العسل ... نسيبها نسيج حوك الغزل
يصغي لها بمسمع ومقل ... من يدري تركيب إنشاء الجمل
إلى بيوت الأكرمين الكمل ... الحائزين فخر كل محفل
لولاكم لم ير فرق ينجلي ... بين ضمير الفصل والمتصل
لا زلتم بالحفظ والتجمل ... تمشون في رأد الضحى والطفل
والفخر شأوه بعيد المنزل ... وقد سبقتم في الرعيل الأول
المعتلين فوق كل معتل ... على السها وفوق نجم زحل
رسالة تضمنت في أملي ... نجاح ما يكون من مؤملي

ويقول الأستاذ الأديب: محمدٌّ بن الامين بن أحمد التاكاطي حفظه الله، مقرظا كتابي بلوغ الغاية في شرح نظم النقاية في علم البلاغة:

ببَحْرِ العلم تزدحم الدلاءُ ... فدلو الشيخ أسْعفه الرِّشاءُ
فغاص البحر في طلبِ اللآلي ... فأُخرجت اللآلي كما يشاءُ
بشرح للنُّقاية مستفيضٍ ... رصين اللَّفظ ميزه العطاءُ
بلوغ الغاي في أنق المعانِي ... بهذا الشرح يكتمل البناءُ
فيتضح البديع لقارئيه ... بيان كالمصابح إذ تضاءُ
ولا غرو المؤلف من بيوت ... لها الشرف المحقق والإباءُ

عيون بالمعارف جاريات بحـــورٌ لا تكدرها الدلاءُ
لعبدالله أحمد ألف شكر وعند الله للعلما الجزاءُ

ويقول العلامة محمد عبد القادر بن أحمد اللمتوني ثم التاكاطي

في رجز يثني فيه على الأخ الفاضل محمد احمد بن عبد التار حفظه الله تعالى:

تحية تزيد في الود الحقيقْ مملوءة بالحب للأخ الشقيقْ
وهو الفتى خليلنا محمدُ أحمد أبقاه الإله الصمدُ
فضيلة الأخ اللبيب المنتمي لنجل عبد التارِ نجمِ الانجم
فطيبه من طيب أصله استمدْ وكم سرى طيبُ الجدودِ للولدْ
نعم الفتى وما له من خُلُقِ فلا يرى إلا بوجهٍ طلِقِ
همتُهُ في خدمةِ الأعلامِ وخدمةِ العلوم والإسلامِ
مفتاحُ خير شأنه عزيزُ وزانَه الورعُ والتبريزُ
وفي المساجد معلقُ الجَنانْ وهو وسيلةٌ إلى نيل الجِنانْ
لله ما أودعه من سرِّهِ وما حوى جَنانُه من برِّهِ
عليه مني عددُ الألوفِ من السلام الدائم المألوفِ
سلامنا عليه ليس ينحصرْ لكنني على الدعاء أقتصرْ
يا ربنا فاحفظه من كل مخوفْ بجاه من كان ببيتك يطوفْ
وجد له بالدرجات الفاخرهْ في هذه الدار ودار الآخرهْ
وهب له التعمير في الطاعاتِ مؤمَّنا من سائرِ الآفاتِ
مبجلا في صحة وعافيهْ ونِعَمٍ من كدرات صافيهْ
وهب له النصر على الأعداءِ أنت المجيب فأجب دعائي
ثم على جماعة القبيلهْ تحية فائقة جميلهْ
جماعة الأماجد الأشرافِ من عرفوا بالعدل والإنصافِ

واشـتـهـروا بـين الأنـام بالعلومْ ... لازال نـشر العلم فيهم يـدومْ
أبـوهـم أبـــاتُ نـعـم الـنـسـبُ ... ونـعـم الابـنــاءُ ونـعـم الحـسـبُ
وإنـــي أحبـــهم في الله ... حـبـا صـحـيـحـا مـا لـه تناهي
إذ كـل مـا لله دام واتـصـلْ ... ومـا لـغـير الله خـاب وانـفـصـلْ
ثـم الـصـلاة بـالـسـلام تشفعُ ... عـلى الـذي لـهُ المـقـام الأرفـعُ
محـمـدٍ خـاتـمِ الانبــياءِ ... والآل والأصـحـاب الاتـقـيـاءِ
والـتـابـعـين لهـم في الـديـنِ ... مـن نـشروا الـعـلـوم بـالـتـدويـنِ.

ويقول الشاعر الكبير أحمد فال بن اعبيدي في رثائه للعلامة أبات:

وكم بث علما في الصدور مؤثلا(١) ... تـضـلـع(٢) منه جـاهـل وبـلـيـد(٣)
تــورث مــن آبـــاء صـــدق أجلة ... وأفـضـل علم الـعـالمين تليد(٤)

إلى أن يقول:

فــورثــت الأبــنـــاء أبـقـى وراثــة ... غطاريف(٥) تصطاد العلى فتصيد
تــلــوح(٦) بـآفـاق الـبـلاد كأنها ... مصابيح أعـــلام(٧) لهـن وقـود

(١) مؤثلا أي أصيلا وقديما.
(٢) تَضَلَّعَ الرجلُ: امْتَلأَ ما بين أَضْلاعِه شِبَعاً وريّاً.
(٣) البليد: ضد الذكي.
(٤) التليد: القديم المتوارث.
(٥) تلوح أي تظهر.
(٦) الغطاريف: جمع غطريف وهو: الشريف والسيد السخي كثير الخير.
(٧) الأعلام: الجبال الطوال، يقول كأنها مصابيح على رءوس الجبال يراها كل الناس، وفي هذا المعنى تقول الخنساء في أخيها صخر:

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فإن حسدوا فإن للمجد حاسد ... على مثل ذا يلفى لديه حسود[١]
وقد ورثوا المجد الأثيل[٢] وقبلهم ... لدن[٣] تقتفي[٤] إثر الجدود جدود[٥]
حسود منار المجد تحمي قوامه[٦] ... بدور تسامى حولهن سعود[٧]

ويقول الشيخ: سيدي محمد بن بادي في رثاء العلامة أبات أيضا:

يا روضة من رياض القدس زاهرة ... حلاك رب الورى بالحبر ذي الورع
أبات حارسها من ذي خيانتها ... بالعلم سائسها شجاعها الصرع
فتاح مقفلها وضاح مشكلها ... فضاح خائنها والملحد اللكع
لا زال منتجعا مرعى طريقته ... من طالب العلم يقفو إثر منتجع
قافي الرسول على سواء سنته ... مدني غوامضها إمامها الورع
صارت لأبنائه من بعده خلقا ... حراسها بالتقى لم تخش من جزع [٨]

---

(١) الحسود والحاسد: هو الذي يتمنى أَن تتحول إِليه نعمة المحسود أوفضيلته أَو يسلبهما، والفضلاء وأهل النعم لا يخلون من حسد كما قال زهير:

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

(٢) المجد الأثيل أي القديم والأصيل.

(٣) لدن: هنا ظرف زمان، أي وقبلهم زمانا تقتفي الأبناء آباءها وأجدادها.

(٤) تقتفي أي تتبع.

(٥) الجدود: جمع جد وهو والد الأب أو الأم.

(٦) قوام الشيئ: ملاكه ونظامه الذي يقوم عليه وهو بكسر القاف وقد تفتح، كما في مختار الصحاح.

(٧) السعود أربعة، وهي من منازل القمر، تطلع في آخر الربيع وقد سكنت رياح الشتاء ولم تأْت رياح الصيف، فأَحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم في أَيامها، لأَنك لا ترى فيها غُبْرة، فهو يقول إن هذا المجد تحمي قوامه البدور وهم العلماء الكبار وحولهم الأبناء الذين هم كأنجم السعود.

(٨) والقصيدتان تقدمتا في ترجمته رحمه الله.

ويقول العلامة الأديب محمدُّو بن العلامة أحمدُ بن مود الجكني.

رثائه العلامة: محمد محمود بن أحمد بن أبات:

تـصـدر للتدريس مـذ هـو يافع … فصار الإمـام العدلُ ياحبذا العدل
لقد كـان عضبا للتبدع قاطعا … يـشـاد بـه حـق يـزاح بـه بُطل
وقد جمع الأمـوال والعلم والندى … وما المجد إلا العلم والمـال والبذل
ومـا نـال ذاك المـجـد إلا وراثـة … وكائن يفوق الأصلَ في إرثه النجلُ
«وهـل ينبت الخطي إلا وشيجه … وتـغـرس إلا في منابتها النخل»

ويقول الشاعر الكبير: محمد الحافظ بن احمد

في رثائه لشيخنا العلامة: محمد ابات بن محمد:

ومن أعظم الرزء الذي يجلب الأسى … رحـيـل حـنـيـف قـانـت وهُـمـام
جدير بحل المشكلات إذا الْتوت … بعيد مـغـاص في الـفـهـوم إمـامِ
محـمـد أبـــات الإمـــام رحيـلُـه … عـلى ملة الهـادي كـوقـع حُـسامِ
ومـوت الهـداة الراسخين بعلمهم … أجـل رزايـــا في الحـيـــاة جسام
فـما هــو إلا عـــالم وابـــن عـــالمٍ … ومـن بيت علم في الـورى متسام
نـــماه إلى أبـــات أكـــرم محـتـدٍ … لآبـــاء صـدق في الـفـخـار عظام

---

(١) البطل بضم الباء: الباطل.

(٢) ضمن هنا بيت زهير المشهور وهو من قصيدة يمدح بها هرم ابن سنان وأسرته وقبل البيت المذكور قوله:

وَما يَكُ مِن خَيرٍ أَتَوهُ فَإِنَّما … تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِم قَبلُ
وَهَل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إِلّا وَشيجُهُ … وَتُغرَسُ إِلّا في مَنابِتِها النَخلُ

وهذه المرثية تقدمت في ترجمته رحمه الله كاملة.

إلى أن يقول:

أيا أشرف الأشراف صبراً وسلوةً وإن هُـدَّ ركنا يذبل وشَـمامِ[1]

ويقول الشاعر الكبير:

محمد محمود السالم بن شمس الدين الجكني في رثائه أيضا:

برٌ تقيٌ خاشعٌ متواضعٌ لايختشي في الله لومة لائم

ولى المعارضُ بالخسارةحاملا خفي حنين خاضعا لهزائم

حُلوُ الشمائل لايمل جليسه منه الفكاهة دون أي مآثم

يكفيه فخرا أن أحمدجده وبإرثه قد فاز دون مزاحم

ويقول الشاعر محمد الحافظ بن أحمدو التندغي في رثاء للمرحوم محمد محمود بن الطلبه:

حي الغطارفة الغر الميامينا والذائدين عن الفضل المحامينا

وغرة الشرفا العالي منائرهم داموا الذرى في الهدى والعز آمينا

قد طاولوا النسر والجوزا بمجدهم فما يساميهم فيه المسامونا

أهل التقى القادة الأشراف من سمكوا سما المعالي ومن كانوا المجلينا

ياآل أبات صيد القوم فاصطبروا لا زلتم في أعالي الفضل عالينا

أثابكم ربكم في فقد سيدكم ونال في جنة الفردوس تامينا

---

(١) يذبل وشمام: جبلان معروفان، قال مزاحم العقيلي:

تَظَلُّ نسورٌ من شَمامٍ عليهم عُكُوباً من العقبان عقبان يذبل.

وقوله عكوبا أي عكوفا، وهي لغة الخفجِّيين،انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: (١ / ٢٠٦) واللسان: (١/ ٦٢٦).

(٢) والقصيدتان تقدمتا في ترجمته رحمه الله.

إذا محمد محمودا دعاه إلى   تكريمه في جنان الخلد بارينا
فما لنا غير تسليم ومصطبر   إنا إلى الله بالرجعى لراضونا
وكل نفس لكأس الموت ذائقة   جلى المجلون أو صلى المصلونا
ياآل أباتِ لا شالت نعامتكم   أجرتم في مصاب يثلم الدينا
يارحلة الطالبين العلم يا وزرا   إليه يأرز في اللأوى المضافونا
لازلتم قمة العليا وذروتها   يا خير من يعتفي في القحط عافونا
سقى محمد محمود حبي حيا   من رحمة الله يزجي مزنه الجونا
واستقبلته من الفردوس خردها   حور العيون رخاويدا يحيينا
يدير من قرقف الصهباء عاتقها   عليه ولدانها الغر المسقونا
لله فقد أديب لا نظير له   من عاشروه فمنه لا يملون
لم ينجب القطر من شنقيط مشبهه   إلا الغطارفة الغر الأقلينا
من ذا يناظره في كل محمدة   من يشبه الشيخ في أخلاقه لينا
ودت شمائله الحور الحسان حلى   بها معاطلها الحسنى يحلينا
أبنا محمد عبدالله قدوتنا   أسنى المربين فينا والمرقينا
ويا بني الطلب يا غرا جهابذة   كانوا بأمداحنا الأحرى الأحقينا
لا زلتم لارتياد العلم منتجعا   به تجيزون تدريسا وتلقينا
وقيروان بني أبات دام سنى   يهدي إلى الله بالحسنى الملايينا
ودمتم الدهر من أسلافكم خلفا   بمستفيض أياديه يحايينا
بجاه أحمد خير الخلق من مضر   صلى الإله عليه والمصلونا

ويقول الفنان الكبير: محمد محمود ابن ابَّيْسيف بن انجرتو يثني على الأخ محمد محمود بن أحمد حفظه الله.

وفيه أيضا ثناء على القبيلة:

قـافـس يـعـكـلِ بـالـتـمـجـادْ محـمـد محـمـود إدوم اجـبـارُ
ول احمـــدْ ذا ول ابـــاتْ ذا كـــد اخـــبـــار فـــانـــظـــارُ
لاه نـحـكـيـةَ مـــان كـــاد مـــا نــحــك يــالــنــاس اخــبــارُ
لمـــــروّ بـــالـــكـــل اكـمـلـه والــكــشــفَ بــالمــد اكــتــلــه
والــديــن اخــبـــارُ عــدّلــه وازمــــان فـــج اعـــل جـــارُ
وامـــروتُ زاد امـصـكـلـه واشِّ يحـــلاو امـــع تـــكـــرارُ
واسَـــشرفّـــه واعـــدلْـــهَ فـــلّ قـــصـــد والّ دارُ
والـــطـــلـــع يـــكـــدر يحـفـلـه اويــعــط المــســئــول الْــشــكــارُ
اقــاطــع عــنُّ زاد ارجــلــه عــنــد إلى لُــوجــوه احمـــارُ
الِّ مــســتــشرف وامــعــدلْ وال طــبــع مــا كــط اخــتــلّ
وال لـــيّن فـــالـــلـــين ابـــكـــلّ الـــلـــين وبـــظـــان واكـــريـــم
اوعـــن لمـــروّ مـــا كـــط اعـجـلْ مــنــهــا يــصــبــح فــيــهــا وأكــيــم
اعـــطـــاي امـــعـــطـــاه امـهـيَـلْ يــشْــوَ غــنــي واســـو عــديــم
ضــيــفُ يـتـمـونـك كـــان انـــزلْ فَـــمْ اوجـــه مـــاه اوجـــه لئيم
وَجْـــه مـــن الـــكـــشـــف يتكَنكَل وافْـــبَـــلُّ لـــلـــخـــطَّـــار اخـــديـــم
مـــنـــه ذا محـمـد محـمـود هـــذا ولـــ أحمـد ول ابـات مـن خيم اداريـم
لــلــســتر وعـــنـــه مــاكــط اتحـول يــصــبــح فـــيـــهـــا واكَـــيـــم
أذاك امـــن ابـــاتُ وامـــاتُ تـــســـلـــســـل مُـــنـــتْ أقـــديـــم
اوخـــيـــرت امـــل بـــبـــاتُ وامــــاتُ والــــراكَـــع لـــكـــريـــم.

عـفــاكــم يخـيــمــت الاجــــــوادْ ... يــاهــل ابـــات انــتــوم الاســيــادْ
يــالــشرف حــك ابــلــد مـيـعـاد ... لــلــطــاع او يــابــلــد عــترتْ
لمـــرو والـــديـــن اولمــكــاد ... يمنكع الاحـــســان اومـــدرتْ
خـــير امـــعـــرم فــيــكــم يــتراد ... مـــن درج مـــا كـــط انـــحـــدرتْ
يــمــعــدن الاشراف الــتــلاد ... الافــاضــل الاقـــلاظ انــخــترتْ
جــيــت امـعـيـنـكـم مـــان كـاد ... نــوعــد خـــاطـيـكـم مـــا عــمــرتْ
بــيــه اخــــلاك مــــان مــعــتــاد ... بي عـــزتـــكـــم يــــســــدرتْ
كـــبر المـــد الــفــيــه اخـــترتُ ... يــم اكــبــير امــثــال نـــدرتْ
مـــن فـــعـــل مـــا كــــط افـــترت ... والـــنـــاس ال خـــاطـــيـــكـــم فـــترتْ

قلت: وهذا الكم الكبير من المديح والثناء الكثير الصادر لهم من كل طبقات المجتمع، لا يأتي من فراغ، بل هو ناتج عن تراكم كبير للبذل والتضحية، وقد قال المتنبي:

ما ابيض وجـه باكتساب كريمة ... حـتـى يـسـوده شـحـوب المطلب

ويقول الآخر:

لـولا المشقة سـاد الـنـاس كلهم ... فـالجـود يفقر والإقـــدام قتال

وأحسن من هذا كله قول علقمة بن عبدة التميمي:

والمـجـد لا يـشـترى إلا لـه ثمن ... ممـا تـضـن بـه الـنـفـوس معلوم.

وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا الثناء عليهم بالخير، شهادة يتقبلها الله عز وجل، فقد ثبت في الصحيح من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ

اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ) [1]

ثم ننتقل إلى الباب الثاني:

---

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٩٤٩).

الباب الثاني

فيما قالوه من الأشعار

وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: في شعر العلامة: محمد احمد بن الطلبه.

الفصل الثاني: في شعر العلامة أحمد بن الطلبه.

الفصل الثالث: الشاعر: أحمد بن جدام

الفصل الرابع: في شعر الشاعر: أحمد بن سيد عبدالله

الفصل الخامس: في شعر الشاعر: يحي بن دحمود

الفصل السادس: في شعر الشاعر: الشيخ بن سيد عبدالله

الفصل السابع: في شعر العلامة أحمد بن محمد محمود

الفصل الثامن: في شعر الشاعر محمديحي بن الطالب محمد.

الفصل التاسع: في شعر الشاب إدوم بن دحمود

الفصل العاشر: في أشعار عدة أفراد من القبيلة.

الفصل الأول
في شعر العلامة محمد احمد بن الطلبه

كنا أشرنا في ترجمة العلامة محمد احمد بن الطلبه إلى المواضيع التي تطرقها في شعره، وأن منها النسيب، والمديح والثناء على العلماء،ونحو ذلك، وأننا لم نجد له شيئا في الغزل، شأنه في ذلك شأن كثير من شعراء الإسلام الذين صانوا ألسنتهم عن التغزل بمحاسن النساء، ولا يعني ذلك أنهم اعتزلوه جميعا، بل إنه وجد من بينهم علماء أجلاء، قالوا في الغزل والتشبيب فأحسنوا وأجادوا، وقد ذكرنا نماذج من ذلك في ترجمة العلامة محمد احمد هذا، فليطالعه من أراده هناك، وسنذكر هنا بعضا من قصائده، ونبدؤها بمديحيته المشهورة:

يقول الشاعر الكبير محمد احمد بن الطلبه في مدح النبي ﷺ:

حي الديار التي هاجت لها الذكـــر واستخبرنها وما يرجى لها خبـــر
أمست ترين تريني أربعا درســـت بها وشاو شوى قلبي به أخـــر
وذي فيا عجبا تمسميت غـــدت قفر المرابع ما بربعها بشـــر
تلك المعاهد لي صفا السرور بها ولم يشب صفوه في عهدها كـدر
إن بت صولي ليل من تذكـــرها وربما مد ليل الصب مُدَّكـــرُ
لكم غنيت بها أغتر في سعـــة إن الليالي عقبى أمرها الغـــدر
فبينما المـرء يلهو في الشباب حلى إذا به قد علاه الشيب والكبـــر
فدع شبابا تولى لا مرد لــــه ودع بكاء ديار ما لها أثـــرُ
واصرف زمام لسان لايني هـذرا ما كان نولك أن يرضى الهـــذر
إلى مديح إمام الرسل قاطـــبة عساك في مدحه يقضى لك الوطر
إلى مديح الذي عمت شفاعـــته إذ ليس ينفع من يأوي لـــه وزر

إلى مديح الذي بذّت بنصرتـــــه ... قــوم بـه آمـنـوا قـومـا بـه كفروا
هل يستوي أحد باللات منتصــــر ... ومن بمالك هذا الكون منتصــــــــر
قاد العدى للهدى قهرا ولا أحــــد ... من بعده قادهم ولا له قهــــــــــروا
أمـال بـالأسر أعناق الأولى كفروا ... أذلة بعدما أما لها البطـــــــــــــــــر
ما قر أعينهم ظفر به ولـــــــــــه ... في كل ما ملتقى بزحفهم ظفـــــــر
سائل حنينا وسل بدرا وسل أحـــدا ... والفتح أو خندق الأحزاب هل ذعروا
أغرى نعيما بهم ففض جمعهــــــم ... والريح عاصفة والليل معتكـــــــــر
من قاسه كرما بالبحر ساء بـــــه ... وهل يقاس ببحر زاخر نهـــــــــــــر
أو قاس طلعته بالبدر كيف لــــــه ... إن السهى عن ضياء البدر يقتصـــر
ءاي النبيئين في محياهم حصرت ... وءاي أحمد لا تكــــــاد تنحصـــــــر
منها الكتاب الذي قامت تعارضـــه ... أهل البلاغة من جهل فما قدروا
ما أوتي الرسل من ءاي تؤيدهـــــم ... إلا وللمصطفى من مثلها كبـــــر
فإن ليوشع عين الشمس قد حبست ... فردها لإمام الرسل مشتهـــــــــر
وإن على يونس يقطينة نبتــــــــت ... ظلا له وبها قد كان يستـــــــــتر
فالمصطفى نسجت بالغار ما نسجت ... له العناكيب فالأعداء ما بصروا
أو كان شق لموسى البحر تكرمـــة ... فشق للمصطفى بمكة القمـــــــــر
وغير ذلك مما لست أذكـــــــــــره ... وليس ينكره سفر له نكــــــــروا
نظمت در مديح المصطفى ولـــــه ... عن حسن نظمي غنى أبهى له الدرر
فالدر يزداد حسنا حين تنظمــــــه ... وليس ينقص قدرا حين ينتثـــــــــر
لكن تطفلت بالمقـــــدور منه على ... فضل الذي فضله للناس يدخـــــر
عساه يحضرني عند الممــــات إذا ... إبليس مع جنده بغيهم حضـــــروا
فثم يلهمني رشدي ويأمرنـــــــــي ... بصالح القول من ربي فنأتمـــــروا
عساه ينقذني غدا إذا ازدجـــــــت ... رجلاي واضطرمت للملتقى سـقر

وليس يغني ذويه الظل من لهـــب ... يرمي له شرر ما مثله شـــــــــرر
وسيق من كفروا لحرها زمـــــرا ... وجنة الملتقى سيقت لها زمــــــــر
فالله يدخلني والوالــدين معـــا ... والمسلمين وإن عصوا وإن وزروا
أعلى الجنان ومن فضل يساعدنـــا ... أشهى مساعدة لوجهه النظـــــــر
بجاه من ختم الرسل الكـــرام به ... ومن نذارته تمت بها النـــــــــذر
صلى عليه صلاة لا نفــــاد لهـــا ... ما دام ذو الحوب للغفران يفتقـــــر

وله أيضا في مدح النبي ﷺ:

هاجت له من دفين الشوق ما اعتقدا ... في قلبه فـأثـار الهـم والـنـكـدا
لقيا رسوم تراها العـــــين ثابتة ... ومـا تـرى ثابتا مـن أهلها أحـدا
أيـام إذ شملنا في الـدار منتظم ... وعـين حـاسـدنـا محـشـوة كمدا
وإذ لياليه بـالأوطـار تسـعفنا ... والـدهـر يثلج منا العين والخلدا
وإذحـبـيـبـك في حـال تـسر بها ... ولا تـراه عـلى الـعـذال معتمدا
لكنما الـدهـر مـن أحـكـام عادته ... أن لا تـراه بـحـال دائـم أبـدا
وإنــما الـنـاس أبـنـاء الـزمـان على ... ملاتهـم في عـهـودهـم كـما عهدا
وإن جنحت إليهم واعتمدت على ... مرضاتهم سوف تلقى الهم والنكدا
فعد عنهم ولا تحزنـك فرقتهم ... إن الرشيد يـرى من رأيـه الرشدا
واجنح إلى السيد الماحي تجده يدا ... على النوائب واستنجد به النجدا
مـن لا يـواجـه بـالمكـروه صاحبه ... ومـا عليه وإن طـال الثوى انتقدا
هــذي ايـاديــه تــترا لا نـفـاد لها ... وراحـتــاه علينا تهـمـيـان نـدى
لا تمدحن عـدا خير الـورى أحدا ... من يتخذه رِدا ما إن يخـاف رَدى
فإنما هو فضـــــل الله أرسله ... إلى الخلائق رحمـى والشفيع غدا
هو الـرؤوف الرحيم المرتضى خلقا ... الفاتح الطيب الماحي الضلال هدى

فهدي أحمد باق بعده أبدا ... وأعجزت حاسبيها آيه عددا
جاءت بشائره من قبل مبعثه ... فجاءنا فائقا للمرسلين هدى
إن استنادي عليه وهو معتمدي ... وعز من كان يبغي المصطفى سندا
هذا الذي دونه الأعلام قاصرة ... محمد خير من مولاه قد عبدا
ودون مبلغه الأملاك قاصرة ... وقاصر دونه البحر المحيط جدا
به توسل إلى الرحمن تلق رضى ... مولاك جل وسله عيشة رغدا
فجاه أحمد مقبول وليس له ... عند الإله مرد فاتخذه ردا
أدخلت في حصنه ديني وخاصيتي ... ووالدي وأحبابي ومن ولدا
لم أخش داهية دهماء تدهمني ... منذو اعتلقت به فكان لي مددا
وإنه العروة الوثقى امتسكت بها ... إذن فلم أخش قط طارقا رصدا
ومن تعلق بالمختار مبتغيا ... ما يرتجيه من الرحمن قد وجدا
هذا سميك يذكي للأنام شذى ... يا خير هاد إلى الدين القويم هدى
فاسأل له الله ما يبغي ويأمله ... فإن جودك عند الله ما نفدا
وسله لي سيدي سترا وعافية ... ومحو ذنب وإدراكا لما شردا
وأن أكون على العلياء مستنما ... لذروة المجد فوق الأفق مصطعدا
بوسع جاهك عند الله جل فمن ... أجرت جاز ومن قد ذدت لن يردا
فدلني إليك بما أملت من فرج ... من الجناح وقو القلب والعضدا
لم يحص باللسن أوصاف النبي ولا ... بخط الاقلام حتى تفني العددا
إني وإن كنت وان عن مدائحه ... ولست أفصح بل من جملة البُلَدَا
لكن لأُحْسَبَ من مداح سيدنا ... كيما أفوز كما فازوا مع الشهدا
صلى عليه صلاة كلما سجعت ... ورق وسلم مولى آله السعدا.

وله في النسيب:

أشاقتك من بعد الطلـــــــول مرابع … لسلمى على سهب البؤيـر بلاقـــع

محا ءايهـــا إلا قليل رسومهـــــــا … مـرور السواري والرياح الزعازع

رمـــاد الأثـــافي والأثـــافي جثم … وللورق في أفنانهن تراجــــــــع

فعرج بها واذر المدامع ضلــــة … لتذكار سلمى إذ بها الشمل جامـع

وإذ دبــران الوصل عن تلك غائب … وسعد الملاهي والصبابة طالـــع

لكم ظَلت فيها اليوم حيران والهــــا … وللدمع فوق النحر مني شرائــــع

وما دام صب نازعا لمرابــــــــع … فإني إلى تلك المرابـــع نـــــازع

وله في ذم أرض الجنوب (الشرق)

أرقــت لــبرق بــات يلمع بالشرق … فحفظا لأهل الشرق من ذلك البرق

خليلي إن الــشرق أرض إذا هما … بها الودق ضاقت بالعباد من الودق

تــرى طالبين الــرزق ينتجعونه … كأنهم يــدرون مـا مطلب الــرزق

فبيناهم مــلأى لبانا وطابهم … وعيابهم مـلأى من الــزرع والنبق

إذا هم بحمى لا يـداوى عليلها … فمن تبق تتركه بغيضا إذا تبقي

فسحقا لها من أرض وخـم وبيئة … تسارع في هـدم الـورى أيـما سحق

أرض يظل بها المنهوم يملؤ شدقه … ويـــاوي إلى خرقاء مالئة الشدق

ألا من لأقوام يذمـــــــون داره … ولم ينثنوا إلا بكـــــــاذبة النطق

فمن مبلغ عني خليـــلي محمدا … أخا الصدق في الأقوال في معوز الصدق

ألا تذكرن النذر إن كنت صادقا … فلست بمغلول اليدين إلى العنق

فدع عنك أرض الشرق لست من اهلها … ففي الأرض منأى للبيب عن الشرق

ألا فانح أرضا كان يرضي هواؤها … غـداة تـروق العين مصقولة الخرق

فقاطنها مـا عـاش عـاش مسلما … معافى من الأدوا وذا غاية الرفق

فكم بـين أرض داؤهـــا متتابع وأرض تنيل الرفق ويحك من فرق
وإن أنـت لم يمكنك عنها ترحل فحفظا وأمنا للأمين من الـشرق.

وله في الحنين إلى أوطانه لما سافر إلى شمال البلاد:

تنـــاءت بـــك الأيام أي تنـاءي وأثوتـك أرض غير ذات ثـــــواء
تجاوزت أم البيض والقلب بعدها وخلفت مقطير العريـض وراءي
وأصبحت أرجو لوادان أوبــــة ووادان عندي كان أرض جــلاء
ألا ليت شعري هل أبيــتن ليلـة بخيران إذ هضب الذئـاب حذاءي
وهل تريـــن عيني لأكشط حـرة وفي رمل لَعكَالِيَ كـان شفـــاءي
بـــلاد بها قطعـت نظم تمـائمي وجررت فيها للشبـــــاب رداءي
ليالي يدعوني الهوى فأُجيبــــه وحيث له أدعو يجاب دعـــــاءي

وله في الحنين إلى قومه والثناء عليهم:

خليلي عن قومي أضر فصـــــال ألم يان لي بعد الفصال وصـــــال
وصـال لمن لا بد لي من وصالهم وإن عن لي بيد تهول طــــــوال
يؤرقني ذكـــــــراهمُ كـل ليلـــة وليست ليالي الناظرين تطـــال
فـوالله ما احلولى لعيني منظـــر وليــس لسمعي قد يلـذ مقـــال
لئن عن سواد العين زالوا فلم يكن لهم عن سواد القلـــب ويـــك زوال
فكيف اصطباري عنهمُ وهمُ هـــمُ بهـم لـلـذي أرجـو تحط رحـال
وهـم عـدتي للنائبـــات بأسرهـــا شكاتي إن داء ألـــم عضـال
وهم إن دجى ليل الجهالة دحدحـت مصابيح لا يخشى هناك ضــلال
وإن كدرت أوشـــال ذا الدين كلـها فبحـــــرهمُ صافي الميـــاه زلال
جزى ربنا الرحمن شيخي عبــــده بخير جزا ما لاح ويك هـــلال

على بـــذل يمناهُ وخط بـــنانـــه	إذا ما عرى للسـائلين ســـؤال
ولا زال للراجـين نيل علـــومه	ونيل الدنا والديـــن ثم كمـــال.

وله في مدح أهل الشيخ ابن امني بعد أن ذكر أوطانهم:

لكنـــها قد زانـها سكانـها	أهل السمـاحة والسخـاء الكـملُ
الباذلون جداهــمُ للمجتــدي	ويرى يجـم إذا يجـم النُـــزَلُ
فرضا يـرى إن يسئلوا وإذا هـمُ	لم يسئلوا بجــداهـمُ يـتـنـفـلُ

وله في توديع زميله في طلب العلم العلامة الكبير محمدو الملقب (بادي) بن الشيخ بن امني:

رحيلك يـا أنـس العيون رحيل	بـه في الحشى شـوق إليك دخيل
به في الحشى نار يضيق بها الحشى	وعـــبرة عـين لا تـــزال تسيل
ترحلت لم تعلق بعرضك ذمة	ولـسـت إلى غـير الجـمـيـل تميل
ترحلت محـمـود المـسـاعـي محببا	أحـالـك عـن ذامـي الـرجـال محيل
أعـنـت عـلى التعليم أي إعانة	ذويـه إلى أن حـان منك رحيل
كشفت دجى التوحيد والنحو دسته	وفي فقهه راض عليك خليل
عليك سلام الله ما توجهت طيب	تـسـير بـه مـنـي إلـيـك شميل
فـلا زال مثلي فيك تنعم عينه	ولا زال للحساد فيك عويل
أنالك من جـدواه مـولاك فـوق ما	عفاتك مـن جـدواك أنـت تنيل
محمدٌّ يابن الشيخ لا تنس في الدعا	صديقك إني بالذنــــوب عليل
فمن كـان نجل الشيخ سيد محمد	ففي معدن الخـيرات ذاك أصيل.

ونجده - كما تقدم - لما قدم عليهم العلامة الأديب امحمد بن الطلبه اليعقوبي تلقاه بقصيد جيدة يقول فيها:

طلع الزمان لنا بسعد الأسعد ... بشرى البلاد وهادها والأنجد
وخدت به نجب المطايا نحونا ... فجلا الجوى سير المطايا الوخد
وطوت به مق المفاوز ضمر ... ما بين جلعدة وناج جلعد
ولربما أدنت تباعد نازح ... وبها تباعد وصل من لم يبعد
ولكم أنالتنا المنا من قبل ذا ... وألذها نيلا طلوع امحمد
كنا نشيم بروقه وتشيمنا ... ريح الشمال ندى لذيذ المورد
واليوم وافانا تراكم سحبه ... يهمي بما يبغي لديه المجتدي
قرم الندى نجم الهدى سم العدى ... بدر الدجى غوث الزمان الأنكد
جمع المكارم كلها ولها به ... فخر لأن كانت له بتودد
راض العلوم رياضة فأ ذلها ... بعد الصعوبة واجتذاب المقود
داني قيود شوارد قد طالما ... رصدت ولم يظفر بها في المرصد
حلو الفكاهة لا يمل جليسه ... يزري بقعقاع بن شور الأمجد
ينسي جذيمة مالك وعقيله ... لو كان حدثه بحسن المقصد
وكف السحائب دون طل بنانه ... وتلاطم البحر العريض المزبد
ومداره في كل ما متوجه ... ذات الإله وما أتى لمحمد
هذي إليك تحيتي أرسلتها ... فحييتم من كل نصر أيد[1]
ووقيتمُ شر المخاوف كلها ... وكفيتم من كل عاد معتد

---

(١) الأَيِّدُ القوي ومنه قول الشاعر:

إنّ القِداحَ إذا اجتمعنَ فرامها ... بالكسر ذو حَنَقٍ وبَطْشٍ أَيِّدِ

أي: وبطش قوي. الزاهر في معاني كلمات الناس، لابن الأنباري (١ / ٤٠٠).

الفصل الثاني
في شعر العلامة أحمد بن الطلبه

يقول العلامة أحمد بن الطلبه في أبياته المشهورة وقد أخطأ من نسبها لغيره وقد بينا ذلك في ترجمته وهي:

قـد أيقظت دمـن قفر مرابعها ... تليد مـاض الهـوى ونائم الشجن
يا عين جـودي بها قد كنت صائنة ... من الدموع على رسـوم ذي الدمن
فــذي مـنـازلـنـا وذي منازلنا ... وذي منازلنا في سـالـف الزمن
فالعينُ فالنيرُ فانجيلانُ ياعجبا ... صارت مراتع أهل البحر والسفن

وله في الإشفاق على سكان منطقة (الخط) إبان القحط والجفاف:

يا ويـح من كـان هـذا الخـط منزله ... بعد الخريف يخال الغبن وهو مغبون
فـلا حبيب بـه يجـنـى ولا لبن ... والمحل من قلة الأمـطـار مقرون
لـذاك ضمنت هـذا البيت منقلبا ... معناه لا لفظه فاللفظ محسون
الخـط يبقى زمـانـا بعد صاحبه ... وصاحب الخط تحت الترب مدفون

وله لما استضاف قوما فلم يضيفوه:

زلـت رجـال بالامس أقبح الزلل ... عند المبيت وقبله لـدى النزل
أهـدوا عصيدا قليلا بئس منظره ... وهنا لجمع ومـا أهـدوه عن عجل
قـلـدوا عيشهم بـمـذق مـن إبل ... والمـلـح منعدم والعيش في وجل
فانهار من ميده قبل اللحاق لنا ... شـلـت يـدا أمـة ضنته بالعمل
فبات ملقى على الحال الذي صنعوا ... والحـمـد لله لم يُـشرب ولم يوكل.

وله في الاستسقاء:

يا باني السما بلا عماد ... وماهد التراب للعباد
أدعوك يارب بالاسم الاعظم ... وكل آي في الكتاب المحكم
وكل سورةوكل بسمله ... وكل وقفة وكل هيلله
وبالملائك والانبياء ... والنقبا يا سامع الدعاء
لك التجاؤنا من الضراء ... فأبدل الضراء بالسراء
ضاعت مواشينا بذي البلاد ... من شدة المحل مع التماد
ولا سبيل للرحيل لأحد ... من شدة الجدب بكل ما بلد
أرسل لنا غيثا مغيثا ممرعا ... حتى نرى كل مسيل مترعا
وكل واد مزبد تياره ... يلقي على أرجائه أشجاره
ضفدعه تسبيحه بكل ليل ... تخاله مدارس الشيخ خليل
يكسو البلاد كلها ملابسا ... يسرنا من ظهرها بعد الأسا
بجاه من بجاهه ترجى السحاب ... أمِّنَّا يوم الجزا من العذاب
محمد هو ابن عبدالله ... محمد خاتم رسل الله
صلى عليه ربنا وسلما ... وآله ما دام فوقنا السما

ومن أدعيته وابتهالاته:

وله أدعية وابتهالات وفي بعضها يتوسل بأعضاء النبي ﷺ فيقول:

بـجـسـد الـنـبـي عـــافي جسد   مـن كـل مـا نـخـاف طـول الأبـد
وبـجـنـانـه يـــاذا الإحـســان   عـلى الإيـــمان ثـبـتـن جـنـاني
واهــد لــسـاني لجــواب الملكين   والـشـفـتـان اهـدهمـا بالشفتين
وحـــل مـنـطـقـي بـكـل نطقي   ونـجـنـي مـن الـشـقـا والـفـسـق
ومــقــلــتــاه بهــما مـسـتـشـف   مـن ذنـب مقلتي يـوم الـرجـف
وأنـــفـــه بـيـمـنـه اعـتـصـمـتُ   مـن شر مـا بـأنـفـي فـد شممتُ
وبـيـــدي خـير الـــورى تـوسـل   بـما فـعـلـت بـيـدي اغـفـره لي

إلى آخرها...

الفصل الثالث
في شعر الشاعر: أحمد بن جدام

هو الشاعر الأديب الورع الفاضل أحمد بن جدام، فأبوه محمداحمدُ بن جدام، وأمه خدجة أم المؤمنين بنت الشيخ المختار، له أخ واحد هو محمد نوح وهو والد المقرئ محمد عبدالله بن جدام وأختان هما:

١. هند، أم أبناء عبد الودود آل مولاي رشيد.

٢. وعيشة، أم أبناء الناج بن الطالب محمد.

درس الشاعر أحمد بن جدام اللغة العربية على سيبويه زمانه العلامة أحمد بن الداد والفقه على العلامة محمد محمود بن أحمد، وكان رحمه الله رجلا فاضلا ورعا، يتمتع بأخلاق تدل على فضله وكرم أصله، وكان ذكيا سريع البديهة في نظم الشعر، ويقوله في كل مجال، فيقوله في الجد والهزل، ويجيد في كل ذلك، وقد طرق في شعره مواضيع متعددة منها الغزل والنسيب والثناء وغير ذلك.

فمن شعره في الغزل والنسيب قوله:

مغنى لمية هاج الهم والخبلا ... أمسى به دمع عين الصب منهملا
مغنى لدى جبنبتي وادي القنيزير لم ... تدع ذواري الصبا من ربعه طللا
ومنزلا قد بدا بالبوج لوعة من ... لذكر مية مشتاق بها ثملا
تلك الديار التي حينا وقفت بها ... أمست منازلها من ميها عطلا
بيضا تغادرني حيران مستهرا ... مستدمنا من هواها الهم والغللا[1]
من كل غانية بض ملاغمها ... غيداء بهكنة تحكي الدمى قبلا[2]
تضني العليل هدوا بالغرام وقد ... تشفيه إذا الداء العضال جلا

تريك وجها كـأن البدر ليلة ذي   عــشر وأربــعــه عليه قــد جعلا
عـجـزاء في كسل حـور مدامعها   عـذراء تشبه غصن البانة الخضلا
فلا يرى عن هواها القلب منهزما   من أجل عاذله تبا لمــــــــــن عذلا
هل تُدنِيَنَّك نجب دورهــا رجف   تحت الرحال تصيل الوخد والذملا[٣]
مــن كــل زيــافــة وجــنــاء جانحة   حرف تباري النوى والأربد الزعلا[٤]
لا يشتكي خفها حيث العتاق شكت   غــوص الهواجرمن إدلاجــه المللا
يطير ترب الحصى من وقع منسمها   تشكوا الهضاب وصم الصخر منتعلا
فتل الــذراع تجـوب البيد جافلة   من كل مهلكة جرب بدت رجلا.

وله أيضا:

ما في الوقوف ولا التذكار بالدار   ولا إذالــة دمــع الـعـين مــن عار
حي المنازل وانــدب رسمهن وإن   لم تـعـرف الــدار إلا بعد إنكار
واعص العذول وصادق أهل معذرة   فــالــنــاس مـابـين عــذال وعــذار

إلى آخرها...

وهذا ما أحفظ منها وهي قصيدة طويلة.

---

(١) مستدمنا: من الإدمان وهو الدوام على الشيء ومواظبته،. والغلل: شدة العطش أوالحرارة في الجوف.

(٢) والبضة: المرأة الناعمة رقيقة الجلد. والملاغم ما حول الفم، تقول العرب: تلغّمت المرأة بالطّيب: جعلته على ملاغمها. وهي طرف الأنف وما حوله إلى الشفتين. والغيداء: المرأة المتثنية من اللين. والبهكنة: الشَّابَّة الغضة. وقوله: تحكي الدمى قبلا: أي تحكي الدمية حال إقبالها.

(٣) قوله رجف تحت الرحال: أي ترتعد تحت الرحال، والوخد والذميل: ضربان من السير.

(٤) الزيافة: السريعة، والوجناء من الإبل: الغليظة، مأخوذة من الوجن، وهو ما غلظ من الأرض. والنوى بكسر النون النوق السريعات، قوله: والأربد الزعلا أي تباري ذكر النعام الذي في لونه غبرة.

وله أيضا في النسيب:

جلا نوح الحمام على الغصون مصون الجامدات من العيون
جفا لي النوم حين القوم ناموا وليس يرى المنام أخو الجنون
وهيج لي البلابل حين غنى كأن دخيلها سهم المنون
أذالك منهُ أم من ذكر دور كستك من الهوى ثوب الشجون
مرابع من أميمة دارسات سقتها الغاديات من المزون
لقيت هوى بهن ودب شوق بأوصالي وعز الصبر دوني
فلم يلفى بهن القلب إلا على برح الهواجس م الفنون[1]

إلى آخرها...

وله في مدح قبيلته أهل ابات:

قف العيس في أطلال مي وسلمِ وغادر مصون الدمع جار كَعندَمِ
بها الصبر أمسى بالغرام مهدما فيالك من صبر الغرام المهدم
فدعني بها أندب زمانا رسومها وخانت إذا لم تلقني بتكلم
وتخبرني عن حيها أين يمموا بقلب العميد المستهام المتيم
أراك تروم أن تجيبك عنهم وهيهات لم تبدي جوابا من ارسم
فلله برق حولها متألق يلوح كتسعار الحريق المضرم
فقلت له من حيث لاح وميضه ربا الخط[2] ومض البارق المتبسم

(١) أصله: من الفنون «فحذفت نون من» قبل حرف «أل» وذلك سائغ عند علماء العربية، وإلى جوازه أشار ابن بونا في احمراره (تكميل الخلاصة) بقوله:

وحذفت مظهرة مع أل وعن تكسر مطلقا ومعها الضم عن.

(٢) أي الزم ربا الخط فهو منصوب على الإلزام، وقوله: ومض البارق: منادى.أي يا ومض البارق.

أيا برق إن لاحت بروقك بالدجا ... لدى الهضب من خيران عرج وخيم

بغيث هزيم الودق هام مدجدج ... تراكم سبتا ليس ينفك ينهم

وخيم على هضب الذئاب معرسا ... بغيث من الوسمي أسود مظلم

ديار بها لاقتك مي بلحظها ... ومن يلتقي حد الأسنة يكلم

تعد لأنفاس الأحبة قتلها ... بأسهم لحظ لاتنهنه عن دمي

لها شبه أم الخشف[1] جار لتسلم ... وهند وليلى والرباب وتندم

فدع ذكر من تهوى رويدك ذا النهى ... هوى نفسك اللجوج غادره تسلم

ولا تخش من جهل تحلمت بعده ... فما ضر جهل بعده من تحلم

ودع ذكر أيام الصبابة مثنيا ... ببنيان ركن الدين بعد تهدم

إلى آل أبات الكرام ذوي النهى ... ومن لهم في الفخر أرفع شيم

متى تأتهم تلفى لعمري مكرما ... ومن يأت أرباب المكارم يُكرم

يعم الورى قدما لدى المحل منهم ... تراكم غيث ذي شئابيب سُجَّمِ

غمام بصوب البذل خيم سحُّه ... فيالك من سح الغمام المخيم

قضاة الورى حقا يموت حسودهم ... بما لهمُ من المكارم ينتمي

فكم من أريم[2] يستضيء بهديهم ... إذا هُو أخو ليل من الجهل مظلم

فلا عيب فيهم غير أن برهمُ ... يَحُط به من زارهم كلَّ مأثم

يمينا بنص العيس من كل عندل ... أمون كبنيان اليهودي عيثم[3]

---

(١) أم الخشف: الغزالة.

(٢) أريم: أحد يقال: ما بالدار أريم أي أحد.

(٣) ٦ العندل: الناقة الصلبة الشديدة، والأمون: الناقة الصلبة أيضا. وقوله:كبنيان اليهودي، كانوا يشبهون الناقة بالبناء العالي ومنه قول طرفة:

أمون كألواح الإران نسأتها. على لَا حب كَأَنَّهُ ظهر برجد

والعيثم: البعير الضخم الطويل.

وكل هجان ذي عثانين جلعـــــدٍ ذمول سريع الوخد ناج عثمثم[١]

لفاقوا جميع الناس شرقـا ومغربا بعلم ودين نافع ومقــــــــــوِّم

يلوموني قومي بإدمان مدحهــم فـقلت لهـم بَلْهَ[٢] الملامة لُوَّمِي

همُ أهل دين الله لا زال منـــهم كثيـــر العطايا عيلم نجل عيلم[٣]

يجـود بشعر كالنضار مرونـــقٍ وكف تري وكف الحيا كيف ينهمي

وعلم جـــــدير بالمنــــافع لم يدع لعــمري لآي الجهل من مـتردم[٤]

كريم مشوق بالمعالي متيــــــــم سليــــــــل مشـوق بالمعالي متيم

فتى من فتى طلق اليدين مكــرم تخيـــــر من طلق اليدين مــكرم

فقدمت مدحي لأهديه نحــوهــم وحـــــق لهـــــم إهداء ذاك المقدم

وأزكى صلاة الله كالســـحب تنهمي عـلى جـدهم في كـل بـدء ومختم.

وله لما اعتدى الدببة على بقرات له في منطقة القنيزر:

أرض القنيزر جنب صاحب البادي وتــيــزواز وهــادهــا والانــجــاد

لهـا سراة جـنـوح الليل ضارية ذئـب ونمر كـذاك أطلس عـاد[٥]

إن يأت فيها الدجى من كان مطرفا يلقى الضواري بين الفرد والنادي

مابينها والــودي ذي القريظ فلا سقته يوما روايـا الـوابـل الغادي

---

(١) الهجان من الإبل البيض الكرام. والعُثْنون شُعَيرات طوال تحت حَنَكِ البعير وهو مفرد وربما جمعوه فقالوا: بعير ذو عثانين، كما قالوا لَمَفْرِق الرأس مفارق.

و الجلعد: القوي الضخم. والوخد: سعة الخطو مع السرعة. والناجي السريع ينجوا بمن ركبه. والذمول: الذي يسير سيرا لينا سريعا، والعثمثم: الطويل القوي.

(٢) بله: هنا مصدر بمعنى الترك، أي اتركوا الملامة، وقد تأتي لمعان أخرى.

(٣) العيلم: البئر الكثيرة الماء، ويستعار للرجل الكريم.

(٤) المتردم: المكان الذي يرقع، ومنه قول عنترة:

هل غادرَ الشُعراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أم هَل عرفتَ الدار بعد توهم

(٥) الأطلس: الأسود والوسخ.

إلى أن يقول:

ألا قل لحاد يسوق الإبل قاصدها هلا اختشيت ضرارا أيها الحادي
تلك الأريضة لا مرعى يجر لها لأن أطلسها يهوي إلى الزاد
لولا اتخاذ كرام الناس مسكنها لكنت أبعد عنها أي إبعاد

وله في القنيزر أيضا:

عج بالنياق لدى جو القنيرير تطوي الموامي بإدلاج وتبكير
لعل ترحالها إن كنت زاجرها يدني لك اليوم بطحاء القنيزير

وله في فترة «الكيطانه» في وادي أغوديت بشمال تكّانت، يشيد بنخيل أهل عبدالله بن أبات، ويمازح ابنهم: محمد عبد الرحمن بن امود بن عبدالله وكانت له نخلات ضعيفات لا تثمر:

ألا حول هذا الوادي لاح لنا نخل لآل عبدالله ياحبذا الأهل
تريك جيادا باسقات فروعها تجود بأكل ما تجود به النخل
سوى نخلات بينهن على الظما أقمن زمانا ما لها ثمر يحل.

وله يخاطب سيداحمد بن أحمد الهادي - لما أرسل لهم أبيات محمد عثمان بن اغشممت التي تحمل ألغازا فقهية ولغوية - ويشيد بشيخه العلامة محمد محمود بن أحمد بن ابات:

يا من يجاري إماما والعلى ملكه هل تستطيع نهوضا دونها حركه
ألزم مكانك خوف الضر مصطبرا على قصورك عن ذي العلم والبركه
علاه فوق جميع الخلق قاطبة كشف الغوامض أفرادا ومعتركه
شأو الإمام فلا تمدد يديك له فكل من رامه فالعجز قد دركه

(١) الأريضة بفتح الهمزة وكسر الراء: الأرض المعجبة للعين الخليقة بالخير. وبضم الهمزة وفتح الراء تصغير أرض.

والشعر دعه سدى يرعى مسارحه ... صعب القوافي وسل ينبئك من ملكه
إن لم تدعه فحلف اليوم مهلكة ... وكم غبي مجال الشعر قد هلكه
الشعر طارت به عنقاء مغربة ... للجو عنك سوى ما ربه تركه
هل ما سعيت بإذن أنت واجده ... أم القوافي لآل الضعف من تركه
للشعر قدما حريم كان محترما ... واليوم بعض قضاة العصر قد هتكه
أجب سؤالا عداك الريب عن ألف ... دلت عل متكلم أخا الملكه[1]

إلى آخرها...

وله في الاستسقاء:

يارب هيئ لنا وابلا ياتي ... بعد الهدو وآت بالعشيات
مرخى الجوانح لم تبرح رواعده ... سحا تجاوب أصواتا بأصوات
ينهل فوق ربى خيران مرتكما ... حتى يجول على الزرق القليبات
ما إن يغادر ظبيا حل ساحتها ... ولا الضباب بأفواه الوديات
له شآبيب لا تنفك ساقية ... بعد الوديات أشجار العديلات
وتنثني حول واد الفج تاركة ... ربط الأمير مزالا حلف أشتات
ما ذا على الله لو أهدى المربات ... تلقي على الأرض أثواب الدجنات
يلقين غيثا هزيم الرعد بارقه ... تخاله الصبح ثاو تحت مشكاة
ينهل فوق ربيات الحريث فما ... يبقين رينا بها تلك الربيات
فلما حدى المزن حاديه قلت له ... هضبَ النعامي سواق المربات
تنفك سبتا بإذن الله ماطرة ... حتى تميد بها زهر النباتات

(١) وتمام السؤال والجواب تقدم في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد في المبحث الثامن من الفصل الاول من تراجم الطبقة الرابعة من هذا الكتاب.

وله في رثاء الفتى الأريب: محمد الامين (حمَّمِين) بن عبد التار:

بين الجوانح نار الـــــهم قد سعرا … طيف الخيال بعيد النوم حين سرا
طيف يغادر ذا السلوان من كمد … لم يستطع رد ما من دمعه انحدرا
أصبحت أودى اصطباري حين ذكرني … طيف الخـيـال حبيبا طالما هجرا
جـادت به بضة الحجلين منطقها … يسبي الحليم وبالبيض الحسان زرى
كـأنـما ساقـهـا أنـبـوب مكرعة … قد هاج منك الهوى والهم والذكرا
فكم تذكرتها بعد التنائي وكم … يبدوا لك الهم من تذكارها زمرا
لا تعمل الفكر في التذكار ويك ولـــــ … ـــكن في الأمين اجعلن تعميلك الفكرا
مـــأوى الأرامــــل لا ينفك ديدنه … أن يقتفي سنة المختار من مضرا
قـاد المـعـالي مـذ أمسـى يجـدد من … عهد الشريعة ما قد كـان مندثرا
قطب الكرام لدى العفاة ذو طرب … ما ضن من سؤلهم كلا ولا ضجرا
كـم قـام يقصد وجـه الله محتسبا … من بعد ما ليله قد جن واعتكرا
بحر تتيه بـه الـسـفـون[1] داخله … يجني من اللؤلؤ المكنون ما بهرا
تسقي الورى نفحات الجود منه كما … يسقي الحيا الأرض إن قد سح وانحدرا
رزء عـظـيـم لـعـمـر الله موتته … عـم الأنــام وعـم الـبـدو والحـضرا
يا جاعلا من بطون الصم معجزة … مـاء الينابيع لا ينفك منفجرا
اجـعـل محـمـدا الأمــين منزله … لديك ظلا من الـفـردوس منتشرا
ألبسه نـورا تحيت الـترب ساطعه … قد يكسف النيرين الشمس والقمرا
مـا إن يـفـارقـه نـعـما يـسر بها … يفوح من طيبها كالمسك إذ ذفرا
واجعله فـوق الـصراط يـوم محشره … ينسل مختطفا كـالـبرق حـين شرا
بـجـاه خـير جميع الـنـاس يومئذ … ما إن ضرارا يـرى كلا ولا ضررا
صـلى عليه مـع التسليم بارئه … ما هـاج نـوح الحـمام الهـم والذكرا

---

(١) السفون جمع سفينة انظر المخصص (١ / ٣٩١).

الفصل الرابع
في شعر الشاعر: أحمد بن سيد عبدالله

وهوالفتى والشاعر الأديب واللغوي الأريب: أحمد بن محمد محمود بن سيد عبدالله بن أبات وأمه مريم بنت الشيخ المختار، درس اللغة العربية على العلامة أحمد بن الداد فبرع فيها، وكان شاعرا قويا، وقد جرت بينه وبين أحد شعراء أبناء سيد احمد بوحجار هو الشاعر القوي الناج بن زين محاكات ومساجلات تحمل بعض الهجاء، ثم وقع الصلح بينهما، وكتب لهم رسالة تحمل أبياتا يثني عليهم فيها ويعتذر لهم عما صدر منه في ذلك وهي قوله:

بلغ سلاما يحاكي ريحه العطرا	إلى الكرام الألى حازوا الندى الفَجَرا[1]
أبنا سداحمدَ من سبل الهدى سلكوا	إن ضل سالكها ولم يجد أثرا
جمَّت مفاخرهم جلتْ مآثرهم	حَازوا تليد الندى وراثةً وشِرَا
إني لمعتذرٌ عمَّا مضى لكمُ	فأنتمُ أهل فضل سادة كُبَرا
ومن يكن حاز فضلا مثل فضلكم	يقبل معاذر من أتاه معتذرا

ومن شعره قوله:

أرقت ليلي لطيف زار ليلا	فهاج لي على بعد تذكار ليلى[2]
وهاج لي قديم الهوى بعد ارعواء	وهاج الحزن للقلب بعد ما تسلى

---

(١) الفجر بفتح الفاء والجيم: هو الكرم والتفجر بالخير. انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٤٧٦)

(٢) لا يخفى ما في هذا البيت من الجناس التام، فليلا في صدر البيت ظرف زمان أي في الليل، وليلى في عجز البيت اسم امرأة.

... إلى آخرها

وله قصائد كثيرة، فمنها قصيدته الرائعة التي مطلعها:

أجـم أسـى نفسي تباعد مهدد ... فـعـزيـتـهـا ولات حـيـن تجلد

إلى أن يقول فيها يفتخر بقومه:

فـيـا عـجـبـا انـا نـذم وكـلـنـا ... عظيم الـرمـاد سيد نجل سيد
ونحن قضاة الناس في كل مشكل ... ونحن الألى حزنا العلى كل سؤدد.

ولما تغرب عن أهله ووطنه أنشأ يقول:

بـان الخليط فدمع العين قد نفدا ... من فرط تذكاري الخليط والبلدا
يهـواكـم الـقـلـب كـلـما بـدا قمر ... ليلا وعند وميض الـبرق حين بدا
وحيثما نـاح ورق، يستهيم بكم ... فقلت للقلب صبرا لا تمت كمدا
فمن سعى قـاصـدا أمـرا يجد له ... ولم يـقـدرْ لـه دهـرا ولا بلدا
فـلـيـس يـثـنـيـه ذكـره أحـبـتـه ... بـل المـدار على تحصيل ما قصدا

ولم أجد له غير أبيات قليلة، بسبب أن معظم أشعاره كانت في المناقضات المذكورة، فأخذتها المرأة الورعة: زينب بنت محمد محمود (اباه)بن محمداحيد، وهي زوجة أخيه الشيخ، فدفنتها كلها - للأسف - دون أن يفرز منها الذي لا علاقة له بالهجاء، إذ بعض القصائد تكون أولها غزل ونسيب، وربما يوجد فيها الفخر، وبعضُ الحِكَم، فلو أنها تم فرزها لكان ذلك أفضل.

وقد سافر رحمه الله إلى أرض الحوض في شرق البلاد وانقطع خبره فيه، واستمر في تلك الغربة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري.

الفصل الخامس
في شعر الشاعر: يحي بن دحمود

هو الشاعر الأديب يحي بن محمد الأمين بن دحمود بن الشيخ عبد الرحمن وأمه: الناجيه بنت سيد محمد بن الطالب باب «بتفخيم الباءين» من فخذ أولاد طالب الجكنيين.

كان من النجباء الأذكياء وكان شاعرا مقتدرا وهو من خيرة طلاب العلامة أحمد بن الداد، فكان لا يبارى في علوم اللغة العربية، وشعره دال على تمكنه فيها، وجودة قريحته، وقد أصيب في وسط عمره بمرض نفسي أخل بنشاطه العلمي والأدبي، وقد أدركْتُه شيخا كبيرا، ومع ما يعانيه من المرض لا تزال صبغة فن الأدب بادية على الكلمات التي تتساقط منه بشكل عفوي، وأظنه كان يحفظ كثيرا من مادة القاموس، فقد زرته ذات يوم في بيته في قرية كامور صحبة الفقيه عبد الرحمن (السيوطي) بن الإمام الجكني[1]، فكانت الكلمات اللغوية تتناثر منه، والفقيه السيوطي يحاول أن يحفظ ما يسمع منه لعلمه بدقته في فن اللغة العربية، لأن السيوطي درس في محظرة أهل ابات حيث درس النحو في محظرة العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات، وقد توفي يحي بن دحمود بعد: ١٤١٩ هجرية رحمه الله تعالى.

---

(١) هو الفقيه النحوي عبد الرحمن (السيوطي) بن الإمام الجكني (أولاد طالب) أخذ العلم عن عدد من العلماء منهم: العلامة محمد محمود بن أحمد بن أبات، ومحمد المصطفى (صدفه) بن ديه، وغيرهما. اشتهر بمعرفته بالفقه والنحو، وله شرح على نظم عبيد ربه، وقد أدركناه هو المفتي والخطيب في مدينة كامور، توفي رحمه الله سنة ١٤٣٠ هجرية.

وقد طرق الشاعر يحي بن دحمود رحمه الله معظم المواضيع الشعرية المعروفة من الغزل والنسيب والمدح والرثاء وغير ذلك وسنذكر هنا نماذج من شعره،

فمن ذلك قوله رحمه الله:

آه على البين يوم البين من سلمه ... بمدمع كفريد سلكه سلمه
بينٌ أثار غراما قد بليت به ... ما إن أراه سميرا أشتكي ألمه
كتمته فبدا لمن رآى عرضي ... كالشيب يظهر في أعراض من كتمه
لله در فتاة لا شبيه لها ... سبت من القوم من لم يبلغن حلمه
عوجا خليلي فابكيا معاهدها ... واستنطقا آيها كيما تبن كلمه
أوغادرنها فما هز الفؤاد بها ... في الشعر كلا ولا بالبين من سلمه
لكن بموضع قبح لا قراربه ... شجعانه لكبير الضرملتئمه
كيوت أقبح أرض الله قاطبة ... به ذوار كموج البحر ملتطمه
تذري الغبار على الوجه الصبيح فما ... يسطاع صاحبه طورا يبين فمه

إلى أن يقول:

هذي محامد كيوت القبيح وقد ... بقي كثير مقيس عند من علمه
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... غوث الكرام فصيح النطق بالكلمه.

وله أيضا في النسيب وأجاد:

حمائم البان ما قد هجت أفناني ... بأن شدوت ضحى فويق أفنان
أراك فوق أراك تهتفين به ... لتقرحي بدموع الوجد أجفاني
هل تبلغين سلام الصب من بعد ... إلى خليل نئاه منذُ أزمان
بنى شجاه وركن الصبرهدمه ... لله ما قد بناه الهادم الباني

وله أيضا:

هاج شحرور[١] ذا الوادي ومكاؤه[٢] وبلبل الدوح إذ تهتز غناؤه[٣]
تليد ماض الهوى العذري فانتشرت مدامع الصب إذ أعيته أدواؤه

وقال أيضا: يذكر معاهد قومه ويفتخر بهم:

ألا قاتل الله الطلول البلاقعا فقد هجن شوقا كامنا فتتايعا[٤]
على قلب مشغوف بدور دوارس تعاورها جون الرباب فأترعا[٥]
نِئِيًّا[٦] فآضت[٧] كالأضينَ[٨] وعلها من الدلو يعلول[٩] الغمام فأمرعا[١٠]
بلاد لدى أبي الرقيقة فانثنا إلى الجوز أحيانا فعلل أربعا

---

(١) الشحرور: طائر أسود فوق العصفور.

(٢) المُكَّاءُ بالتشديد: طَائِرٌ أَبْيَضُ دَقِيقٌ طَوِيلُ الرِّجْلَيْنِ وَالْعُنُقِ أَبْيَضُ السَّاقَيْنِ صَغِيرُ الْمِنْقَارِ يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، لَهُ صَفِيرٌ حَسَنٌ وسمي به، لأن الأصل في المكاء الصفير ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥] الآية.

(٣) الغناء: الروضة الغناء أي الناعمة التي كثرت فيها أصوات الذباب ومنه قول الشاعر:

..... حَتَّى إِذا الْوَادي أغَنَّ غُنَان

(٤) التَّتايُعُ: رُكُوبُ الأَمرِ على خِلافِ الناسِ، والتَّهافُتُ، والإِسراعُ في الشَّرِّ.

(٥) الترع الامتلاء، ومنه: كأس مترع أي ممتلئ.

(٦) النِّئِيُّ: جمع للنؤي وهو السد الذي يجعل حول الخباء عن السيول.

(٧) آضت أي رجعت، والأَيْضُ: صَيرورة الشيء شيئاً غيرَه، وتَحَوُّلُه عن الحالةالأولى فيقال: آضَ سَواد شعره بَياضاً،ويقال: افعَل هذا أيضاً اي عُدْ لِما مَضَى.

(٨) الأضين جمع أضاة وهو الماء المجتمع من المطر.

(٩) اليعلول واحد اليعاليل وهي السحائب بعضها فوق بعض.

(١٠) أمرع أي أخصب وكثر فيه المرعى.

وسح على ذات العصيد[1] مخيما فعلل صيفيا هناك ومربعا
بلاد لنا أضحت قفارا من أهلها سوى فرقة ترعى وعبدا مجدعا
كأن لم يكن فيها للعلوم مدرسا ولا ذاكرا صاحي الدجاء فأسمعا
بلى فبنوا أبات أكرم معشر تعاطوا بها حكما صحيحا مرجعا
متى تأتنا تسمع حديثا وآية وتبصر شيبا ساجدين وركعا
ترى بهن شبابا معربين تراجعوا[2] بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا[3]
فحزنا معالي المجد مذ هو أمرد وليدا وكهلا حين شاب ويافعا[4]
تورث من آباء صدق أجلة على حين مجد الأكرمين تصدعا

---

(١) ذات العصيد: «تيدومت العيش» وهو موضع في وسط تكَانت قرب «إكفان».

(٢) يعني ترى الشباب الذين يقرؤون ويراجعون هذا البيت الذي هو من شواهد الألفية في فصل أما ولولا ولوما عند قول بن مالك:

وقد يليها اسم بفعل مضمر علق أو بظاهر مؤخر

وهذا الشاهد يؤتى به في آخر الكلام في هذا الفصل، وفيه إشارة إلى أن هؤلاء الشباب دخلوا في عمق الألفية لأنهم أصبحوا في ربعها الثالث كما هو معروف.

(٣) هذا عجز بيت لجرير وهو قوله:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وهو من قصيدة له يهجو بها الفرزدق

العقر: ضرب قوائم الناقة بالسيف، النيب: الناقة المسنة.

بني ضوطري: ذم وسب والضوطري: الرجل الضخم اللئيم الذي لا غناء فيه.

الكمي: الشجاع المتكمى في سلاحه أو الجريء الشجاع المقدام.

المقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر.

والمعنى: لولا عددتم أو عقرتم الكمي يعرض بالفرزدق الذي افتخر بعقر جده للنوق، وإنهابها للناس.

(٤) هذا البيت مأخوذ من قول الأعشى المشهور:

فما زلت أبغي الخير مذ أنا يافع وليدًا وكهلًا حين شبت، وأمردا.

وله في رثاء شيخه العلامة أحمد بن الداد

وقد تقدمت في ترجمته:

وليلةٍ مثل موج البحر غماء[1] لا يبصر البرق فيها غير غماء[2]
طار الكرى[3] ككران[4] والسهاد له خلف على الجفن من آلام جلاء[5]
فبات خدى ناب عن وسادته والعين مسمولة بشوك غناء
والقلب يسطر كالزناد تحسبه حديدة شررا ما بان للراءي
ومهجتى من دوام الحزن تحسبها جرباء[6] مهنوءة[7] تمشى بجرباء[8]
ما شمت برق يمان كالمهيض إذا في هيدبات[9] يلوح وسط غراء[10]
ولا تنسمت بالأسحار ريح صبا هبت بأذفر[11] من أردان[12] أسماء
لكن بكيت على من فى العِدَا[13] دفنوا تحت العِداءِ[14] وريب الدهر بكاء
يا ويلة الناس إن الأرض قد سترت قول الخليل وسيبويه ثم فراء

---

(١) الغماء: المطبقة الظلام.

(٢) والغماء: من الخيل كثيرة شعر الناصية.

(٣) الكرا: النوم

(٤) لعل المراد به الكروان، ويقال لذكره الكرا، ومنه قولهم في المثل: أطرق كرا إن النعام في القرى.

(٥) الجلاء: الأمر العظيم

(٦) الجرباء الناقة المصابة بداء الجرب.

(٧) والمهنوءة المطلية بالقطران.

(٨) والجرباء: الأرض القاحلة.

(٩) الهيدبات: هي السحب المتدلية التي كأنها تمس الأرض

(١٠) االغراء: السحابة البيضاء التي تصب الماء.

(١١) المسك الأذفر أي طيب الريح.

(١٢) الأردان: الأعطاف.

(١٣) العدى كإلى: الأرض المستوية.

(١٤) العداء بكسر العين والمد: اللبن أوالصخور التي يسد بها القبر على الميت..

ووزن أشـيـاء لاتـعـبأ بـه أبـدا　　قـد انقضى زمنا كـوزن أشـيـاء[1]

والمـالـكـيـة[2] فـوق الصد تحسبها　　خيطاء[3] فى الطلق لاتثنى بغلباء

قد راضها السيد المفضال في مهل　　له السها فى السرى أرباب حوجاء

والآبـــدات مـن التوحيد قيدها　　ينقض مثل تـنـوفي[4] بصحراء

أأحمــد أنـت خـير الخـلـق كلهم　　غيرالنبيين والصحب الأجـلاء

لازلــــت في خـــير وفى نـعـم　　يغشى ضريحك ثيث كل سهواء[5]

بجاه أفضل خلق الله مدرههم[6]　　عند الـعـوان[7] وعند كل بأساء

صـلى الإلــه عليه مـا شـدا أرق　　في ليلة مثل مـوج البحر غماء

---

(١) وزن كلمة: «أشياء» من المباحث الصرفية الصعبة التي اختلفت فيها أقوال الأئمة وقد تقم إيضاحها في ترجمة العلامة: محمد محمود بن احمد بن ابات.

(٢) المالكية لقب لفريضة معروفة في التركة وقد أشار لها خليل بقوله: (وَإِنْ كَانَ مَحَلَّهَا أَخٌ لِأَبٍ وَمَعَهُ إِخْوَةٌ لِأُمٍّ سَقَطَ) وإنما سميت بالمالكية لأن مالكا لم يخالف زيدا في باب التركة إلا فيها. انظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (٤ / ٤٦٥).

فالشاعر رحمه الله يقول إن المسائل العلمية العالقة ستستعصي على الناس بعد العلامة أحمد بن الداد، الذي استطاع أن يروضها، وذكر في الصرف وزن «أشياء» وذكر في الفقه الفريضة المعروفة «بالمالكية» وهكذا.

(٣) الخيطاء: النعامة طويلة العنق.

(٤) يشير إلى عقاب تنوفى الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

كَأَن دثارا حلقت بلبونه　　عِقَابُ تنوفى لَا عِقَابُ القواعل

وتنوفى: بفتح التاء المثناة فوق والفاء، كـ: جلولا،مقصور للضرورة: ثنية مشرفة قرب القواعل. قاله في القاموس. وقال في المغني: إنه جبل عال، والقواعل: الجبال الصغار. وقد كان امرؤ القيس نزل في طيء، فأغير على إبله ونهبت، فهو يقول: كأنما اختطفتها عقاب الجبل العالي، فحلقت بها في الجو، فلا يرجى رجوعها.

(٥) السهواء: هادئة السير.

(٦) المدره: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأْيه.

(٧) العوان: الحرب التي سبقتها أخرى فالأولى تسمى بكرا والتي بعدها تسمى عوانا، وهي أشد من الأولى غالبا.

وله في مدح الأمير: عبد الرحمن بن بكار:

أمـن تذكر دهـر في العصور مضى ... عيناك يومئذ لم تـألـف الغمضا
مـن ذكـر بهنانة بـض ملاغمها ... علقتها عـرضـا وعلقت عرضا
أضا لك الوجه منها فاهتديت به ... من ليل فرع فويق الصبح قد عرضا
فمن رأى الصبح صبحا مات من كمد ... ومـن رأى ليلها ليلا فقد دحضا
بين الجـوانـح من ذكـرى محاسنها ... مـن التفرق والـتـوديـع جمـر غضا
ما هيج الشعر ضـوء من محاسنها ... بـل بـارق مـن أمـير سحرة ومضا
في هيدبان مـن الوسمي نوؤهما ... يـنـوء مثل كسير عظمه مهضا
لاخلب قد نـأى تسقى العباد به ... سقي الكمون إذا ما حاجهم عرضا
بـل ينهمي بجزيل الـبـذل نائله ... يعطي الجزيل ولا يبغي به عوضا
هـو الأمـير الـذي تـرجـى إفـادتـه ... إذا الذليل الضعيف جرع المضضا
قـضى الإلـــه لــه حـقـا بـإمـرتـه ... وكـل مـا قـد قـضى بـه الإلـه مضى
عبد مضاف إلى الـرحمـن شيمته ... يعطي لذي غرض مهما أتى الغرضا
هـو الغطمطم والأضـا مُقاومُه ... وهـل يـقـاوَمُ بحر زاخـر بأضا
رضى الحـسـود لـه بـكـل مرتبة ... وأبلج الحق ما به الحسود رضى[1]

---

(١) يحكى أن طلاب العلامة سيدين بن الإمام انتقدوا هذه الكلمة، فقالوا: لحَن يحي بن دحمود هنا، فإن رضي كسرها معروف، فقال لهم العلامة سيدين: لا تلحنوا يحي فإنه إمام في هذا الفن، ولن يقول شيئا إلا وله فيه مستند.
قلت:- وصدق العلامة سيدين - فإن الفتح فيها مسموع في لغة العرب فقد ذكر ذلك سيبويه في كتابه، وأنشد عليه قول الشاعر: زيد الخيل:

أفي كل عامٍ مأتمٌ تبعثونه ... على محمرٍ ثوبتموه وما رضا

الكتاب لسيبويه (٤ / ١٨٨)
ومثله في المقتضب للمبرد فقد قال: وَلَكنهُمْ أبدلوا الْألف من الْيَاء؛ كَمَا قَالُوا فِي بقى: بقا، وفى رضى: رضَا. المقتضب للمبرد (٣/ ١٤٥).

إن اللسان لفيك اليـوم أنشدني بيتين قالهما من في العصور مضى
ونـحـن كـنـاإذا مـا مسنا جرض يوما رفعنا إليكم ذلك الجرضا[1]
لكي تزيلوه ليس العهد منتقضا منا ولا العهد منكم كان منتقضا

(١) الجرض: الجهد،والجرض والجريض: غصص الموت.

الفصل السادس
في شعر الشاعر: الشيخ بن سيد عبدالله

هو الأديب الفاضل والشاعر الكبير الشيخ بن محمد محمود بن سيد عبدالله بن أبات،وهوشقيق الشاعر أحمد بن سيد عبدالله المتقدم، فأمهما مريم بنت الشيخ المختار.

درس اللغة العربية على العلامة: أحمد بن الداد، والفقه على العلامة: محمد محمود بن أحمد، وكان أديبا واسع الحفظ، يسرد القصائد الطوال من كل العصور، وكان معروفا بجمال الخط، وكان من وجهاء القبيلة، وله إخلاص وتفان في خدمة مجتمعه والمسلمين عامة، وكانت تربطه علاقات وثيقة بالأمير عبد الرحمن بن بكار وأبنائه، وله أشعار كثيرة معظمها في المناسبات كالرثاء والاستسقاء، والثناء على الفضلاء، أو بعض الولاة والمسئولين الذين يود تنبيههم على الالتزام بالعدل بين الناس، وكان رحمه الله متشبثا بتكَانت والأوطان التي تعيش فيها قبيلته، وفي نهاية القرن الرابع عشر الهجري أصيبت ولاية تكَانت بموجة جفاف عاتية أدت إلى نزوح كثير من سكانها عنها بما في ذلك معظم قبيلة أهل ابات، فكان رحمه الله يتمنى رجوعهم ويراسلهم في ذلك، ويتأسف على ما حصل، من النزوح عن الأوطان التي كان فيها الآباء والأجداد، وقال في ذلك أشعارا كثيرة، وظل ذلك الحلم يراوده إلى أن توفي الله سنة: ١٤١٩ هجرية عن عمر يناهز الثمانين عاما رحمه الله تعالى.

وسنذكر هنا نماذج من شعره ونبدؤها بقصيدة في الاستسقاء قالها في جفاف سنة: ١٩٧٣ م.

يقول فيها:

يا رازق الطير في الفلا على فنن ... بلا جمال ولا حرث ولا سفن
ولا رجال له تسعى لمأكله ... ولا نياق له يرحن باللبن
ولا تجارة لا ولا له نخَلٌ ... ولا إماء له يقمن بالشؤن [1]
إن العباد غدا في اليوم حالهم ... مابين طاوي الحشى وآخر حزن
إن المواشي أضحت ما لها كلأ ... سوى هشيم يرى من يابس الغصن[2]

إلى أن يقول:

هيئ لنا وابلا يأتي بعافية ... يزيل ما بالورى في الحال من حزن

... إلى آخرها.

وله قصيدة ينوه فيها بقبيلته وأوطانها يقول فيها:

ربع القنيزر مربع الأعيان ... قوم أفاضل طيلة الأزمان

إلى أن يقول:

نهج الشريعة في الزمان مرامنا ... شأن لنا فلنعمه من شان
حل المشاكل للأنام طريقنا ... تاتي الوفود لنا من البلدان
ثم اشتغال شبابنا في عصره ... درس العلوم به مع القرآن
تلفى المشايخ بالمساجد ركعا ... من كل شيخ خائف نشوان
يخشى الإله بليله ونهاره ... لا ينثني عن ذاك للبطلان
قول الإله {وقرن} نهج نسائنا ... لا ينثنين لحادث الشيطان

(١) الشأن جمعه شؤون وقد يجمع على شؤن كقفل كما في اللسان.
(٢) يجمع الغصن على غصون وقد يجمع على غُصُن كسرر.

وله يخاطب الشيخ الكبير: اعلي الشيخ بن امم رحمه الله تعالى فيقول:

سلام لنا أشهى من الراح والشهدي سلام كعطر الطيب والمسك والرند
سلام حكى سنى الغزالة ضوؤه ويحكي سنى البدر الموافق للسعد
إلى سيد السادات ذي الفضل والعلى أخي المنصب السامي على الجمع والفرد
ونعني به اعلي الشيخ بدر زمانه تفرد بالعليا على رغم ذي حسد
وجاد عليه الله بالدين والندى يعم نداه صاحب القرب والبعد
أرى الجمع بين الدين والبذل إذ جرى من أصعب ما يجني الكريم من القصد
أرى من يباريه الغداة مع الورى كمثل مبار للبغال مع الجرد
ومن رام تبليغ المشايخ فضله فقد رام أمرا لا يحاول بالجد
فموجبه بعد السلام عليكمُ وقيت من الأذى ووفقت للرشد
ولا زلت في أمن تساعد بالمنى وتزداد بالأعمال مجدا على مجد
فإنا بيوت قد تواصل أصلنا بجدكمُ فنعم ذلك من جدي
وجددت بعد الأصلِ ودًّا مخلدا وجددت عهدا نعم عهدك من عهد
وما دام في «أطار» منا مواطن فأنتم له أهل لدى الحل والعقد
وليس له أمر يخالف أمركم وليس لكم غير الشريعة من بُدِّ
فكونوا له عونا وسدا لظالم فيالك من عون ويالك من سد
ألا فاعملوا في ذاك مبلغ جهدكم وليس يلام المرء في مبلغ الجهد
وصل على المختار ما هبت الصبا وما سحت الأنوى وصوت من رعد

وله في رثاء الشيخ ابن امني:

قف بالمرابع واذر الدمع كالنجع[1] ومن يلوم من الأنام فيه دع
إن الوقوف بدار الصب دارسة لأفزع ما يلقي الفؤاد من فزع

(١) النجيع: الدم الأسود ولم أطلع على قصره.

وصـــون دمـع بهـا للصب منقصة | لا خير فيها بها قد صين من دُمُـع
وإن صـبـا بـكـى ليشف لوعته | يـومـا فـما لـلـوام فـيـه مـن طمع
ياخل فـاذر على صرف الزمان دما | علَّ الشفاء يكون في البكاء معي
إن الـربـوع التي كانت تحل بها | جمـل زمـان الصبا بجانب الفرع
أضـحـت مـنـازلهـا بـيـداء دارسـة | ترعى الظباء بها روضـا بلا جزع
هي الديار التي ما في الوقوف بها | إلا تراكم الهم في الفؤاد والضِّلَع
إن الـفـؤاد حـوى مـن الـغـرام بها | كما حوى الشيخ نجل امني من ورع
فالشيخ نجم الهـدى لنهج سيدنا | هدى جميع الـورى من سائر البقع
مبدي الشريعة لا يبغي بها بدلا | مبدي القلا للذي قد صار ذا بِدَع
كم من قـواس قلوب قد أتـوه فما | يبقى بهم بعده للدين من خدع
وكـم عفاة لـه قضوا حوائجهم | والضيف كم نال في المناخ من شبع
وكم كسا مرملات في الـورى جمعا | لوجه خالقنا ذي الخوف والطمع
وقـد قفا إثـره الأبـنـا ولا عجب | في ابـن لـوالـده في الفضل متبع

وله في رثاء الأديب الكبير محفوظ بن جار الله (أهل الشيخ بن امني)

أودى الوقار وأودى الـود للجار | بموت محفوظ آبي الـذم والعار
أودى ارتجـــال لشعر لا يماثله | شـعـر الـبـراعـي في تـذكـار ديـار
أودت بشاشة وجـه لا تفارقه | أودت حـكـايـة شـعـر بـين سـمار
أودى عروض وأودى منطق جزل | أودى بـيـان وتـاريـخ للاقطار
وحـل مشكلة في النحو معضلة | تعيي الـنـحـاة بتعميل أفـكـار
بموت نـدب مليح شاعر ذرب | بـدى له الفضل في بـدو وحُضَّار
قـد عـاش في زمـن رغـد وفـاز به | ولم تـسـقـه أيـامـه بـإمـرار
سليل يعقوب من ينمى لخير أب | حوى جميع العلى فضلا من الباري

عمت بلاغته في القطر أجمعه ... بحسن سجع وترصيع للاشعار
وحكم نحو حكى حكم ابن مالك أو ... حكم احمـــرار بـــما ينمى لمختار
كم من وفـود يجبهم إذا اجتمعوا ... بـــما دراه بـــإتــقـــان وتـــكـــرار
ومـــن فـــوائـــد لا يـــدرى لهـــا خبر ... تبدوا لهم حينها كالسلسل الجاري
وقد حوى ما حوى من كل مكرمة ... بالعلم والفضل في جهر وإسرار
فتلك شيمته من يوم نشأته ... ولم يـــفـــه أحـــد لهـــا بـــإنـــكـــار
أرجـــو الإلـــه لـــه إصـــلاح آخـــرة ... بـــجـــنـــة في أوســـــاط الانهــــار
وأن يـــفـــوز بهـــا فـــوزا يـــسر به ... يكون في جـذل صـاف من اكـدار

وله في رثاء الأمير عبد الرحمن بن بكار:

رزئـــت ولايـــتـــنـــا فـــشـــق ظلالها ... مذ زال عنها الشهم صير حالها
حـــالا يـــســـوء الـــعـــارفـــين بحالها ... مـــن قبل مـــا صرم الإلـــه حبالها
ذا عـــابـــد الـــرحمـــن شـــهـــم زمـــانـــه ... خـــاض الـــبـــلاد جبـــالهـــا ورمـــالهـــا
خـــاض البحور مشارقا ومغاربا ... حتى بـــذا شرب الـــزمـــان زلالهـــا
غـــوث الأنـــام وكهفهم ومناخهم ... لـــلـــســـائـــلـــين المـــبـــتـــغـــين نـــوالهـــا
وشيخهم وشجاعهم وأميرهم ... عند اشتعال الحـــرب قـــال أنـــا لها
ذاك الأمـــير المـــنـــتـــقـــى لـــزمـــانـــه ... حـــاز الإمـــارة صعبها وحمـــالها
مـــنَّ الإلـــه لـــه بحـــمـــل لوائها ... حمـــد الـــزمـــان مـــقـــالهـــا وفـــعـــالهـــا
شهم لبيب مـــاجـــد أســـد الوغى ... لم يـــدر في ضرر الأمـــور مآلها
تـــراه إن جـــلـــســـوا لحـــل ملمة ... يلقى هـــنـــاك مـــفـــرجـــا إشكالها
يـــبـــدي مفاصلها ويقطع أمرها ... كـــلا ويحـــمـــل عـــنـــهـــم أثـــقـــالهـــا
وهـــوالأمـــير الـــفـــرد والبطل الـــذي ... يثني الـــعـــداة متى رأتـــه بـــدا لها
كـــم مـــن أســـير في حمـــاه نـــجـــا به ... كم من حـــروب في الـــزمـــان أزالهـــا

كم من أرامل قد كسا ببشاشة … كم مبتغي حاج إليه فنالها
وهو الكريم البحر فرد زمانه … يعطي العفاة نياقها وجمالها
والشاء والبقر الكثير كرامة … والخيل كلا جردها وبغالها
فبموته أهل البلاد تخالفوا … عم الخلاف نساءها ورجالها
ومادت بلاد بالعباد فأنشدت … بيتا به سمع الأنام مقالها
إن البلاد بذي الجبال ثباتها … وتميد إن نزع الإله جبالها
جن الزمان اليوم بعد ضيائه … لاقت معالي الدهر من ذا آجالها
أرجو الإله لنجله خلفا يرى … حتى أراه لذي الإمارة نالها
صلى الإله على النبي وآله … ما أرضعت دهرا نسا أطفالها

وله في رثاء ابن عمه الرجل الفاضل الكريم: محمد عبدالله بن محمد عبد الدايم:

مات الوفاء ومات الجود والأدب … وكل فعل لنيل المجد ينتسب
ومات رفق بجار والخضوع له … ومات وفق إذا الأنام تضطرب
ماتت بشاشة وجه لا يفارقها … وبل من البذل للأضياف ينسكب
أصيبت الأرض والعشير أجمعه … كذا العفاة ومن في الحاج قد رغبوا
بموت ندب أبي فاضل شرف … للمجد دهرا على الأنام يكتسب
محمد قبل عبدالله ذاك له … اسم شهير لكل المكرمات أب
حلو الفكاهة عذب النطق ملتزما … للصمت في مجلس يلفى به الكذب
تلك الطبيعة لا ينفك يألفها … ولا يباريه فيها العجم والعرب
تواترت بالذي قد قلت دولتُنا … وبالتواتر قدما يثبت النسب

الفصل السابع
في شعر العلامة أحمد بن محمد محمود

يقول في تقريظه لبعض الكتب:

أ - **تقريظه لشرح عمه** العلامة محمد بن أحمد لنظم والده العلامة أحمد بن أبات في العقيدة.

لقد أتيت بتأليف من العجب — يحور فيه الحجا للبارع الأرب
لما هممت به إذ غصت في لجج — فجئت إذ ذاك بالياقوت والذهب
علم الكلام مهيب ليس يسبره — إلا الذي غاص للأعماق في الكتب
أوضحت فيه معان جد رائعة — على سلاسة صوب ألسن العرب
لله يابحر ما كشفت من ظلم — من العلوم وما فرجت من كرب
جزاك مولاك ربي كل مرتبة — من حيث أولاك ماتحب من أرب
صلى الإله على الهادي وشيعته — محمد المصطفى من خيرة العرب

ب - **تقريظه** لكتاب عمه العلامة محمد بن أحمد في إباحة الشاي يقول فيه:

أراك نطقت بالكلم الفصيح — وقد أبرزت بالفهم الصحيح
مخدرة شفت ما من عليل — وذا ظمإ بمنطقها المليح
وقد برهنت يا بحر العلوم — لها بالآي والنص الصريح
جزاك جزاك مولاك الرحيـ — ـم بتوفيق وتنوير الضريح
سقى الرحمن قبرك صوب مزن — غزير السكب سحساح[1] دلوح[2]

---

(١) المطر السحْساح: الذي يَسُحُّ شديداً، ومنه قول امرئ القيس في معلقته:

فأضحى يَسُحُّ المَاء من كلّ فِيْقَة — يَكُبُّ على الأذقان دَوحَ الكَنَهْبَلِ.

(٢) السحابة الدلوح: المثقلة بِالْمَاءِ.

ج – **تقريظه** لكتاب زميله العلامة محمدُّ بن أحمد مود في جواز تعدد المساجد في المدن والقرى، يقول في أوله:

غوامض أعيت كل شهم مجيد … لنا الحبر أبداها بفهم سديد
مطرَّزةً تزهوا لكل تبرجٍ … ولكن تبرجت بعقدٍ فريدِ
محمدو نجل الحبر مود … حفيد النبي ياله من حفيد[1]

د – **تقريظه** لكتاب العلامة عبدالله بن الشيخ الجكني في جواز قراءة الهمزة المسهلة بين بين بالهاء الخالصة كما هو الشائع في القطر الشنقيطي يقول فيه:

وما أتيت به في الهاء خالصة … هو الذي صح عمن في العصور مضى
عن علما أئمة جهابذة … والعلمَ راضوهُ مندوبا ومفترضَا
فرجتها ياسليل الشيخ معضلةً … من لم يسلم صحيحا جُرِّع الجَرَضا

وله يخاطب العلامة: الطالب محمد بن لبريكني:

أقول ومصباح المودة ساطع … وما تشتهيه النفس بالوصل واقع
إذا دبرانُ الوجد كان يلفُّنا … فهذا لنا سعد المسرة طالع

---

(١) ووصفه له بأنه حفيد النبي لأن أمه بنت محمد رار التنواجيوي.

(٢) قراءة الهمزة المسهلة هاء اشتهرت في قطر شنقيط، ومن المعلوم أن الكلمة القرآنية يجب أن تتوفر فيها ثلاثة شروط وهي: موافقة خط المصحف ٢ وموافقتها للغة العربية ٣ وصحة إسنادها إلى النبي ﷺ، ولا شك أن الهاء يتوفر فيها الشرطان الأولان وأما الثالث وهو صحة الإسناد إلى النبي ﷺ فلا يوجد، وهذا موضع الإشكال فالإسناد الموجود بها عند علماء الشناقطة لا يوجد له أثر في كتب القراءات المعتمدة التي بين أيديهم. والله المستعان.

(٣) الجَرَضُ والجَرِيضُ: غَصَصُ المَوْتِ. لسان العرب (٧ / ١٢٩).

وله يخاطب العلامة محمد بن بيدر بن الإمام

إلى السيد الحبر المجيد الهمام ... إمام جميع العصر وابن الإمام
بذا اليوم أسقي الروح كأس مدام ... وأحيي بقرب الخل ميت عظام

وله يخاطب العلامة: محمد سالم بن عدود

إلى إمام الورى أعز موجود ... قاضي القضاة سليل الحبر عدود
هذا نزيلكم شط المزار به ... نبى المكان به يا خير موعود
فقد شهدت بالمجد سيرتكم ... والعدل يشهد يوم شاهد ومشهود

... إلى آخرها.

وله في الثناء على قبيلة أهل الشيخ بن امني:

إلى ساداتنا أهل الكمال ... وأهل الذوق في نور الجلال
سلام رائق الأرواق تسقى ... به أرواحنا عذب الزلال

وله في الاستسقاء سنة: ١٩٧٣ م

سقى الله ربُّ العرش معمور ذا القطر ... بغيث مغيث ممرع دائم القطر
يعم بلاد الله شرقا ومغربا ... جميعا وكل مربع دارس قفر
فتصبح الأرض ذات خصب كأنها ... قلائد مرجان يفصل بالدُّرِّ
وصل على المختار ما ذر شارق ... وما هطلت مزن على مربع قفر

وله في الاستسقاء أيضا وأظنها سنة ١٣٩٩ هجرية:

أدعوك أدعوك حقا باسمك الهادي ... ارحم سريعا إلهي أمة الهادي
بواكف مسبل بعاع ريقه ... يلقيه سبتا على النخيل والوادي

شعره في الرثاء:

رثاؤه للعلامة الجليل الطالب محمد بن لبريكني الذي يقول فيه:

أصاب الورى خطب عظيم فأوجعا ... وحيث بهم حل ادلهم فأصرعا
فقيد بأحشاء البسيطة مسهد ... أَلَمَّ بزلزال فأذهل أفظعا
فأعظم به من نكبة دهت الورى ... فعمته منزعا وخصته موقعا
لفقدان علام أديب مهذب ... تبدر فوق كل قطر مشرعا
هو الطالب الذكي سمي محمد ... خليفته من أظهر الدين أجمعا
فكم جاهل قد تاه ثم اهتدى به ... وكم من بليد جاءه فتضلعا
فنارت به بلاده وتأطرت ... وفاحت شذى كأنه الغيث أمرعا
إذا ازورَّ أهلُ العلم عن صوب قصدهم ... تراه بميثاءِ الشريعة أجرعا
إذا الترب واراه في الاجداث ملحدا ... بذا أصبح الدين الحنيف مزعزعا
إلهي اسقه تفضلا عذب كوثر ... لكي يشرب الرحيق والكأس مترعا

رثاؤه للأديب الكبير محمد الامين بن ختار:

لئن غاب بدر الدهر والعارف القطب ... خطيب الزمان البَحْرُ والقادة الندب
مجن قبيله مهز رعيله ... هزبر ترى الكمي من زيره يجب
يهاب الرجال لو دريت نضاله ... وخرسا حواليه كأن نابهم رعب
على أنه شمس الضحى يوم صحوها ... وملجأ قومنا إذا الحادث الصعب
إذا كان دهر حاملٌ رزء غيره ... فهذا الزمان اليوم عن رزئه يكبوا
تعزوا فإن الدهر عادة أمره ... يدور كذاك السيف عادته ينبوا
فأنتم دهاة الناس في كل بلدة ... ولا سيما إن كان قد عظم الخطب
إذا مات سرب من دهاتكم إذا ... تخلفه من الدهاة لكم سرب
أرى العلم حيث كان نسبته لكم ... كذلك أبطال إذا فجأ الحرب

فحاسدكم لا زال مخجول حيلة ... ومكبوت هيئة ونيرانه تخب
وبارِكْ لنا في الداه لابن خليفة ... فيصبح خاضعا له الشرق والغرب
فلله رب العرش جل اختراعه ... تبارك ربنا ونحن لنا الكسب

وله في الاعتزاز بقبيلته أهل ابات:

إن لنا سلفا من بعده خلف ... أجلة علما نسبتهم شرف
تصدر الناس كلا من محاظرهم ... إذهم على سنة الرسول قد عكفوا
ألاك أبناء أبات قلاقمة ... حيث بنيت من المجد لهم غرف
هذا وما كان شأني ذا ولا حسبي ... ولا أباهي به وما هو الهدف
لكن دعتني دواع ألجأت صدرت ... ممن تخمر في قلوبهم دنف
ولاأفاكه من في طبعه مضض ... ولا أنادم من في عقله سخف

وله يخاطب أبناء عمه النزاريين الموجودين في منطقة آكويليل:

حي الأبيتير أهله ومن نزلا ... والمنتمين لهم والسالكي السبلا
بني نزار لكم مجد يخصكم ... لأنكم سادة وقادة فضلا
لا تدخلوا في اندراج غيركم أبدا ... فأنتم الأصل أما الغير قد أفلا
هذا وما قلته في السر مكتتما ... يحوي التفاصيل من يستحضر الجملا
إذ جدكم سيد الكونين من مضر ... قد خصه بالعلى مولاكم فعلا
عليه أزكى صلاة الله ما طلعت ... شمس وما كوكب من ضوئها خجلا

وله في الاعتزاز بخئولته من قبيلة تجكانت:

إذا الفتى لم تلده من بني جكن ... نسيبة أو يك ينسب للحسن
ولم يك وارثا جدا إمارتَه ... فذاك قد لعبتْ به يد الزَّمن
هذا وإن لنا من منجباتكمُ ... تليد مجد سما في السر والعلن

الفصل الثامن
في شعر الشاعر محمد يحي بن الطالب محمد

هو الأستاذ الفاضل محمد يحي بن إسلم بن محمد أحمدُ بن الطالب محمد، وأمه خدجة بنت الإمام، له دراسة محظرية، وحاصل على شهادة المتريز من المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية، له أشعار كثيرة في مناسبات مختلفة فمنها المديح والرثاء، وغيرذلك،

ومن شعره قوله في الثناء على قبيلته أهل ابات:

دعني فخيران منه الترب قد سترت ... أس المعارف شمس العلم ذا الرشد
أبو مصابيح تلك الأرض من مضر ... أشـيـاخ أبنائها والـنـازح البلد
أبات منقذها بإذن خالـــقها ... ممـا يـدنـسـهـا وشر ذي حسد
إذكان والشيخ عبد الدائم اجتمعا ... ونخبة من ذرى الأشراف ذات يد
عـلى حـراسـتـهـا مـن كـل شائبة ... وحـل معضلها ونـصرة الصمد
هـم النهاية للأمثال إن ضربت ... في العلم والحلم والتقى بلا فند
وفي السخا والندى وكـل مكرمة ... وفي تـراحمـهـم وأزرة العضد
لا يطمحون إلى الأهـواء مكسبهم ... درس العويص وحفظ المتن والسند
أبطال حق إذا الطرق التوت وهمُ ... يـوم الـترافـع أهـل الحـل في البلد

وله في الذكرى الخمسين لاستقال البلد عن فرنسا:

عيد الـتـحـرر جـاء بعد خمسينا ... مستصحبا أسس الاصـلاح ماعونا
مستنهضا همم الشعوب معتجرا ... ثـوب الـصرامـة لا ينفك يدعونا

هبوا جميعا لدينكم ووحدتكم ... فكل عز بذين بات مقرونا
إني رجعت إلى التاريخ أسأله ... وكان عدلا على الأخبار ماموناً
مستقصيا كلما قد كان من خبر ... عن ظلم أمتنا الشديد محزونا
حيث البلاد بأيد الظلم قد أخذت ... وهاجر البعض خائفا ومذعونا
فوحدت نصرة الاسلام مقصدنا ... كلا فكنا على الأعداء طاعونا
منا فوارس قاوموا يشوكتهم ... فأخرجوا المستعمر الأوطان ملعونا
وآخرون مجال العدل ديدنهم ... يعلمون الورى شرعا ويقضونا
قوم لهم همم عليا وشيمهم ... ترضى فليسوا عن الضعيف لاهونا
لم يعرفوا أبدا مطل الغني ولا ... أخذ الرشا لا ولا السراق يأوونا
كلا وقائدنا المقدام أدرك ذا ... فبات مرتقبا لنهج العدل يحدونا
فشاركوا في مسار البنا لدولتنا ... من لم يشارك عزيزا بات مغبونا

وله في رثاء العلامة محمد يسلم بن الداد:

أرى الدهرأضحى بالمصائب يؤلم ... لأن غاب بدر الفقه والنحو يسلم
فبات قيام الليل يبكي لفقده ... فلله طود من معارف يهدم
ولله بحر من علوم كثيرة ... وحلم وآداب له الصمت ميسم
يبيت يناجي الحق يطلب فضله ... ومنه جميع المسلمين مسلم
تعود من سمت الصحابة خصلة ... فلم ير إلا زاهدا يتبسم
ولم ير إلا طالبا لنجاته ... وخاتمة حسنى عساه يكرم
يغمده المولى برحمته التي ... أعدت جزاء المتقين وينعم
بقرب شفيع المذنبين محمد ... عليه صلاة الله فهو معظم

وله أيضا في رثاء كل من العلامة: محمد يسلم ومحمد ابات وأحمد رحمهم الله تعالى.

ألا فـقـدت أم الـنـوار الـكـبـارا غـدت خلعت دثـارهـا والشعارا
غـدت أفلت أقـمارهـا وتساقطت فأعظم بـه رزءا أصـاب نـزارا
ألا يسلم أبـات فيها ولا الذيــــ ــــن كانوا منارا ليلها والنهارا
وحامي ذمـارالـقـوم أحمـد قد غدا ألا فابكين من كان يحمي الذمارا
سخي أولاك القوم كالئ مجدهم ومـنـقـذهـم في الـنـائـبـات مـرارا
عـسـى رحمـة الـرحمـن تمـلـؤ قـبره ويـرزقـه والمسـلمـين الجـــوارا
جــوار شفيع المذنبين محمـــــد إذا اعتذر الرسل الكرام اعتذارا.

إلى غير ذلك.

وله أرجوزة يقرظ بها هذا التأليف ستأتي في التقاريظ نهاية الكتاب إن شاء الله تعالى.

الفصل التاسع
في شعر الشاب إدوم بن دحمود

هوالشاعر الشاب البارع إدوم بن محمد عبدالله بن دحمود، فجده المقرئ دحمود الذي تقدمت ترجمته في الباب الخامس من تراجم القراء، وأمه: مريم بنت محمدو بن سيد بن ممود (أولاد طالب) الجكنيين، له دراسات محظرية، وحاصل على شهادة في القانون العام من جامعة انواكشوط وهو شاعر متميز له ديوان شعر، وقد وصلتني له بعض القصائد فمنها:

قصيدته الأباتية التي يشيد فيها بأمجاد قبيلته أهل أبات يقول فيها:

ترجل خليلي في الربـوع فقد كنا ... بـدورا لذي الأمجـاد قدما وما زلنا
لنا في العلا أصل أصيل يسوسه ... بهـاء وعـلـم بـالإلـه فـلا يثنى
معاهدنا في العلم فاقت معاهدا ... لأقراننا قدما كما نحن قـد فقنا
فكم من صعاب للعلوم تذللت ... وكم من ضفاف للمعارف قد جزنا
سراعا إذا ما الناس عنها تقاعسوا ... مخافـة أخـطـاء تـرانـا لهـا غصنا
نـوازل مستعص على الناس فهمها ... تراها بفضل الله سهلا إذا جئنا
وقـال منادي القوم هاهي دونكم ... وثبنا وأيـم الله نحن لهـا قمنا
كأنا لأهل الأرض من كل جنسنا ... بـدور تـضيء الليل أنـوارهـا تسنى
فـلا عـيـب فينا غـير أن نظيرنا ... عـديم وجـود في الأنـام كـما أنا
خئولتنا جـاكـان مـن كـل جانب ... ومن خاله جاكان لا غرو إن غنا
فنحن بـنـو أبـات والله حسبنا ... سلائل خـير الخلق دينا وديدنا

نصبنا قـبـابـا لـلـمـعـارف جمة ... وتلك أقاصيها فبلهك ذي أدنى

مـنـازل أهـلي قـيروان تكَانت ... تغار لهـا أسمى وتشتاقها لبنى

نـواعـم مـا ألـفـين بـؤس معيشة ... لهـن وجـوه كالوذيلة في الحسنى

لهـن خـدور لا يـرام خبـاؤهـا ... عـرائـن أسـد لا تـزار ولا تدنا

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ ضمن فيها بعض الأشطر من رائية امرئ القيس: «سما لك شوق بعد ما كان أقصرا» يقول فيها:

لـدى كعبة طـاف الحجيج وكـبرا ... سَـَما لَـكَ شـوْقٌ بَعدَما كان أقـصَرَا

وقدهيجت الأحـزان والهم والأسى ... عشية جـاوزنـا دمـامـا وعـرعـرا

فنبكي من الأشـواق ليلا وصبحنا ... ونبكي إذا صـام النهار وهجرا

وهاجت لك الـديـار ذكـرى نبينا ... أخي الحق من بالحق في المهد بصرا

فلما أتيـنـاه نـلـوذ بجنبه ... ورثـنـا العلى والمـجـد أكـبر أكـبرا

فلم تـعـرف الأقـوام مثل محمد ... أبـر بـمـيـثـاق وأوفى وأصـبرا

فـلـولا وأن الله حـرم وأدهـا ... سليمى لأمسى حبلها قـد تبترا

فهاهن فـلـذات الـفـؤاد بحلمه ... يحـلـين يـاقـوتـا وشـذرا مفقرا

وريـح شـذى في خلقه وخلاقه ... تخـص بمفروك مـن المسك أذفـرا

فـما ينبغي للمرء إن هـو زاره ... وردد فـيـه الـفـكـر إلا تحـيرا

إذا المرء حب المصطفى ليس يبتغي ... حـدائـق دوم أو سفينا مقيرا

ولـن يبتغي غـير الجـنـان فحسبه ... غـداة ورود الحـوض والظل أنهرا

فـأرشـدنـا المـخـتـار طـه لديننا ... وعـروتـه الوثقى الـتـي لـن تبترا

فسيد خـلـق الله مـاجـاء قاصد ... لـذا الـديـن إلا حـازه وتـبـشرا

فـلا غـرو يـاخـلي إذا مـا رضيته ... وقـرت بـه عـيـنـاك فـالله أكـبرا

فـدانـت لـه قـدمـا مـدائـن تبع ... وذلـت له بصرى وكسرى وقيصرا

هـو المـنـزل الآلاف عند قريظة ... وملزمهم حزنا من الأرض أوعرا
فياليتني كـنـت في دهـر غـزوه ... أجـاهـد حقا أو أمـوت فـأعـذرا
كــأني بـبـدر والحـبـيـب مـرابـط ... بجيش تـرى منه الكتائب أزورا
وقد هزموا جيش الضلال جميعه ... وقـامـوا لـديـن الله نـصرا مـؤزرا
فــذاك رســول الله فـاتـح مكة ... وذاك الـذي بالوحي قدما تنورا
عليه صـلاة الله مـا قــال قائل ... سَـمَا لَـكَ شـوْقٌ بَعدَما كان أقـصَرَا

وله في رثاء العلامة محمد ابات بن محمد رحمه الله:

أذري الدموع بلا صـون بها هاتي ... وابـك العيون بفقد القاضي الفاتي
وعـزيَ النفس قبل الأهل في وجل ... وعـــزيَ الأهــل عــزي آل أبـات
خطب جليل أعـم الكون قاطبة ... خطب ألم ومــن إحــدى الملمات
غياب رائدنا في العلم قائدنا النــ ... ـــحرير قاضينا في الماضي والآتي
محمد ابــات مـن كـان الأنـام لنا ... بـه يهـاب وكــان الضيغم العاتي
في كـل خطب جليل إن ألم بنا ... قاضي القضاة محمد ابات والنات
وكــان شيخا جليلا مـن محاسنه ... يـسر نــاظــره كــل المـسرات
محـمـدابـات وافـــاه الحـــمام بكت ... عليه كـل الأراضي والســاوات
وسع له المضجع الآتيه واقـض له ... بجنة الخـلـد واقــره بـزوجـات
من حور عين واسقه الرحيق غدا ... يـارب وافـتـح لـه أبـواب جنات
وخلف الأهـل صبرا والبنين ومن ... والاهـــم ربـنـا رب الـبريـات
إني أقـول كـما قـدقـيـل ممتثلا ... مـقـولـة إنهـا في الحسـن كـالآتي
إني أعـزيـكـم لا أني عــلى ثقة ... مـن الخـلـود ولـكـن فجع أنـات
وصـل أزكـى صـلاة لا انتهاء لها ... عــلى رسـولـك طـه جـد أبـات

وله في رثاء الوالد أحمد بن محمد محمود رحمه الله:

ضاقت نفوس الورى من خطبها الجلل   وذي ثريا السما يشكوا لها زحل
ووابل الأرض أضحى عابسا نكدا   وذي بـروج السما من وجدها تفل
أشكو إلى الله ما في النفس من حزن   عـلى فقيد الـــورى لله مـن رحلوا
ومـــن بـــه رحمـــة لـلـنـــاس كلهم   إذا تـراءى الأسى والضيق والعول
بـكـى الـبـيـان لـــه بمنطق وعـلى   إثـر البيان بكت خلاصة فسلوا
فـــذاك أحمـــد بـالـكـرام خـــيرٌ أبـا   إذ الكرام بـذي الأحساب تحتفل

إلى غير ذلك.

وله قصيدة يقرظ بها هذا المؤلف ستأتي في التقاريظ نهاية الكتاب إن شاء الله تعالى.

الفصل العاشر
في أشعار عدة أفراد من القبيلة

سأذكر في هذا الفصل مقتطفات من أشعارعدة أفراد من القبيلة وهم كل من لم يشتهر بالشعر بل وجدت له عناوين قليلة، وبعضهم وردت ترجمته في هذا الكتاب وبعضهم لم ترد له ترجمة، وسأذكرهم وفق التسلسل التاريخي حسب الإمكان،

وأبدؤهم بأكبر أبناء العلامة أبات وهو: العلامة الشيخ عبد الرحمن رحمه الله فنقول:

من شعر العلامة: الشيخ عبد الرحمن بن أبات:

في الاستسقاء:

إلهي اسقنا غيثا هنيئا مباركا ... مربا به تحيى بلاد من أسلما
فتصبح أرض الله غب هدوه ... رياضا تسر الناظرين تكرما
بحق الهدى والمهتدين بهديه ... عليه صلاة الله ما دام مكرما

وله أبيات وعظية يقول فيها:

إن دارا عرفتها بانكديِّ ... وطلولا عهدتها بالنديِّ
أنبأتني وهي غير كذوب ... أن غير الإله ليس بشيِّ

ومن شعر السيد الفاضل الربيع، وهو أكبر أبناء الطالب عبد الدايم رحمه الله تعالى:

أمـا لهـذا الـبـين طـالـت طوائله ... إذا قلت هذه أواخـره كرت أوائله
لأمـتـطـين للبين عــزم بــن حـرة ... تغول يد التسويف عني غوائله

ومن شعر السيد الفاضل: سيد محمد المصطفى المعروف ب«سيد»

بن الطالب عبد الدايم وكان من المتخصصين في اللغة العربية فيقول في الغزل:

لله غــانــيــة مـــن آل مـنـصـور ... حسبي بمنظرها من منظر الحور
لم ينسني نفخها في الصور إذ نفخت ... كلا لعمرك يوم النفخ في الصور

ومن شعر العلامة أحمد ابن أبات:

في الثناء على المرأة الفاضلة أم اعلام بنت أيد الامين زوجة العلامة محمد احمد بن الطلبه في حكاية تقدمت في ترجمته:

فما مجتنى من أدكـن[1] فض ختمه ... يـشـاب بـمـاء مـن غـديـر سـماء[2]
بـأعـذب مما نـاولـت أم مريم ... غـداة تـدان الـود بـعـد تـنـاء.

---

(١) الأدكن هو اللون الذي يكون بين السواد والحمرة، وهو لون الخمرة المعتقة، التي هي أجود أنواع الخمر.

ومنه قول لبيد:

أَغْلي السِباَء بكلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ ... أو جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها

(٢) العرب تقول إن الخمر إذا شيبت بماء زلال، صارت في أعلى درجات الجودة ومنه قول طرفة في معلقته:

فمنهنّ سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وله منظومات في العقيدة والفقه وعلوم اللغة العربية وغيرها

يقول في مقدمة نظمه في العقيدة:

الحمد لله الذي قد وهبا … بفضله لا عمل ما وهبا
وجعل الحسنة للأبرار … سيئة المقرب المختار
وشرط التكليف بالمقدور … ولم يكن يحرج في المأمور
وأرسل النبي في أقواله … ليقتدى به وفي أفعاله
صلى عليه الله من رسول … وآله أولي الندى الأثيل

ثم يقول:

وبعد فاعلم أنما الإيمان … بعمل يزداد لا البرهان

.. إلى آخره وهويزيد على أربعين بيتا.

ويقول في مقدمة نظمه في فاسد النكاح:

الحمد لله الذي قد أثبتا … ما شاءه وغيره لن يثبتا
وجعل الأحكام للعباد … إلى النجاة سلم الرشاد
مبينا لها على لسان … من أظهر الحق من البهتان
محمد خير بني عدنان … عالي ذرى المجد من البنيان
صلى عليه دورة الزمان … وصحبه منزل الفرقان
وبعد فالذي إلى الإفاده … نسب معدود من العباده

وهو يقع في ١٧٣ بيتا.

ويقول في نظمه للفعل حلقي العين:

الحمد لله الذي يصرف … أفعاله ولم يكن تحرف
لأحد عما به قد حكما … سبحانه من قادر ما أرحما

إلى أن يقول:

وهــاأنــا جمـعـت مــا قــد ضبطوا ... في الــفــعــل حــلــقــيــا ولا أفـــرط
في غــير مــا جــاء عــلى القياس ... لأنــــه عــــــادم الالــــتــــبـــاس.

وتقدمت الإشارة إلى هذا كله في ترجمته.

ومن شعر العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن:

ومــيــض بـــرق بـــدا للعين بـــراق ... أضنى الجوانح حتى قيل من راقي
كــأنــما ومــضــه في مــزنــه سحرا ... ومض العوارض من ريانة الساق
ساق سعير الجوى من خدلة الساق ... ساق فؤادي يوم الكشف عن ساقي
تلتف ســاق الفتى إن تبد باسمة ... عن كالأقاح غــداة الطل بالساقي

وله في الثناء على مريم بنت ابراهيم، وهي أم زوجته الثانية عيشة بنت سيد محمد (أحفض) بن الطالب بن اعبيدي «أهل أحمد بن عيسى»:

فــما زاخـــر أضــحــى بــمــوج يمده ... زواخـــر أعيا موجها كــل سابح
بأجد على العلات من كف مريم ... غـــداة أتــاهــا كــل ظـمـئـان لائـح
فما نــول يحيى وابـــن يحيي وخالد ... كـــنـــول يـــديهـــا كـــل دان ونـــازح
ومــن يعتمد يوما طويلا ولم يرح ... لمـــريـــم أمـــســـى خـــالـــيـــا غـــير رائـــح

ومن شعر العلامة محمد بن أحمد بن أبات

في الوعظ:

ألا فــراقــب فــإن الــوعــد قــد قربا ... ورائـــد المـــوت فيك لاح وانتدبا
أيــن الأحــبــة والأقـــران قــد ذهبوا ... وأين من كان يجني اللهو والطربا
بـــادوا وأفنى المنون كل ما جمعوا ... صـــاروا بها اكتسبوا رهنا فيا عجبا
مــا ذا تجيب بــه رُسْـــل الإلـــه إذا ... ما أوقفوك على ما كنت مكتسبا
فتُبْ ونُـحْ لذنوب طال ما جُنيتْ ... واهجر لذيذ الكرى ولازم الأدبا

وانه الهوى إن هوى عما هوى ذو النهى   وابك الدماء على ما فات مكتسَبا
واغض الجفون على وَخْزِ السَّفا فعسى   ترى لسُبْل الهدى والدين مكتسِبا

وله أبيات يرد فيها على سيد احمد بن أحمد الهادي في مسألة المعية وهي:

الذات والوصف لا بالكون قد جمعا   والنص فاحمل على ما لاق بالصمد
تعلق العلم بالأكوان كلهم   معنى المعية ذا لدى أولي الرشد
فالانكشاف هو المراد فارض بذا   فدونك الحق لا تنقص ولا تزد
فالاجتماع والافتراق كلهما   معنى الحدوث بلا شك ولا فند
حاشا كمال الإله أن يحل به   وصف الحدوث عسى يمن بالمدد
فلا تحل مع الأكوان منزلة   ولا تمر بها الأزمان في الأبد
كنه الإله فنزه لا يحاط به   لا يعرف الله إلا الله لا تحد.

ومن شعر العلامة أحمد بن الداد

يرد على بن أحمد الهادي في مسألة المعية أيضا:

إن المعية حق لا جحود لها   لكنها بالذي قد لاق بالصمد
ليست بذات مكان لا ولا زمن   وذي التي ينكرون فزت بالرشد
بل هي تعلق علم الله جل بنا   مع القيام بذاته بلا فند
لذاك لاتصفن ذات السميع بقر   ب في المكان أخي كلا ولا بعد.

وله نظم في الدعاء بأسماء الله الحسنى وهو يقع في ١٢٢ مائة واثنين وعشرين بيتا يقول في أوله:

يقول أحمد بن عبد القادر   سليل أبات النجيب الماهر
أحمد من أمر بالدعاء   ثمت أن أدعوَ بالأسماء
أسمائه الحسنى العظيمة التي   وعد من أحصى دخول الجنة

كما روى الثقات عن خير البشر ... صلى عليه الله منزل السور
من أجل ذا دعوته امتثالا ... بها أُرَجِّي عنده النوالا
مرتبا لها على الذي ورد ... في الخبر المشهور عمن يعتمد.

ومن شعر العلامة سيد محمد (سيدين)بن الإمام

يخاطب شيخه العلامة محمد في مناسبة ذكرناها في ترجمته:

سلام ألذ للنفوس من الشهد ... وأطيب من روائح المسك والورد
يفوق لنا طعم السلافة ذوقه ... وتقصر عن رياه رائحة الرند
إلى من أدام الله بالعلم فضله ... أبي الحجا حلو المكارم والمجد
فموجبه أني على العهد ثابت ... وإن حاد بي صرف الزمان عن القصد
فلا تحسبوا أني للعهد ناقض ... ولكن صروف الدهر ناقضة العهد
فسبحان من أنشا الأمور جميعها ... وما قد قضى لابد جار على العبد

وله في شأن المعية تبعا لشيخه محمد بن أحمد:

معية الإله للأكوان جل ... تعلق العلم بها فلا تمِل
مع اتصافه به قلت ولا ... يفيد ذا لدى الذي تأملا
معية الذات التي استحالتي ... ولا انفكاك الذات عن ذي الصفة
وكنه الاتصاف والتعلق ... العقل عنه عاجز فحقق.

وله في الوعظ:

وكل نعيم للزوال مآله ... فذاك حِرٍ أن لا يسر كماله
ومن سره في دار دنياه حادث ... تبدى له عما قريب زواله
فدع عنك تذكار الدنيا وأهلها ... وكن ذاكرا لله جل جلاله
لعلك إن ذكرت ربك مخلصا ... ينيلك غفرانا يسرك حاله.

ومن شعر العلامة أبات بن محمد عبد الدايم

يثني على الشيخ أحمد بن آدبه، وقد كان الشيخ أحمد هذا قال بيتين يثني بهما على أهل ابات وهما:

لكم قَـدَمٌ في العلم راسٍ[1] بلا نكر — وحزتم لواء الفقه من سالف الدهر
وأبـقـاكـم المـولى لـديـن محمد — تحيطونه من كل نـذل[2] به يـزر[3]

فأجابه العلامة أبات بقوله:

خلعت رداء الغَمْرِ[4] عن كل ذي غُمْر[5] — وأحييت ما قد مات من سالف الشعر
نطقت به يا بحر مذ أنت يافع[6] — وجددت رسم الدين من بعد ذا العصر

ومن شعر الراوية الأديب زعيم القبيلة: محمد بن حميد:

في رسالة أرسلها إلى العلامة محمد ابات بن محمد – وكنا ذكرنا مناسبتها في ترجمته رحمه الله – يقول فيها:

إلى الـذكـي سـمـي الجـد مألكة — تُبدي – وإن كان أدرى – أقوم السنن
ما ذا المقام بجوك بل بأبعد من — جـوك كـأن الـذي قد كـان لم يكن
إقـامـة لم تـكـن يـومـا تـبررهـا — رأيـا إذ تـنـافي مقتضى الـزمـن
إذن إلى مـن وكلتم أمـر حيكمُ — حلا وعقدا ودفعا عن حمى الوطن

---

(١) أي ثابت.

(٢) النذل: الخسيس الحقير.

(٣)

(٤) الغَمْرُ بالفتح: الماء الكثير، ورجل غَمْرُ الرداءِ: كثيرُ المَعْروف، سَخِيٌّ أومنه قول كثير:

غَمْر الرِّداء، إذا تبَسَّمَ ضاحِكاً — غَلِقَتْ لِضَحْكَتِه رِقابُ المالِ

(٥) الغُمْرُ: الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(٦) أَيْفَعَ الغلامُ فَهُوَ يافِعٌ إذا شارَفَ الاحْتِلامَ.

فاذكروا روابط تلك النائبات بكم   تذكرْ بذلك قـول الحـاذق الفطن
إن يغنيا عني المستوطنا عدن   فإنني لست يـومـا عنهما بغني

ومن شعر الشاب الأديب البارع: محمد يحي بن الداد رحمه الله تعالى قوله:

أهاجك بالربع الـرسـوم الدواثر   أم القلب قد رمـاه بالوجد خاطر
فـذي مـنـزلات الـود غيرها البلا   كـأن لم يكن بهـا مـن الحـي سامر
وغـيرهـا مـن الـغـوادي سواكب   وقـد علها وهنا من الوبل ساهر
فلم يبق إلا النؤي قد كاد يختفي   فـتـوهمـه عـيـنـاك والـقـلـب ناكر
وسـفـع ثـلاث كـالحـمائـم جثم   وبـاقـي الـرسـوم خلقته المـواطـر

إلى أن يقول:

علقت غـزالا في الحـدوج مخلدا   وأيـد الـركـاب بالخليط تـغـادر.

وله في رثاء العلامة الطالب محمد بن لبريكني الجكني:

أهـاجـك وجـد أم حشاك مضرم   لـرزء أصـاب الـديـن منه تهدم
لفقد أبي يفتؤ الـنـاس حوله   يعلمهم مكنون علم ويرحم
إمـام جميع الـنـاس في كـل مشهد   وملجأ خطب مـا يهـون ويعظم
إمـام الـشريـعـة الـغـيـور وإنـه   لـعـدل مجيـد في الأنـام وعيلم

إلى أن يقول:

لـئـن غـيـب الإلـه عـنـا جبينه   ووري بالثرى والاعـين سجم
عسى أن يخلفنا منه السليلين منة   فللأصل في الفرع السليل تحكم

وله يخاطب العلامة محمد بن بيدر وذلك في إحدى زياراته لنا، وقد أنشد أبياته التي يقول فيها:

إن العهود التي بيني وبينكمُ ... ما زلت أذكرها عنكم وابتسم
كتبتموها قديم الدهر في كبدي ... فخَطَّها بعدكم في أعظمي قلمُ.

فأجابه رحمه الله بقوله:

جاء المجيد لزورة لها الهممُ ... تجود شعرا عزيزا ما له قدم
هو الإمام ابنه شمس قبيلته ... محمد العيلم السميذع العلم.
فإن قديم الود دائم لكم ... وإن مجدكمُ تليده الكرمُ
وإن تذاكرت الأقوام محتدها ... تقاصرت أبداعن مجدكم الأُمم
أنتم بنو جكن قوم عيالة ... تبدوا مئاثركم بين الورى علم

وله أبيات في الاحتفاء بميلاد الفتى: عبد العزيز بن سيد بن أحمدُ،

لأنه بن زميله سيد، وابن بنت خاله العزيزة عليه، أختنا: رقية بنت أحمد، يقول فيها:

تفاضل أبناء النساء عزازة ... وأصلا ولكن العزيز عزيز
حمدناك لما أن لقينا بشارة ... بمولدك السامي عساك تفوز
بقيت لدينا بالخصال مؤزرا ... وفي الدين تنتحى وفيه ركيز.

وله رحمه الله نظم في مفوتات البيع الفاسد،

يقرب من ثلاثين بيتا، يقول في أوله:

فوت المبيع إن يكن قد فسدا ... حسبها في المختصرْ قد وردا

وفي الختام أقول: ربما قد يكون فاتني الكثير من الأشعار، التي لم أطلع عليها أو تركتها للاختصار، علما بأن موضوع الكتاب ليس جمع الأشعار، وإنما المراد ذكر نبذة عن أولئك الأخيار، وما لهم من الأخبار والآثار، وكيف كان هديهم آناء الليل وأطراف النهار، ليُقتدى بهم في ذلك المسار، وليكون ثناء بالخير يوجب لهم رحمة الغفار، فقد قال ﷺ في صحيح السنه:

(مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّه) رواه مسلم [١]

ونسأل الله سبحانه وتعالى بكرمه ومنته، أن يجمعنا وإياهم في مستقر رحمته، وأن يجعل أعمالنا زادا إلى يوم القدوم إليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم ننتقل إلى الملاحق الثلاثة وهي:

---

(١) صحيح مسلم (الحديث: ٩٤٩).

الملحق الأول
في ذكر إسناد محظرة العلامة أبات
إلى الإمام مالك ثم إلى النبي ﷺ

ونبدؤ هذا الإسناد من المشايخ الذين أدركناهم وأخذنا عنهم، وهم العلامة: محمد ابات بن محمد، والنحوي الكبير: محمد يسلم بن الداد، والوالد أحمد بن محمد محمود، ثلاثتهم أخذوا الفقه عن العلامة: محمد محمود بن أحمد عن أخيه: العلامة محمد بن أحمد، وأخذ الثلاثة النحو عن العلامة سيبويه زمانه: أحمد بن الداد، وأخذ العلامة: محمد بن أحمد، والعلامة أحمد بن الداد عن العلامة أحمد بن أبات، وهو والد الأول وعم الثاني، وأخذ العلامة أحمد بن أبات عن أخيه الأكبر العلامة: الشيخ عبد الرحمن بن أبات وهو أخذ عن والده شيخ الشيوخ العلامة: أبَّات بن الطالب أحمد جدو، وهو أخذ عن العلامة: الطالب أحمد بن محمد رار التنواجيوي عن الشريف الفقيه: حمى الله بن أحمد الإدريسي، عن الشريفين: أحمد بن فاضل، ومحمد بن فاضل، وهما أخذا عن العلامة: الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي،[1] عن: الفقاري قاضي تيشيت، عن: أبي بكر بن أحمد بن ألشغ المسلمي التيشيتي[2] عن: سيدي أحمد أبي الأوتاد التيشيتي [3]، عن: سيدي أحمد أيْدَّ القاسم الوداني، عن:

(١) كان رحمه الله متبحرا في الفقه، وحسن التدريس، وكان يقول: الأصل في الإقراء تقرير المتن، وما زاد على ذلك فضرره على المبتدئ أقرب من نفعه. فتح الشكور، الترجمة رقم: ٦٨.

(٢) قالوا وكان أعلم بمختصر خليل من شيخه أبي الأوتاد.

(٣) يقال إنه هو أول من أدخل مختصر خليل إلى تيشيت حيث درسه على شيخه سيد احمد أيد الوداني، فتح الشكور الترجمة: ١٩.

سيد احمد الفزازي اليعقوبي الوداني [1] عن: الحاج أحمد بن عمر بن أقيت التينبكتي (والد سيدي أحمد بابا التينبكتي) عن سيدي: بركات بن محمد الحطاب (وهو أخو محمد بن محمد الحطاب صاحب مواهب الجليل) عن والده: محمد بن عبد الرحمن الحطاب عن: يحي بن عبد السلام العلمي عن قاضي القضاة: محمد بن عثمان البساطي، عن قاضي القضاة بهرام بن عبدالله الدميري، عن العلامة: خليل بن إسحاق (صاحب المختصر) عن العلامة: عبدالله بن سليمان المنوفي، عن شيخ المالكية زين الدين: محمد بن عبد الرحمن الشهير بالقوبع. ح

وأخذ والد الحطاب أيضا عن قاضي القضاة: محمد بن موسى السخاوي، عن أبي القاسم: محمد بن القاسم النويري، عن البدر: حسين بن علي البوصيري، عن: أحمد بن هلال الربعي، عن: فخر الدين بن الجُلْطة، عن: عمر بن فِرَاخ الاسكندراني، عن: أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، عن: أبي بكر الطرطوشي، عن: أبي الوليد الباجي، عن: أبي طالب مكي بن مختار القيسي، عن: أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني، عن أبي بكر محمد بن اللباد، عن: يحي بن عمرالبلوي (صاحب كتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب) عن: عبد السلام بن سعيد (سحنون) عن: عبد الرحمن بن القاسم العتقي، عن: الإمام مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) وأخذ الإمام مالك عن نافع عن: عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ.

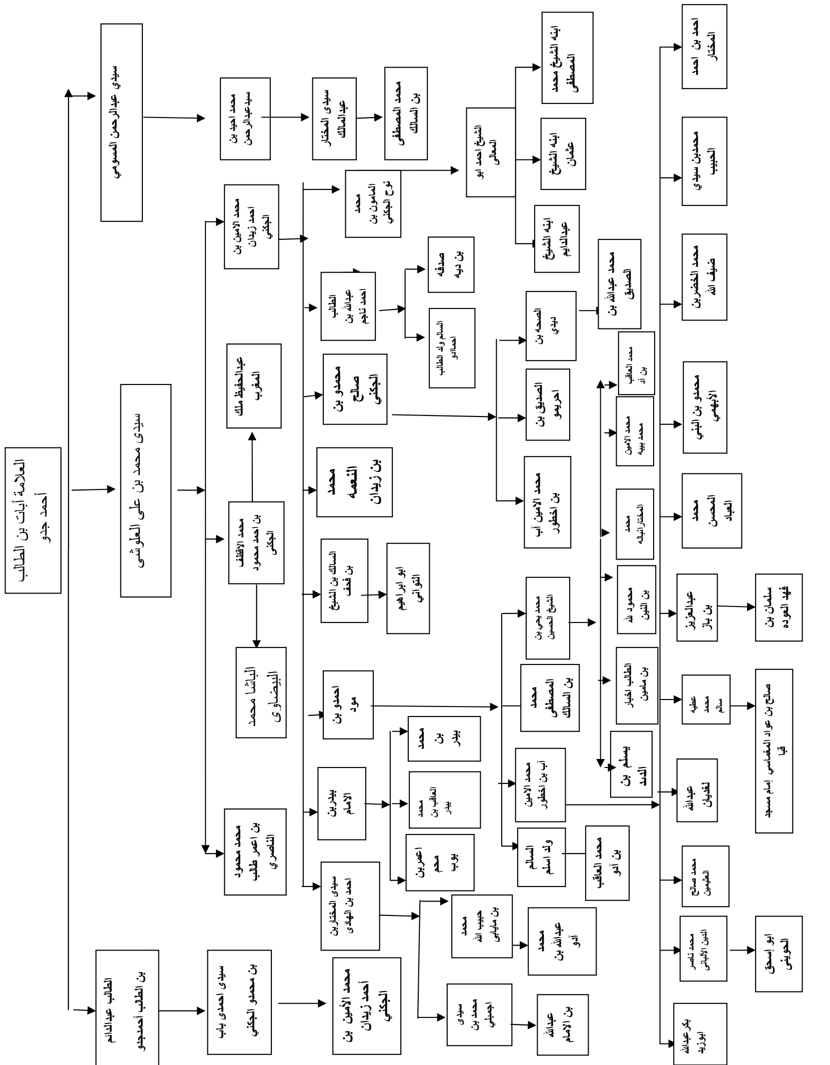
(١) يعتبر هذا الشيخ هو حلقة الوصل بين الأسانيد الشنقيطية، والتنبكتية، في الفقه المالكي، وهو أول من أدخل كتاب مواهب الجليل إلى وادان، أخذه بالسند المسلسل إلى الحطاب، عن الحاج أحمد التنبكتي. وقد توفي سنة: ١٠٨٦ انظر الحياة الثقافية لابن حامد ص ١٩٩ وفتح الشكور الترجمة رقم: ١٦.

وأخذ كذلك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن: أنس مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ. وأخذ كذلك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ[1].

(١) تسلسل مشايخ هذا الإسناد من بدايته - إلى العلامة الطالب أحمد بن محمدرار، معروف عندنا بالتواتر، وتقدمت تراجم أصحابه في هذا الكتاب، ومن العلامة الطالب أحمد - إلى الحطاب، فهؤلاء مذكورون في كتاب: فتح الشكور، ومن الحطاب - إلى النبي ﷺ، فهم في أسانيد الحطاب التي ذكرها في بداية كتابه: (مواهب الجليل).

الملحق الثاني

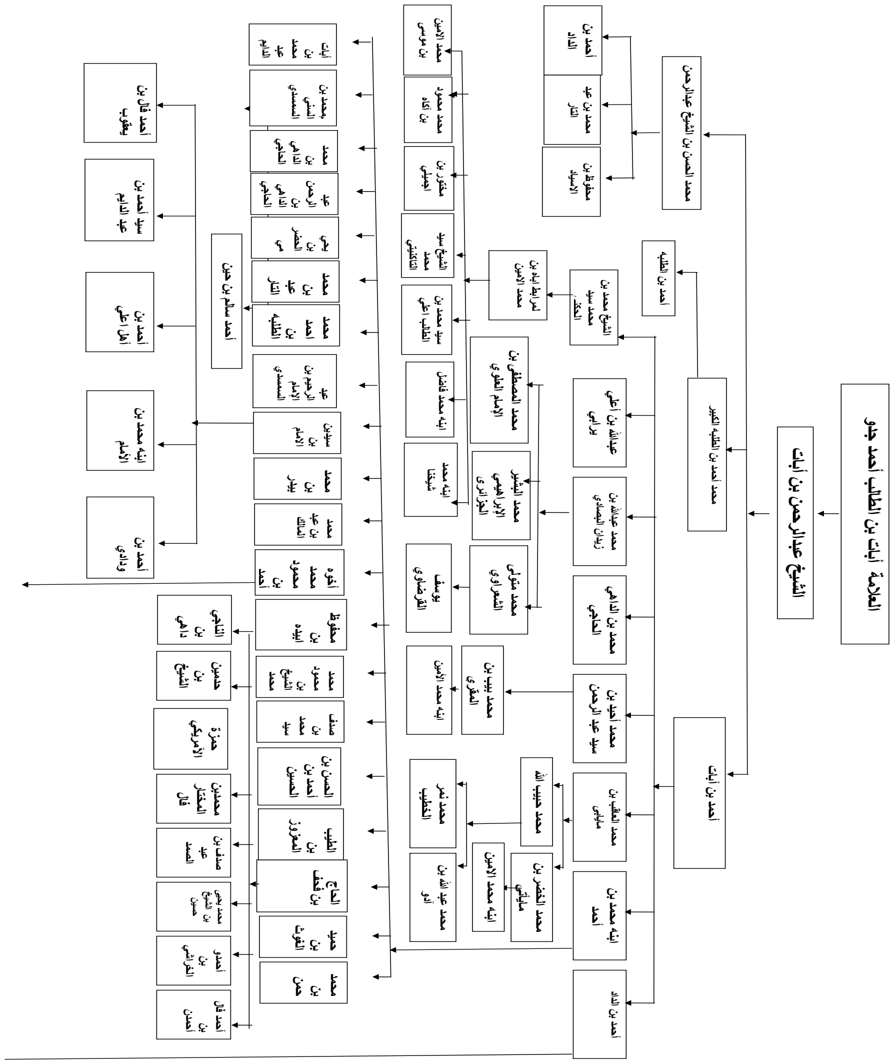
في رسم شجرة لمحظرة العلامة أبات الأولى:(١)



(١) محظرته الأولى هي التي أنشأها قبل سفره إلى المشرق. انظر المبحث العشرون من ترجمة العلامة أبات، في ذكر طلابه الذين تخرجوا من محظرته الأولى.

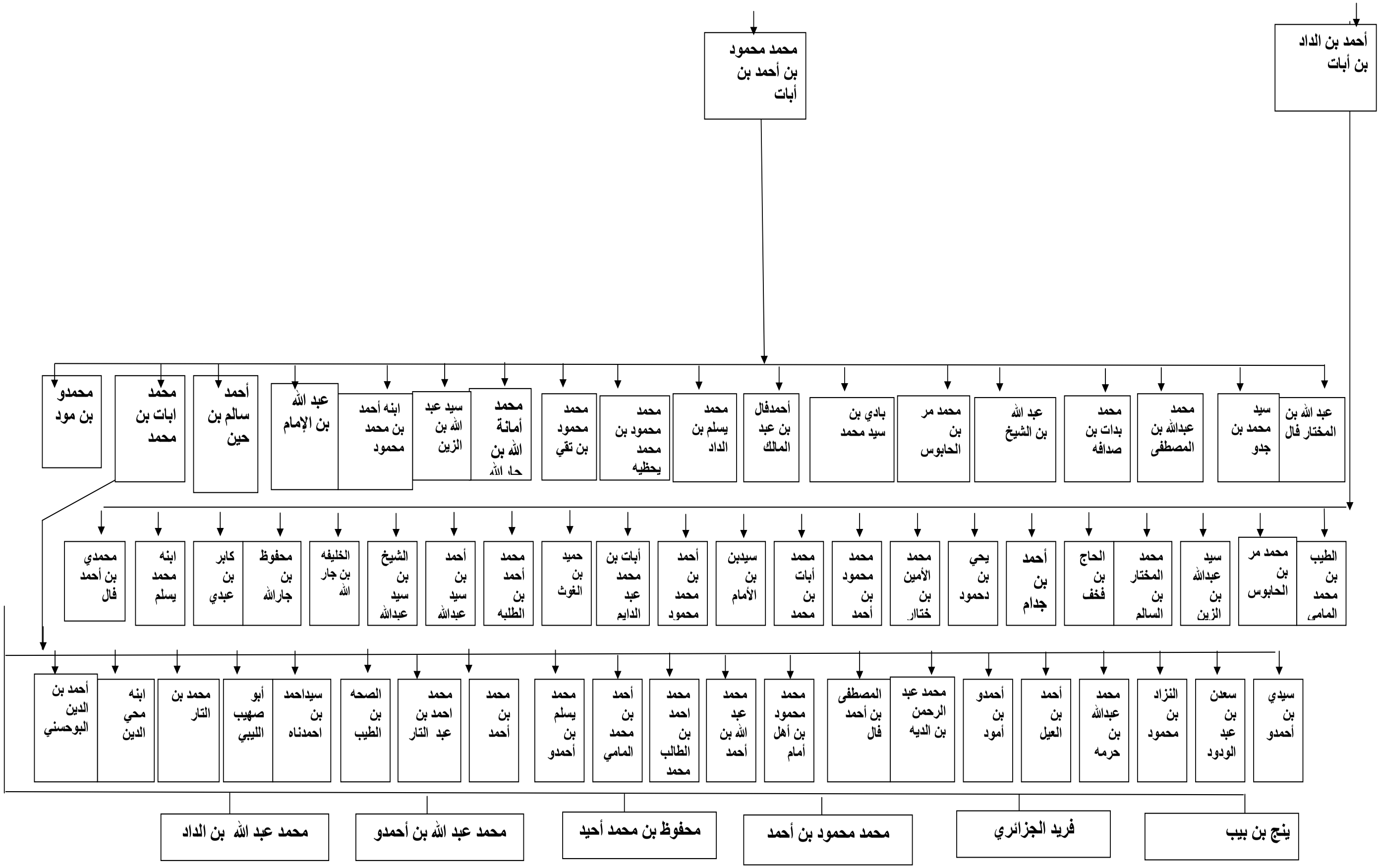
الملحق الثالث

في رسم شجرة لمحظرة العلامة أبات الثانية [١]



---

(١) محظرته الثانية هي التي كانت بعد قدومه من المشرق. انظر المبحث الحادي والعشرون من ترجمة العلامة أبات في ذكر طلابه الذين تخرجوا من محظرته الثانية.


أحمد بن الداد بن أبات
محمد محمود بن أحمد بن أبات
عبد الله بن المختار فال
سيد محمد بن جدو
محمد عبدالله بن المصطفى
محمد بدات بن صدافه
عبد الله بن الشيخ
محمد مر بن الحابوس
بادي بن سيد محمد
أحمدفال بن عبد المالك
محمد يسلم بن الداد
محمد محمود بن محمد يحظيه
محمد محمود بن تقي
محمد أمانة الله بن حاء الله
سيد عبد الله بن الزين
ابنه أحمد بن محمد محمود
عبد الله بن الإمام
أحمد سالم بن حين
محمد ابات بن محمد
محمدو بن مود
الطيب بن محمد المامى
محمد مر بن الحابوس
سيد عبدالله بن الزين
محمد المختار بن السالم
الحاج بن فخف
أحمد بن جدام
يحي بن دحمود
محمد الأمين بن ختار
محمد محمود بن أحمد
محمد أبات بن محمد
سيدين بن الأمام
أحمد بن محمد محمود
أبات بن محمد عبد الدايم
حميد بن الغوث
محمد أحمد بن الطلبه
أحمد بن سيد عبدالله
الشيخ بن سيد عبدالله
الخليفه بن جار الله
محفوظ بن جارالله
كابر بن عبدي
ابنه محمد يسلم
محمدي بن أحمد فال
سيدي بن أحمدو
سعدن بن عبد الودود
النزاد بن محمود
محمد عبدالله بن حرمه
أحمد بن العيل
أحمدو بن أمود
محمد عبد الرحمن بن الديه
المصطفى بن أحمد فال
محمد محمود بن أهل أمام
محمد عبد الله بن أحمد
محمد احمد بن الطالب محمد
أحمد بن محمد المامي
محمد يسلم بن أحمدو
محمد بن أحمد
محمد احمد بن عبد التار
الصحه بن الطيب
سيداحمد بن احمدناه
أبو صهيب الليبي
محمد بن التار
ابنه محي الدين
أحمد بن الدين البوحسني
ينج بن بيب
فريد الجزائري
محمد محمود بن أحمد
محفوظ بن محمد أحيد
محمد عبد الله بن أحمدو
محمد عبد الله بن الداد

تقاريظ الكتاب

وقد قرظ هذا الكتاب بعض الإخوة الأفاضل، جزاهم الله خيرا وهم:

١. الأخ البارع: محمد بن أحمد

٢. والشاعر: إدوم بن دحمود

٣. والشاعر: عبد العزيز بن محمدو بن محمد المصطفى

٤. والشاعر: الخليل بن امدَّه

٥. و الشاعر: محمد يحي بن الطالب محمد

وقد رتبتهم هكذا حسب وصول التقاريظ إلي.

تقريظ الأخ محمد بن أحمد، حفظه الله تعالى:

لقد أجدت في البدور النيراتْ ... بررت آباء عظاما وثقاتْ
تراجم ليس لها مثيل ... لطالما حنَّ لها القبيل
بها كشفت ما عصورا خيما ... من الضباب عن جهود العلما
فنسأل الله العلي المقتدر ... يجزيك خيرا وامتدادا في العمر

تقريظ الشاعر: إدوم بن دحمود، حفظه الله تعالى:

أنرت من البدور لنا إناره ... وأحسنت الأتم من العباره
بتأليف يفوح شذى وعطرا ... ومسكا طيبا أسدى مساره
وكنت اللوذعي بكل فن ... فقدمت الحقيقة والبشاره
لآل أبات من للعلم أهل ... وهم أهلوه من حازوا الإماره
مدار العلم قد سلكوه قدما ... ومن يسلك مداره ما أداره

فـعـنَّ بــذا الـكـتـــاب لهـم بـدور كـما عـنـت مـن الأثـــر الحـضـاره
أثـــرت الـــدر قبـضا ثـم بسطا بـذكـر أبـــات مـن كـان المـنـاره
ومعتكف الـكـتـاب يــراك حتما تـلـقـدت الـريـاسـة والـصـداره
وعــن مجـد الجـــدود لـنـا لعمري نفضت لقد نفضت لنا غباره
ليبقـــــيك الإلـه لنا إماما ويـرزقـنـا الـتـقـاء والاسـتـنـاره
صـــلاة ربي عـلى المـخـتـار دومـا مـكـلـلـة بـمـرجـان الـنـضـاره

تقريظ الشاعر: عبد العزيز بن محمدو، حفظه الله تعالى:

علوت بتأليف البدور كما يعلوا خليل علوم فوق من مَيْزُه الجهل
وصرت مبجلا لـدى القوم كلهم هنيئا لـك التأليف أنـت لـه أهل
حفظت بـه مجـد الجــدود لجيلنا وجدولة الأصل الشريف لها أصل
لـيرزقـنـا الله الـعـفـاف مـع التقى ويـرزقـنـا العلم الرفيع فنعمل
وختـما سـلامـي ذا إلـيـك موجه وإني لعمري مـن مقالي لأخجل
وإني لأرجــو لطف ربي وعفوه كذ الشرب من حوض المقفى لأسأل
عـلـيـه صـلاة الله ثـم سـلامـه مع الآل ما قـام الدجى متبتل.

تقريظ الشاعر الخليل بن امدَّه حفظه الله تعالى:

أضـأتـنـا بـبـدور نـجـلَ أبـات ونــيرات عـلى كـل المـنـارات
بينت مـا كـان يخفى مـن مهمات في توجهات بـدور الـدهـر أبات
قـوم شمائلهم في الأفـق شائعة قـوم مـكـانهـم عـالي المـكـانـات
فالعلم منتشر إن جئت ناديهم وكلهم فاضل نـاتٍ على النات[1]
مـا بـين منتدب للعلم معتكف وشـاعـر ذرب جـم المـزيـات

(١) النات أي الناس بإبدال السين تاء وهو سائغ ومشهور في اللغة.

وعــالم بـعـلـوم الــشرع أجمعها ... ومـفـتـي بـأحـاديـث صحيحات
وحـافـظ لـكـتـاب الله جـل علا ... وقـانـت زاهــد عــمار أوقـات
ومحـيـي سنـة المـخـتـار مـن مضر ... أزكـى صلاة عليه والتحيات
مـا قلته ليس ثلثا مـن شمائلكم ... فـعـن شمائلكم تـقـصر عـباراتي
قد افتخرت وحسب المرء مفتخرا ... أن يـنـسـبـن إلى أبـنـاء أبـات

تقريظ الشاعر: محمد يحي بن الطالب محمد حفظه الله تعالى مشيرا إلى كثير من أمجاد القبيلة ومدائحها التي وردت في هذا الكتاب:

الـبـدرفي تأليــفه الـبـدور ... قـد جـاء بـالـنـظـم وبـالمـنـثـور
عـنـيـت عـبـدالله ذا المـفـاخـر ... مـن قـرأ الـعـلـم عـن الأكـابـر
فـجـمـع الـفـرع مـع الأصـول ... أدامــه الله لـذا الـقـبـيل
لا غـرو فهو مـن بيوت السؤدد ... أبــوه أحمــد بــن آل أحمـد
مـترجمـا لطـبقات علما ... مـن آل أبـات الهـداة الـكـرما
أعني الـذي منهم بعلمه اشتهر ... والـعـلـم في كـلـهـم قـد استتر
فليس يوجد لديـهم جاهل ... عـلـم ذا الأفـراد والـقـبـائـل
قـد شـهـدت بفضلهم أقـران ... ودونـت في مـدحـهـم أوزان
منها قصيدة «ذوى العيش» التي ... أعـدهـا ابـن اعـبـيـدي كاللؤلؤة
«سـح الـدمـوع» صـاح لابـن امني ... جــاءت مـن الـشـعـر بـكـل فـنِّ
فـيـه وفي رفـيـقـه شـأن جلا ... «إن الرفيقين إذا هما عـلى»[1]

(1) يشير بذلك إلى مرثية محمد احمد بن الطلبه للعلامة أبات ورفيقه الشيخ سيد مولود بن الشيخ سيد المين الجكني، التي يقول فيها:

إن الرفيقين إذ هما على شرف ... حلا بخيران فالسعدُ لخيران.

ولابــن بيدر «نــزلــت» و«عــيــون» «إن العهود»[1] والحديث ذو شجون
«لتبك» للجيلي «فدى القنيزر»[2] ولابـــن جــــدامٌ الهـــمام الـشــاعــر
ولابـــن حــابــوس ولابــــن الزيني قـصـائـد صيغت مـن اللجيني
لابــن بــريـكـنـي الأبي الجكني سـلامـه الـفـائـق في ذا السنن
ولابـــــن آدب ولابـــــن مـــودِ والـتـنـدغـي قــال في ذا الـطـودِ
«إلى بـيـوت الأكـرمــين الكمل الحــائــزيــن فــخــر كــل محــفــل»
«لــولاكـــم لم يــر فـــرق ينجلي بـين ضـمـير الـفـصـل والمـتـصـل»
«والـفـخـر شـــأوه بعيد المـنـزل وقـد سبقتم في الرعيل الأول»
عــوامــل الــرفــع بــأبـيـات حسان وصفهم مـن جـا إلى ذاك المكان
كـقـول عـبـد الــقــادر النحرير ذي النظم والتأليف والتحرير
«ثـــم عـــلى جماعـــــة القبيلهْ تحـيـة فائـــــــقة جميلهْ»

---

(١) يشير إلى قصائد العلامة محمد بن بيدر ومطلع الأولى:

نزلت بكم لله ألتمس العلما وألتمس الآداب والدين والحلما..

وهي قصيدة يمدح فيها أشياخه أهل ابات قالها أيام دراسته عليهم.

ومطلع الثانية:

عيون العلى أضحت على البذل سجما ونائح دين الله نادى فأعلما

وهي في رثاء شيخه العلامة محمد بن أحمد رحمهم الله تعالى.

ومطلع الثالثة:

إن العهود التي بيني وبينكم ما زلت أذكرها عنكم وأبتسم

وهي قطعة قالها في الثناء على أشياخه في فترة شيخوخته رحمه الله تعالى.

(٢) محمد بن الجيلي الكنتي له قصيدتان إحداهما مرثية لشيخه محمد بن أحمد ومطلعها:

لتبك على ذي الجود والسؤدد الفرد
بنو الدهر من شيب مشايخ أو مرد

والأخرى في النسيب وذكر أوطان أشياخه أهل ابات ومطلعها:

فدى القنيزرما في الأرض من وادي وفدفد وعظام الشم الاطواد

«جماعة الأماجد الأشراف … من عرفوا بالعدل والإنصاف»
«واشتهروا بين الأنام بالعلوم … لازال نشر العلم فيهم يدوم»
«أبوهم أباتُ نعم النسبُ … ونعم الابناءُ ونعم الحسبُ»
ولابن جار الله محفوظ الأربْ … مرثية لشيخه من الذهب
وعابد الرحمن نجل الحاج … مدحهم بشعره الوهاج
وكل وافد عليهم مدحا … منوها بعلمهم مصرحا
بذا ومثله وبالحساني … مدحهم فرسان هذا الشان
إذ أسسوا محاظرا عظيمه … ظلت تبث العلم مستقيمه
يتلى بها كتاب ربنا علا … مجودا محبرا مرتلا
يكتبه الصغار في الألواح … كالسنن الحسان والصحاح
مع العقيدة الصحيحة التي … حررها هداة أهل السنة
والفقه والأصول والمعاني … والنحو والتفسير والبيان
مصطلح الحديث والأخبار … وسيرة المعظم المختار
والشعر والأدب والمغازي … ونكت الأعلام والألغاز
والمنطق الصعب الذي يجلوا العما … عن القلوب عندهم مثل السما
فعلموا مخارج الحروف … والرسم والصفة للحروف
والبدء والإدغام والوقوفا … والمد والترقيق والتضعيفا
وعلمو الصحيح والضعيفا … والحسن المرسل والموقوفا
ومنعوا تعرضا للشبه … كقول أحمد الهمام النبه:
«وشبهة مع ردها الآن حرم … إقراؤها وكتب لذا تؤم»
وحرروا معنى المعية كما … نظم ذا نجل الامام العَلَمَا:
«معية الإله للأكوان جل … تعلق العلم بها فلا تمِل»
«مع اتصافه به قلت ولا … يفيد ذا لدى الذي تأملا»

«معية الـــذات الـتـي استحالتي ... ولا انفكاك الذات عن ذي الصفة»
«وكــنــه الاتــصــاف والـتـعـلـق ... الـعـقـل عـنـه عـاجـز فحقق»
مقتفيا في ذا لشيخه الجليلْ ... محـمـد بـن أحمـد أحـسـنَ قيلْ
أعـنـي بـذا جـوابـه في شعـره ... «الـــذات والـوصـف» إلى آخـره
ودرســوا الأخـضري وابـن عاشر ... مـتـنـهـما وكـــل شرح نـائـر
ودرســـوا رســالــة لابــن أبي ... زيـد مـع الــشروح دون كـذب
ودرســـوا خـلـيـل والــشروحـا ... ولــوحـــوا في درســـه تـلـويحا
فـحـفَّـظـوا ودقـقـوا ونـصـحـوا ... وجمـعـوا ورتـبـوا وصـحـحـوا
وطـبـقـوا الـكـل عـلى الجـوارح ... فليس منهم مـائـل عـن صالح
وفي الأصـول عـلـمـوا المراقـي ... فـطـار صـيـتـهـم إلى الآفـاق
والمـرتـقـى والمـنـهـج المكملا ... ومـا بهـا مـن الـعـلـوم اتـصلا
وفي الـبـيـان درســوا للأخضري ... جـوهـره وسـيـد نَـــوْره اذكـرِ
وللسيوطي في عـقـوده الجمان ... إذن أنـاروا في الـورى كـل جنان
في الـنـحـو مـا ألـفـه ابـن مالك ... مـن كـتـب تـنـير سبـل السالك
كـطـرة ابـن بـون الاحمـرار ... وغـير ذا مـن كـتـب صغـار
وقـرة الأبـصـار كـابـن لهشام ... في سـيرة الـنـبـي صاحـب المقام
صـلى عليه الله مـادامـت علوم ... الــشرع تـرفـع جـنـاب كـل قـوم
وكـانـت الـفـتـوى إلـيـهـم ترفع ... مـن كـل فـج وإلـيـهـم يـرجـع
فتواهم ماضية مـدى العصور ... ولم تكن أحكامهم تنمى لجور
أحكامهم عـلى الصغير والكبير ... نـافـذة لـو أنـه كـان الأمـير
ومـن كـلام الأجــلاء فيهم ... نمـــــوذج نذكره مسلم
للكنتي في جـدهم كـلام ... يـا ايهـا الـنـحـريـر والهـمام
في مـعـرض الـرد عليه في كتاب ... الاجـوبـة التي كـوابـل السحاب

وسيد في لقائه ستبلغ ... في العلم ما ليس الرجال تبلغ
مزكيا له بلا ارتياب ... لَمَّا رآه فائق الأصحاب
ولابن بون معه أمور ... خوارق تشفى بها الصدور
بداه: لم يأخذ بذا القطر قلم ... كمثل أحمد ابن أبات العلم
وكثرت تزكية الأعلام ... لهم كما في ذا الكتاب السامي
جزى الاله ربنا من كتبه ... بالخير واليسر وكل مرتبه
ثم الصلاة والسلام أبدا ... على النبي الهاشمي أحمدا
وآله وصحبه الأبرار ... والتابعي لهم من الأخيار

وبهذا تم الكتاب

المصادر والمراجع المعتمدة في هذا الكتاب

وقد اعتمدت كثيرا في هذا الكتاب على المصادر والمراجع التالية:

١. تاريخ بن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.

٢. البداية والنهاية لابن كثير.

٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

٤. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين السلاوي.

٥. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط للغوي الكبير أحمد بن الأمين العلوي.

٦. إمارتا إدوعيش ومشظوف، للعلامة: بابا بن الشيخ سيدي بتحقيق الأستاذ: إزيد بيه بن محمد محمود.

٧. رحلة المنى والمنة للعلامة: الطالب محمد بن اطوير الجنة الحاجي الواداني.

٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي.

٩. تاريخ قبائل البيضان للشيخ موسى كمرا.

١٠. سطور في حاضرة كصر البركة وشعبها وحكامها للأستاذ محمد بن المختار الكنتي (أولاد البح)

١١. الروض في أنساب أهل الحوض، منسوب إلى العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي. مخطوط.

١٢. حوليات تيشيت. (أحداث تاريخية) مخطوط.

١٣. الجواهر الباهرة، في النسب الشريف وما تفرع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، للأستاذ عبد السلام العمراني المغربي.

١٤. حياة موريتانيا الحياة الثقافية، والسياسية، للمؤرخ الكبير المختار بن حامدٌ الديماني.

١٥. المنارة والرباط، للخليل النحوي.

١٦. الشعر والشعراء في موريتانيا، للدكتور: محمد المختار بن بن اباه.

١٧. مشكاة المهاد في تراجم الأجداد، للوالد أحمد بن محمد محمود (مخطوط).

١٨. كشف الأستار عن نسب آل اجيه المختار للعلامة الشيخ التراد بن العباس بن الشيخ محمد فاضل القلقمي. (مخطوط)

١٩. واضح البرهان، في الفرق بين العلماء العاملين أولياء الرحمن، والعلماء المغترين أولياء الشيطان، للشيخ الكبير سيدي محمد بن بادي (أهل الشيخ بن امن) (مخطوط)

٢٠. علم من علماء شنقيط لمرابط الطالب أبات، للأستاذ الفاضل: محمد عبد الدايم بن أبات.

٢١. بحث مفيد حول المحاظر المشهورة في موريتانيا للعلامة الأديب محمدو بن أحمد مود الجكني، كتبه أواخر سنة ١٤٠٠هـ مطبوع على الآلة الكاتبة.

٢٢. المجموعة الكبرى للدكتور يحي بن البراء.

٢٣. تاريخ شنكيطي، للدكتور حماه الله بن السالم.

٢٤. حجاج ومهاجرون للمؤلف السابق

٢٥. عدة مراجع أخرى من كتب التفسير والسنة والفقه واللغة والأدب والتاريخ.

٢٦. مقابلات كثيرة مع عدد كبير من المشايخ والفضلاء والمؤرخين.

الفهرس

القسم الثاني
في ترجمة طبقات الأحفاد

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبدالرحمن

الفصل الثالث
في ترجمة العلامة أحمد بن الطلبه

الباب الثالث
في تراجم الطبقة الثالثة

الفصل الأول
في انتقالهم من شمال تكَانت إلى وسطها وجنوبها وما قالوه في المناطق الجديدة من الأشعار

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة محمد بن أحمد بن أبات

الفصل الثاني

في ترجمة العلامة أحمد بن الداد

الباب الرابع

في ترجمة الطبقة الرابعة

الفصل الأول

في ترجمة العلامة محمد محمود بن أحمد

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة سيد محمد (سيدين) بن الإمام

الفصل الرابع

في ترجمة العلامة محمد محمود (حميد) بن الغوث بن أبات

الفصل الخامس

في ترجمة العلامة أبات بن محمد عبدالدايم

الباب الخامس
في تراجم الطبقة الخامسة

الفصل الأول
في انتقال هؤلاء العلماء وبعض حيهم
من منطقة تكَانت وتقريهم خارجها

الفصل الثاني
في ترجمة العلامة محمد يسلم بن أحمد بن الداد

الفصل الثالث

في ترجمة العلامة محمد أبات بن محمد

الفصل الرابع

في ترجمة الوالد العلامة أحمد بن محمد محمود

القسم الثالث
في القراء

الباب الأول
في ترجمة المقرئ الشيخ المختار بن أحمد

الباب الثاني
في ترجمة المقرئ سيد بن عبدالدايم

الباب الثالث

في ترجمة المقرئ محمد أحمدُ بن الغوث

الباب الرابع

في ترجمة المقرئ محمد الأمين بن محمد احيد

الباب الخامس
في ترجمة المقرئ دحمود بن دحمود

القسم الرابع
في الأشعار

الباب الأول
في الأشعار التي قيلت في مدح قبيلة أهل أبات

الباب الثاني
فيما قالوه من الأشعار